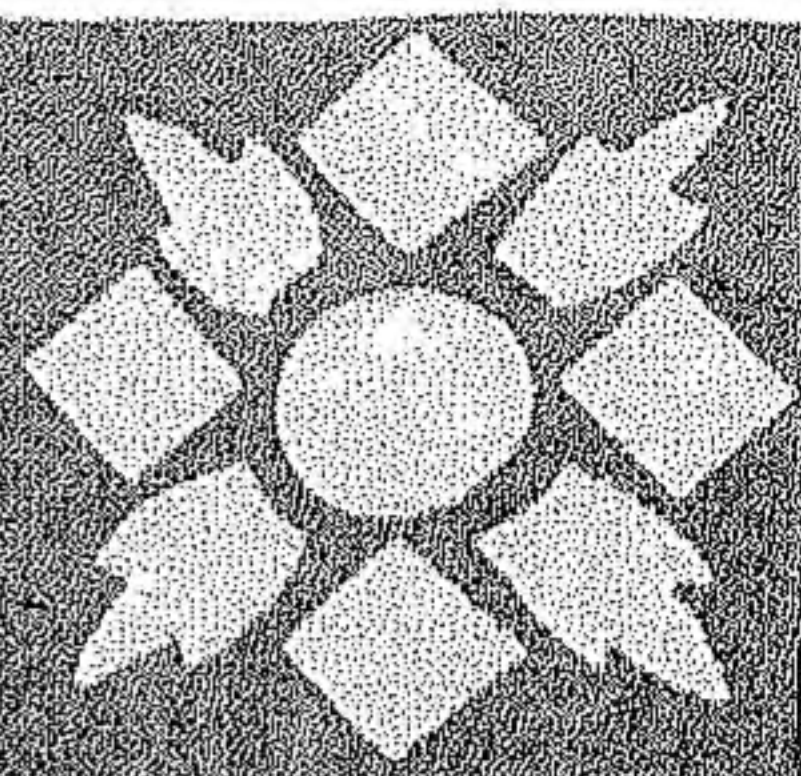


الدراسات التاريخية
نصوص بمسندية



مفرح بن أحمد الرزقي

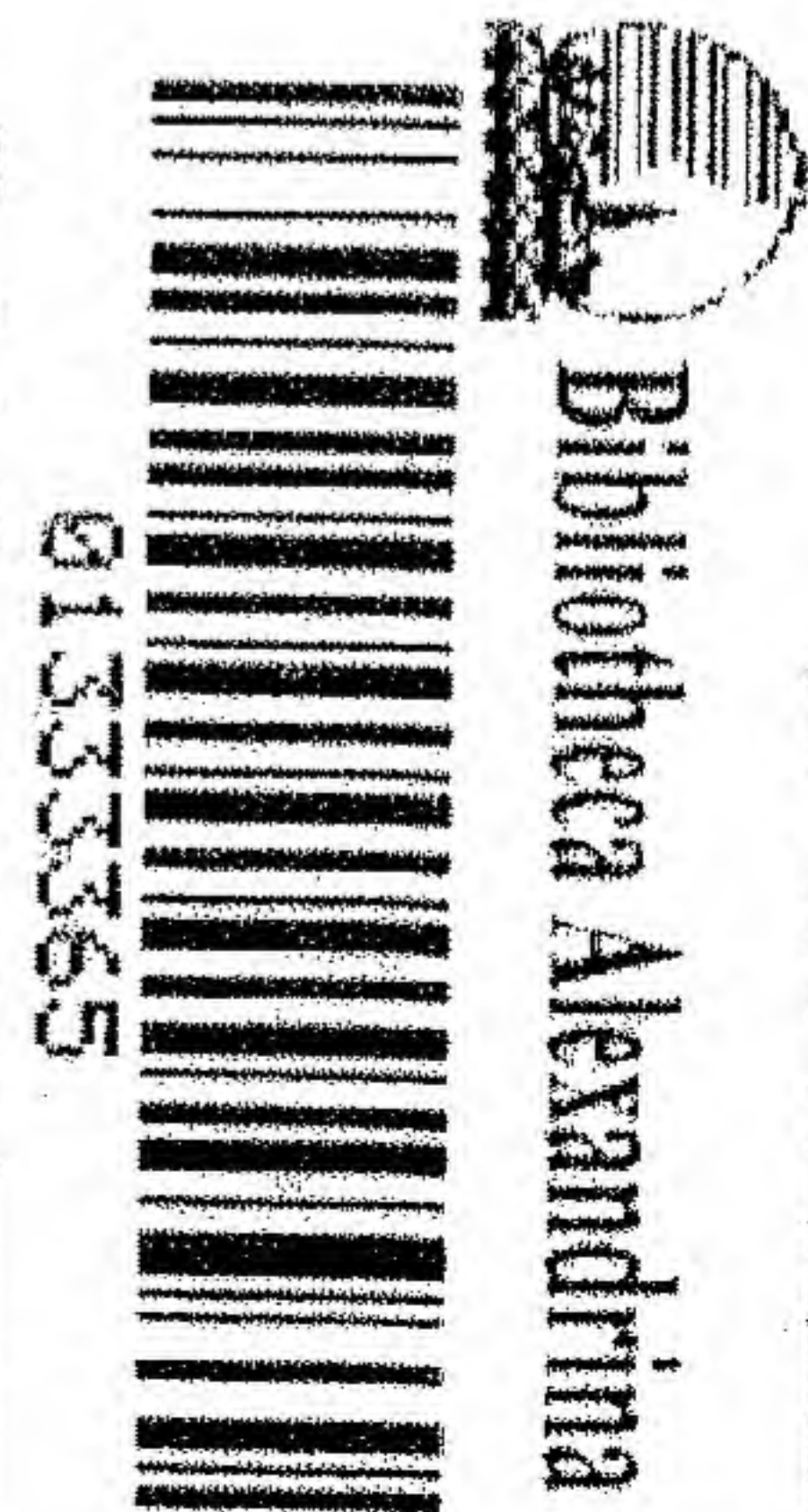
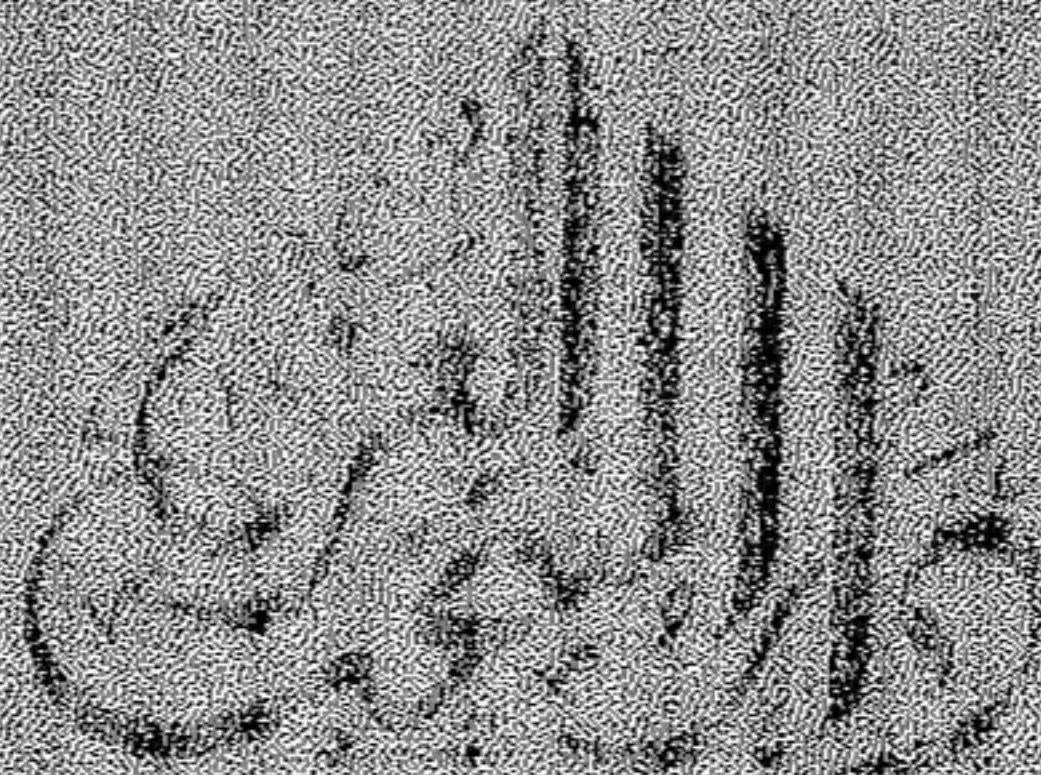
سيرة الأمير إسماعيل بن الشريف الفاضل

نص تاريخي مبين من القرن الخامس الهجري

تحقيق ودراسة

عبد الغني محمود عبد العاطي

السيد



سيرة الأئمة بن الجليلين الشريفين الفضلين
القاسم ومحمد ابني جعفر ابن الإمام
القاسم بن علي العياني
نصت تاريخي يميني من القرن الخامس الهجري

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1413 هـ - 1993 م

دار المنتخب العربي

للدراسات والنشر والتوزيع

ص. ب : 113/ 6311 - بيروت - لبنان

توزيع

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع



بيروت - الحمرا - شارع اميل اده - بناية سلام

هاتف : 802428 - 802407 - 802296

ص. ب : 113/ 6311 - بيروت - لبنان

تلكس : 20680 - 21665 I.E.M.A.J.D

مفترّح بن أحمد الرّبعي

سيرة الأميرين الجليدين الشريفيين الفاضلين
القاسم ومحمد ابني جعفر ابن الإمام
القاسم بن علي العياني
نصّ تاريخي يميني من القرن الخامس الهجري

تحقيق ودراسة

د. عبد الغني محمود عبد العاطي
أستاذ التاريخ الوسيط
بجامعة المنصورة

رضوان السيد
أستاذ الدراسات الإسلامية
بالجامعة اللبنانية

دار المنتخب العربي
للدراسات والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

ننشر هنا نصاً تاريخياً مهماً هو « سيرة الأميرين » لمفرّح بن أحمد الربيعي ، يتعلّق بالتاريخين السياسي والاجتماعي للأجزاء الشمالية من اليمن في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري . أما الأميران القاسم ومحمد ابنا جعفر بن القاسم بن علي العياني اللذان تدور حولهما « السيرة » فقد تزعموا الحركة السياسية للزيدية في صراعها مع الصليحيين في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري . والمعروف أنّ المصادر التاريخية شديدة الندرة فيما يتصل بالأحداث السياسية بشمال اليمن طوال القرن الخامس . لكنّ « السيرة » ليست مهمةً لهذا السبب فقط . بل أيضاً لأنّ قادة تلك الحركة كانوا من الشيعة الحسينية ؛ وهي انشقاق ضمن الزيدية لا نعرف غير القليل عنه من المؤلفات الكلامية .

وقد قمت مع الزميل الدكتور عبد الغني محمود عبد العاطي ، الأستاذ بجامعة المنصورة بمصر بتحقيق نصّ « السيرة » على مخطوطة فريدة ، وألحقنا به ثلاثة نصوص من مصادر أخرى بعضها معاصر للفرقة الحسينية توضّح ما غمض من تاريخها ، وانتشارها وعقائدها . وقدّمنا للسيرة بتقديمين :

أحدهما : ترجمة لمقالٍ عن السيرة للأستاذ المعروف في مجال الدراسات الزيدية Wilferd Madelung كان قد نشره عام 1979 .

وثانيهما : تحليلٌ تاريخيٌّ ومضمونيٌّ لنصّ السيرة ، وعقائد الفرقة الحسينية ، ومصير الأشراف القاسميين الذين تزعموا الحركة . والله من وراء القصد .

رضوان السيد

سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين
القاسم ومحمد ابني جعفر ابن الإمام
القاسم بن علي العياني

ويلفريد مادلونغ

السيرة كمصدرٍ تاريخي (*)

I

سيرة الأميرين القاسم ومحمد ابني جعفر بن القاسم العياني ، عملٌ تاريخيٌ ، يصفُ حقبةً متأخرةً نسبياً من تاريخ الدولة العلوية باليمن ؛ تلك الحقبة الناجمة عن حركةٍ دينيةٍ تعودُ أصولُها إلى أواخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي .

وجدُ الأميرين ، ومؤسسُ أسرتهما هو القاسم بن علي العياني . وهو حفيدُ محمد بن القاسم بن إبراهيم الرّسّي ، عمّ الهادي إلى الحقّ يحيى بن الحسين مؤسس الدولة الزيدية باليمن . وكان القاسم العياني قد دعا لنفسه لوقتٍ قصيرٍ عام 383 هـ / 993 م⁽¹⁾ ، والمعروفُ أنه كان يقيم بترج من بلاد خثعم⁽²⁾ ، ثم عاد

(*) نشر ويلفريد ماديلونغ Wilferd Madelung هذه المقالة عن السيرة في : Studies in the History of Arabia, Vol. I. Sources for the History of Arabia, Part 2, Riyadh 1979, PP. 69- 87.

(1) يذكر المقرئ في اتعاظ الحنفا (نشرة جمال الدين الشيال ، القاهرة 1387 هـ / 1967 م) ص 278 أنه في العام 383 هـ ظهر الشريف القاسم بن علي داعياً لنفسه في الحجاز . وقد هُزم بسرعةٍ وقُبض عليه لأنه في المحرم عام 384 هـ / فبراير - مارس 994 م وصل إلى القاهرة أمير مكة عيسى بن جعفر الحسني جالِباً معه الشريف الأسير فاستقبلهما الخليفة العزيز بالترحاب (اتعاظ الحنفا 281/1) . وفي جمادى الثانية / يوليو - أغسطس ، غادر عيسى بن جعفر القاهرة ومعه الشريف (اتعاظ الحنفا 282/1) . إذ يبدو أنه سُمح للأخير بالعودة إلى منزله بترج بين مكة واليمن . وفي رسالة كتبها أثناء =

لثورة عام 388 هـ/ 988 م ، ففتح صعدة واستولى على صنعاء ، وحكم متلقباً بالمنصور بالله . وقد اعترف به أكثر الزيدية باليمن باعتباره إمام الوقت وإن لقي معارضةً من بعض أعقاب الهادي وعَلَوِيّين آخرين . وفي السنتين الأخيرتين من حياته وحكمه فقد السيطرة على صنعاء وصعدة ، وبقي بشكلٍ مستمرٍّ في مقرّه ببلدة عِيان⁽²⁾ . وهناك دُفِن بعد وفاته في 9 رمضان 393/ 11 يوليو 1003 م .

وقد ادّعى وراثته وخلافته بدايةً أحد أبنائه الصغار المسمّى بالحسين المهدي لدين الله⁽³⁾ . دعا الحسين لنفسه في صفر عام 401 هـ/ سبتمبر - أكتوبر 1010 م ، ووجد أنصاراً بين قبائل وعشائر حمير وهمدان وأهل المغارب . واستطاع كوالده السيطرة على صعدة وصنعاء لفترةٍ قصيرة . وما لبثت المعارضة له بين أعقاب الهادي والأشراف الآخرين أن تزايدت وخاصةً بعد أن تجاوز دعوى الإمامة إلى ادّعاء

= ثورته عام 388 هـ/ 898 م ، وذكرها الحسين بن أحمد بن يعقوب في سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن علي ؛ يذكر أنه سبق له أن كان باليمن ، وتلقّى البيعة من الناس ؛ لكنهم ما لبثوا أن غدروا وخانوا عندما عاد إلى تَرْج (سيرة الإمام المنصور ، مخطوطة المتحف البريطاني ، Or. 3816, fol. 2v) . وليس هناك تاريخ مذكور لهذه الأحداث . وليس بعيداً أن يكون المقصود بتلك الثورة باليمن ما يتحدّث عنه المقرئزي . وقد عمد أمير مَكّة إلى احتجازه عقب عودته إلى ترج . لكن ليس في سيرته ما يشير إلى أسره وأخذه إلى القاهرة .

(1) تقع ترج على وادٍ فرعيٍّ غربيٍّ يصبُّ في وادي بيشة على مسافةٍ إلى الجنوب من واحة بيشة . ويسمّيها فيلبي تَرْق ، قارن : W.E. Mulligan , E.I², art Bisha ; H. St. Philby , Arabian High-lands , Ithaca 1952 , 37 , 119

(2) قارن بيهيى بن الحسين : غاية الأمانى (نشرة سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة 1388 هـ/ 1968 م) 233/1 وما بعدها . ويبدو واضحاً من السياق أن البلدة التي اختارها القاسم بن علي لإقامته ، والتي تشير إليها نسبته هي عِيان بالجوف شمال شرق خُولان ، (قارن بالهمداني : صفة جزيرة العرب ، نشرة ميللر ، لايدن 1884 - 9 ، 83 ، 110 ، 244 ، والخريطة رقم 3 في Edward Glaser's Reise nach Marib ، نشرة د. هـ. ميللرون . رودوكاناكيس ، فيينا 1913 - ويظهر الاسم هناك باعتباره عِيان) ؛ وهي غير العِيان في سَراة المصانع (الهمداني : صفة الفهارس) .

(3) يُشار إلى الحسين في سيرة والده باعتباره من أصاغر أولاده (السيرة ، ق 70) . ويذكر نشوان الحميري (الحور العين ، القاهرة 1367 هـ/ 1948 م ، ص 157) أنه وُلد عام 378 هـ/ 988 - 989 م . ويأتلف هذا مع وصف والده له باعتباره صبيّاً في رسالة عام 390 هـ/ 1000 م (سيرة الإمام المنصور ، ق 70) .

المهديّة ؛ وبذلك وضع نفسه فوق كلّ الأئمة السابقين . وانقلبت القبائل ضدّه فقتل في معركةٍ عنيفةٍ مع همدان ، قاتل فيها مثل « أسدٍ مُغضبٍ »⁽¹⁾ ، بذي عُرار على مقربةٍ من ريّدة في الرابع من صفر 404 هـ/ 15 أغسطس 1013 م⁽²⁾ . لكنّ الاعتقاد بمهديّته لم يمتّ مع موته في المعركة السالفة الذكر . إذ ظلّ كثيرون من أنصاره يُنكرون موته⁽³⁾ ، ويتوقّعون رجعةً سريعةً له يملأ فيها الأرض عدلاً كما ملئت جوراً . ولهذا السبب فإنّ أقاربه الذين ثاروا من بعده لم يدّعوا الإمامة بل ظلّوا يعتبرون أنفسهم أمراء ووكلاء عن الإمام الغائب مستعدين للتنازل عن السلطة ، وتسليمها للمهدي لدين الله بمجرد ظهوره . وقد عُرف أتباعه والمتحرّبون لمهديّته بعد وفاته بالحسينيّة أو الشيعة الحسينيّة ؛ وهو اسمٌ كانوا يستعملونه هم أيضاً علماً عليهم كما تُظهر السيرة التي بين أيدينا⁽⁴⁾ .

تولّى قيادة الحركة الحسينيّة بعد غياب القاسم المهدي أخوه جعفر بن القاسم⁽⁵⁾ . وكان جعفر أكبر من أخيه الحسين بثلاثة عشر عاماً ، وقد تولّى على

(1) غاية الأمانى 239/1 .

(2) يورد نشوان التاريخ الدقيق لذلك في الحُور العين ، ص 211 .

(3) يذكر يوسف بن محمد الحَجوري في كتابه روضة الأخبار وكنوز الأسرار (الذي يشار إليه عادةً باسم : روضة الحَجوري) أنّ جعفر أخاه كان أول المنكرين لموته ، قبل أن تقبل الأسرة دعوى همدان بقتله . لكنّ جعفر ما لبث أن وجد شاهداً سنياً اسمه مدرك بن إسماعيل ، حلف سبعين يميناً أنه رأى المهديّ بعد الواقعة سالماً إلّا من جروح طفيفةٍ في جبهته (روضة الحَجوري ، مخطوطة باريس رقم 5982 ، ق 241) . وانظر عن هذه المخطوطة مقالتي في (JNES 1973) PP. 179ff

(4) انظر عن الحسين المهدي والحسينيّة بشكلٍ عام كتابي : الإمام القاسم بن إبراهيم ، برلين 1965 ، ص ص 198 - 201 (بالألمانية) . ويذكر نشوان الذي كتب الحُور العين بعد مائة عامٍ من التقارير التي توردها السيرة أنه كانت هناك في زمانه فرقتان من الحسينيّة ، تدّعي إحداهما أنها على اتصالٍ سرّاً بالمهدي ، الذي يزورهم ، وهم لا يأتون شيئاً أو يذرونه إلّا بأمره . أمّا الأخرى فتري أنه لا يُشاهدُ في غيبته حتّى يعود للظهور ؛ وهم يتبعون أثناء غيبته ما ورد في كتبه (الحُور العين ، ص 157) . وليس في السيرة ما يشير إلى مثل هذا الانقسام بين الحسينيّة ، وذهب البعض إلى أنهم على اتصالٍ بالمهدي . وما يظهر في السيرة مراراً اقتناعٌ عميقٌ بعودته للظهور ، وأتباعٌ لأرائه الواردة في كتبه .

(5) لم يترك الحسين ذكوراً بل ترك ابنتين (المحلي : الحداثق الوردية ، مخطوطة فيينا ، مجموعة غلازر 101 ، ق 74) . وقد تزوّج إحدى البنّتين فيما بعد الشريف الفاضل ابن عمّها ، وتوفّيت قبل مقتل زوجها (سيرة الأميرين ، ق 241) .

صنعاء في حُكْم والده عام 391 هـ/1001 م⁽¹⁾ . وفي إمامة أخيه الحسين ولي صنعاء وصعدة أيضاً⁽²⁾ . ولا تذكر المصادر شيئاً معتبراً عن نشاطه بعد مقتل أخيه . إذ يبدو أن المتحدثين عنه يستندون جميعاً إلى أخبارٍ في تاريخ صنعاء لم يكن مؤلفه يهتم إلا لما يتصل بالمدينة مباشرة . لكنهم يذكرون أن جعفرأ وصل إلى صنعاء حوالي نهاية العام 413 هـ/مارس 1023 م قادماً من عيان - التي يبدو أنها كانت دار المقام الدائم للأسرة - واستطاع دخولها بمساعدة حمير وهمدان . ثم ما لبث أن غادر صنعاء بعد شهر متجهاً إلى صعدة التي دخلها وأمر بإحراق بعض المنازل فيها ؛ ربما لبعض أعقاب الهادي لموقفهم السلبي من ادعاء الحسين للمهدية . ثم عاد من هناك إلى عيان . ثم ما لبث أن استولى على صنعاء من جديد في صفر 415 هـ/إبريل - مايو 1024 م⁽³⁾ . وفي عام 416 هـ/1025 م ثار عليه الهمدانيون والحميريون وسيد مسور ، وحاصروه في بيت شعيب لكنه استطاع الصمود⁽⁴⁾ . وتذكر المصادر أنه عاد بعدها لدخول صنعاء بدعوة من همدان في شهر ربيع 429 هـ/شتاء 1037 - 1038 م⁽⁵⁾ . وعاد إلى المدينة مرتين عام 431 هـ/1039 - 1040 م . لكن شريفاً ثائراً آخر هو أبو هاشم الحسن بن عبد الرحمن ما لبث أن استولى على صنعاء أواخر ذلك العام⁽⁶⁾ . وتمر سنوات سبع ويأتي العام 438 هـ/1046 - 1047 م فيقدم جعفر إلى صنعاء من جديد مُعيناً هذه المرة للإمام الزيدي أبي الفتح الناصر

(1) غاية الأمانى 233/1 .

(2) أما « صنو الإمام » (أخوه) الذي تذكر غاية الأمانى 235/1 أنه وصل إلى صنعاء في نهاية العام 402 هـ/يونيو 1012 م فيبدو أنه جعفر . وقد عُيّن نائباً عن الإمام بصنعاء ، ثم نُقل حاكماً لصعدة عام 403 هـ/1012 - 1013 م (غاية الأمانى 237/1 وما بعدها) .

(3) غاية الأمانى 242/1 ، والكتاب التاريخي الغفل المتضمن في مخطوطة المتحف البريطاني رقم 4581 Or ، ق 182 - وهي تذكر تواريخ دقيقة لأحداث صنعاء .

(4) غاية الأمانى 243/1 .

(5) مخطوطة المتحف البريطاني السالفة الذكر ، رقم 4581 Or ، ق 183 ، دونما ذكرٍ للمعنى بربيع ، هل هو ربيع الأول أو الثاني .

(6) غاية الأمانى 245/1 - 246 . وتبدأ أخبار يحيى بن الحسين عن الأميرين تحت العام 431 هـ/1039 م ، لكن ما يذكره يتطابق مع ما في التاريخ الغفل أو المجهول لصنعاء تحت ربيع عام 429 هـ .

الديلمي ، الذي ما لبث أن سمّاه أميراً للأمرء ، ومنحه رُبع خراج البلاد . ولم يُطلْ عهد الوثام بين العلويين فبدأ يتشاجران ، ونشبت بينهما « عدة معارك » في إقليم أثافت وعجيب⁽¹⁾ . وما لبثت خصوماتهما أن انتهت بإعلان علي بن محمد الصُّليحي للدعوة الإسماعيلية بجبل مسار لصالح الخلافة الفاطمية بالقاهرة في جمادى الثانية 439 هـ / ديسمبر 1047 م . وقد أدّى ذلك إلى تغيير جذري في الساحة السياسية باليمن .

II

تبدأ « سيرة الأميرين » موضوع الدراسة هنا بثورة الصُّليحيين الإسماعيلية . ذلك أن موضوعها الرئيسي هو صراع الأميرين ، ابني جعفر بن القاسم مع الصُّليحيين . أمّا مؤلّف السيرة فيعلن أنه سيبدأ سيرة الأميرين من حيث انتهت سيرة الإمام المهدي لدين الله⁽²⁾ . ويبدو أنّ السيرة المكتوبة للمهدي لدين الله ضاعت دون أن تترك أثراً في أعمال المؤرّخين اللاحقين لليمن . أمّا سيرة الأميرين ابني أخ المهدي فقد بقيت لحسن الحظّ ، دون أن تترك أيضاً أثراً كثيرة في أعمال الدارسين . إذ لم يذكرها بروكلمان Carl Brockelmann كما أنّ أيمن فؤاد سيّد غفل عنها في عمله الصادر حديثاً عن مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي⁽³⁾ . ولم يشر يحيى بن الحسين بن المؤيّد بالله (ت 1100 هـ / 1689 م) إلى السيرة حينما ذكر مصادره لعمله التاريخيّ أنباء الزمن في أخبار اليمن⁽⁴⁾ . لكن من المؤكّد أنه استعملها في مختصره لأنباء الزمن المعروف بغاية الأمانى بشكلٍ مباشرٍ أو غير

(1) غاية الأمانى 247/1 .

(2) السيرة ، ق 217 . وليس من الواضح ما إذا كانت السيرة تريد أن تشير إلى أنّ سيرة المهدي تتضمن أخبار حركة جعفر بن القاسم أيضاً حتى ظهور الصُّليحيين ؛ وذلك لأنّ السيرة هنا تمضي في تلخيص الأحداث بعد وفاة المهدي بالقول إنّ الناس بعده غرقوا في الجهل والظلام ؛ وإن يكن قد بقي بين أقاربه وأبناء أسرته أناسٌ يمكن الرجوع إليهم .

(3) مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي ، القاهرة 1974 .

(4) مقتبس في الغاية 48/1 - 50 .

مباشر ؛ بل إنه أشار إلى السيرة مرةً في أخباره باسم سيرة الشريف⁽¹⁾ . ولم يطلع على السيرة في حدود علمي من بين المؤرخين المُحدثين غير محمد الأكوع الحوالي في سياق نشرته لتاريخ اليمن لعمارة⁽²⁾ ، إذ أشار إليها باسم سيرة ذي الشرفين منبهاً إلى أهميتها كمصدرٍ لتاريخ مؤسس الدولة الصليحية من حيث إنها تُكملُ وتُصححُ المعلومات المأخوذة من المصادر المعروفة من قبل . ولم يُشر الأكوع إلى ماهية المخطوطة التي استعملها للسيرة⁽³⁾ . ولستُ أعرفُ الآن إن كانت للسيرة مخطوطةٌ أخرى غير الحاضرة في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء ، المصادرة بعد الثورة اليمنية عام 1962 وتقعُ ضمن مجموعٍ متنوعٍ .

وتحتفظُ دار الكتب المصرية بصورةً فلميةً عن مخطوطة صنعاء تحت رقم 1077⁽⁴⁾ . وقد حصلتُ على صورةٍ عن ذلك الفيلم⁽⁵⁾ .

ويبدولي أننا لا نعرفُ عن مؤلف السيرة مفرح بن أحمد الربيعي غير ما ذكره هو نفسه في السيرة . أما نسبتهُ : الربيعي ؛ فيبدو أنها قبلية⁽⁶⁾ وقد تُشير إلى ربيعة خولان في ناحية صعدة . ويُذكر هؤلاء مراراً في السيرة بين أنصار الأميرين . لكنّ هناك عدة

(1) غاية الأمانى 271/1 : قال صاحب سيرة الشريف ، . ويتوافق النصُّ مع ما ورد في السيرة ، ق 290 . وعليّ هنا أن أُشير إلى أنّ مخطوطة برلين رقم 1304 ، والتي يُشار في صفحة عنوانها إلى أنها كتاب أنباء الزمن ، والتي كان يُظنُّ أنها تتضمن النصَّ الكامل للكتاب ، هي في الحقيقة مختصرٌ له .

(2) القاهرة 1387 هـ / 1967 م .

(3) يشير الأكوع في مقدمته (ص 9) إلى المعلومات الواردة في ثبت المصادر . لكنّ الثبوت غير موجود في نهاية نشرته للكتاب .

(4) انظر قائمة المخطوطات العربية المصورة بالمايكروفيلم من الجمهورية اليمنية ، القاهرة 1967 ، ص 24 . ويقع نصُّ السيرة في 87 ورقة وليس 98 كما يذكر الم فهرس . ذلك أنّ الصفحات الإحدى عشرة الأخيرة تتضمن ديوان أبي طالب . وهكذا فإنّ نصَّ السيرة يقعُ بين الورقة 217 والورقة 304 من ضمن الترقيم الشامل للمجموع .

(5) أودُّ أن أشكر هنا للدكتور حسين مؤنس تدخُّله الذي مكَّنني من الحصول على صورةٍ عن مايكروفيلم دار الكتب .

(6) باقوت : معجم البلدان ، نشرة فيستنفلد ، لايبزغ 1866 - 1873 ، 752/2 - ويذكر قلعةً في دَمار اسمها الرَبعة . لكن من غير المرجح أن يكون المؤلف منسوباً إلى هذه البقعة الضئيلة الشهرة ، والتي لا تذكرها المصادر قبل ذلك .

بطون قبليّة أخرى باسم ربيعة باليمن . ويظهر مفرّح باعتباره شاهداً عياناً في كثيرٍ من الوقائع والأحداث التي يُقَصُّها ابتداءً من العام 461 هـ/1069 م⁽¹⁾ . والمرجح أنه دخل في خدمة الأميرين قبل هذا التاريخ كخطيب وكشاعرٍ رسمي . وتُذكر في السيرة أشعارٌ كثيرةٌ له نَظَمها في الانتصارات ومناسباتٍ أخرى . وقد كلفه الشريف الفاضل مرةً بنظم شعرٍ باسمه للأمير جِيّاش بن نجاح ، حاكم زَبِيد ؛ يشكره فيه على مساعداته العسكرية والمالية ، وقد أرسله من قِبَلِهِ لِيُنشِدَ جِيّاشاً تلك القصيدة ، فعاد بهدايا كثيرةً للأميرين من عند جِيّاش⁽²⁾ . وعندما استولى الفاضل على صعدة عام 463 هـ/1071 م طلب من مفرّح إنشاء خطبةٍ وإلقاءها بجامع الهادي بصعدة⁽³⁾ . وعندما قُتل الفاضل قام مفرّح بإلقاء مرثية الدفن بالحَضَن⁽⁴⁾ . وعندما نشب نزاعٌ بين الأمير ذي الشرفين وأخيه سنان الدولة أحمد قام مفرّح بالتوسط في النزاع بين الطرفين⁽⁵⁾ . وفي رجب 485 هـ/أغسطس 1092 م كلفه الأمير عمدة الإسلام جعفر ابن ذي الشرفين وخليفته بكتابه السيرة⁽⁶⁾ ، وأتاح له استعمال رسائل ووثائق تتصل بتاريخ الأميرين . وقد اقتبس مفرّح فعلاً من بعض الوثائق بشكلٍ مطوّلٍ في السيرة .

ويورد مفرّح بالإضافة إلى تلك الوثائق والرسائل أقوالاً وتقارير لشهود عيان يذكر أحياناً أسماءهم . كما أنه يستخدم في كثيرٍ من الأحيان تقارير ومعلومات أخذها من الأميرين نفسيهما . أمّا مصدراه الرئيسيان للأحداث والوقائع السابقة على دخوله في خدمة الأميرين فهما نصيرا الشريف الفاضل وصاحباه : الفقيه أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك بن أبي الجيش ، وسلامة بن علي بن محمد المُحَلِّي⁽⁷⁾ . ويبدو أنّ هذين الرجلين رافقا الشريف الفاضل منذ بداية حياته

(1) السيرة ، ق 247 .

(2) السيرة ، ق 256 - 257 .

(3) ق 258 .

(4) ق 283 .

(5) ق 288 - 289 .

(6) ق 281 .

(7) تشكيل الاسم غير مؤكّد .

السياسية ؛ إذ كانا معه في الهَرابة أثناء صموده الشجاع في وجه حصار الصليحيين عام 448 هـ/1056 م ، وظلاً معه بعد احتجاز الصليحيين له . وكان سلامة مهتماً بتأمين غذائه ، وحاجاته الشخصية الأخرى⁽¹⁾ . ورافقه سلامة في منفاه الاختياري بعد خروجه من الأسر ، ومُضيّه من اليمن إلى تَرْج ومَكّة (451 - 459 هـ/1059 - 1067 م) .

أما المخطوطة الباقية من السيرة فيبدو أنها عبارة عن مختصرٍ للسيرة نفسها . ففي نهاية المخطوطة يذكر الناسخ أنها « مختصرٌ من كتاب السيرة »⁽²⁾ . وفي الحديث عن الحملة على صنعاء يُحيل المختصرُ المجهولُ على السيرة الكاملة أو كتاب السيرة من أجل تفصيلٍ أكبر للأحداث⁽³⁾ . وفي بعض المواطن يُشارُ إلى إغفال بعض التفاصيل دون أن نعرفَ إن كان الإغفالُ قد أتى من جانب المؤلف أو المختصر . ولا نستطيع أن نحدّد مدى مسؤولية كلٍّ من المؤلف والمختصر في كثيرٍ من الأحيان ؛ من حذف بعض جزئيات المعارك وحتى نهاية النصّ⁽⁴⁾ . ويمكن القولُ إنّ اختصارات النهاية حدثت بعد كتابة السيرة لكنها يمكن أن تكون قد أتت من جانب المختصر كما يمكن أن تكون قد أتت من جانب الناسخ . ويذكر مفرّح نفسه في بداية السيرة أنه سيُعرضُ عن تفاصيل كثيرة في عَرْضه⁽⁵⁾ . لكنّ من جهةٍ ثانيةٍ، فإنّ الصيغة التي بين أيدينا للسيرة هي من التفصيل بحيث يصعبُ وصفُها باعتبارها موجزاً لها .

III

سأحاولُ هنا أن أعرض موجزاً لأحداث حيوات أشراف بني القاسم كما أوردتها

(1) ق 288 . كان هناك أيضاً أحد محرّري آل القاسم واسمه أحمد بن طريف ، ضمن الذين لازموا الشريف الفاضل في فترة احتجازه .

(2) ق 304 .

(3) ق 243 : « . . . اختصرتُ ذكره لأنه مشهورٌ ، وهو في كتاب السيرة مذكور » .

(4) (ق 204 حول الحملة إلى أقر ، والأخبار الواردة في الفقرة تتصل بما يرد في ق 285 من أنباء ، وكان ينبغي أن تَرَدّ من قبل .

(5) ق 217 : ومِلْتُ إلى الاختصار والتلخيص .

السيرة . كان عبد الله أحد أبناء جعفر بن القاسم أول الثائرين على علي بن محمد الصليحي في ناحية الحيمة متزعمًا تحالفًا قُبلياً⁽¹⁾ . وقد أرسل الصليحي جيشاً لمواجهته فهزم عبد الله وأُسِرَ واقتيد إلى مَسَار ، مقر الصليحي . وبعد بعض الوقت أطلق الصليحي سراحه بعد أن استحلفه وواثقه أن لا يثور عليه من جديد . ولا نسمع شيئاً بعد ذلك عنه . ثم ثار الأب جعفر بن القاسم ، بمساعدة وجهاء حمير وهمدان . لكنه ما لبث أن هُزِمَ وأُسِرَ في بيت بَرَار⁽²⁾ . وقد اقتيد إلى مَسَار ، وأطلق سراحه بعد حين على أثر تعهده بعدم الثورة ثانية⁽³⁾ . وغادر الشريف إلى الحجاز ، وكان قد بلغ من العمر عتياً ، فخرج من الحياة السياسية .

وفي عام 444 هـ / 1052 - 1053 م هزم الصليحي أولاً أبا حاشد بن الضحّاك ، زعيم همدان ، وحاكم صنعاء ، في معركة صُوف⁽⁴⁾ ، ثم الإمام أبا الفتح الديلمي في نجد حاج⁽⁵⁾ . عندها تحولت أنظار التحالف القبلي المعادي للصليحيين إلى الشريف الفاضل وحمزة ، ابن الإمام السالف الذكر أبي هاشم . وقد تنبّه الصليحي إلى الاتجاهات الجديدة للرياح فأرسل رسالة تحذير إلى الشريف الفاضل من تهامة ؛ فأجاب عليها الفاضل برفض قاسٍ . وفي عام 447 هـ / 1055 م ثار الشريف الفاضل واحتلَّ صعدة ؛ لكنه سرعان ما انسحب منها إلى بلاد بني صُريم عندما وصل إلى علمه زحف الصليحي من تهامة باتجاه

(1) يبدو أن المقصود الحيمة الواقعة بين حضور وحرّاز (غاية 1/249) .

(2) القراءة غير مؤكدة .

(3) ق 218 . هذه الأحداث ، التي لا تُذكر في مصادر أخرى ، توردها السيرة بعد ذكر الخروج القصير المدة الذي قام به جعفر بن عباس الشاوري في مغارب اليمن الأعلى عام 439 هـ / 1048 م . وفي المصادر الأخرى أن منطلق الثورة الأخيرة كان محاصرة جعفر بن القاسم لحصن الأخرج الذي كان بيد أنصار الصليحيين . لكن جعفر اضطرَّ للانسحاب بعد هزيمة الشاوري ومقتله (قارن بالهمداني : الصليحيون ، القاهرة 1955 ، ص 78 ؛ وغاية الأمانى 1/249) . ولا تذكر السيرة حصار الأخرج .

(4) الصليحيون ، ص 81 . وتؤرخ السيرة المعركة في ربيع الأول عام 444 هـ / يوليو 1052 م . وفي غاية الأمانى 1/243 تُذكر الموقعة خطأً تحت العام 439 هـ .

(5) الصليحيون ، ص 82 ، والغاية 1/250 . ولا تذكر السيرة المعركة .

صنعاء . وقد عانى الشريف الفاضل هزيمة قاسية أمام الصليحيين بقراتيل على مقربة من حاز ، فراجع مع أسرته بما في ذلك أخوه ذو الشرفين ، وأعوانه ، وألفا مقاتل مع أسرهم إلى حصن الهراة ببلاد وادعة ، حيث تحصن وعزم على المقاومة حتى النهاية . وهناك استطاع أن يصمد للحصار الصليحي سبعين يوماً (منذ بداية جمادى الأولى وحتى العاشر من رجب 448 هـ / من منتصف يوليو حتى 23 أكتوبر 1055 م) . وتورد السيرة وصفاً حياً مؤثراً للقتال الشرس ، والمصاعب والمجاعات التي نزلت بالمحاصرين⁽¹⁾ . وفي النهاية ضمن لهم الصليحي انسحاباً حراً ، وصادر أسلحتهم ووزعها على جنده ؛ ولم يحتفظ في يده بغير الشريف . وأرسل الفاضل إلى صنعاء حيث بقي هناك محتجزاً زهاء عامٍ ونيف . وقد وُضع في البداية تحت حراسةٍ مشددة ؛ لكن عندما تبين للصليحي أن شبهة الائتثار من جانب الشريف للهرب غير صحيحة ؛ سمح له بحرية حركةٍ محدودة . واصطحبه الصليحي معه في المحرم من العام 450 هـ / مارس 1058 م في حملته على يعفر بن أحمد الكرندي خلال تهامة فالقحمة⁽²⁾ فزيد وعرد⁽³⁾ طوال تسعة أشهر . وقد أرسل الشريف رسالةً إلى والده جعفر من هناك عندما علم بمجيء الأخير إلى اليمن من الحجاز وبلوغه الجبجب لزيارة أسرته ، راجياً أن يجيء إلى معسكر الصليحي ليعمل على إطلاق سراحه . وعند وصول جعفر إلى عرد في رمضان 450 هـ / أكتوبر - نوفمبر 1058 م استسلم الكرندي للصليحي ، وسقط الشريف جعفر وابنه الفاضل مريضين ، وعاد الجميع إلى صنعاء حيث أمر الصليحي طبيبه الخاص بمعالجة الشريفين . ومات جعفر بن القاسم في ذي الحجة 450 هـ / يناير - فبراير 1059 م عن عمرٍ يناهز الخمسة والثمانين عاماً . فانتهاز الصليحي حدث الوفاة ليطلق سراح الشريف الفاضل من أجل تعزية أسرته عن وفاة الوالد ، وزوده بما تحتاجه الرحلة ، كما أعطاه مخصصاً شهرياً⁽⁴⁾ .

(1) ق 225 - 228 . يستند تقرير غاية الأمانى عن العام 448 هـ بما في ذلك حصار الهراة (1/ 251 -

252) إلى السيرة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة . قارن : الصليحيون ، ص 82 وما بعدها .

(2) الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ص 53 ، 119 .

(3) عرد - التشكيل غير مؤكد .

(4) ق 228 - 233 .

ولم يمكث الشريف الفاضل طويلاً مع أسرته بل أثر أن يغادر اليمن ، ليس خوفاً على نفسه ، كما تؤكد السيرة ، بل تورعاً من أن يبقى تحت سيطرة الصليحيين ، الذين كانوا ينتظرون منه أن يظهر في بلاطهم بين الحين والآخر ، وأن يصاحبهم في غزواتهم . وهكذا خرج مع أخيه ذي الشرفين ، وقلّة من أتباعه سراً باتجاه مذاب بالجوف ، ماضياً خلال بلاد بني بحر ، متجاوزاً صعدة ، خائفاً أن تؤذيه بعض القبائل أو تحتجزه تقريباً للصليحي ، متابعاً مسيرته السريعة عبر بدر إلى بلاد عنز بن وائل حتى وصل إلى تَرْج ببلاد خثعم ؛ وهي المقرّ القديم للأسيرة منذ عهد جدّه . وكان بعض أفراد الأسرة ما يزالون يقيمون بترج ، ولهم صلاتٌ حسنة بالبطون القبلية بالمنطقة . وهناك تزوّج ذو الشرفين بابنة عمّه سليمان بن القاسم بن علي ؛ أمّا هو فتزوَّج امرأة من آل صُهب .

وما أن استقرّ به المقام بترج حتى أرسل أخاه إلى مكّة بهدية عبارة عن فرسين وبغلتيّن لشريفها السليماني شكر بن أبي الفتوح ، أمير مكّة . وكان شكرٌ من أصدقاء الأسرة ، لذا فقد كاتبه الشريف الفاضل أثناء الصراع مع الصليحي طالباً مساعدته لكنه لم يحظ بجواب⁽¹⁾ . سار ذو الشرفين ومُرافقوه قاصدين مكّة عبر تربة وذات عَرَق في رجب 452 هـ / أغسطس 1060 م⁽²⁾ . ثم أدّوا العمرة وانتظروا فلما حضر الحجّ أدّوا الفريضة أيضاً . وفي النهاية استقبلهم الأمير شكر بالترحاب ، ومنحهم ذهباً وهدايا أخرى مقابل هديتهم . كما أرسل رسالةً إلى الشريف الفاضل مع ذي الشرفين لم تذكر السيرة محتواها . لكن يبدو أنّ الشريف شكر أبدى في الرسالة رغبةً في أن يزور الشريف الفاضل مكّة في موسم الحجّ المُقبل ؛ لأنّ الفاضل عبّر - عقبَ قراءته للرسالة - عن الأمل في تغيير الأمور حتى الموسم المقبل . وربما عني الفاضل بذلك ما كان الشريف شكر متورطاً فيه ؛ إذ نعلم من مصادر أخرى أنّ شكرًا قام عام 453 هـ / 1061 م بقطع الخطبة للفاطميين بمكّة ، وتعرّض من جرّاء ذلك

(1) ق 228 . لام الصليحي الشريف الفاضل بوجهٍ خاصّ بعد استسلام الهراة لطلبه المساعدة من شكر وبني الحسن .

(2) لا تحدّد السنة في السيرة (ق 235) ، لكن يمكن تخمينها من سياق الأحداث وترتيبها على السنين .

لمضايقاتٍ وتهديداتٍ من جانب الصليحي⁽¹⁾ . لكن شكراً ما لبث أن تُوفي⁽²⁾ قبل حلول موعد الحجّ المقبل ؛ وعندما وصل الشريف إلى مكة للحجّ في العام التالي كانت الخطبة قد عادت للخليفة الفاطمي بالحرم⁽³⁾ . واعتزم الشريف الفاضل أن يمضي من مكة إلى الكوفة ، واتفق مع أحد بني هلال أن يكون دليله عبر الصحراء . لكنّ الجمال التي كان ينبغي أن تحمل الشريف وصحبه تأخّرت في الوصول من عرفات فمضى الهلالي وتركهم مما أدى إلى تحوّل عزم الشريف عن السفر إلى الكوفة واعتزاه العودة إلى تّرج . وفي ترج انهمك الشريف في إقامة مشروع زراعيّ إذ كان مُغرماً بالعمل في الأرض ؛ وهو ميلٌ ربما ورثه عن جدّه القاسم بن علي⁽⁴⁾ . وقد عمد الشريف في البداية إلى إحياء الأرض التي كان قد مهّدها جدّه . لكنّ سيّد تّرج خشي على الشريف من أهل الناحية التي كان قد ازدرعها فعرض عليه قطعة أرضٍ أخرى وبثراً كان يملكهما ؛ فانصرف الشريف وأتباعه إلى استغلال تلك القطعة الممنوحة .

وفي عام 454 هـ / 1062 م وصلت إلى الشريف الفاضل معلوماتٌ عن اعتزام الصليحي القيام بحملةٍ إلى الحجاز⁽⁵⁾ . ولأنّ الشريف لم يكن متأكداً من مقاصد الصليحي من وراء الحملة . فقد عزم على التحوّل إلى اليمامة تجنباً للقياء الصليحي ؛ في حين عاد أخوه ذو الشرفين إلى أهله باليمن . ولا تذكر السيرة شيئاً عن رحلة الفاضل إلى اليمامة ؛ لكن يبدو أنّه عاد إلى تّرج فور عودة الصليحي

(1) الصليحيون ، ص 88 وما بعدها .

(2) يثبُت القلقشندي في صبح الأعشى ، القاهرة 1912 - 1917 ، 269/4 وفاة شكر عام 453 هـ / 1061 م .

(3) ق 236 : الدعوة في هذا اليوم إسماعيلية . لكنّ الفقرة تشير ، على أيّ حالٍ ، إلى أنّ الخطبة كانت للفاطميين في يومٍ محدّد وليس بشكلٍ دائم . ويتفق هذا التخمين مع سلوك أمير مكة محمد بن جعفر بن أبي هاشم فيما بعد ، الذي اعتاد على تبديل الخطبة بين الفاطميين والعباسيين ؛ قارن : الصليحيون ، ص 92 .

(4) في غاية الأمان 227/1 أنّ القاسم بن علي ترك بلاد خثعم لبعض الوقت ، وأقام زراعةً مسقيةً في تبالة . فلا بدّ أنّ ذلك يشير إلى مشروع زراعيّ آخر له غير مشروعه بناحية تّرج .

(5) عن تاريخ حملة الصليحي إلى مكة ، التي لا تُذكر في السيرة ؛ قارن : الصليحيون . وأكثر المصادر تذكر خطأ تاريخ الحملة العام 455 هـ .

لليمن . أمّا ذو الشرفين فقد ثارت حوله وحول أخيه الحسن بن جعفر شكوك من جانب الصليحيين في اعتزامهما الثورة مع الشيعة الحسينية بالظاهر فمضيا إلى صنعاء لتطمين السلطات هناك ، والحصول على أمانٍ مجدّدٍ منهم . وفي صنعاء استقبلهما الأمير أحمد بن مظفر لكنهما لم يستطيعا إقناعه ببراءتهما . وعندما رُفِعَ الأمر إلى علي بن محمد الصليحي رفض هو بدوره تجديد « الأمان » لهما ؛ فاشتدّ الخوفُ بذي الشرفين ، وخشي حدوثُ الأسوأ ، فاختمى أياماً بصنعاء ثم خرج منها على استخفاءٍ بمعاونة بعض الأتباع الأمناء حتّى وصل إلى عيان التي قضى فيها أسبوعاً مختفياً حتّى عن أعين أفراد أسرته . ثم غادر عيان عائداً إلى ترج التي وصل إليها دونما مزيدٍ من الإزعاج⁽¹⁾ .

وعندما تجمّع بترج آخرون من رجالات الشريف الفاضل ، اقترح عليهم الانصرافَ الكاملَ والمنعزلَ لقراءة وتدارُس « كتب الأئمة » لمدة عام . وقد بلغ من قسوة تلك العزلة الدراسية أن فقد سليمان ابن الشريف الفاضل عقله ، وتوفّي على أثر ذلك . وبعد فترةٍ بلغت الشريف الفاضل أنباء جعلته يخافُ على سلامته بترج فتجدّد عزمه على المضي إلى العراق . وصل الشريف الفاضل إلى مكة في رجب 459 هـ / مايو - يونيو 1067 م وأدى العمرة . وكانت مكة وقتها قد عادت للسيطرة الصليحية فلم يعد الشريف آمناً على نفسه فيها ؛ وبخاصّةٍ أن شريف مكة آنذاك (محمد بن جعفر) بن أبي هاشم اعتذر عن استقباله . وهكذا خرج الشريف الفاضل من مكة قاصداً المدينة ووصلها في شعبان / يونيو - يوليو وقد شارفت أزواجه وأزوادُ مُرافقيه على النفاد . فاتّجه الشريف الفاضل إلى نائب أمير المدينة الحسين بن مهنا الحسيني طالباً المساعدة ؛ ذلك أن الأمير نفسه محيطة⁽²⁾ بن أحمد الحسني كان غائباً بمصر . فاستجاب نائب الأمير لطلبهم وخصّص لهم مسكناً ضيقاً مجاوراً لبيتٍ كانت تؤتى فيه المنكرات ، ومنحهم أطعمة ضئيلة ومتواضعة . وانصرف الفاضل لمتابعة خطط السفر إلى الكوفة ومن هناك إلى بيت المقدس . ثم

(1) ق 237 - 238 .

(2) الاسم غير مفهوم .

ما لبث الفاضل أن ترك تلك الخطط لظروفٍ متعدّدة . فقد وصلت للمدينة قافلة من العراق سطا عليها الأعرابُ في الطريق . كما عاد أمير المدينة إليها وتبيّن أنه أكثر بُخلاً من نائبه ، وأقلّ استعداداً لتأمين متطلبات الرحلة من الأزواد والرواحل . وأخيراً فإنّ اعتزام الشريف الفاضل زيارة بني حَسَنٍ بالصفراء لم يصل به إلى شيءٍ لأنّ أحد الذين وعدوا بمرافقته ما لبث أن اختفى دون أن يترك أثراً .

لهذه الأسباب كلّها استقرّ رأي الشريف الفاضل على العودة إلى اليمن للاستتار بين أفراد أسرته وبدأ رحلة العودة بالمرور بمكّة دون أن يدخلها لما بلغه من أنّ غريب بن البقاء وزير الصليحي وصل إليها برجالٍ ومالٍ إعداداً لزيارة سيّده للبلد الحرام . وعندما مضى قدماً في رحلته بدأت تصل إليه إشاعات عن مقتل علي بن محمد الصليحي (11 ذو القعدة 459 هـ/ 22 أكتوبر 1067 م) . وما لبثت تلك الإشاعات أن تأكّدت عند بلوغه تَرْجاً . وأراد الفاضل بدايةً أن يقيم لبعض الوقت بترج ؛ لكنّ طول بعباده عن أسرته وأصدقائه وأتباعه ، كلُّ ذلك دفعه للإسراع بالعودة إلى اليمن . وأثناء حركته جنوباً ماراً بجُرَش بلد بني حَيٍّ من خولان ، والحقل ؛ وصلته رسالة من أخيه ذي الشرفين ، الذي كان قد سبقه في العودة لليمن ، تخبره بثورة الشريف حمزة بن أبي هاشم وتدعوه لمساعدته . وقد وجدت مقترحات أخيه قبولاً لديه فبدأ يجمع حوله الأنصار والأتباع من وادعة وخولان وبني مالك والربيعة . لكنه عندما وصل إلى البطنة لقيه أخوه ذو الشرفين مع جماعاتٍ من أتباعه ، وبعض أعقاب القاسم بن علي ، وأخبره بهزيمة الشريف حمزة ومقتله في معركة الملوى (22 ذو الحجة 459 هـ/ 2 نوفمبر 1067 م)⁽¹⁾ . وأحدثت تلك الأخبار المؤسسية خيبة أملٍ كبيرةٍ لديه فترك كلّ خطط الثورة والخروج ومضى إلى عِيان⁽²⁾ .

وفي عيان لم تتركه القبائل بسلام ، فحوالي نهاية العام 459 هـ/نوفمبر 1066 م أتته بطون بني الدعام ، وبني بحير⁽³⁾ ، ووجهاء نهم إلى عيان ، وطلبت

(1) الصليحيون ، ص 117 وما بعدها ؛ والغاية 255/1 وما بعدها حيث تُذكر المعركة خطأً تحت العام 458 هـ .

(2) ق 240 - 241 .

(3) الاسم في هذه الفقرة غير منقوطة لكنه مشكّل بضمّة وفتحة . وفي المواطن الأخرى فإنه مكتوبٌ .

إليه الخروج والدعوة . وتردد الرجل لبعض الوقت ، ثم خضع للمضغوط وتبعهم إلى الجوف . قرابة هذا الوقت وصله رسولان من سعيد (الأحول) بن نجاح ، حاكم زبيد ، الذي كان المسؤول عن قتل الصليحي ، ونقلوا إليه دعوة سيدهما لحملة مشتركة على صنعاء . فأرسل الشريف الفاضل معهما أخاه سنان الدولة أحمد ، والقاضي عيسى بن الحسين بن أحمد ، لإنجاز التحالف مع ابن نجاح . لكن في الوقت نفسه تقريباً مضى الأمير ذو الشرفين بضغط من أخيهما حسن إلى صنعاء لمحاولة الاتفاق مع الصليحيين . وهناك استقبلهما إسماعيل بن أبي يعفر الصليحي استقبالاً حسناً ، ثم ما لبث حاكم صنعاء أحمد بن مظفر أن عاد إلى المدينة ودعاهما أيضاً للقاءه . كان الصليحيون وقتها يعدون لحملة ضخمة على زبيد للثأر لمقتل علي بن محمد الصليحي ، ولتحرير زوجته الملكة أسماء من الأسر ؛ ولذلك كانوا على استعداد لإعطاء تنازلات في العلاقة مع الأشراف . وهكذا أكد أحمد بن مظفر للشرفيين أنه في حال فشل الصليحيين في حملتهم فإن البلاد كلها ستقع في يد الأشراف ؛ أما إذا نجحوا فإن الفضل في ذلك سيعود للسادة أيضاً . وهكذا أعاد الرسولين إلى عيان مع هدايا للشريف الفاضل ، ورسول من جانبه اسمه دلهام بن عبد الله الحرازي يحمل رسالة للفاضل . لكن الفاضل - الذي كان ما يزال مع القبائل في الجوف يستعد للثورة - رفض محاولات التقارب مع الصليحيين أولاً ، ثم رضي بمقابلة رسولهم . وفي النهاية جرى التوقيع من جانب الشريف الفاضل على ثلاث وثائق ، كان أخوه ذو الشرفين قد تفاوض عليها مع الصليحيين بصنعاء وأكد مضامينها إسماعيل بن أبي يعفر الصليحي ودلهام الحرازي⁽¹⁾ . أما الوثيقة الأولى فتتضمن على التسليم بأرض وادعة وبكيل للشرفاء ويحدّها نقيلاً عجيب . وأما الوثيقة الثانية فتؤمن حرية الحركة والإقامة للشيعة الحسينية حيث كانوا . وأما الثالثة فتؤكد

= ب ح ي ر . أما الهمداني (الصليحيون ، ص 127) فيسميهم تبعاً للداعي إدريس : بنو جبير - وهذا لا شك تحريف .

(1) لا يتضح من تقرير السيرة ما إذا كانت الوثائق قد كتبت بصنعاء ، ووُقعَت من إسماعيل بن أبي يعفر ، أو أنها كتبت ببيان ثم أرسلت إلى صنعاء للتوقيع . ويبدو أن الاحتمال الأول هو الأرجح ؛ وبخاصة أن السيرة تكرر اضطرار الفاضل للموافقة على ما سبق لذي الشرفين أن اتفق عليه مع الصليحيين .

ملكية الأشراف لبعض المدن والبلدات مثل حمودة وحاز وبيت شعيب وبيت سود . ولم يكن يسع الشريف الفاضل رفض تلك الوثائق التي وافق عليها أخوه فوافق عليها أيضاً ، وأرسل ابنه محمداً إلى صنعاء رهينة لدى الصليحيين حيث بقي هناك طوال حملتهم على زبيد (19 صفر - 26 ربيع الثاني 460 هـ / 28 ديسمبر 1067 - 2 مارس 1068 م) .

أما الداعي الإسماعيلي إدريس الموالى للصليحيين فيزعم في كتابه : العيون أن الشريف الفاضل هو الذي نقض العهد مع المكرم بتهديده لصنعاء خلال غياب الصليحيين عنها ، وهو يعتبر ذلك بين أسباب تخلي المكرم عن ملاحقة سعيد الأحول ، وإسراعه في العودة إلى صنعاء⁽¹⁾ . لكن مؤلف السيرة يُصرُّ على رعاية الفاضل لتعاquده مع الصليحيين ، ويتهمهم بنقض العهد بمجرد فوزهم على الأحول وعودتهم من زبيد . والحق أن الاتهامات ضد الشريف الفاضل لها ما يُسوِّغها في استمراره في الإعداد للإغارة على صنعاء كما سبق أن اتفق على ذلك مع سعيد الأحول ؛ لكن لا شك أن ذلك كان من جانبه لاحتمال انتصار الأحول على الصليحيين . وكان رسوله إلى سعيد الأحول قد عاداً من زبيد بتفاصيل حول الحملة المشتركة وكان هو ما يزال مرابطاً بخرفان⁽²⁾ ، وما كادا يصلان إليه حتى بلغته أخبار هزيمة سعيد وهربه⁽³⁾ . وسارع الشريف الفاضل بالانسحاب إلى عيان . ولذا كان بوسعه الادعاء أنه لم يخالف شروط التعاقد مع الصليحي ، وأن الصليحيين هم الذين بدأوا بالهجوم . وكان الصليحيون من جانبهم عقب عودتهم من تهامة قد فقدوا الاهتمام بالحفاظ على العهد مع الفاضل أو تجديده وبخاصة أن ذلك العهد تضمن تنازلات عن أراضٍ وبلادٍ للأشراف اضطر إليها الصليحيون لكي لا يقاتلوا على

(1) الصليحيون ، ص 120 وما بعدها ، 125 . ومما يلفت الانتباه أن الداعي إدريس لا يذكر التنازلات السياسية المعتبرة التي وافق عليها الصليحيون لصالح الشريفين ؛ بل يكتفي بالقول إن المكرم أمر للشريفين « بكسوة فاخرة ودنانير كثيرة » .

(2) تقع خرفان في جنوب شرق حيوان (قارن : Edward Glaser's Reise nach Márib , Maps 2, 3) وهكذا فإنها بعيدة عن صنعاء .

(3) ق 243 . وتتحدث السيرة خطأ عن مقتل سعيد بن نجاح ، الذي لم يُقتل في الحقيقة إلا في الحملة الثانية للمكرم على تهامة عام 461 هـ / 1069 م (الصليحيون ، ص 13) .

جبهتين . سارع الصليحيون بمجرد عودتهم للإغارة على الجوف الأعلى فخرّبوا الحدائق والكروم ، وقطعوا أشجار النخيل ، وكتبوا رسالةً إلى بني الدّعام يتهدّدونهم فيها ، ويحاولون صرفهم عن الاستمرار في الانتصار للشرفاء . ولم يتراجع بنو الدّعام بل أعلموا الشريف الفاضل بما كان ، ورفضوا عرض الصليحيين للتقارب معهم . ونجح المكرّم الصليحي أكثر مع بني ذيّان الذين هزمهم وأرغمهم على عقدٍ معه لمساعدته عسكرياً ، والامتناع عن مساعدة الأشراف أو إيوائهم⁽¹⁾ .

أمام تحديات الهجوم الصليحي ، قرّر الفاضل البحث عن قلعة جبلية يستطيع عند الضرورة الانسحاب إليها والصمود فيها مع أتباعه . فوقع اختياره على قرية شهارة الجبلية الواقعة في بلاد الأهنوم . وهكذا أرسل أولاً أخاه ذا الشرفين للسيطرة على الجبل ؛ لكنه لم يكن قادراً على القيام بتلك المهمة إذ لم تجر مشاوراتٌ مُسبقةٌ بينه وبين السكّان المحليين . لذا أرسل الفاضل بعدها الفقيه علي بن أحمد بن أبي الجيش والشيخ يعقوب بن سليمان العبيدي مع جماعةٍ من الأنصار ، حيث استطاعوا الحصول على موافقة وتعاون بعض شيوخ الأهنوميين والظليميين : وتحرك الفاضل إلى حوث ، وأرسل أخاه سنان الدولة مع عشرة رجالٍ لكي يصعدوا إلى قمة جبل شهارة فيوقدوا عليها النيران علامةً على نجاح مهمتهم إن كان ذلك . وأخفى الرجال أنفسهم في بيت أحد المتعاونين معهم من الأهنوم . وفي ظلمة الليل تسلّقوا الجبل وانصرف أحدهم لمشاغلة حراس باب سور القرية ، وقرع الآخرون الباب فلما سارع بعض أهل القرية ليلاً ورأوا خارجه الشريف وشيوخ الأهنوم الموافقين لهم خافوا وتفرّقوا . ودخل الشريف وأتباعه القرية ؛ وفي الليلة المقبلة أوقدوا النيران على قمة جبل شهارة . فعاد الشريف الفاضل بسرعةٍ إلى الجوف الأسفل ، ومضى بعد أيامٍ بخيلٍ ورجالٍ من بني نهم وسُفيان ، والشيعه الحسينية ، إلى شهارة . وصعد إلى الجبل ودخل القرية في آخر أيام رمضان عام 460 هـ / 2 أغسطس 1068 م . بذلك صارت شهارة حصن الشرفاء القاسميين ، والمقر الدائم للأمير ذي الشرفين ؛ بينما

(1) يتحدّث الداعي إدريس عن انتصار المكرّم (الصليحيون ، ص 127) . وقد عُقدت المعاهدة في 24 جمادى الأولى عام 460 هـ / 28 مارس 1068 م .

بقي الفاضلُ غالباً في الجَوف الأسفل . وقد مكَّن جبل شهارة وحصنها الشرفاء من الثبات في وجه هجمات الصليحيين رغم تفوقهم العسكري الواضح . ويبدو أنَّ نقطة التحول في الحرب بين الطرفين كانت فشَل الصليحيين في الاستيلاء على شهارة بعد حصارهم الكبير لها . قاد الحصارَ على شهارة كُلُّ من المكرَّم وأحمد بن مظفر مع صليحيين آخرين عام 462 هـ / 1070 م بعد عودة المكرَّم من حصاره الثاني لزبيد . وصمد ذو الشرفين للحصار الذي استمرَّ زهاء الخمسة أشهر⁽¹⁾ ؛ والذي لم يستطع الفاضلُ الوقوف فيه إلى جانب أخيه لشغل الصليحيين له بميادين أخرى . لكنه تمكَّن من إيصال أموالٍ لذي الشرفين كان قد تلقاها من جيَّاش بن نجاح حاكم زبيد الجديد⁽²⁾ الذي استمرَّ في دفع مبالغ شهريةٍ للشرفاء . وقد أوصلها مع وفدٍ سمح له الصليحيون بالوصول عبر خطوطهم لأنه كان يحملُ رسالةً من الفاضل إلى ذي الشرفين ينصِّحُه فيها بالاستسلام⁽³⁾ . وانتهى الحصارُ بهجومٍ مُباغتٍ قام به المحاصرون على الصليحيين فقتلوا منهم ثمانمائة رجل ، أو تسعمائة رجل حسب روايةٍ أخرى ، بمنطقة الرحبة بأسفل الجبل ، ولم يفقد المحاصرون غير ثلاثة رجال . ومنذ ذلك الحين صار بوسع الشرفاء رفض عروض الصليحيين للتعاقد والتقارب⁽⁴⁾ .

وتُورِدُ السيرة بتفصيلٍ كثيرٍ أخباراً وتقارير عن حملاتٍ ومعارك في حياة وحكم الشريف الفاضل قبل حصار شهارة وبعده . ولن أتَّبِع ذلك هنا إذ يحتاج الأمرُ لدراسةٍ منفصلة⁽⁵⁾ . ويذكر صاحب غاية الأمانى كثيراً من تلك الأحداث والمعارك ، بين

(1) ق 251 . ولا تذكر السيرة تاريخاً لحصار شهارة . لكنها تذكر وصيةً لذي الشرفين كُتبت أثناء الحصار ؛ وهي مؤرَّخة في رجب 462 هـ / إبريل - مايو 1070 م (ق 249) .

(2) هرب جيَّاش إلى الهند بعد أن هزم المكرَّم آل نجاح في رمضان عام 461 هـ / يوليو 1069 م (الصليحيون ، ص 131 وما بعدها) . ويذكر عُمارة (نشرة الأكوع ، ص 136) أنه عاد إلى زبيد بعد ستة أشهر .

(3) ق 251 - 252 .

(4) ق 242 .

(5) هناك مشكلةٌ ناجمةٌ عن أخبار حملة العام 461 هـ / 1068 - 1069 م يحسُنُ التعرُّضُ لها هنا . فخلال الحديث عن تحركات الفاضل ذلك العام تذكر السيرة وصول الشريف أبي الفتح الناصر بن =

العامين 463 و 478 هـ بإيجاز معتمداً في ذلك على السيرة اعتماداً كاملاً تقريباً⁽¹⁾ . ولا شك أن ذروة انتصارات الشريفين كانت استيلاء الفاضل على صعدة في رمضان عام 463 هـ / يونيو 1071 م حيث أقيمت الخطبة باسمه في جامع الهادي هناك ، وأخذ زعيم أنصار الصليحيين بالمدينة أسيراً⁽²⁾ . ثم الاستيلاء على جبل مسور في رمضان عام 464 هـ / مايو - يونيو 1072 م⁽³⁾ - وهو الانتصار الذي خلّده ذو الشرفين بإنشاء دار لسك النقود بمسور⁽⁴⁾ . لكن لم تكن كل الغارات التي ذكرتها السيرة غارات على الصليحيين . فمع مُضيّ السنوات صار ضرورياً في كثير من الأحيان إخماد تمردات كانت تنشب ضدّهم بين القبائل الموالية لهم . وكانت الضرائب الثقيلة التي يستصفّيها الأميران السبب الرئيسي لأحداث التمرد بين رعاياهم . أمّا

= الحسين الحسني الديلمي من العراق ، ونشاطاته خلال العام (السيرة ، ق 247 - 248) . لكن كل المصادر الأخرى تذكر أن الإمام الزيدي أبا الفتح الناصر الديلمي كان قد أتى إلى اليمن قبل أكثر من عقدين من السنين ، وقُتل في معركة نجد حاج عام 444 هـ / 1052 - 1053 م . ولذا فإن ذكره في السيرة في العام 461 هـ / 1069 - 1069 م مدعاة للاستغراب . فهل يرجع ذلك إلى خلط بينه وبين أحد أبنائه ؟ يبدو هذا الاحتمال غير مرجح لأن مفرحاً كان حاضراً بنفسه في بعض تلك الأحداث . أو أن الرجل ادّعى أنه الإمام أبو الفتح العائد ؟ ولا يمكن الحكم على مدى جدية هذا الاحتمال استناداً إلى السيرة لأنها لا تذكر الإمام أبا الفتح من قبل . لذا فلا أستطيع في الوقت الحاضر تفسير أخبار السيرة المتأخرة هذه عن أبي الفتح .

(1) غاية الأمانى 1/ 262 - 270 .
 (2) ق 258 وما بعدها . وتبعاً للخبر الذي تورده غاية الأمانى 1/ 262 فإن الخطبة كانت قد جُعِلت « لبني الهادي » في فترة « سابقة » حتّى كسب أنصار الصليحيين الجولة على آل الهادي هناك . ولا تذكر السيرة ذلك بالتحديد . لكنّ هذه لم تكن المرة الأولى التي يُخطب فيها للصليحيين بالمدينة . فالسيرة تذكر أن « مُجاب بني الصليحي » كان يسيطر على صعدة إبّان هرب الشريف الفاضل من اليمن عام 451 هـ / 1059 م (السيرة ، ق 242) . وربما أمكن لآل الهادي بصعده أن يحولوا الخطبة لصالحهم بعد فشل الصليحيين في حصار شهارة قبل ذلك بعام . ويظهر أن أكثر الناس والتجار بالمدينة كانوا مواليين للصليحيين . أمّا زعيم الحزب الصليحي جعفر بن الحسن الشميري (الإعجام غير مؤكّد) فقد بقي أسيراً بشهارة لست سنين إلّا شهرين ، أي حتّى العام 469 هـ / 1077 م (ق 283 ، وليس حتّى العام 470 هـ كما في ق 259) حيث أطلق سراحه من جانب ذي الشرفين بناءً على رجاء أهل صعدة ، بعد أن دفع فدية قدرها ثلاثة آلاف دينار .

(3) ق 261 ؛ والغاية 1/ 264 .

(4) ق 266 . جمع الشريف الفاضل الفضة من أتباعه وأقاربه لهذا الغرض .

الشريفان فكانا يبرران تلك الضرائب بضرورات ونفقات الجهاد ضدّ « الكفرة » من الصليحيين ، الذين كانوا ينزولهم باسم القرامطة . وتوردُ السيرة بالتفصيل أقوالاً واقتباساتٍ للأميرين من تراث الأئمة في تسويق تلك الضرائب الاستثنائية لمجاهدة أولئك الملحدين القدّامى . ومن جهة ثانية ، فإنّ هذه الحملات ضدّ القبائل الثائرة كانت أقلّ شعبيةً لدى الجيش من الحرب مع الصليحيين ؛ إذ كانت الغارات على أولئك تعدّ بمغانم أكبر . ولا تُخفي السيرة تدمير الجيش من قرارٍ اتخذه الفاضل في المحرمّ عام 467 هـ / سبتمبر 1074 م بالقضاء أولاً على تمردٍ في ناحية مسور بدلاً من غارةٍ كان قد خطّط لها ضدّ الصليحيين . وقد أطاع الجيش أوامر الفاضل بعد تردّدٍ ، وانتهت تلك الحملة بالفشل ، وبخسائر كبيرةٍ للشريفين⁽¹⁾ .

وفي مطلع العام 468 هـ / أغسطس 1075 م استولى على الشريف الفاضل من جديدٍ غرامه القديم بالزراعة ، وقرّر أن يحوّل منطقة عمران بوادي الخارد⁽²⁾ من جديد إلى بيئةٍ زراعيةٍ لصالح المسلمين والإسلام . وهكذا جمع عمالاً ومتطوعين واستعداداتٍ أخرى ، ومضى إلى تلك المنطقة بحريمه وخيله ومتطوعيه ، آخذاً على بني الدعام أهل تلك المنطقة العهود والأيمان بحسن الجوار . وقسّمت منطقة عمران إلى ثلاثة أقسامٍ ؛ الثلث الأول لبني نهم ، والثلث الثاني لبني الدعام وبني نشق ؛ الذين كانت لهم المنطقة في غابر الزمان⁽³⁾ ، والثلث الثالث للفاضل وذوي الشرفين . وبقي ذو الشرفين بشهارة مع أتباعه ورفاقه . ولم يكن بعضُ بني نهم راضين عن الثلث الذي جُعِلَ لهم ؛ وقد عبّروا عن عدم رضاهم بإشعال النيران على جبلٍ قريب . وتلقّى الفاضل من جديدٍ أيماناً وتأكيداتٍ من بني الدعام بالحماية وحسن الجوار واستقرّ بعمران . ولم يكد الفاضل ينتهي من جرّ ساقية ماءٍ ، ودرب للمساكن بالناحية حتّى هوجم من جانب بعض رجال القبائل وقُتِلَ في 23 صفر 468 هـ / 5 أكتوبر 1075 م⁽⁴⁾ . وعلى مقربةٍ منه قُتل الشريف القاسم بن

(1) ق 275 - 276 .

(2) الهمداني : صفة - الفهارس . وانظر أيضاً : عمران

(3) الهمداني : صفة ، ص 82 ، 127 .

(4) ق 241 : كان عمره سبعة وخمسين عاماً . وفي غاية الأمانى 268/1 فإنّ تاريخ وفاته يُذكر خطأ باعتباره ذا الحجة عام 468 هـ .

إبراهيم ابن سليمان ، وسُلبت أفراسُهُم وأسلحتُهُم . أمّا محمد ابن الشريف الذي كان حينها في السكّن مع الحرّيم فقد أخذ مع الحرّيم من جانب رجال القبائل مع سلاحه وخيله . وتوابع القتل السالبون تلك الليلة من جانب الجحّاف بن مانع ونُبّاة بن ربيع الدعاميين ، حيث نجحوا في إطلاق سراح محمدٍ والحرّيم . ودُفن الشريفان المقتولان أولاً بحوث لدى الحسن بن الدعام⁽¹⁾ . وتذكر غاية الأمانى أن المكرّم الصليحي كان وراء حادث الاعتداء . أمّا مُفرّح فلا يذكر شيئاً عن الصليحيين ، ويعتبر نهماً وبني الدعام المسؤولين الوحيدين عن ذلك .

ترك مقتل الشريف الفاضل الأمير ذا الشرفين متفرداً بالسلطة ؛ لكنّ موقفه كان محفوفاً بمصاعب كثيرة . واتّجه في حركته الأولى للثأر للشريفيين القتيلين . وفي سبيل ذلك كتب رسالة استصراخٍ واستنجدٍ إلى سائر القبائل المُوالية طالباً العون والمُساعدة ، وواصفاً القتل من بني نهم بأنهم « أشرّ وأخبث من علمت من جميع الناس »⁽²⁾ . ولا تذكر السيرة إن كان القتل قد أدركوا أو عوقبوا ؛ مع أنها تُسمّي واحداً منهم⁽³⁾ . وبدلاً من أن يصغي ذو الشرفين لاعتبارات استقرار السلطة ومستقبلها ، تحوّل إلى كتلةٍ من الغضب المشتعل بالرغبة في الثأر ، ومال إلى إيقاع عقوبات « جماعية » ببني نهم ، وبني الدعام ؛ رغم أن الأخيرين كانوا العمود الفقري لجيشه . وكانت قبائل أخرى قد خرجت على طاعته عندما قُتل الشريف الفاضل⁽⁴⁾ . ويبدو محتملاً أنه في هذه الظروف عاد ذو الشرفين للتعاقد وتحديد الحدود مع أحمد بن المظفر الصليحي رغم أن السيرة لا تذكر تاريخاً للمهادنة الجديدة⁽⁵⁾ . وصارت حملة الثأر مستعدةً للانطلاق أخيراً في جُمادى الأولى عام 469 هـ / يناير 1077 م . وكانت أعداد كبيرة من المقاتلين قد تجمّعت خارج شهارة للانطلاق في غارةٍ إلى الشرف الذي ظهر فيه ثائرٌ إباضيٌ يدعو إلى نفسه .

(1) في المخطوطة : في حرّث الحسن بن الدعام . ويبدو أنه هو الصحيح (المترجم) .

(2) ق 278 - 279 .

(3) ق 278 .

(4) ق 288 .

(5) ق 303 . وتذكر في هذه الفقرة محاولات سابقةً لتجديد التعاهد والتعاقد بين الطرفين دون إيضاح لظروف ذلك .

لكنّ ذا الشرفين أخبرهم قبل الانطلاق مباشرةً بالاتجاه الحقيقي للحملة . وفي البطنة حاول نباتة بن الربيع الدعامي الانضمام إلى الجيش ، وسأل الوصول إلى ذي الشرفين من أجل الاعتذار والأمان . وأبى الشريف استقباله ، واضطّر للهرب مع رجاله عندما ساورهم الخوف على حياتهم . واخترق الجيش أراضي بني نهم وبني الدعام مُخرباً ومُحرّقاً وقاتلاً كلّ مَنْ لم يهرب . واستخرجت جثثا الشريفين المقتولين ، وتنازعت القبائل شرف دفنهما بأرضها . وجرى الاتفاق أخيراً على دفن الشريف الفاضل بالحضن من بلاد وادعة بالظاهر ، والشريف القاسم بن إبراهيم في عيان .

وكما كان متوقعاً فإنّ القبائل المُطاردة انتقمت لنفسها بممالة العدو . فقد كتب بنو الدعام إلى الصليحيين عارضين عليهم الانضمام إلى قواتهم . وسارع الصليحيون بعد موت السلطان أحمد بن مظفر إلى نقض العهد⁽¹⁾ مع ذي الشرفين ؛ وصار بوسعهم الاندفاع عميقاً في شمالي اليمن . وهكذا اجتاحت سليمان ابن عمير الزواحي البون⁽²⁾ وشرف البياض من مخاليف شهارة . أمّا خيل المكرم فقد وصلت إلى أقر على مقربة من شهارة مقرّ ذي الشرفين⁽³⁾ . واستطاع ذو الشرفين مؤقتاً استعادة زمام الأمور . فقد اتجه للاستعاضة عن قبائل الجوف ببني مالك وربيعة خولان من قبائل نواحي صعدة ، كما استعان بالصعديين . وهناك تفاصيل في السيرة عن تحركات ذي الشرفين العسكرية لن نعود إليها هنا . بل نريد أن نذكر فقط حملة ذي الشرفين ضدّ الثائر الإباضي الحطيّط بن عبد المجيد في ذي القعدة عام 469 هـ / يونيو 1077 م . وقد نجح في إخضاع الثوار مع الحطيّط ، وعيّن نشوان بن نشوان سلطاناً على الشرف . لكنّ السيرة لا تذكر شيئاً عن مصير الحطيّط نفسه⁽⁴⁾ .

(1) ق 303 . ولا نعرف تاريخ وفاة أحمد بن مظفر . أمّا غاية الأمانى 269/1 فتذكر أخبار الهجوم الصليحي بالكامل تحت العام 469 هـ . ويبدو ذلك ملائماً بالنسبة لبداية الهجوم ، أمّا حملة المكرم فيبدو أنها كانت بعد ذلك .

(2) ق 285 .

(3) ق 303 .

(4) ق 284 - 286 ؛ وغاية الأمانى 269/1 .

كان ذو الشرفين قد أُصيب بمرضٍ خطيرٍ عام 473 هـ/1080 - 1081 م لكنه ما لبث أن أبلّ منه ليسقط مريضاً مرةً ثانيةً في ذي القعدة عام 477 هـ/مارس 1085 م . ويوردُ مفرّح تقريراً مفصّلاً عن تطورات مرض ذي الشرفين أخذه من عن ابنه عمدة الإسلام ، الذي يذكر حالات إغماءٍ طويلةٍ لوالده أثناء المراحل الأخيرة من المرض⁽¹⁾ . ومات ذو الشرفين أخيراً في 23 محرم 478 هـ/19 مايو 1085 م عن عمرٍ يناهز السبعة والأربعين عاماً⁽²⁾ .

وتكتفي السيرة بعد هذا بإيراد تعازي القبائل للأمير عمدة الإسلام جعفر ابن الشريف وخليفته ، ثم تتوقّف عند هذا الحدّ من السرد التاريخي⁽³⁾ .

أمّا غاية الأمانى فتذكر أنّ جعفرأ كان آخر الحكّام من آل الإمام القاسم العياني . وقد انتهى حكمهم في عهده بسبب الخلافات التي نشبت فيما بينهم⁽⁴⁾ . لكنّ السيرة التي كتبت بعد وصول جعفر للسلطة باثني عشر عاماً لا تذكر شيئاً عن ذلك . فقد كانت هناك خلافات بين ذي الشرفين وأخيه سنان الدولة أحمد لأسبابٍ مجهولة ، أدّت إلى افتراقٍ مؤقتٍ بينهما وتمردٍ للأخير بصعدة⁽⁵⁾ . لكنّ الأزمة ما لبثت أن انتهت ، والسيرة تذكر سنان الدولة بين المعزّين لجعفر والمُبايعين له . وكان محمد ابن الشريف الفاضل يملك حظوظاً طيّبةً للخلافة بعد وفاة ذي الشرفين . وفي السيرة وصيةٌ منسوبةٌ لذي الشرفين تُسمّي محمد ابن الفاضل ، وجعفر ابن ذي الشرفين باعتبارهما قد صارا « كبيرى هذه الذرية »⁽⁶⁾ . وكان عمدة الإسلام جعفر قد عيّن محمداً آمراً على قلعة شهارة . وليس في السيرة ما يفيد أنّ محمداً تسبّب بعدها بأيّ إزعاجٍ لابن عمّه . ويصف مفرّح شهارة زمن كتابته للسيرة باعتبارها مدينةً شديدة الازدهار ؛ فقد بلغ عددُ منازلها 511 منزلاً . وكان الأمير

(1) ق 291 - 293 .

(2) ق 297 . ومولده في رجب عام 430 هـ/إبريل 1039 م .

(3) ق 292 - 293 .

(4) غاية الأمانى 1/270 .

(5) ق 288 .

(6) ق 293 : قد صرّتما كبيرى هذه الذرية .

عمدة الإسلام قد أمر بتمهيد طريق من أسفل الجبل يمكن من وصول الجمال إليها .
كما بنى قبة بثلاثة أبواب على قبر والده⁽¹⁾ .

IV

ومما يدعو للأسف أن السيرة لم تُتابع بعد ذلك . لذلك فإن تاريخ الأشراف القاسميين المتأخر ، ومصائر الشيعة الحسينية التي نعرف أنها استمرت حتى القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي⁽²⁾ ، لا بُدَّ أن تُجمع قطعة قطعة من أخبار عارضة بالمصادر الأخرى عن تاريخ اليمن . أمّا بالنسبة لعقود السنين الواقعة أواسط القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ؛ فإن سيرة الأميرين تُعتبر مصدراً معاصراً وتفصيلياً من الطراز الأول ، ليس للتاريخ السياسي والديني لشمال اليمن فقط ، بل وللجغرافية التاريخية وللحياتين الدينية والاجتماعية بتلك النواحي من اليمن . ورغم أنها مكتوبة أصلاً لتخليد أعمال الشريفين ، وإبراز معاناتهما وإنجازتهما ؛ فإنها تتسم عموماً بطابعٍ حَدَثِيٍّ تَقْرِيرِيٍّ ، تمكن الثقة به والاعتماد عليه⁽³⁾ . لذا فلا حاجة لمزيد من التأكيد على أهميتها كمصدرٍ تاريخيٍّ وضرورة نشرها كاملة . ومما يؤسف له أن المخطوطة التي وصلتنا (من مختصرها) متأخرة النسخ⁽⁴⁾ ، وسيئة النوعية ، وحافلة بمواطن البياض ، ووجوه التشويه ، والأسماء غير المعجمة . فالمرجوّ أن تظهر نسخة أخرى لها أحسن نوعاً تسهّل عمل الناشر . لكن حتّى في حال عدم وجود النسخة الأخرى ؛ فإن نشرة جيّدة للسيرة تظلّ ممكنة إذا توافرت لنصّها العناية الضرورية ، والجهد الكافي .

(1) ق 260 . وهناك معلومات عن نباتات شهارة وأشجارها ومعادنها في السيرة ، ق 244 - 245 .

(2) W. Madelung ; Der Imām al- Qāsim , P. 201

(3) لا أستطيع موافقة القاضي محمد الأكوخ في حكمه على مؤلف السيرة بأنه : « يطوي انتصارات الصليحي ويذويها بينما يطبل ويَزْمُر لمولاه في أضاليل وكرامات هي بالخرافات أشبه . . . » (ص 110 من الطبعة الأولى ، وص 95 من الطبعة الثانية) . فمؤلف السيرة لا يكتب تاريخاً لآل الصليحي . أمّا في سياق تاريخ الشريفين فإنه لا يتردّد في ذكر انتصارات الصليحيين وهزائم الأشراف . ولذا فإن أيّ مقارنة لمؤلف السيرة بعمارة والداعي إدريس ستكون لصالح صاحب السيرة ؛ إذ إن الآخرين يتجاهلان تماماً هزائم الصليحيين ، وإخراجهم من المناطق الشمالية باليمن في عهد المكرم .

(4) تاريخ الانتهاء من نسخ المخطوطة هو 1 رجب 1066 هـ / 25 أبريل 1656 م .

في التقديم

سيرة الأميرين الجليلين الشريفين والشيعة الحسينية باليمن

I

يبدأ تقليد كتابة « السِير » عند الزيدية بثائريهم الثالث بعد زيد بن علي بن الحسين (- 122 هـ) وابنه يحيى (- 125 هـ) محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ، الملقب بالنفس الزكية القائم على المنصور (136 - 159 هـ) مع أخيه إبراهيم عام 145 هـ .

لكن « سيرة » أو « سِير »⁽¹⁾ النفس الزكية تدخل في جنس آخر من أجناس التأليف غير التراجم الشخصية اشتهر في القرن الثاني على الخصوص . ويعني هذا الجنس « بسيرة المسلمين في المعاملة مع المشركين من أهل الحرب ، ومع أهل العهد منهم من المستأمنين وأهل الذمة ، ومع المرتدين الذين هم أخبث الكفار بالإنكار بعد الإقرار ، ومع أهل البغي الذين حالهم دون حال المشركين وإن كانوا

(1) تختلف المصادر الزيدية في تسمية الكتاب ؛ فيسميه أبو طالب يحيى بن الحسين بن هارون (- 424 هـ) في الإفادة في تاريخ الأئمة السادة (مخطوطة ضحيان) ص 22 - 23 : كتاب السِير ؛ وقارن بالحدائق الوردية لحُميد المحلّي ، 155/1 . وفي الجامع الكافي لأبي عبد الله محمد بن علي الحَسَنِي العلوي (- 429 هـ) (مخطوطة الجامع الكبير بصنعاء) م 5/ق 279 ب تسميته بالسيرة ؛ وقارن بالروض النضير 666/4 . وانظر عن كتاب النفس الزكية وفكره ؛ رضوان السيد : محمد النفس الزكية ورسائله في السيرة في أهل البغي ؛ مجلة كلية الآداب بجامعة صنعاء ، م 11/1990 / ص 105 - 132 . وقد جمع رضوان السيد كتاب « السيرة » للنفس الزكية ، ويصدر قريباً عن دار المنتخب العربي ببيروت .

جاهلين وفي التأويل مُبطلين»⁽¹⁾ . أمّا «السيرة» بالمعنى المفهوم لها اليوم (أي الترجمة الشخصية) فقد افتتح التأليف فيها علي بن محمد العلوي ، صاحب الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم (245 - 298 هـ) مؤسس الدولة الزيدية باليمن⁽²⁾ . فقد كتب العلوي سيرةً للهادي ، لا تعرض لحياته قبل دخوله الأول إلى اليمن عام 280 هـ ؛ لكنها تتحدّث بالتفصيل عن أعماله باليمن ، ودعوته فيها ، وعلاقاته بالقبائل ، وما أصيبت به دعوته من انتكاساتٍ وأواخر حياته . ولسيرة العلوي - كما هو شأن سير أصحاب الدعوات - طابعٌ أيديولوجي وأخلاقي ؛ لكن ذلك لا ينفي حدّثيتها وموضوعيتها السردية . فهي ليست «سيرة» داخليةً لأفكار المترجم ومشروعاته ، بل إنها تتبع أحداث حياة الهادي باليمن ، وامتداد سلطانه ، وصراعاته مع القبائل ، والقبائل التي تحالفت معه لأسبابٍ دينيةٍ أو جغرافيةٍ أو مصلحة . وهي تُظهرنا على بيئةٍ شديدة التعقيد والتفاوت من النواحي كافة . وتحفل بكلمات الهادي وخُطبه ورسائله التي ينبغي الاستناد إليها في معرفة العقائد الزيدية آنذاك ، وعلاقات تلك العقائد بفقه الهادي أو فتاواه الفقهية ، ووصلات ذلك كلّ بما كان في الحجاز والعراق آنذاك .

والسيرة الثانية من سير الزيدية باليمن ؛ تلك التي كتبها عبد الله بن عمر الهمداني لمحمد المرتضى وأخيه الناصر أحمد بن الهادي⁽³⁾ . وهي لا تكاد تختلف

(1) المبسوط للسرخسي م 10 / ص 2 .

(2) نشرها سهيل زكار بدار الفكر ببيروت عام 1972 بعنوان : «سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه وآله السلام» . رواية علي بن محمد بن عبيد الله العباسي العلوي ابن عم الهادي وصاحبه .

(3) لم تصلنا سيرة المرتضى والناصر للهمداني مستقلة ؛ بل وصلت مشدّبة ضمن الجزء الباقي من تاريخ مسلم اللحجي (- 552 هـ) - وقد نشرها الأستاذ ويلفريد ماديلونغ W. Madelung بعنوان : سيرة الإمام أحمد بن يحيى الناصر لدين الله - منتزعة من كتاب أخبار الزيدية من أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم باليمن . تأليف أبي الغمر مسلم بن محمد بن جعفر اللحجي ، Ithaca Press. Exter مع المعهد الشرقي بجامعة أكسفورد ، الطبعة الأولى 1990 . ويقول مسلم في المقدمة (ص 4 - 5) : «وأوردُ هنا لَمَعاً ونُكْتاً من من أخبار الإمامين الفاضلين أبي القاسم محمد وأبي لحسن أحمد ابني الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليهما السلام : رواية الشيخ عبد الله بن عمر الهمداني صاحبه ؛ وهو كتابٌ عظيم القدر في الدين . وقد كاد ينقطع ويعدم لضعف همم كثير من الناس في اقتنائه لا سيما أهل اليمن » .

من حيث طرائق السرد ، والتركيز على الأحداث لا على شخصية المترجم نفسه ؛ عن سيرة الهادي للعلوي . بيد أنها تعرض لإشكالية تتعلق بالشرعية عند الزيدية الأوائل ، ما كانت مطروحة من قبل . فالمعروف أن محمداً المرتضى خلف أباه الهادي عند وفاته . على أنه تحت وطأة النكسات المتتالية اعتزل الأمر عملياً دون أن يتنازل عنه صراحةً ؛ فتولّى أخوه الناصر النهوض بأعباء الدعوة والدولة مع بقاء الأمور على شيء من الغموض حتى وفاة المرتضى عام 310 هـ إذ لم ينقض إمامة أخيه المرتضى ، ولم يصرح بدعوة جديدة غير دعوته . لذلك يحاول الهمداني التأكيد على تفوق الناصر العلمي ، وتوافر شروط الإمامة فيه على الوجه الأكمل . ثم ينصرف للتدليل على أن أعمال الناصر السياسية والعسكرية في حياة أخيه كانت بموافقة بعد أن مال هو نفسه للاعتزال ، ويشس من إخلاص القبائل له في وجه مصاعب مصارعة القرامطة ، الذين قاتلهم الناصر عندها بكفاية منقطعة النظير . وبذلك تُضاف « الضرورة » المتمثلة في الدفاع عن الإسلام والمسلمين إلى مؤهلات الناصر وأسباب شرعيته . وقد تكفّلت كتب التراجم الزيدية فيما بعد بضبط الصورة تماماً عندما ذهبت إلى أن الناصر ما ادّعى الإمامة ، إلا بعد وفاة أخيه عام 310 هـ ، مع أنه قاد الجيش والدولة منذ العام 302 هـ⁽¹⁾ . وفيما عدا ذلك ينصرف عبد الله بن عمر الهمداني لسرد أعمال الناصر العسكرية ضد القرامطة وغيرهم من أعداء الدولة . وتدعم إطلته في ذلك دعواه في كفايات الناصر الدينية والشخصية .

وتظلُّ مسألة الشرعية هماً رئيسياً بين هموم كتاب سير الأئمة من الزيدية بعد

(1) أمّا أبو العباس أحمد بن إبراهيم الحسني (- 352 هـ) في كتاب المصابيح من أخبار المصطفى المرتضى والأئمة من ولدهما (مخطوطة السيد أحمد بن محمد الشامي بصنعاء) ، ق 116 أ (بترقيماً) ، والسيد أبو طالب في الإفادة (مخطوطة ضحيان) ، ص 83 فيقولان إنه « تسلّم الأمر من أخيه في صفر سنة 301 هـ » . وأمّا حميد المحلّي فيقول في الحقائق الوردية 46/1 : « واعتزل رضي الله عنه الأمر وخلا برّبه . . . وأقام الأمر على حاله ولم يُظهروا له خلافاً ولا كراهةً لأمره . . . وكان أخوه الناصر . . . في الحجاز فقدم بعد ذلك ، فأشار المرتضى عليه بالقيام بالأمر ، وكانت مدة انتصاب المرتضى للأمر نحو سنتين . وتوفي بصعدة سنة عشر وثلاثمائة . . . » . ويورد مفرح بن أحمد صاحب سيرة الأميرين ، في المخطوطة ق 92 أ - 94 ب رسالة طويلة للمرتضى كتبها للريان (؟) الهمداني في تسويغ سلوكه في الاعتزال ، لكنه لا يصرح بترك الإمامة .

الهمداني ؛ دون أن يقلل ذلك من طابعها السردى الحداثى . فقد كانت مشكلة الحسين بن أحمد بن يعقوب كاتب سيرة المنصور بالله القاسم بن علي العياني (310 - 393 هـ) أن الأخير لم يكن من سلالة الهادي⁽¹⁾ ، بل من سلالة عمه محمد بن القاسم بن إبراهيم ، ولذا فقد لقي معارضة من بعض أعقاب الهادي . ومن هنا جاء تأكيد كاتب السيرة على أمرين اثنين لمواجهة تلك المعارضة : النظرية الزيدية في الإمامة التي لا تعترف بالوراثة في السلطة ، والكفايات البارزة للقاسم بن علي وبخاصة الاجتهاد والشجاعة . ثم إن « السيرة » تذكر بالتفصيل مصير اليمنيين إليه عاماً بعد عام بمقره بترج يدعونه للمجيء لبلادهم وقيادتهم . وعندما جاء للمرة الثانية عام 388 هـ سارع يوسف الداعي ، أحد أعقاب الهادي ، والذي كان قد ثار ودعا لنفسه عام 369 هـ ، إلى مبايعته والانضواء تحت لوائه وإن خرج عليه فيما بعد . وتبرز من خلال « السيرة » رؤية المنصور العياني لنفسه وكفاياته . فقد قضى بترج ببلاد خثعم زهاء العشرين عاماً متفرغاً للعبادة والعلم قبل أن يقدم لليمن ، ولذلك فإنه بخلاف أعقاب الهادي وابنه الناصر كان أعلم أهل زمانه ، وأحقهم بالإمامة . وقد ترك كتباً عديدة في الفقه والأصول وعلم الكلام . ومع أن آراءه الفقهية والأصولية لا تخرج بشكل عام عما عُرف من تراث الهادي وجده القاسم بن إبراهيم ؛ فقد كان أكثر انفتاحاً على زيدية الشمال بجيلان والديلم وطبرستان . فهو لا يرى أن الاختلاف في الفروع بين الأئمة مدعاة للنزاع . بل إنه لا يرى مانعاً من قيام إمامين اثنين شرعيين في وقت واحد ؛ هذا وإن لم يكن واضحاً متى ألف كتاب

(1) قارن عن تلك السيرة : A, Madelung; Der Imam al Qāsim b. Ibrahim, P. 194- 197; ders Al- Hamdani's Description of Northern Yemen in the Light of Chronicles of the 4th/ 10th and 5th/11th Centuries; in: Al- Hamdani, a great Yemani Scholar -(ed.Y.M. 'Abdallah, Sanaa 1986); P. 131-132.

وانظر عن سيرة ابن دعثم للمنصور بالله عبد الله بن حمزة ؛ دراسة عبد الغني محمود عبد العاطي : « أبو فراس ابن دعثم وكتابه السيرة المنصورية » في مجلة كلية الآداب بجامعة صنعاء ، م 10/ 1989 / ص 224 - 263 . وقد حقق د. عبد العاطي السيرة ، وتصدر قريباً عن دار الفكر بدمشق .

« التفريع »⁽¹⁾ الذي يعبر فيه عن هذا الرأي أقبل دعوته وإمامته أم بعدها . ثم إنه ليس واضحاً هل يرى إمكان تعدد الأئمة باختلاف البلدان أم في البلد الواحد ؛ وإن كان ذهابه إلى أن ذلك مشروطٌ بالآ لا يحدث خلافٌ بين أتباعهما مُشعرٌ بإمكان ذلك في البلد الواحد .

وتعاصرت دعوة القاسم بن علي العياني مع دعوة أخرى بالديلم هي دعوة المؤيد بالله أبي الحسن أحمد بن الحسين بن هارون ، من سُلالة الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب (333 - 411 هـ) . وللمؤيد بالله « سيرة »⁽²⁾ كتبها المرشد (أو المرشد ؟) بالله أبو الحسين يحيى بن الحسين بن إسماعيل الحسني الشجري الجرجاني (- 477 هـ) . وكان الحسين الموفق بالله والد المرشد صديقاً للمؤيد بالله . وعنه ، وعن آخرين من تلامذة المؤيد وزملائه نقل أكثر أخباره . عُرف عن المؤيد بالله وأخيه أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني (340 - 424 هـ) قُرْبهما من مذهبي القاسم والهادي في الأصول والفروع ، ولذلك وجداً أكثر أنصارهما بين القاسمية بديلم . لكن اختلاف البيئات العلمية والسياسية بين اليمن من جهة ، والعراق وإيران من جهة ثانية دفع كاتب سيرة المؤيد للتركيز على نواحٍ أخرى في شخصية المؤيد وسلوكه غير تلك التي أبرزها كُتّاب سيرة الأئمة باليمن . فأبرز أسباب شرعية إمامة المؤيد عند المرشد كاتب « السيرة » : زهده وورعه وعلمه . ولذا تطفئ أحداث العلم والورع في « سيرة » المؤيد حتى على الأحداث السياسية والعسكرية التي كان المؤيد على أي حالٍ غير موفقٍ فيها . فبخلاف أبيه وأفراد أسرته انتقل المؤيد من مذهب الإمامية إلى المذهب الزيدي في شبابه لا لشيءٍ إلا لترجح ذلك عنده بالأدلة . وعرف المؤيد الاعتزالين البصري والبغدادي ، والفقه الحنفي

(1) كتاب التفريع (مخطوطة المتحف البريطاني ، رقم 3977) ، ق 244 (عن ماديلونغ) .
(2) رجح الأستاذ ماديلونغ ضياع سيرة المؤيد بالله (أخبار أئمة الزيدية ، القسم الإنجليزي ، ص 20 - 21) لذلك اعتمد في أخبار المؤيد على ما نقله حميد المحلي في : الحقائق الوردية (أخبار أئمة الزيدية ، القسم العربي ، ص 261 - 292) . لكننا وجدنا للسيرة مخطوطتين باليمن ؛ إحداهما بملك السيد أحمد الشامي ، والأخرى بضحيان بجوار صعدة . وسنشر السيرة استناداً للمخطوطتين مع تقديمٍ ودراسةٍ لفقه المؤيد بالله .

من كبار شيوخ الاعتزال بتلك الديار (آمل والري حاضرة البويهيين) . وربطته صداقة عميقة بالصاحب بن عباد (وزير البويهيين المشهور) ، والقاضي عبد الجبار بن أحمد الأسد أبادي المفكر المعتزلي الكبير . وما أن بلغ المؤيد الخمسين من عمره حتى كان كبير علماء عصره في الفقه والأصولين . ولذا رأى واجباً عليه أن يخرج داعياً لنفسه كما هو مذهب الزيدية في الإمامة . ومع أنه لم يوفق في اجتذاب أنصار كثيرين في خروجه الأول عام 380 هـ ؛ فإن ذلك لم يثنه عن الخروج مراراً بعد ذلك بمقتضى ما افترضه الله على المجتهدين المحتسبين من أهل البيت⁽¹⁾ .

II

وتذكر «سيرة الأميرين» التي نعرض لها هنا ، وننشر نصّها وملاحق معه «سيرة» للمهدي لدين الله الحسين بن القاسم بن علي العياني . ولا يذكر مفرح بن أحمد مؤلف تلك «السيرة» ، التي يبدو أنها ضاعت دون أن تُخلّف أثراً في أعمال المؤرخين وكتاب التراجم من اليمنيين . وعلى الرغم من ضياع «سيرة المهدي لدين الله» فلا بُدّ من ذكر شيءٍ عن الحسين بن القاسم ودعوته وفكره لما كان له من أثرٍ بعيدٍ على مصائر القاسميين العيانيين ، وبالتالي على كاتب سيرة الشريفين . فالمعروف أن همدان قتل الحسين بن القاسم بن علي عرّار⁽²⁾ بجانب ريذة عام 404 هـ . لكن كان من بين أبناء أسرته وأتباعه مَنْ رأى أنه لم يمت ، وأنه سيعود ليملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً . وليس هناك خلاف بين مؤرخي الزيدية في وجود «الفرقة الحسينية» التي زعمت ذلك ، واستمرت إلى حدود القرن التاسع الهجري . إنما الخلاف في عقيدة الحسين بن القاسم نفسه . فأكثر الزيدية

(1) تقع سيرة المؤيد بالله للمرشد بالله في مخطوطة السيد أحمد الشامي ، في 11 ورقة ضمن مجموع متنوع ، نُسخَ بمحروس شهارة عام 1054 هـ . وقد استوعبها المحلّي فعلاً في أهمّ أجزائها .

(2) يُسمّى الأستاذ ماديلونغ المكان : ذو عرر . لكن ابن الوزير (في تاريخ بني الوزير ، مخطوطة الجامع الكبير بصنعاء ، ق 106) ، وابن مظفر (-925 هـ) (في الترجمان المفتوح لثمرات كمائم البستان ، مخطوطة الجامع الكبير بصنعاء ، ق 171) ، وناصر بن عبد الحفيظ بن المهلا (-1081 هـ) (في علم الإفادة في تاريخ ذوي الشرف والسادة ، مخطوطة الجامع الكبير بصنعاء ، ق 55 ب) يسمّون الموضع : ذو عرّار - ويبدو أنه الاسم الصحيح .

المتأخرين يميلون إلى نفي هذه العقيدة عنه ، نعتي عقيدة المهديّة ، والرجعة . أمّا « السيرة » ، نعتي سيرة مفرّج بن أحمد للأميرين فتُثبت وجود هذه العقيدة لدى الأميرين - وإن مال الشريف الفاضل إلى إخفائها وخالفه أخوه ذو الشرفين في إظهارها والتأكيد عليها - ، كما تُثبت وجود الشيعة الحسينية القائلة بـرجعة المهدي الحسين بن القاسم كفرقة أو فريق في جيش الأميرين ؛ لكنها لا تقول شيئاً عن عقيدة المهدي الحسين نفسه . وقد ترك الحسين بن القاسم مؤلفات كثيرة (يقال إنها بلغت ثلاثة وسبعين كتاباً ورسالة) ظننا أنه بالرجوع إليها يمكن الوصول إلى حقيقة المسألة . لكنّ المخطوطتين اللتين رجعنا إليهما لكتبه الباقية ⁽¹⁾ تشير إلى اختيار واختصار من جانب المتأخرين بحيث يصعب عن طريقها تبين اعتقاده على وجه الدقة . والمختصرات الباقية ضئيلة القيمة من الناحية الفكرية ⁽²⁾ ، وأكثرها في أصول الدين وعلم الكلام لا في الفقه . وفي المصادر ما يشير إلى أنه كتب كثيراً وبسرعة للردّ على خصومه ممن أنكروا عليه استحقاقه للإمامة وهو ما يزال في مقتبل العمر (وُلد عام 378 هـ ، وقُتل عام 404 هـ) ، قليل العلم ، وهو يصرّ - رداً على خصومه - على أنه موافق في المذهب للهادي وابنه المرتضى ⁽³⁾ ، لكنه من جهة ثانية

(1) أما المخطوطة الأولى فهي ضمن مجموع بمكتبة العلامة السيد محمد بن محمد المنصور بصنعاء ، وتتضمن الكتب (أو المختصرات ؟) التالية له : كتاب المعجز الباهر ، وكتاب التوحيد ، وكتاب التناهي والتحديد ، وكتاب الردّ على المُلجدين ، وكتاب شواهد الصنع ، وكتاب الردّ على عبدة النجوم ، وكتاب الطبائع ، وكتاب التوكل على الله . وأمّا المخطوطة الثانية فهي مجموع متنوع بمكتبة السيد صلاح الهاشمي بضحيان بجوار صعدة ، وتتضمن الكتب التالية للحسين بن القاسم : كتاب الولاء والبراء ، كتاب الفرق بين الأفعال والردّ على الكفرة الضلال ، وكتاب الأدلة ، وكتاب الأكفاء ، وجزء من كتاب الردّ على مَنْ أنكر الوحي بعد خاتم النبيين ، وكتاب التوفيق والتسديد ، وجزء من كتاب السيلين ، وجزء من كتاب تفسير الصلاة . وذكر سرزكين CAS, I, PP. 569-570 مجموعة لمؤلفاته ببرلين تبلغ أربعة وعشرين كتاباً . أما عدد الثلاثة والسبعين لمؤلفاته فيذكره المحلّي في الحقائق الوردية 64/2 . ويعود السيد حميدان إلى أكثر من عشرين كتاباً ورسالة للحسين في رسالته للدفاع عنه ؛ قارن عن ذلك الملحق الثالث للسيرة المنشورة هنا بعد المقدمة .

(2) قارن بدراسة الأستاذ ويلفرد ماديلونغ السالفة الذكر : الإمام القاسم بن إبراهيم (بالألمانية) ، ص 198 .

(3) قارن بهذا القول منقولاً عن كتابين للحسين بن القاسم في الملحق الثالث لهذه النشرة ، كتاب « بيان الإشكال » للسيد حميدان .

يُشِيدُ بمؤلفاته ويعتبرها متفوّقةً على كلّ ما كتبه السابقون من الأئمة وغيرهم ، فالمرجحُ من موازنة ذلك كلّهُ ومحاكمته أنه كان يذهبُ للقول بأنه المهديُّ المنتظرُ الذي بشر به النبي ﷺ . صحيحٌ أنّ تلقُّبه بالمهديّ لدين الله لا يشير ضرورةً إلى ذلك ؛ فقد تلقّب بذلك أحد كبار علماء أهل البيت الثائرين بالديلم من قبل دون أن يدّعي المهديّة⁽¹⁾ . لكنّ هناك إلى جانب اللقب أمورٌ أخرى هي بمثابة قرائن تدعم شكوكَ مسلّم اللحجي (- 552 هـ) ، والمتوكّل على الله أحمد بن سليمان (- 566 هـ) ، وابن الوزير⁽²⁾ ؛ هذا وإن اختلفت تعليلاتُهم لذلك . من تلك الأمور ، اتّساع دعواه مع ازدياد المعارضة له ، وقسوته ضدّ منافسيه من آل الهادي ، ومزاجيته الخاصّة - وهي شيمةٌ معروفةٌ عن والده ، وتظهر أيضاً لدى الشريفين في سيرة مفرّح لهما - ، وذهاب ابني عمّه ومجموعة من أنصاره بعد مقتله إلى أنه لم يُقتل وسيعود ، وعدم ادّعاء أحدٍ من أبناء أسرته الإمامة بعده بل الإمارة والاحتساب ترقباً فيما يُظنّ لعودته ، وانتشار دعاوى المهديّة على رأس القرن الخامس وأفكار وتيارات الغلو بشكلٍ عامّ . أمّا اتّساع دعواه فيظهر في عناوين كتبه مثل المُعْجِز ، والتّحدي للعلماء والجهّال والردّ على الزنيم وغيره من الضلال الكفّرة الفجرة الأوباش (والزنيم ، رجلٌ اسمه يوسف بن عقيب اتّهم الحسين بالجهل !) ، والردّ على

(1) هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن القاسم ، المعروف بأبي عبد الله ابن الداعي . خرج إلى الديلم ودعا إلى نفسه عام 353 هـ ، ولم يلق نجاحاً كبيراً ، وتوفّي عام 360 هـ عن سنٍّ عالية . قارن عنه : أخبار أئمة الزيدية في طبرستان وديلمان وجيلان ، نصوص تاريخية جمعها وحققها ويلفريد ماديلونغ ، بيروت 1987 ، ص 103 - 118 .

(2) عن رأي مسلّم اللحجي ؛ قارن بالنصوص التي أوردناها عنه في الملحق الأول لهذه النشرة لسيرة الأميرين . وعن رأي المتوكّل على الله أحمد بن سليمان ؛ قارن بكتابه حقائق المعرفة (مخطوطة ضحيان) ق 251 - 253 ، والحكمة الدرية (مخطوطة عبد الوهّاب بن محمّد أحسن المتميّز بضحيان) ص ص 323 - 325 . وعن رأي محمد بن العفيف ابن الوزير ؛ قارن بتاريخ بني الوزير (مخطوطة الجامع الكبير بصنعاء) ق 5 . أمّا السيد حميدان بن يحيى (النصف الأول من القرن السابع) فينفي أن يكون الحسين بن القاسم قال إنه المهدي (قارن بنشرتنا لكتابه : بيان الإشكال - في الملحق الثالث) ، وكذا يفعل السيد أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي (- 1055 هـ) في اللّالي المضية (مخطوطة ضحيان) م 2/ص 145 - 146 . وقارن بأحمد عبد الله عارف : مقدمة في دراسة الاتجاهات الفكرية والسياسية في اليمن فيما بين القرنين الثالث والخامس الهجريين ، نشر المؤسسة الجامعية ، بيروت 1991 ، ص 186 - 187 .

الملحدين ، وكتاب الرحمة ، والردّ على مَنْ أنكر الوحيَ بعد خاتم النبيين ، والولاء والبراء . . . الخ . وكان يمكن التحقق من غُلُوّه أو عدمه من مؤلفاته لولا أنها نُظِّفت من قبل وربما في عصر الشريفين ابني عمّه لأنّ المتوكّل على الله أحمد بن سليمان (- 566 هـ) يأخذ عليه من ضمن ما يأخذ تسمية أحد كتبه بالمعجز⁽¹⁾ ، بينما المعجز كتابُ الله وحده . وأخذه عليه التسمية فقط يدلُّ على أنه لم ير في الكتاب في عصره ما يزعج أو يثير القلق غير الاسم . والكتاب - أو ما بقي منه - بين أيدينا اليوم هو بالفعل غير مشكلٍ إذ اسمُه الكامل : « كتاب المعجز الباهر في العدل والتوحيد لله العزيز القاهر » - وهو عبارة عن إجاباتٍ على أسئلةٍ عن وجود الله ، وذاته ، وصفاته ، على طريقة البغدادية من المعتزلة ، ويعنفُ يذكرُ من بعيدٍ بأسلوب القاسم بن إبراهيم في الكتب المنسوبة إليه . فالظاهر أنّ الكتاب نُظِّف وتعرّض للحذف والاختصار قبل انتشاره فما استطاع الخصوم الاستناد إلى غير اسمه في الحطّ على الحسين بن القاسم . وربما استناداً إلى عنوان هذا الكتاب بالذات ، كان ذهابُ مَنْ ذهب إلى أنّ الحسين زعم أنه أفضلُ من رسول الله ﷺ ، وأنّ كلامه « أبهرُ » من كلام الله ، ومعنى « أبهر » عندهم : أي أقطع للخصوم الملحدين من كلام الله ! وهناك عنوان كتابٍ آخر من بين كتبه هو : « الردُّ على مَنْ أنكر الوحيَ بعد خاتم النبيين »⁽²⁾ . ويبدو أنه على أساسٍ من هذا الكتاب قال عنه محمد بن العفيف ابن الوزير (وهو غير مُعَادٍ له ولأسرته إذ ينوّه بأن جدته لأبيه عاتكة بنت محمد بن إبراهيم من ولد علي بن القاسم بن علي العياني) : « وعرض معه اختلالٌ لأجله صدرت منه أفعالٌ وأقوالٌ لا تصدرُ من العقلاء . فادّعى أنه أفضلُ من رسول الله ﷺ ، وأنّ كلامه أبهر من القرآن ، وأنه يُوحى إليه في المنام . . . »⁽³⁾ .

(1) الحكمة الدرية ، ص 323 : « . . . وألّف في التوحيد كتاباً وسماه كتاب المعجز - وهذا أول الخطأ في تسمية الكتاب لأنّ المعجز كتاب الله . وكان أكثر ما فيه أنه احتجّ على عبّاد الدهرية . . . ثم قال بعد ذلك إنّ العرش هو الله . . . ! » . وقارن بالملحق الثاني .

(2) هذا هو اسم الكتاب في المخطوطة التي بين أيدينا . لكنّ السيّد حُميدان يسمّيه في « بيان الإشكال » (الملحق الثالث لهذه النشرة) : « كتاب الردّ على مَنْ أنكر الوحي في المنام » !

(3) تاريخ بني الوزير ، ق 15 .

ومع شدة اختصار الكتاب فيمكن التبيين منه فعلاً أن الوحي في نظره عدة أنواع⁽¹⁾ :
« فمَنْه ما يكون على ألسن الملائكة المقربين ، ومنه ما يُخلَق في أَسْماع المرسلين ،
ومنه ما يُقَدَّف في القلوب ، ومنه ما يُرى في المنام . . . » . وهو ينفي إمكان
الخطاب عن طريق الملائكة بعد خاتم النبیین ، كما ينفي إمكان الخلق في الأسماع
بعد النبي محمد ﷺ أيضاً⁽²⁾ : « وأما الوحي الذي جعله الله في المنام فلا ينقطع
أبداً عن أهل الفضل والإسلام . ولأئمة الهدى من ذلك ما لا يكون لأحد من
المخلوقين . ولا يمكن أن يُلقى إلى أحد من المؤمنين لأن الأئمة شركاء النبيين
وفي ذلك ما يقول أمير المؤمنين الهادي إلى الحق المبين عليه صلوات ربّ
العالمين ، بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء
من ستة وأربعين جزءاً من النبوة . . . » . ثم يتابع متحدثاً عن تجربته الشخصية⁽³⁾ :
« ولقد شاهدنا بحمد الله من عجائب الأسرار المكتوبة ما لو ذكرناه لما صدّق به إلا
من امتحن الله قلبه بالإيمان . وإني لأحتاج إلى الحاجة فأطلبها من مولاي تبارك
وتعالى فأرى في المنام قائلاً يقول : إن حاجتك التي تطلب في موضع كذا
وكذا . . . وربما تحيرت في سبب فأطلب منه البيان فما ألبث في منامي إلا يسيراً
حتى أرى قائلاً يقول : قد استجيبَت الدعوة . . . ! » .

وتبدو قسوته ومزاجيته في كثرة الناس الذين قتلهم بين عامي 401 و 404 هـ .
وبينهم أناس من أعقاب الهادي ، كأنما ليقضي على منافسيه من بينهم . ويذكر
يحيى بن الحسين تخريبه لدور كثيرة بصنعاء وصعدة ، وحملته على رجال وعشائر
كانوا من أنصاره في الأصل⁽⁴⁾ . ويذكر المتوكل على الله أحمد ابن سليمان

(1) كتاب الرد على من أنكر الوحي بعد خاتم النبيين ، ص 345 - 346 .

(2) المصدر السابق ، ص 346 .

(3) المصدر السابق ، ص 346 .

(4) يحيى بن الحسين بن القاسم : كتاب أنباء الزمن في تاريخ اليمن (مخطوطة العلامة السيد محمد بن
محمد المنصور بصنعاء) م 1/ص 143 ، 144 - 145 . يقول يحيى بن الحسين (ص 145) :
« وقد كان بعض البلاد خالفت عليه لما عقد سيره إلى الهان ، فلما عاد فعل بهم ما لم يفعله إلا
الظلمة ، ولزم مشايخهم وصلبهم منكسين ، ووهب خيلهم وسلاحهم للشيعه ، وألزم جماعتهم
الجزية وقبضها منهم . وسار إلى صعدة في جيش عظيم فخرّب دورها . . . » . وقارن بغاية الأمانى =

(- 566 هـ) قصة وقعت له مع إمام مسجد الهادي بصعدة المحسن بن محمد بن المختار ، أحد أعقاب الناصر تصب في مصب التطرف الذي عُرف عنه . فقد بلغه عن المحسن أنه ينعي عليه سوء تصرفه وقسوته ، وينصح بالتورع والتواضع في الدعوى العلمية ؛ فأجابه الحسين شاتماً ولاعناً وزاعماً أن كتاباته أكثر وضوحاً وإقناعاً من الإنجيل والتوراة والقرآن⁽¹⁾ . وعندما طلق إحدى نسائه فعمدت إلى الزواج من جديد ، انتزعها من زوجها محتجاً بقوله تعالى في نساء النبي : ﴿ وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ، ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً ﴾⁽²⁾ . هذا الغلو البادي في الأقوال والتصرفات دفع مسلماً للحجبي - خصم الشيعة الحسينية لا خصم الأشراف القاسميين - إلى الزعم بأن المهدي الحسين بن القاسم ووالده المنصور كانا يريان أشياء تقضي بمخالفتهما لمذاهب أسلافهما ، وأنهما ربما يسترجحان أشياء من مذهب الفاطميين⁽³⁾ . على أن المعروف أن الإسماعيلية لا يقولون بمهدي منتظر ؛ وإن كانوا يرفعون القائم من أئمتهم إلى مراتب

= ليحيى بن الحسين ، م 1/ص ص 235 - 239 . والفروق ضئيلة بين « أنباء الزمن » و « غاية الأمان » مع أن السائد أن الغاية اختصاراً للأنباء مما دفع الأستاذ ماديلونغ للقول إن نسخة برلين من أنباء الزمن مختصر أيضاً (قارن بالحاوية في ص 12 من مقاله المترجم في التمهيد) . ويذكر ابن العفيف في تاريخ بني الوزير (ق 106) قصة قتل الحسين بن القاسم لمحمد بن القاسم بن الحسين الزيدي الناصر عليه مستهجنات ؛ وبخاصة قوله بعد الواقعة : « إنما ضلّت بأوباش على أوباش » ! .

(1) الحكمة الدرية ، ص 323 - 324 : « وهذا الكتاب صحيح منه . وهو في أيدي أصحابه إلى اليوم . وهو أيضاً عندنا في كتب بني الهادي . . . المبتدأ والجواب ، ولا يمكن نفيه عنه لتواتر الأخبار ، ولقرب العهد ، ولإجماع المخالف والمؤلف أنه منه . . . » . وفي حقائق المعرفة ، ق 251 أ أن المحسن كتب إليه يسأله عن مسائل ، وينهاه عن أمور فأجابه ذلك الجواب . وقارن بالملحق الثاني لشرة السيرة .

(2) حقائق المعرفة ، ق 251 أ . والآية في سورة الأحزاب/ 53 . وربما كتب لهذا السبب كتابه الأكفاء (في مخطوطة الهاشمي بضحيان ، ص 343 - 345) ؛ وهو يقيم فيه الكفاءة على أساسي : المنصب والدين ، ويتهدد من يخالف ذلك في منطقة سيطرته بالنكال : « . . . ومن لم يزدجر من أولئك بآدابنا وكلامنا فسنرده إلى الحق بسيوفنا ورماحنا . وقد عرّضت لمن عقل بالتلويح قبل المباشرة والضرب والتصريح . فمن قبل ما أمرنا به من حكم القرآن والآقتلته بحد السيوف والمران . . . ! » .

(3) ليس فيما بين أيدينا من تاريخ مسلم تصريح بذلك بل هناك اتهام لبعض المتظاهرين بالتعصب لمهدي الحسين بن القاسم بأنهم كانوا جواسيس للإسماعيلية لفتنة عوام الزيدية (قارن بالملحق الأول ، ص ؟) . لكن الزحيف ، محمد بن علي بن يونس (- 916 هـ) ينقل ذلك عن مسلم (في اللواحق =

من الخشوع والتقدير والطاعة لا تعرفها الزيدية على الإطلاق . ويكون علينا هنا أن لا ننسى أن الحسين ابن القاسم جاء على رأس القرن الخامس ، ورؤوس القرون يظهر عليها وفيها المجددون والمهديون ، وأصحاب الأحلام الكبرى في تاريخنا كله . والشبه قوي بين الحاكم بأمر الله (386 - 411 هـ) الخليفة الفاطمي المعاصر بمصر ، والحسين بن القاسم باليمن . فكلاهما وصل للسلطة وهو فتى صغير . وكلاهما ووجه بمعارضة قوية من الطامعين بالسلطة . وكلاهما أحس بالغربة في محيطه فغاص في عالم خاص به بدت آثاره في تصرفاته . وكلاهما كان قاسياً ، متقلب المزاج ، بالغ العنف مع الخصوم والأصدقاء . لكن النظرية الإسماعيلية في الإمامة والأئمة تملك من إمكانيات المضي والغلو ما لا يتوافر حتى في حده الأدنى في الإمامة عند الزيدية . ومن هنا وصل الحاكم إلى ادعاء الألوهية - أو قيل ذلك عنه⁽¹⁾ ، بينما لم يتجاوز الحسين بن القاسم تلميحات وخواطر كان لا بُد أن يستعيرها من الفرق الشيعية الغالية لانعدامها في الفرقة الزيدية ، ولتشدد أهل اليمن

= الندية للحدائق الوردية ، أو مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار ، مخطوطة ضحيان ، ص 178) ، وبأخذ ذلك عنه الشرفي (- 1055 هـ) في اللآلي المضية (مخطوطة ضحيان ، م 2 ، ص 145) . فربما ذكر مسلم ذلك في القسم الثالث الضائع من تاريخه . وقارن بأئمة اليمن للسيد محمد زبارة 85/1 . ويذكر يحيى بن الحسين في أنباء الزمن م 1/ص 144 أن الحسين بن القاسم أغار على صنعاء مع أخيه عام 402 هـ : « فهدم دوراً لأهل صنعاء ، واصطفى أموالهم ، وأخذ أخماسها موافقة للعبيدية . . . » .

(1) الدراسات حول الحاكم بأمر الله كثيرة ، وهي تختلف اختلافاً شاسعاً في تفسير تصرفاته خلال فترة حكمه ، كما تختلف في تفسير وتأويل حداثته أو مقتله . وأحدث تلك الدراسات وآخرها اثنتان ؛ إحداهما : ليوسف فان أس J. van Ess بعنوان : الأحلام النشورية ومغامرة التأله : الخليفة الحاكم (386 - 411 هـ) (هايدلبرغ / بالألمانية / 1977) . وهو يوافق فيها مذهب القائلين بادعاء الحاكم للألوهية لعلتين : الإمكانيات الكامنة لذلك في النظرية الإسماعيلية ، وانتظارات الناس والقرانات الفلكية على رؤوس القرون . والثانية : لهاينز هالم H. Halm بعنوان : أمين الله في الأرض : مراسيم الخليفة الحاكم (مجلة Der Islam م 63 ، 1986 ، ص ص 11 - 72) وهو يذهب إلى استبعاد ذلك عنه ، ويحاول بالرجوع إلى المصادر الأصلية المعاصرة أو شبه المعاصرة له ، إثبات وجود سوابق كثيرة لدى الفاطميين لمثل تصرفاته ؛ وإن تكن كثافة تلك التصرفات تشي بإمكان وجود تشكك وخوف مريضين لديه تجاه محيطه للظروف التي أحاطت بسني وصوله الأولى إلى السلطة في صغره ؛ بالإضافة إلى نزعة متأصلة لديه للزهد والتطهر والسياسة ، وإحساسه الحاد بأنه « خليفة الله » والمؤمن على الناس ، والراصد لهم عن التردّي في مهاوي الغفلة والفساد .

في الارتباط بالهادي ومذهبه . فبينما يشكّل كل حاكم أو إمامٍ جديدٍ عند الإسماعيلية عهداً جديداً تماماً يستطيع فيه أن يفعل ما يشاء ، ويذر ما يشاء ، فإنّ زيدية اليمن ما كانوا وقتها يسمحون بالخروج على مذهب الهادي في الأصول والفروع . والمعروف فيما استقرّ عليه الأمر منذ القرن الثالث الهجريّ أنّ المهديّ لا يموت قبل أن يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، لكنه عند بعض محدّثي أهل السنة والجماعة أمانة من أمارات يوم القيامة ؛ بينما هو عند الشيعة الإثني عشرية الإمام الثاني عشر ، الذي لم يمت ، بل غاب غيبةً كبرى ، ويعود ليملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً . لذلك كان من المنطقيّ - ما دام من المرجّح أنّ الحسين ادّعى المهديّة - أن يذهب أتباعه إلى أنه لم يمت وإنما غاب امتحاناً وابتلاءً . فإذا كانت في أفكاره بعض وجوه الشبه بالفكر الإسماعيلي - كما تنبّه لذلك مسلمٌ اللحجي -؛ فإنّ فكرة الغيبة ليست إسماعيلية⁽¹⁾ بل هي من تراث الشيعة الإثني عشرية .

* * *

بدأ الإنكارُ على المهدي الحسين بن القاسم في حياته من جانب بعض علماء اليمن ، والأشراف من أتباع مذهب الهادي⁽²⁾ . ثم نعرفُ حملة مسلمٍ اللحجي المفكّر والمؤرّخ والمطرّف على اعتقادات العيانيين ، وشيعتهم الحسينية . وقد أورد

(1) يورد هاينز هالم في دراسته السالفة الذكر (قارن بالملاحظة رقم 26) (ص 72) نصاً درزياً يقول إنّ الحاكم غاب ولم يُقتل : « اعلّموا أنّ غيبتني عنكم غيبةً امتحاناً » . بل إنّ هناك نصاً إسماعيلياً (وليس درزياً لأنّ الحاكم يُسمّى فيه : وليّ الله - ولا تُدعى ألوهيته) انتشر في القاهرة بعد اختفائه يقول إنه غاب بسبب معاصي الناس ، وفقد الأعوان على الحقّ (قارن بدراسة هالم ، ص 11 ، حاشية رقم 1 ، و ص 70) . ولذا ربما كان هناك تيارٌ جانبي ضمن إسماعيلية مطالع القرن الخامس يقول بالغيبة والرجعة . والطريف التشابهُ الواضح في تعليل الغيبة بين النصّين السالفين ، ونصّ مفرّج بن أحمد في السيرة (ق 6) : « لمّا كان من غيبة إمام العصر وصاحب الدهر المهديّ لدين الله الحسين بن القاسم . . وكان امتحاناً لأولياء الله ، ونقمةً على أعداء الله . . بقي الناس في ظلمةٍ وفتن . . » .

(2) يذكر الشرفي في اللآلي المضية (مخ. ضحيان، م 2/ ص 145 - 146) نقلاً عن مسلمٍ اللحجي أنّ الداعي الباطني حسين بن عامر بن طاهر الحميري كان بين أوائل من أنكروا على الحسين ؛ فقال من قصيدة :

يا مدعي الوحي إنّ الوحي قد خُتّمَا
بالمصطفى فأمط عن نفسك الوهما
وليس للحسين بن عامر ذكرٌ بين دعاة الفاطميين باليمن ؛ قارن : الصليحيون ، ص 59 - 60 .

المتوكل على الله أحمد بن سليمان مآخذ عدة على الحسين في « حقائق المعرفة » و « الحكمة الدرية » عقب عليها بالقول : « . . . وبأقل قليل مما تكلم به تسقط إمامته اللهم إلا أن يكون الكلام مكذوباً عليه »⁽¹⁾ . ويذكر حميد المحلي (- 652 هـ) في « الحقائق الوردية » أنه ألف رسالة في ذم غلو الحسينية عنوانها : « الرسالة الزاجرة لذوي النهى عن الغلو في أئمة الهدى »⁽²⁾ . والملاحظ من العنوان أنه يحمل فيها على الحسينية وليس على المهدي الذي يعتبره من « أئمة الهدى » ويثني على كتبه . أما السيد حميدان (من النصف الأول من القرن السابع) فقد خاض مهمة أصعب عندما ألف رسالة بعنوان : « كتاب بيان الإشكال فيما حكي عن المهدي من الأقوال » وصلت إلينا ضمن مجموعته المعروف⁽³⁾ . وهو يعمد إلى كتب المهدي الحسين فيقتبس منها ما يدل على حسن إسلامه ، وغيرة علمه وهديه ؛ ذاهباً إلى أن الأقوال الغالية المنسوبة إليه ؛ إما أنها ممكنة التأويل ، أو أنها من تشويه خصومه ووضعهم . وقد أشار المهدي نفسه إلى إمكان تشويه أقواله ومقاصده في حياته فكيف بالأمر بعد مماته ؟ ! لكن السيد حميدان لا يرى أفضلية المهدي على « السلف » من أئمة آل البيت . وقد وضعنا رسالة السيد حميدان ملحقاً للسيرة لذا نعود لتحليلها بالتفصيل فيما بعد .

ولا تخرج معلومات نشوان بن سعيد الحميري (- 552 هـ) كثيراً عما أورده الآخرون من قبل ومن بعد عن الحسين المهدي والحسينية . ويبدو أن الأكثرين يستندون في ذلك إلى مسلم اللحجي والمتوكل على الله أحمد بن سليمان ، ونشوان . يقول نشوان⁽⁴⁾ : « ومنهم - أي من الزيدية - فرقة يُقال لها الحسينية يقولون إن الحسين بن القاسم . . . حي لم يمُت ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً ، وأنه

(1) حقائق المعرفة ، ق 252 أ . وقارن بالحكمة الدرية ، ص ص 323 - 325 . وقد نشرنا نصي أحمد بن سليمان كملحق ثانٍ آخر السيرة .

(2) الحقائق الوردية 2 / 64 .

(3) قارن عن السيد حميدان ورسالته ما يأتي بعد في سياق المقدمة .

(4) الحور العين ، ص 208 ، 211 . وانظر فيما بعد نصاً في تاريخ بني الوزير (ق 106) يفيد أن والد نشوان ونشوان - في بدء أمره - كانا من الحسينية !

القائم المهدي المنتظر عندهم . وكان قُتل يوم السبت الرابع من شهر صفر سنة أربع وأربعمائة . وكان مولده في سنة ثمانى وسبعين وثلاثمائة ؛ قتلته همدان في موضع من أعمال صنعاء . ويقولون في الحسين هذا إنه أفضل من رسول الله ﷺ ، وإن كلامه أبهر من كلام الله . ويروون أن مَنْ لم يقل بقولهم هذا فيه فهو من أهل النار . ثم افترقوا فرقتين ؛ فرقة تزعم أنه يأتيهم في السر ولا ينقطع عن زيارتهم في حال مغيبه ، وأنهم لا يفعلون شيئاً إلا بأمره . وفرقة تبطل ذلك ؛ ويقولون إنه لا يُشاهد بعد الغيبة إلى وقت ظهوره وقيامه وإنما يعملون بما وضع في كتبه . الجديد عند نشوان قسمته الحسينية (ربما في عصره) إلى فرقتين . وسيرة مفرح بن أحمد لا تشير إلى شيء من ذلك . لكن مسلماً اللحجي يذكر في تاريخه ما يُشعر بذاك الانقسام ؛ فهو يذكر شريفاً اسمه يحيى بن عياش الرسي القاسمي ، وآخر اسمه محمد بن إبراهيم الصبري ، كانا في عهد ولاية الشريف جعفر بن محمد بن جعفر بن القاسم على شهارة يزعمان ظهوره لهما . وقد اختص الشريف ابن عياش بالقول إنه يظهر له أيضاً الخضر وعيسى بن مريم⁽¹⁾ : « وكان قد استعمل استعمالاتٍ واحتال بحيلٍ قبلها القوم من عوامّ الحسينية ؛ ولم يلتفتوا مع ذلك إلى تكذيب مَنْ كذبه من الأشراف والشيعة ، وما قالوا فيه من الشعر لا سيما أمير شهارة يومئذ جعفر بن محمد بن جعفر بن القاسم بن علي . . . وكان ابن عياش قد واعد الناس لظهور المهدي الحسين بن القاسم وقيامه بالأمر وقتاً عرفه إليهم ببيضاض المطو - يعني عذق الذرة وهو سنبلتها - . فمضى ذلك الوقت ولم يروا شيئاً مما قال فكذبه بعض . . . والمعروف أن نشوان الحميري نفسه اشتبك مع الأمير عبد الله ابن القاسم بن جعفر في نزاعٍ حول حياة المهدي ورجعته اللتين نفاهما الحميري . وقد تهدده الشريف بالموت فاعتذر نشوان بأن أبيات الذمّ للمهدي ليست له ؛ لكنه لم يخفِ عدم إيمانه برجعة الحسين بن القاسم⁽²⁾ .

(1) تاريخ مسلّم اللحجي م 4/ص 256 ، 260 . وقارن بنصوص مسلّم في ذلك في الملحق الأول لنشرة السيرة هذه .

(2) تاريخ بني الوزير ، ق 106 ، واللواحق الندية على الحقائق الوردية للزحيف ، مخطوطة ضحيان ، ص 177 - 178 ، واللائي المضية ، م 2/ص 232 - 233 ، ومطلع البدور لابن أبي الرجال =

أمّا أوسع المعلومات عن مصائر الشيعة الحسينية في جيلها الثالث ، أي في النصف الأول من القرن السادس الهجري ، فيملكها مسلّم اللحجي في الجزء الرابع الباقي من تاريخه . ولذا نعود إليها بالتحليل فيما بعد وننشر فقراتٍ منها كملحق أول مع نصوص مفرّح بن أحمد وحُميدان وأحمد بن سليمان .

III

ويريد يحيى بن الحسين (- 1099 هـ) إرجاع النزاع بين الهادوية والأشراف العيانيين إلى أيام القاسم بن علي العياني ، أي قبل ظهور فكرة مهدية الحسين بن القاسم .

يقول يحيى بن الحسين في « طبقات الزيدية »⁽¹⁾ : « القاضي عبد الملك بن غطريف الصائدي . ممن عاصر الإمام القاسم بن علي العياني . وهو الذي كاشف الإمام بالنكر ، وتخلّف عن إمامته هو ومن تبعه ؛ وذلك بسبب مخالفة القاسم في مسائل الفروع للهادي . لأنّ الزيدية كانوا يعتقدون في ذلك الوقت أنّ المصيب في الاجتهاديات واحدٌ والحقّ معه إلى زمن المتوكّل على الله أحمد بن سليمان . . . » . وقد يكون فيما ذكره يحيى بن الحسين بعض الحقّ . لكنّ الواقع أنّ الزيدية مذهباً ودولةً كانت قد تضاءلت وانكششت منذ وفاة الناصر أحمد

= م 4/ص 225 - 226 . وفي طبقات الزيدية ليحيى بن الحسين (1/171) ذكرٌ للشريفيين عبد الله بن جعفر بن القاسم و « صنوه سليمان بن عبد الله بن جعفر بن القاسم (?) » وأنهما كانا من سكّان الأهنوم ، وعاصرا الإمام المنصور بالله ، وبايعاه وأطاعاه . وفي اللآلي المضية م 2/ص 229 ذكرٌ لشريف اسمه فليته من الأشراف القاسميين ، ادّعى الإمامة أيام المتوكّل أحمد بن سليمان فغيّره الأمير الحسين بن بدر الدين بمخالفة مذاهب آبائه في القول بمهدية الحسين بن القاسم ! والمعروف أنه أسر الإمام بعد ذلك (ص 229) .

(1) طبقات الزيدية 1/63 . وفي تاريخ مسلّم م 4/ص 284 : « والذي كان عليه مشايخ في عصره (عصر أبي السعود ابن المنصور بن أبي ثور ، النصف الأول من القرن الخامس الهجري) ، تقليد الهادي إلى الحقّ عليه السّلام في الفقهيات لا يعرفون غير مذهبه ، ويستنكرون التصويب لغيره » . والطريف ما يذكره ابن الوزير من أنّ الحسين بن القاسم نفسه « كان إذا مرّ بقبر أبيه ركضه برجله وقال : هو خالف مذهب الهادي ! » (تاريخ بني الوزير ، ق 106 أ) .

عام 322 هـ . ولم يخرج من أعقاب الناصر من استطاع إثبات وجوده حتى أواخر القرن الرابع . وعندما استدعت القبائل القاسم العياني - في عملية تشبه استدعاء الهادي من قبل - كانت اليمن تغصُّ بثوار آل الهادي الذين لم يحظوا بأيّ نجاح . ورغم أنّ العيانيّ ما استطاع فعل الكثير بسبب قصر مدّته ؛ فلا شكّ أنه اعتُبر ناجحاً تماماً مقارنةً بالخارجين السابقين والمعاصرين . ونحسب أنّ هذا كان السبب الرئيسي لنزاعات القاسم العياني وأولاده وأحفاده مع آل الهادي وهادوية الزيدية . فقد أسّس العيانيّ أسرةً حاكمةً استمرت حتى أواخر القرن الخامس تلعب دوراً ملحوظاً في السياسات بشمالي اليمن .



وعانت البلاد اليمنية كلّها من فوضى ضخمة في النصف الأول من القرن الخامس الهجري ، لسقوط الدويلات القوية بالتهائم وأعماق الجنوب ، واستشراء الفوضى القبلية في الشمال .

يقول صاحب « أنباء الزمن »⁽¹⁾ : « من سنة 405 إلى سنة 448 هـ عمّ الخرابُ صنعاء وغيرها من بلاد اليمن لكثرة الخلاف والنزاع وعدم اجتماع الكلمة الواحدة . . . وأظلم اليمن وكثرُ خرابُهُ وفسدت أحواله . . وكانت صنعاء وأعمالها كالحرقة ، لها في كلّ سنةٍ أو شهرٍ سلطانٌ غالبٌ عليها ، حتى ضعُفَ أهلُها وانتقلوا إلى كلّ ناحية . وتوالى عليها الخراب وقلّت العمارة في هذه المدة حتى أصبح عددُ دورها ألف دار بعد أن كانت مائة ألف دار في عهد الرشيد . . . إلّا أنّ صنعاء تراجعت بعضَ التراجع في زمن الصليحيين لما اجتمع لهم مُلك اليمن » . وزاد الطين بلةً استشراء القحط والمجاعات ، والتخريب القبلي والسلطوي المتبادل للحياتين الحضريّة والريفية في غزوات الاستعادة ، وإغارات السلب والنهب . وبسبب من ذلك كلّهُ وُفق علي بن محمد الصليحي الذي أعلن الدعوة للفاطميين عام 439 هـ إلى اكتساح أكثر أجزاء اليمن في وقتٍ قصيرٍ . فقد كان عمادُ جيشه من المؤمنين بالدعوة الإسماعيلية ؛ لا من المرتزقة أو القبائل المتقلّبة الولاء . ومع أنه

(1) أنباء الزمن م 1/ص 146 - 147 . وقارن بغاية الأمانى 240/1 .

كان همدانياً من بطن الأصلوح ؛ لكنه اصطدم في بدايات دولته ، وهو يحاول بسط سلطته على البلاد ببطون همدان الكبرى ، وبعض بطون حَمِيرَ وخولان والحارث . وكانت وطأته على همدان بالذات بالغة الشدة ؛ رمى من ورائها إلى كسر شوكتها وإخضاعها تماماً لسيطرته . وهكذا خاض معها ومع حلفائها ثلاث معارك في سِنِي حكمه الأولى . وكانت آخر تلك المعارك (وقعة صَوف) أقساها عليها إذ افتتح الصليحيُّ بعدها صنعاء التي كان أميرها الهمداني أبو حاشد بن يحيى بن أبي حاشد قد قُتِلَ فيها مع ألفٍ من شجعان فرسان همدان وأشرافهم من مختلف البطون . يقول مفرّج بن أحمد في « سيرة الشريفين »⁽¹⁾ : « ونزل بالناس بلاءٌ عظيمٌ ، وخطبُ هائلٌ جسيم . . . » . ويقول مسلمٌ اللحجي⁽²⁾ : « . . . كانت وطأة الصليحي على همدان وطأة المتناقل حتى لم يَذَرْ لهم طَباخاً لأنهم كانوا أهمَّ أجناد اليمن عليه لوجوه ؛ أحدها : لشدتهم وفراستهم وشموخ أنوفهم عن الخضوع للملوك حتى أن الملوك لتُداريهم ، وتقبل المسالمة منهم ، وتحمل إليهم الجوائز والأموال الجمّة من زبيد وغيرها من ممالك شيعة بني العباس باليمن وغيرهم من المتغلبين على المخاليف . . . » . ثم يعودُ مسلمٌ للمقارنة بين وضعهم تحت وطأة الصليحي ، وأوضاعهم السابقة فيقول⁽³⁾ : « . . . فأخبرني مسعود قال : أدركتُ همدان قبل خروج الصليحي ودعوته وهم ألف فارس في صنعاء والبون وأعمالهما غير وادعة وبكيل ويام وحجور . وأدركتُ عنساً وهم ألف فارس أيضاً ، وبني الحارث بالرحبة وفيهم خمسمائة فارس . . . فلم يَزَلْ الصُّليحي بهم حتى تركتهم دولته رحمةً للعالمين ، وعبرةً للناظرين . وقسّم ابنه بعده بلاد همدان وبلحارث والأبناء وعنس بين جنب وسنحان ونهد والحجازيين ، وبين (من) كان من همدان من جنده » .

ويعلّلُ هذا كلّهُ مصير تلك القبائل للتحالف مع الأشراف القاسميين في محاولاتها للتّأر من بني الصُّليحي واستعادة أرضهم وبلادهم التي سُلِبَت منهم⁽⁴⁾ .

(1) السيرة ، ق 17 .

(2) تاريخ مسلم ، م 4 / ص 14 - 15 . وقارن بص 174 .

(3) تاريخ مسلم ، م 4 / ص 15 .

(4) السيرة ، ق 13 ب .

لكننا نعلم أنه كانت للأشراف القاسميين آنذاك عصبيتهم الخاصة المتمثلة في الشيعة الحسينية . ونعرف الآن من أخبار مسلم الكثرة عنهم أن المؤمنين بمهدية الحسين ورجعته في الجيل الأول كانوا في الأكثر من وادعة (من خولان)⁽¹⁾ . أما من بين الأشراف فقد انحصر الأمر في أعقاب القاسم بن علي العياني ، وشريف اسمه عيسى بن عيَّاش الرّسّي القاسمي يذكره مفرّح في « السيرة » بين أوائل أنصار القاسم بن جعفر ، ويذكر مسلم اللحجي ابنه يحيى بين الشيعة الحسينية بعد ذلك بخمسين عاماً⁽²⁾ . وكنا من قبل قد تحدّثنا عن الأسباب التي قد تكون كامنة وراء اعتقاد الحسين ابن القاسم لمهديته ؛ أما دوافع أنصار الفكرة من بين أفراد أسرته ، وبعض البطون القبليّة فقد تكمن في بعض خصوصيات شخصية الحسين بن القاسم نفسه ؛ فقد قدّمته الأسرة على أخيه الأكبر جعفر بعد والده رغم صغر سنّه ؛ وتُظهر أخبار مسلم اللحجي عنه⁽³⁾ - من خلال ذكريات أتباعه على الأقل - أنه كان يتمتع بشخصية كارزمية تثير الإعجاب والانجذاب من بعض فئات الناس . والمعروف أن القاسم بن علي العياني نفسه عانى من تجذّر تقاليد السلطة والمذهب باليمن في أعقاب الهادي والناصر ؛ فكان لا بُدّ من تأسيس آخر للقاسميين خاصّ بهم يستطيعون بناءً عليه تثبيت دعائم سلطانهم الديني والسياسي .

(1) جاء في السيرة ، ق 99 ب ضمن كتاب لذي الشرفين : « وأما بلد وادعة الصريمي منهم والآخر فأكثرهم شيعتنا ومحابنا . وبينهم المنازل والأموال . وأكثرنا عندهم من قديم وحديث حال . . . » . وقارن عن ديار وادعة : صفة جزيرة العرب للهمداني (نشرة الأكوع) ص 225 - 226 .

(2) قارن بنصّ مسلم في الملحق الأول ، ص 336 . وفي تاريخ بني الوزير (ق 5) أن القاسم بن علي العياني أعقب خمسة أولاد : علي ، وسليمان ، والحسين ، وجعفر ، ومحمد . أما أعقاب علي فكانوا في القرن الثامن بهجرة دار معين بالقرب من صعدة - وقد انقرضوا . وأما أعقاب سليمان فكانوا بخيوان . وأما الحسين بن القاسم (المهدي) فلم يُعقب غير ابنتين . وأما جعفر بن القاسم فله أولاد منهم أحمد بن جعفر جدّ أهل براقش - وابنه القاسم بن جعفر له عقبٌ منهم بعض أهل غربان (؟) . وأما محمد بن جعفر فمِن أولاده أكثر أهل غربان وشهارة ، وقبره بشهارة . . . » . ويذكر ابن الوزير (التاريخ ، ق 106 ب) أميراً اسمه فليته بن القاسم لزم (= أسر) المتوكل أحمد بن سليمان بأثافت وكان من الحسينية . ويذكر المتوكل أحمد بن سليمان (في الحكمة الدرية ، ص 325) شريفاً اسمه القاسم بن محمد بن القاسم بن جعفر « زعم أنه يشافه المهدي ويكاله » .

(3) قارن بالملحق الأول للسيرة ، ص 330 وما بعدها .

لكنَّ العصبية الشيعية الحسينية وحدها لم تكن كافيةً لقيادة حركةٍ سياسيةٍ ناجحةٍ لضالَّة انتشارها ، ومقاومة آل الهادي والزيدية الهادويين لها . وقد أثبتت ذلك المواجهة العنيفة بين الصليحيين وأصحاب الشريف الفاضل من الحسينية حول حصن « الهِرابَة » الذي حاصره الصليحيون ، وأرغموا من خلاله الشريف علي الاستسلام رغم المقاومة البطولية للمحاصرين⁽¹⁾ . بل إنَّ الشريف الفاضل نفسه عبَّر في مناسباتٍ عدَّةٍ عن اقتناعه بعدم إمكان القضاء على الصليحيين بهذه الثلَّة من الأنصار⁽²⁾ . وقد اضطرَّته هزيمة « الهِرابَة » لمغادرة اليمن لسنواتٍ عدَّةٍ ؛ ولم يتجدَّد أمله بإمكان مقاتلة الصليحيين بفعاليةٍ إلَّا بعد مقتل علي بن محمد الصليحي عام 459 هـ ، وإقبال همدان وحمير عليه لقيادتهم في استعادة أرضهم وكرامتهم . ولم تُظهر سنواتُ غياب الشريف الفاضل وأخيه ذي الشرفين عن المسرح السياسي باليمن (451 - 459 هـ) بين أعقاب الهادي مَنْ يمكن الاعتمادُ عليه فظلَّ الأمر على النحو الذي كان عليه في أربعينيات القرن . يقول مفرَّح بن أحمد - كاتب السيرة - ، وينقلُ عنه ذلك مسلمُ اللحجي⁽³⁾ : « فلَمَّا اشتدَّ البلاءُ عليهم فزِعُوا إلى آل رسول الله صلواتُ الله عليه ، والتمسوا الفَرَجَ من عندهم . فالتمسوا الأفضلَ منهم ، وَمَنْ يُشارُ إليه فيهم ، ووجدوا الفضل في الشريفين الفاضلين الطاهرين الكاملين القاسم بن جعفر بن الإمام القاسم بن علي رضي الله عنه ، وحمزة بن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن ؛ وسألوهما القيامَ فيهم والجهادَ لأعدائهم ، وعقدوا لهما بذلك بَذْلَ النفوس والأموال ، والمُواساة في الإكثار والإقلال ، وأعطوا على ذلك موثيقَ وعهوداً ، وأزِمَّةً وعقوداً » . وقُتل حمزة بن أبي هاشم إبان عودة الشريف الفاضل إلى اليمن في المنوى⁽⁴⁾ فلم يبق غير الأخوين : الشريف الفاضل

(1) قارن بالسيرة ، ق 13 ب وما بعدها .

(2) قارن بنصَّ مسلم اللحجي في ذلك ، المحلِّق الأول . وفي السيرة (ق 12 ب) أنه قال لأحد أنصاره : « لومَلَّتْ هذا الوادي رماحاً ما كان بد القرامطة من ملكه . . . » .

(3) السيرة ، ق 7 أ ، وتاريخ مسلم اللحجي ، م 4 / ص 208 وما بعدها .

(4) يذكر الأستاذ ماديلونغ (نصه المترجم سابقاً ص 20 ، وكتابه بالألمانية : الإمام القاسم بن إبراهيم ، ص 206) ، أن اسم مكان استشهاده : الملوى - لكنَّ سائر المصادر تسمي المكان :

القاسم بن جعفر ، وذي الشرفين محمد بن جعفر .

وكما كان حصارُ « الهِرابَة » عام 448 هـ من جانب علي بن محمد الصُّليحي ذروة فشل القاسميين ، فإنَّ فشَل المَكْرَم ابنه في اقتحام معقلهم بشهارة عام 462 هـ كان ذروة انتصاراتهم .

ويبدو أنَّ الشريف الفاضلَ كان يتمتّع بحسٍّ واقعيٍّ أكثر من أخيه ذي الشرفين . فهو الذي أصرَّ على اتخاذ شهارة معقلًا للأسرة وللشيعة الحسينية ؛ بينما كان ذو الشرفين ما يزال مترددًا خوفًا من كابوس « حصن الهِرابَة » من قبل . وقد أثبتت التجربةُ صدق إحساس الشريف الفاضل عندما حوَّصر الحصن بعدها بعامين دون أن يسقط ، بل إنَّ المحاصرين انهزموا بعد معركةٍ خَلَّفت منهم أكثر من ثمانمائة قتيل . وانطلق الأشرافُ بعدها في حملاتٍ وإغاراتٍ على المناطق الجبلية الواقعة ضمن مثلث : صعدة - حَجَّة - صنعاء ، وهذا أمرٌ مفهومٌ ؛ ففضلاً عن الغنائم التي كانت القبائل تتوقُّ إليها ؛ كان هؤلاء يريدون استعادة ما أخذه منهم الصليحيون أو تثبيت أقدامهم في مواطن جديدة . بيد أنَّ « السيرة » تشير إلى انسحاب الشريفين من أكثر تلك الحصون فيما بعد أو آخر حياة الشريف الفاضل . وحُجَّة الشريفين في ذلك أنَّ الإنفاق كان يفوقُ الواردات⁽¹⁾ . ولم تحدثْ بعد « معركة الرحبة » تحت شهارة مواجهاتٍ مهمةٍ مع الصليحيين رغم أنَّ الشريفَ الفاضلَ - كما يتردَّد في عدَّة مواطن بالسيرة - كان يعتبر ذلك مهمة حياته الأساسية . وربما عاد ذلك إلى اقتناع الشريف القديم بعدم إمكان القضاء على الصليحيين . بل إنَّ « السيرة » تذكر حماس القبائل إحدى المرَّات للهجوم باتِّجاه صنعاء للحصول على غنائم أكبر ، في حين آثر الشريف استعادة بعض نواحي مَسُور⁽²⁾ . بل إنَّ الشريف الفاضل ومن بعده خليفته وأخوه ذو الشرفين عقدا عدة معاهداتٍ للصالح وتحديد الحدود مع الصليحيين⁽³⁾ ،

= المنوى . يقول مسلمٌ اللحجي في التاريخ م 4/ص 213 - 214 : وقتل بالمنوى في بلد بوسان من ناحية الخشب من شرق بلد همدان .

(1) السيرة ، ق 56 ويكرّر مسلمٌ نقل ذلك عن سيرة مفرَّح ؛ م 4/ص 191 ، 211 - 212 .

(2) السيرة ، ق 58 .

(3) قارن بمقدمة الأستاذ مادي لونج ، ص 22 ، وق 31 أ - 31 ب من السيرة .

وازدادت مناطق سلطتهم انكماشاً بعد مقتل الشريف الفاضل إذ لم يبق ذو الشريفين إلا بعملية انتقامية لمقتل أخيه . وهكذا اقتصرت حركتهم في النهاية على المنطقة الواقعة بين شهارة وصعدة . وكان الشريف الفاضل قد قام عام 463 هـ بعملية ذات طابع رمزيّ إذ أخرج الصليحيين من صعدة حمايةً لقبر الهادي ومسجده⁽¹⁾ إظهاراً منه للوفاء لذكرى مؤسس الدولة باليمن ، وتوبيخاً لآل الهادي هناك لموقفهم المتحفظ من أسرته ، وتنبهاً إلى أنه صار حامي حُماة آل البيت باليمن .

بيد أن مواقف الشريفين المترددة من الصليحيين لها ولا شك سبب آخر غير قوة الصليحيين . فالسيرة تشكو باستمرار من تقلب القبائل المقاتلة مع الشريفين في الولاء . وعلينا أن لا ننسى أن قتلة الشريف الفاضل كانوا من نهم عندما كان هو في جوار بني الدعام - والقبيلتان شاركتا بدايةً في كل المعارك تحت قيادتهما . وربما كان ذلك وراء انعزال ذي الشريفين بشهارة بين أنصاره من الحسينية لا يخرج منها إلا نادراً حتى في حياة أخيه . فيبدو أنه بعد الفورة الأولى للصليحيين أيام علي بن محمد ، والسنوات الأولى من سيطرة ابنه المكرم ؛ فإن هؤلاء مالوا للتسويات والتنازلات ليس مع الشريفين فقط ؛ بل ومع القبائل أيضاً . فلم تعد لتلك القبائل دوافع قوية للقتال ما دامت قد استعادت مواطنها وحرّياتها وبخاصة أنها في أكثرها لم تكن من الشيعة الحسينية . لكن المؤرخ مسلماً اللحجي - الذي لم يكن على أي حال صديقاً للشيعة الحسينية - يذكر سبباً آخر لفقر القبائل ؛ بل وتمردّها على آل القاسم أحياناً . فقد كان الشريف الفاضل يفرض عليهم ضرائب ثقيلة بلغت أحياناً - في زمن الحرب - تسعة أعشار أموالهم⁽²⁾ . وفي « السيرة » ما يؤيد مسألة الضرائب وثقلها على الناس من خلال تلك الفتاوى والآثار التي تُوردها « السيرة » عن الشريفين باعتبارها جزءاً من تراث المذهب ، ويقتبس الرجلان بعضها عن الهادي بالذات كأنما ليحتجوا بها على سائر الزيدية⁽³⁾ . ويُورد مفرح بن أحمد في « السيرة » رسالة طويلة كتبها محمد المرتضى بن الهادي إلى الريّان (؟) الهمداني ،

(1) السيرة ، ق 86 ونقل ذلك مسلّم عن سيرة مفرح مُشيداً بالحملة ، م 4/209 وما بعدها .

(2) تاريخ مسلّم ، م 4/ص 190 .

(3) السيرة ، ق 9 ب وما بعدها ، 91 أ وما بعدها .

يعلل له فيها اعتزاله قتال القرامطة بتوقف القبائل عن القتال وعن الإنفاق على الحرب⁽¹⁾. والقياس واضح فهو يضع الأميرين في موضع المرتضى، ويضع شيعة الفاطميين أيامه في موضع القرامطة. أمّا فتوى « التسعة الأعشار » فتوردها « السيرة » عن القاسم العياني وابنه الحسين لكنها لا تذكر إن كانت قد طبقت أم لا⁽²⁾. ويذكر مسلم الحجّي أن القاسميين كانوا قساة وظلمة منذ أيام الحسين بن القاسم. وهو يذكر بالتحديد حوادث جرت مع الحسين والشريف الفاضل، كان أولهما فيها رؤوفاً بالحيوان غير رقيق بالإنسان. أمّا الثاني فكان فيها غليظاً مع أنصاره، غاضباً للطرف عن نهب القبائل وسلبها للناس حتى لو كانوا من الزيدية⁽³⁾. ويتهم مؤرخون آخرون جعفر بن القاسم، والقاسم العياني نفسه بالقسوة الشديدة أيضاً⁽⁴⁾.

وتشيد « السيرة » كثيراً بوزع الرجلين في المال، وتورد في ذلك رسائل ووصايا وأحاديث لهما. ولا تشير بشيء إلى مدى اعتقاد الشريف الفاضل بالذات في حياة المهدي ورجعته. لكن مسلماً للحجّي يذكر قصة عن رجل عنه تفيد اعتقاده بذلك⁽⁵⁾. ثم إنه لم يكن يتدارس مع أتباعه وتلامذته غير كتب الحسين بن القاسم فيما يبدو⁽⁶⁾. ومع ذلك فقد تحفظ في الحديث عن حياة المهدي أمام علي بن محمد الصليحي عندما كان في أسره⁽⁷⁾. أمّا ذو الشرفين فيبدو أنه كان ثابت الاعتقاد في ذلك كما تشير رسائل ووصايا له في « السيرة ». بل إن إحدى وصاياه تذكر ما يفيد أن مصير الصليحيين متروك للمهدي عند عودته سواء أكان ذو الشرفين ما يزال

(1) السيرة، ق 92 وما بعدها.

(2) السيرة، ق 10 أو ما بعدها.

(3) تاريخ مسلم، م 4/ص 208 وما بعدها، وص 266-267.

(4) غاية الأمانى 1/227 وما بعدها.

(5) تاريخ مسلم، م 4/ص 208.

(6) السيرة، ق 28 أ.

(7) السيرة، ق 19 ب. ويقول الهادي بن إبراهيم بن علي بن المرتضى (768-822 هـ) في هداية الراغبين إلى مذهب العترة الطيبين (مخطوطة ضحيان) ص 489: « وطالعت سيرة الأميرين الشريفين صاحبي شهارة فوجدت كلامهما فيها مصرحاً بهذا الاعتقاد، وبقياً عليه إلى يوم المعاد ».

حيّاً أم لا⁽¹⁾ . ولعلّه كان يسوّغ لنفسه بذلك إعراضه عن الاستمرار في مواجعتهم .
أمّا مسلم اللحجي الذي قابل في شبابه الشريف جعفر ابن ذي الشرفين وخليفته ،
وروى عنه عدة أخبار ، فيريد أن يُشعر بأنّ الأمير جعفر لم يكن يعتقد ذلك في قرارة
نفسه⁽²⁾ . لكنّ كان ما يزال هناك شيعةٌ حسيّيون كثيرون أيام مُسلم ، في النصف
الأول من القرن السادس الهجري ؛ وعن هؤلاء واعتقاداتهم الساذجة الباطلة يُفيض
مسلم في الحديث على سبيل التهويل والتشهير والتعجيب⁽³⁾ ! . ويذكر محمد بن
العفيف بن الوزير⁽⁴⁾ أنّ والد نشوان بن سعيد بن أبي حمير الحميري (- 573 هـ)
كان من الحسينية ؛ وكذا نشوان في بدء أمره ، ومن شعره في ذلك آنذاك قوله :

بريتُ إلى الرحمن من كلّ مُدّعٍ لمهديّةٍ غير الحسين بن قاسم

لكنه رجع بعد ذلك « ووقع بينه وبينهم خصامٌ وكلامٌ وأشعارٌ » . وكان من
شعرائهم في النصف الأول من القرن السادس الهجري الجعيد⁽⁵⁾ (؟) صهر نشوان
زوج ابنته ! « وكان أهلُ هذا المذهب من الحسينية منتشرين في كثيرٍ من البلاد
كالظواهر والأودية وشطب والشرفين وصنعاء وبلاد جهة الجيمة . . . وكذلك بلاد
سنحان ومذحج . . . وإن كانوا في بعضها غالبين وبعضها مغلوبين . ومنهم الأمير
فليتة بن قاسم الذي لزم الإمام المتوكّل على الله بأثافت وهو القاتل :

أنا شاهدٌ بالله فأشهد يا فتى بفضائل المهدي على فضل النبي

وطالت مدة أهل هذه المذاهب كانت من زمن الحسين بن القاسم إلى زمن
الإمام يحيى بن حمزة . وحكى الفقيه عبد الله الورد أنه يعرف قبل الفناء الأعظم
(الطاعون) الواقع في سنة أربعين وثمانمائة رجلاً في ثلث من الكبراء يعتقد حياة
الحسين بن القاسم ويرى رأي الحسينية . . . » . لكنّ أحمد بن يحيى المرتضى
(- 840 هـ) يقول في معرض ذكره لفرق الزيدية إنّ الحسينية التي اختصّت « بأن

(1) السيرة ، ق 98 .

(2) تاريخ مسلم ، م 4 / ص 258 - 260 .

(3) تاريخ مسلم ، م 4 وقد جمعنا النصوص في الملحق الأول لهذه السيرة .

(4) تاريخ بني الوزير ، ق 106 - 107 .

(5) هو الجعيد بن حجاج الوادعي ؛ قارن عنه لواحق الزحيف على الحقائق (من . ضحيان) ص 177 .

زعمت أنّ الحسين بن القاسم بن علي المقتول بريدة لم يُقتل ، وأنه لا بد أن يظهر قبل موته . . »⁽¹⁾ قد انقرضت كما انقرضت الفرقة المطرفيّة ، ولم يبق إلا المخترعة من فرق الزيدية باليمن .

وقد عمدنا إلى إثبات ملاحق آخر نشرتنا هذه للسيرة . يتضمّن الثالث نصاً للسيد حميدان (من النصف الأول للقرن السابع الهجري) يدافع فيه عن عقيدة الحسين بن القاسم من خلال نصوص من كتبه . ويتضمّن الأول نصوص مسلّم اللحجي في القسم الرابع الباقي من تاريخه في « أخبار الزيدية » عن حسينية عصره واعتقاداتهم . ويتضمّن الثاني نصين للإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان من كتابيه : حقائق المعرفة ، والحكمة الدرية في معلوماته عن الحسينية وعقائدهم . وسنتحدث في هذه المقدمة عن تلك الملاحق بعد الحديث عن سيرة مفرّح بن أحمد للأميرين .

IV

عقد يحيى بن الحسين (- 1099 هـ) في كتابه « طبقات الزيدية » فصلاً قصيراً ذكر فيه « مَنْ عُرِف » من أعيان الحسينية من الهدوية أصحاب الإمام الحسين بن القاسم العياني⁽²⁾ . والعلماء الذين ذكرهم هم : الشريف قاسم بن جعفر : « وكان هذا الفاضل في درجة الإمامة لكنه لم يدع . قالوا لأنه روي عنه أنه كان يعتقد أنّ عمّه الحسين حيّ ، وأنه المنتظر » ، و « كان مع صِنوه (أخيه) محمد بن جعفر آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر على صورة المحتسب » ؛ وأخوه

(1)منية والأمل ، ص 98-99 . وفي المسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك للخزرجي ، مخطوطة مصورة ، سلسلة وزارة الإعلام والثقافة ، طبعة ثانية 1981 ، ص 52 : « . . . وفي جهلة الشيعة من يزعم أنه حيّ لم يُقتل ، وأنه المهدي الذي بشره النبي ﷺ . وكان على هذا الاعتقاد كثير من الأشراف . ثم انقرض أهل هذا الاعتقاد ؛ وكانوا خلقاً كثيراً في مغارب صنعاء . والأئمة من أهل البيت وعلمائهم باليمن مجمعون على أنّ الحسين بن القاسم اختلط عقله في آخر عمره لأنه ظهرت منه أشياء من الأقوال والأفعال تخالف الشرع الشريف . . » .

(2) طبقات الزيدية ، ص 97-98 .

محمد بن جعفر ، الذي « كان يعتقد اعتقاد أخيه في الحسين » ؛ والشيخ محمد بن أحمد النضري (؟) و « كان عالماً على مذهب الحسينية يعتقد أنّ الحسين بن القاسم حيٌّ لم يمتْ وأنه المهديُّ المنتظر ، وله في هذا رسالة وكلامٌ طويلٌ لا فائدة في ذكر شيءٍ منه ، وردَّ على اعتراضات الشيخ عامر التي اعترض بها الحسين بن القاسم في سيرته » ؛ وأحمد بن بُريه « وقتله الحسين بن القاسم » ؛ ومحمَّد بن حميد « العالم المشهور الذي قيل فيه : لو صلحت الإمامة في العامة لصلحت فيه . . . » ؛ والقاضي العلامة أبو نضر (؟) ابن أبي طالب ابن أبي جعفر « فقيه الزيدية وعالمهم اجتمع في خزائنه من فنون العلم اثني عشر ألف كتاب . وكان ممن عاصر الإمام أبا طالب الأخير يحيى بن أحمد بن الحسين ابن الإمام المؤيد بالله ، ووصل من جهته إلى صعدة . . » ؛ والشريف العلامة سليمان بن حمزة . ولا ينسى يحيى بن الحسين صاحبنا مفرحاً لكنه يقول عنه فقط⁽¹⁾ : « الشيخ مفرح بن أحمد : كان رأيه رأي الحسينية وهو صاحبُ سيرة الأميرين المذكورين : الفاضل وصنوه » . ومصدراً يحيى بن الحسين الأساسيان لهذه المعلومات عن الشيعة الحسينية هما : كتاب تاريخ بني الوزير الذي يسمّيه « الفضائل » ، واللائي المضيّة لأحمد بن محمد الشرفي (- 1055 هـ)⁽²⁾ . والمصدران المذكوران لا يذكران فعلاً غير ذلك عن الشيخ مفرح بن أحمد . لذا فقد حاولنا أن نجد شيئاً عنه في أكثر المصادر الباقية أخباراً عن الشيعة الحسينية ؛ وهو تاريخ مسلم اللحجي .

يترجم اللحجي⁽³⁾ ضمن الطبقة الرابعة من علماء الزيدية لمن يسمّيه : أبو القاسم (محمد؟) الرّبعي . ويذكر ضمن الترجمة مفرح (أو مفرج؟) بن أحمد الرّبعي فيقول عنه : إنه « القاضي الأديب الشاعر . وأظنه أخاً لأبي القاسم بن أحمد . وطالت صحبته للأشراف الرسيّين بشهارة ، وهو مصنّف سيرتهم . وله فيها

(1) طبقات الزيدية ، ص 98 .

(2) تاريخ بني الوزير ، ق 5 ، 100 ، 106 ، واللائي المضيّة ، مخطوطة ضحيان ، م 2/ص 149 . وقد رجع يحيى بن الحسين أيضاً إلى « المنصور بالله في سيرته . . وكان المطرفية والحسينية والقاسمية من رافضة الشيعة يسبّون الصحابة ، ولهم قواعد أربع ، ولهم كتب وتصانيف ورسائل وأشعار . . . » .

(3) تاريخ مسلم اللحجي ، م 4/ص 249 - 252 ، 272 .

من الأشعار ما يُستحسن ويُستجاد . . . »⁽¹⁾ . أمّا معلوماته عن الأسرة فتردّ خلال الترجمة الطويلة نسبياً لأبي القاسم ؛ وتتلخّص في أنهم كانوا ينزلون من البون الأسفل ببلد همدان بنحو ريدة ، وبناحية بلد الصيد . فهم من ربيعة همدان⁽²⁾ . وكانوا في النصف الأول من القرن الخامس الهجري « من بيوتات العلم والشعر ببلاد همدان » ، وقد خرج منهم عدّة شعراء امتدحوا « الصليحيين والشهاريين » ؛ يذكرهم مسلّم ، ويورد بعض أشعارهم . ولم يكن أبو القاسم نفسه شاعراً محترفاً ؛ لكنه كان يقول الشعر ؛ كما أنه لم يكن سيّء العلاقة بالصليحيين فقد تولّى ابنه أحمد ابن أبي القاسم القضاء بريدة ونواحيها للصليحيين . ويضيف مسلّم إنّ صناعة قوم من آل الربيعي كانت « تعليم القرآن » بالناحية التي يقيمون بها . فيبدو أنّ تقاليد الأسرة المتوارثة في الأدب واللغة والشعر والخطابة والكتابة والعلم بالقرآن ؛ هي التي كانت وراء اتصال جماعة منهم بالقاسميين ؛ شأنهم في اتصالهم بالصليحيين - ومن هؤلاء مفرّج بن أحمد . لكن رغم تردّد ذكر الرجل في السيرة أو مختصرها ، وعند مسلّم ؛ فإننا لم نتوصّل لرأي قاطع في شأن ضبط اسمه وهل هو مفرّج (بالحاء غير المعجمة) أو مفرّج (بإعجام الحاء) إذ يرد الاسم تارةً بنقط الحاء وطوراً بإهمالها في السيرة وعند مسلّم . وكان الأستاذ ولفريد ماديلونغ قد آثر القراءة بالإعجام ، أما نحن فنؤثّر القراءة بالإهمال : مفرّج ، لا لشيء غير أنّ اسم مفرّج - بالإعجام - نادر باليمن .

وفيما عدا ذلك فإنّ فيما كتبه الأستاذ ماديلونغ في المقالة السالفة الإثبات مقنعاً . وقد اعتمد كما هو ظاهر على السيرة فقط ، ولم يستطع الرجوع إلى القسم الرابع من تاريخ مسلّم رغم معرفته بوجوده باليمن . وقد قام الأستاذ ماديلونغ أخيراً بنشر جزء من القسم الأول من تاريخ مسلّم مختصّ بسيرة أحمد الناصر ابن الهادي

(1) تاريخ مسلّم ، م 4 / ص 251 .

(2) في منتخبات في أخبار اليمن (من كتاب شمس العلوم لنشوان بن سعيد الحميري) ص 40 : « ربيعة في قبائل اليمن كثير . والربيعة - بالالف واللام - حي من اليمن من قضاة . . يُنسب إليهم ربيعي - بإثبات الياء - ويُنسب إلى غيرهم ربيعي بحذفها » . فمفرّج من ربيعة همدان لا قضاة أو خولان قضاة ؛ وبخاصة أنّ أسرته كانت متوطنة بديار همدان . وقارن ما توصلنا إليه بما رجّحه الأستاذ ماديلونغ في دراسته التقديمية هنا (ص 12 - 13) .

إلى الحق⁽¹⁾ . وكنا قد لاحظنا في حواشي هذا التقديم بعض الهنات في دراسة الأستاذ ماديلونغ . ونضيف هنا أن قول الأستاذ ماديلونغ بعدم معرفة أحد بسيرة مفرح غير يحيى بن الحسين قديماً ، والعلامة الأستاذ محمد الأكوغ حديثاً ، غير دقيق . ففي القديم نقل عنها بكثرة مسلم اللحجي كما يظهر من حواشينا على السيرة المنشورة بعد هذا التقديم . كما نقل عنها الشرفي في « اللآلي المضية » بعد يحيى بن الحسين⁽²⁾ . وقد تتبّعنا مواطن إفادة هؤلاء جميعاً في حواشي نشرة السيرة . وفي العصر الحديث نعرف مصدرين اثنين أفادا منها كثيراً قبل العلامة الأكوغ هما : محمد بن إسماعيل الكبسي (- 1308 هـ) في : اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمانية⁽³⁾ ، والعلامة الشهيد أحمد بن أحمد المطاع في : تاريخ اليمن الإسلامي من سنة 204 هـ إلى سنة 1006 هـ⁽⁴⁾ . أمّا الكبسي فلم يذكر السيرة غير مرة واحدة ؛ لكنه لخص معلوماتها تلخيصاً جيداً ربما لم يكن عن السيرة مباشرة بل عن طريق يحيى بن الحسين⁽⁵⁾ . وأمّا الشهيد المطاع فقد عرف السيرة جيداً ونقل عنها كل الأخبار المتصلة بتاريخ شمالي اليمن في القرن الخامس ، وثوار آل البيت ، وصراع القاسمين الطويل مع الصليحيين⁽⁶⁾ . ويكمل المطاع

(1) The Sira of Imam Ahamadb. Yahay Al- Nasir li- Din Allah from Musallam al-Lahji's Kitab Akhabar Al- Zaydiyya bi L-Yaman. Edited by Wilferd Madelung, Ithaca Press, Exeter, Oxford 1990.

(2) لخص الشرفي (- 1055 هـ) في اللآلي المضية (مخ ضحيان) م 2 / 149 - 186 سيرة مفرح تلخيصاً كاملاً . وهو يعتمد في ذلك على المختصر ، بينما يرجع مسلم - فيما يبدو - إلى السيرة بصيغتها المبسطة .

(3) اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمانية . تم طبعه ونشره بعناية السيد عبد الله بن محمد بن عبد الله الكبسي ، أحد أحفاد المؤلف . مطبعة السعادة بمصر ، بدون تاريخ .

(4) تاريخ اليمن الإسلامي من سنة 204 هـ إلى سنة 1006 هـ ، تحقيق عبد الله محمد الحبشي ، نشر دار التنوير ، بيروت ، الطبعة الأولى 1986 .

(5) يبدأ الكبسي بنقل أخبار القاسم بن علي العياني منذ العام 389 هـ (ص 20) عن يحيى بن الحسين فيما يبدو في « أنباء الزمن » أو « غاية الأمانى » . ويلخص أخبار أولاده متبوعاً في ذلك يحيى بن الحسين . ولا يصرح بذكر السيرة غير مرة واحدة (ص 37) إذ يقول : قال « صاحب السيرة » - وهو المكان نفسه الذي يذكر فيه يحيى بن الحسين السيرة (غاية الأمانى 1 / 270) ، وأنباء الزمن 1 / ق 176 أ : قال صاحب سيرة الأشراف (مما جعلنا نرجح أن الكبسي لا ينقل عن السيرة مباشرة بل عن تلخيص يحيى بن الحسين لها .

(6) يبدأ المطاع أخباره عن دولة القاسمين عام 388 هـ (ص 186) بدعوة القاسم بن علي العياني الذي ينقل =

المعلومات عن تلك الأحداث بعد ذكر سيرة مفرّح ؛ باللجوء إلى تاريخ مسلم
الحجّي ، واللاّلي المُضيّة للشرفي ، والعسجد المسبوك للخزرجي ، وأنباء الزمن
ليحيى بن الحسين .

* * *

ولا نعرف لسيرة الأميرين لمفرّح غير مخطوط واحد بالمكتبة الغربية بالجامع
الكبير بصنعاء . وهي ضمن مجموع متنوّع⁽¹⁾ . أمّا المخطوطة الأخرى للسيرة التي

= أخباره - فيما يبدو - عن سيرته لابن يعقوب ، واللاّلي المضيّة ، والعسجد المسبوك (يقول مثلاً : قال في
سيرة الإمام المنصور . الخ . وانظر عن سيرة القاسم ما تقدم عند ماديلونغ ، وفي تمهيدنا في الصفحات
الأولى) . وفي صفحة 187 يصرّح بالنقل عن أنباء الزمن ليحيى بن الحسين والخزرجي (قارن
ص 187 - 203) . ثم يعود (ص 203) للتصريح بالنقل عن سيرة المنصور (قارن ص 206) . أمّا
أخبار المهدي الحسين بن القاسم فينقلها عن الحداثق الوردية ، والخزرجي (ص 215 - 218) . وينقل
أخبار المُعيد لدين الله الظاهر عام 418 هـ عن أنباء الزمن ، والعسجد المسبوك ، واللاّلي المضيّة
(ص 220 - 222) . ويصرّح (ص 221) بالنقل عن تاريخ مسلم الحجّي (ص 221) لكن يبدو أن ذلك
كان بواسطة اللاّلي المضيّة . ويصرّح بالنقل عن « سيرة الأمير ذي الشرفين » (ص 229 وما بعدها) في
سياق ذكره لإذلال همدان وسيطرة الصليحيين . وعلى الصفحة 231 يقول : فلنرجع إلى سيرة ذي الشرفين
(أحداث العام 444 هـ) . وينقل بعدها المراسلة الأولى الموجودة في السيرة والتي تمت بين الصليحي
والشريف الفاضل (ص 231 - 233) . ويركّز بعدها في النقل عن سيرة الأميرين (حصار الهراة : 234 -
237 ، محاربة الصليحي لآل الكرندي واصطحابه للشريف الفاضل معه : 237 - 238) . وبعد نقل
طويل عن أنباء الزمن يعود لسيرة الأميرين (التي يسميها دائماً : سيرة الأمير ذي الشرفين) (ظهور حمزة ابن
أبي هاشم : ص 245 - 246) . ومنذ انتقال الأشراف إلى شهارة يصرّح المطاع (ص 251) بالاعتماد
على ما في سيرة ذي الشرفين . ولأن التفاصيل التي يوردها لا توجد في غير السيرة من المصادر ، ذهبنا إلى
أن المطاع اطلع على مخطوطة من سيرة الأميرين ربما كانت هي الموجودة بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير
بصنعاء الآن .

(1) فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء - إعداد أحمد محمد عيسوي ، ومحمد سعيد
المليح . ط . منشأة المعارف بالإسكندرية ، 1978 ؛ ص 675 : سيرة ذي الشرفين محمد بن جعفر
(تاريخ 117) . ولم تعد أرقام المجاميع والمخطوطات المفردة بالمكتبة الغربية صحيحة بسبب التغير الذي
طرأ عليها نتيجة لاستعادة الأسر الصناعية بعض مخطوطاتها المُصادرة سابقاً ، ولإقبال إدارة المخطوطات
على اقتناء عدد كبير من المخطوطات تعمل الآن على إعداد فهرس شامل لها . وكان الأستاذ عبد الله
محمد الحبشي ، العالم المعروف في مجال التراث اليمني قد ذكر مخطوطة السيرة في كتابه : مراجع تاريخ
اليمن (1972) . ثم عاد لذكر المهدي الحسين بن القاسم ، وسيرة الأميرين بتفصيل أكبر في كتابه :
مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن ، نشر مركز الدراسات اليمنية ، صنعاء ، بدون تاريخ ، =

رجع إليها العلامة الأكوع في حواشيه على تاريخ عُمارة ؛ فإنها منسوخةٌ بذي سفال عام 1935⁽¹⁾ . وقد تبين لنا أنها تتضمن الأخطاء نفسها ، ومواطن البياض نفسها ، التي بمخطوطة الجامع الكبير ؛ مما يقطع بأنها منسوخةٌ عنها . ولم نرقم مخطوطة الجامع الكبير من السيرة ضمن المجموع كما فعل الأستاذ ماديلونغ بل رقمناها على حدة فجاءت في 100 ورقة . وتاريخ الانتهاء من نسخها : شهر ذي الحجة آخر شهور سنة 1026 هـ ، وليس كما ذكره الأستاذ ماديلونغ .

وقد استطعنا بالعودة لمختلف المصادر التاريخية والجغرافية والنسبية ضبط الغالبية العظمى من أسماء الأماكن وتحديداتها ، وأكثر أسماء الأعلام . لكن لم تكن لنا حيلةٌ في مواطن البياض وبخاصة في الشعر وأكثره لمفرح والأمير ذي الشرفين .

V

نشرنا في الملحق الأول لسيرة الأميرين نصوصاً مأخوذةً عن كتاب أخبار الزيدية لمسلم بن محمد بن جعفر اللحجي (- 545 هـ أو 552 هـ) . وكان يحيى بن الحسين (- 1099 هـ) في طبقات الزيدية أو الطبقات الكبرى قد أوضح ترتيب مسلم لكتابه المهم هذا فقال⁽²⁾ : « وله تاريخ جعله طبقات وأكثر في ذكر حال المطرفية من أصحابه . وذكر أولاد الهادي المرتضى والناصر . وهو أربعة أجزاء لطاف يأتي جميع الكتاب في مجلدين متوسطين . وجعله خمس طبقات . الطبقة الأولى : في أحوال ابني الهادي استوفى ذكر الحروب بين الناصر وبين القرامطة وغيرهم . والطبقة الثانية : في ذكر أحوال المختار وأولاده وبني الضحّاك ، وذكر

= ص 526 - 529 . وقد ذكر 31 أثراً كتابياً للحسين بن القاسم أكثرها ببرلين ، وشهيد علي باستانبول ، وعند زيارة في أئمة اليمن . لكنه لم يعرف بوجود كتب للمهدي الحسين بن القاسم في مجموعات خاصة باليمن . (قارن بالصفحة 37 من تمهيدنا هذا) . وانظر ثبت المصادر والمراجع .

(1) D. Thomas Gochenour : A Revised Bibliography of Medieval Yemeni History in Light of Recent Publications and Discoveries ; in Der Islam , Bd. 63, 1986, PP/ 309- 322.

(2) طبقات الزيدية ، ص 97 .

فيها ترجمةً وافيةً للشيخ أحمد بن موسى الطبري . والطبقة الثالثة : مَنْ أخذ عن الطبري مثل مطرف بن شهاب وابن أبي الفوارس والإمام القاسم العياني وسائر العلماء ممن أخذ عن أهل الطبقة الثانية واختلاف الزيدية . والرابعة : مَنْ أخذ عن مطرف بن شهاب مثل نهد بن الصباح وابن صعتر وغيرهم . . . الطبقة الخامسة : مَنْ كان في عصر مسلم من العلماء المطرفية . وأول من بدأ (به) في تاريخه المرتضى محمد ابن الهادي . . ولم يذكر من سِير الهادي ومن تقدمه اكتفاءً بالسيرة له ، وبالمصباح لأبي العباس الحسني ، والإفادة ، وغيرها من التواريخ »

وكان المعتقد أنه لم يبق من الكتاب غير قسمٍ من المجلد الأول ، يتضمن أخبار المرتضى والناصر ، وقسماً من أخبار الشيخ أحمد بن موسى الطبري ⁽¹⁾ . ثم ظهرت مخطوطة قديمة ناقصة من المجلد الثاني ، منسوخة عام 566 هـ ، وتتضمن بقية الطبقة الثالثة ، والطبقتين الرابعة والخامسة (من حوالي العام 450 هـ وحتى حوالي العام 520 هـ) ⁽²⁾ . وقد عاصر شيوخ مسلم لا مسلم ⁽³⁾ نفسه حقبة الازدهار

(1) في مخطوطة من مجموعة Glaser بمكتبة الدولة ببرلين ، رقمها 1300 (= 9644 بالفهرس) ؛ قارن : Verzeichnis der arabischen Handschriften der Königlichen Bibliothek zu Berlin, 1887- 99, IX, 209. Fol 38b- 70b.

وقد نشر الأستاذ ويلفريد ماديلونغ القسم الأكبر من مخطوطة برلين ، والمتضمن لترجمة الناصر أحمد ابن الهادي (- 322 هـ) ، وبعض الأخبار عن أخيه محمد المرتضى (- 310 هـ) - لندن 1990 .
(2) أخبرنا الأستاذ عبد الله محمد الحبشي ، كما كان قد أخبر Gochenour من قبل أن جالب المخطوطة إلى صنعاء ، زيدي من نجران . ويظن الأستاذ الحبشي أن الرجل باعها فيما بعد لجامعة الملك سعود بالرياض (قال لنا بعد ذلك أن الذي باعها ربما كان رجلاً من آل الوزير) ، ومنها عدة صور بصنعاء ، إحداها لدى عبد الله الحبشي . وهناك مصورة عنها بالمكتبة المركزية بالجامعة ، وأخرى لدى الدكتور عبد الرحمن شجاع أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة صنعاء ، وقارن : Gochenour ; Revised Bibliography ; op. cit. 315-317.

(3) هو مسلم بن محمد بن جعفر اللحجي الشطبي . وُلد حوالي العام 485 هـ ، وتوفي عام 545 هـ أو 552 هـ . يبدو أنه اهتم في فتوته باللغة والأدب والشعر ، وألف في ذلك كتاباً سماه الأثرنجة في شعراء اليمن . ويظهر أن ياقوت الحموي (معجم البلدان ، مادة لحج) أطلع على نسخة منه مكتوبة عام 530 هـ بخط فاستنتج أنه كان ما يزال حياً آنذاك . وبدأ اهتمامه بآراء الفرقة المطرفية من الزيدية (510- 515 هـ) . ويظهر أن ذلك هو الذي دفعه لكتابة تاريخ للزيدية ورجالها وأفكارها باليمن هدفه إثبات الصورة المطرفية عن تراث المذهب بالبلاد تدليلاً لكونهم أتباع الهادي الحقيقيين . وكانت الفرقة قد بدأت تواجه تحديات حقيقية منذ مطلع القرن السادس من جانب الأشراف ، والعلماء المرتبطين بالتقاليد السلطوية =

للفرقة الحسينية حين استطاع الشريف الفاضل والأمير ذو الشرفين تجاوز مأساة الهراة ، والتحصن بشهارة ، وتحدي الصليحيين تحدياً حقيقياً . لكن تلك الحقبة كانت أيضاً حقبة ازدهار فرقة المطرفية من الزيدية ، التي كان مسلم اللحجي (المولود حوالي 485 هـ) ينتمي إليها . وواضح أن مسلماً كان معنياً بتتبع أخبار علماء المطرفية بالذات ، والترجمة لهم . لكنه يستطرد لذكر المخترعة من الزيدية ، أعداء المطرفية الرئيسيين ، كما لا يفوته أن يذكر أخبار الحسينية في جيلهم الثاني . ويتضح من الطرائف والنوادر الكثيرة التي يوردها عنهم أنه كان لهم انتشار واسع بين العوام في مناطق شهارة والجوف ، وصنعاء . ولا نعرف شيئاً عن رأي مسلم في الحسين بن القاسم نفسه من خلال تاريخه لأن القسم الأول من المجلد الثاني من تاريخه لم يُعثر عليه بعد⁽¹⁾ . كما أن معرفته بعصر الأميرين وعقائدهما ضئيلة لأنه لم

= لأعقاب الهادي بالبلا . وبلغ ذلك ذروته بدعوة المتوكل على الله أحمد بن سليمان ، وعودة القاضي جعفر بن أحمد بن عبد السلام من العراق وجلبه لكثير من كتب زيدية الجيل والديلم ، والمعتزلة معه . وفي مخطوطة نجران من تاريخ مسلم معلومات ثمينة جداً عن تفاصيل الصراع بين المطرفية وخصومهم من المخترعة . كما يمكن استنتاج الكثير عن حياة مسلم من خلال أخباره . وهناك معلومات كثيرة جداً عن العلاقات القبلية والدينية في شمالي اليمن ، وآثار السيطرة الصليحية على التحالفات بين القبائل ، ومواطن استقرارها وانتشارها ، والنواحي التي كان المذهب الزيدي ينتشر فيها في القرن الخامس وبداية السادس . فضلاً عن معلومات لسانية وأثروبولوجية وديموغرافية وحضرية متناثرة في ثنايا التراجم والأخبار . وليست هناك دراسة مستوعبة عن مسلم حتى الآن ؛ ولكن قارن ؛ ياقوت : معجم البلدان (مادة : لحج) ، وطبقات الزيدية ليحيى بن الحسين 96/1 - 97 ، وإنباه الرواة للقنطي 326/1 ، وتاريخ بني الوزير ، ق 109 ب ، 203-204 ، W.Madelung : Der Imam , 315-317 ; Gochenour : op.cit. وعبدالله الحبشي : مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن ، ص 405 - 406 ، وأيمن فؤاد سيد : مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي ، القاهرة 1974 ، ص 106 ، ولنفس المؤلف : تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة 1988 ، ص 36 .

(1) لكن الزحيف والشرفي يذكران (في لوائح الحقائق الوردية ، ص 178 ، واللاي المضية م 2 / ص 145) أن مسلماً اللحجي « حكى في تاريخه عن الإمام المهدي وعن والده القاسم بن علي عليهما السلام ما يشوش خاطر المغرب عن معرفة فضلهما . فإنه حكى أشياء كثيرة تقضي بمخالفتهم لمذاهب أسلافهما ، وأنهما ربما يسترجحان شيئاً من مذاهب العبيديين الذين ملكوا مصر والمغرب وغيرهما من بلاد الإسلام وكان الصليحيون يدعون لهم . وذلك لا يُسلم للشيخ مسلم ! . . . » . وتابع الشرفي قائلاً : إن مسلماً اتهم الحسين بن القاسم بأنه ادعى أنه ينزل عليه الوحي . . . وأكثر الطعن عليه ، وملاً الأوراق من سبه . . . في كلام كثير . . . » .

يعاصرهما ؛ ولذا يعمد لينتظم سياق خبره إلى أخبار شيوخه عن عصرهما ، وإلى سيرة الأميرين لمفرّح بن أحمد الربيعي⁽¹⁾ . ويبدو أنه لم يدرك مفرّحاً نفسه حياً ؛ لأنه يورد أخباراً واسعة نسبياً عن أسرته في جيلها الثاني أيضاً (أي جيل القاضي أحمد بن أبي القاسم الربيعي ، ابن أخ مفرّح) . لكنه عرف الأمير جعفر بن محمد بن جعفر ، آخر أمراء آل القاسم بشهارة⁽²⁾ . ويعني هذا أن عمدة الإسلام جعفر بن محمد بن جعفر كان حياً حوالي العام 510 هـ على وجه التقريب .

تَبَعْنَا استطرادات مسلّم اللحجي ، ونوادره ، عن الشيعة الحسينية ، فجاءت في اثنتي عشرة فقرة . وتهتم الفقرات الأربع الأولى بآل القاسم في عصر الشريفين . وأكثر الأخبار فيها منقولة عن السيرة لمفرّح . وقليلها الباقي مأخوذة مشافهة عن القاضي أحمد بن عبد السلام بن أبي يحيى ، والد جعفر بن أحمد بن عبد السلام (- 573 هـ) . وأسرة القاضي جعفر إسماعيلية كما هو معروف ؛ فقد كان والده قاضياً للصليحيين ، كما يقال إن جعفر نفسه كان إسماعيلياً في شبابه⁽³⁾ . ويظهر من هذه الأخبار الواردة ضمن تراجم علماء المطرفية ، تقديره العالي للدور الكبير الذي قام به الشريفان في مناهضة الصليحيين . لكنه يأخذ عليهما اعتقادهما بمهدية الحسين بن القاسم عمّهما ، وقسوتهما على الناس ، وفتور همتهم النضالية بعد الاستقرار بشهارة مما أدّى إلى انسحابهما من كثير من الحصون لأسباب مالية .

أما الفقر الثماني الباقية فتشغل بإيراد نوادر وطرائف وقصص وغرائب عن الشيعة الحسينية أواخر القرن الخامس ، ومطالع القرن السادس الهجريين . وتتناول تلك الطرائف والغرائب اعتقاداتهم في حياة الحسين بن القاسم ، وصحبته لعيسى بن مريم والخضر في الغيبة ، وظهوره أحياناً لبعض الأشخاص⁽⁴⁾ . ويطول

(1) أشرنا في حواشي السيرة إلى مواطن نقل مسلّم والمصادر الأخرى عنها .

(2) استطعنا العثور على موطنين في م 4 من تاريخ مسلّم يذكر فيهما لقاءه بالأمير جعفر بن محمد بن جعفر (ص 72 ، 139) .

(3) W. Madelung : Der Imam al-Qasim b. Ibrahim 204, 212-216

(4) رغم التشنيع الكثير من جانب مسلّم على الحسينية ؛ فإنه لا يذكر شعيرة من شعائرهم يذكرها المتوكل أحمد بن سليمان في الحكمة الدرية (ص 325) : « ومنها - أي من عقائدهم - أن رجلاً من بني أخيه يقال له

مسلم في إيراد حكاياتٍ عن استغلال بعض الخبثاء لاعتقاد غيبة الحسين وقرب رجعتهم لإيهام أولئك أنهم رأوه ، وأنه يريد كذا وكذا ، ليحصلوا بهذا الطريق على الأموال منهم .

تقع المخطوطة في 355 صفحة . والخط منقوط ومشكول وواضح في الأصل ؛ لكن صورة المخطوطة الموجودة بمكتبة جامعة صنعاء سيئة ؛ وقد أثر ذلك في قراءتنا لبعض الكلمات ، كما أن كلماتٍ أخرى سقطت أو أمحت في التصوير .

VI

ونشرنا في الملحق الثاني نصّين للإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان (- 566 هـ) عن المهدي الحسين بن القاسم ، والحسينية . والمعروف أن المتوكل عاصر بعض أتباع الفرقة ، وعرف جماعةً من آل القاسم كانوا ما يزالون يؤمنون بمهدية الحسين بن القاسم وظهوره . وقد اصطدم بهم في أواخر سني إمامته ، فأسروه واقتادوه إلى مقرهم بأثافت ثم أطلقوه بوساطة من صاحب صنعاء ؛ كما تذكر سيرته للثقفي⁽¹⁾ . أما النص الأول فهو من كتاب حقائق المعرفة له . وهو مؤلف مبكر نسبياً قبل أن يختلف مع القاسميين . وهو يورد فيه أقوال خصوم الحسينية في اعتقاداتهم واعتقادات المهدي . ويذكر صدام المهدي مع آل الهادي بصعدة . لكنه بعد أن يطيل في ذكر أوهام المهدي كما وردت في كتبه ، وأوهام أتباعه ، يعود لنفي

= قاسم بن محمد بن قاسم بن جعفر زعم أنه يشافهه ويكالمه . وحديثي من أثق به أنه قال له : هل رأيت المهدي أنت ؟ قال : نعم ! قال : كان معي في بيت ثم قام وتهيأ للخروج فانطلق له جدار البيت فخرج منه ولم يخرج من الباب ! وقال ؛ إنه أمره بالحج إلى عيان ، ونسخ شريعة الحج من مكة إلى عيان ؛ فأقام يحج سنين كثيرة هو وقوم من أصحابه قدر مائة رجل أويزدون . وكانوا يفعلون ذلك في أيام عيد عرفة حتى قال فيهم (شا) عرّ من (. . .) :

حج الأنعام إلى المحضّب من منى وإلى مذاقة (؟) حج آل القاسم .
وقارن بالنص بكامله في ملاحق هذه النشرة للسيرة .

(1) سيرة المتوكل على الله أحمد بن سليمان لسليمان بن يحيى الثقفي ، مخطوطة الجامع الكبير بصنعاء ، مبتورة من أولها وآخرها ، ق 261 وما بعدها .

ذلك عنه ، وينسب الضلال إلى بعض بني إخوانه ، وعوام شيعته ، ويُطيل في قصّ أوهامهم والردّ عليها .

والنصّ الثاني من كتاب الحكمة الدرية للمتوكل . وهو أقصر من الأول لكنه أكثر حدة وإن لم يختلف كثيراً في المضامين . ويتميّز إلى جانب حدّته بتصديق نسبة تلك الأقوال الغالية إلى المهديّ نفسه . ومع أنه ألفه قبل أسره من جانب آل القاسم ؛ لكن يبدو أنّ الخصومة كانت قد دبّت بينه وبينهم فلم يعد يرى ضرورة لمجاملتهم أو رعاية ذكرى عميد أسرتهم .

اعتمدنا في نشر النصّ عن مخطوطة كتاب « حقائق المعرفة » على نسخة حديثة تعود للعام 1377 هـ ، وتقع في 370 صفحة . والنصّ عن الحسين بن القاسم والحسينية على الصفحات (247 - 251) . أمّا مخطوطة « الحكمة الدرية » التي أخذنا منها النصّ الثاني فهي من نسخ العام 1254 هـ ، وتقع في 329 صفحة . والنصّ فيها على الصفحات (323 - 325) .

VII

ونشرنا في الملحق الثالث كتاب « بيان الإشكال فيما حُكي عن المهديّ من الأقوال » . ووضح أنّ هذا الكتيب كان نتيجةً من نتائج الصراع مع الفرقة الحسينية وعليها . ويندرج في محاولات تبرئة الحسين بن القاسم من دعوى المهديّة ، والادّعاءات الأخرى التي شاعت عنه . فغرضها حصرُ النزاع مع « الفرقة الحسينية » ، بالأتباع أنفسهم ، وتبرئة آل القاسم وزعيمهم الحسين بن القاسم من تهمّة الخروج على تراث آل البيت باليمن . وللمؤلف حميدان بن يحيى هم شخصيٌّ أيضاً . فهو نفسه من آل القاسم . يقول صاحب « تاريخ بني الوزير »⁽¹⁾ : « حميدان بن يحيى القاسمي ، من ولد جعفر بن القاسم العياني . ممن عاصر الإمام المهديّ أحمد بن الحسين (656 هـ) وناصره . وكان علامةً في الكلام ،

(1) تاريخ بني الوزير ، ق 59 ب ، وتمام نسبه عند يحيى بن الحسين في طبقات الزيدية ، ص 123 : حميدان بن يحيى بن حميدان بن القاسم بن الحسن بن إبراهيم بن سليمان بن القاسم بن علي . الخ .

مطلعاً على أقوال أهله ومتبحراً في ذلك متقناً غاية الإتيان . وكتابه هو المجموع
المشتمل على أقوال الناس وحكاية مذاهبيهم » .

ويقصد صاحب « تاريخ بني الوزير » بالمجموع ما عُرف في تراث المذهب
الزيدي بمجموع السيد حميدان ؛ وهو يتضمن عدة رسائل صغيرة تبلغ اثنتي عشرة
رسالة ، يحكمها همُّ مُحافظ مؤداه الدعوة للتمسك بتراث الهادي إلى الحق
يحيى بن الحسين ومذهبه ، وإظهار وجود خطِّ غالبٍ ومستمرٍّ منذ الهادي وحتى
عصر السيد حميدان ، يملك مبادئ وعقائد هي المذهب الصحيح ، وهي تراث
الفرقة الناجية . بعيداً عن التطرف المنسوب (باطلاً في نظر السيد حميدان) إلى
الحسين بن القاسم ، وبعيداً عن الاعتزال الذي تغلغل في أوساط الزيدية نتيجة
اتصالهم بزيدية الجيل والديلم وفي سياق صراعهم مع المطرفية⁽¹⁾ .

وكتاب « بيان الإشكال فيما حُكي عن المهديّ من الأقوال » هو الرسالة
التاسعة ضمن المجموع . يعترف السيد حميدان في مطلع الرسالة أن هناك من
الناس مَنْ غلا في الحسين بن القاسم حتى فضله على السلف . وهناك مَنْ تطرّف
في الحطّ عليه حتى نسبته إلى الجهل أو الجنون . ويريد هو أن يوضح - استناداً إلى
الصحيح من كتبه - أنه « قد كُذب عليه في كثيرٍ مما يُنسبُ إليه » . وقد رجع السيد
حميدان فعلاً إلى عشراتٍ من كتب المهدي ورسائله لإثبات دعواه في أنه إمام هدى
وحق ، وأن ما نُسبَ إليه مكذوبٌ عليه .

بدأ ذلك بفصلٍ أورد فيه أقوالاً من عدة كتبٍ للمهديّ حذّر فيها من القول
عليه ، ونسبة ما لم يُقله إليه . ويثبت هذا من وجهة نظر السيد حميدان أن
الحسين بن القاسم عانى من البهتان والظلم في حياته ، فكيف بعد مماته ؟!

لكن المشكلة أن كثيراً مما قيل عنه موجودٌ في كتبه التي أخذها عنه أقاربه
وأعقابهم . بيد أن السيد حميدان يتجاوز المشكلة بالقول إن أولئك الأقارب

(1) في طبقات الزيدية ليحيى بن الحسين ، ص 123 - 124 : « وكان مرماه تقرير عقيدة الهادي ومن تبعه
دون غيره من أهل البيت السابقين قبل الهادي فلهم عقائد أخر ؛ كما تضمنه الجامع الكافي جامع آل محمد
وغیره » .

متوهمون ، مدسوسٌ عليهم . وكلُّ بشرٍ يجوزُ عليه الخطأ والتصديق بما ليست له حقيقةٌ ، ولسنا مُلزمين بتصديق الشواذ التي وردت عن المهدي ولورواها أقاربه لجواز التوهم عليهم . وبخاصةٍ أنه هو نفسه حذرنا من تصديق ما يرد عنه وعن غيره من الأئمة مما يخالف صريح مذهب الهادي ، أو صريح الكتاب والسنة .

ثم يعودُ السيد حميدان لتفصيل الأمور التي قيل إن المهدي ادّعاها . وأولها : الادّعاء أنه فضل نفسه على النبي ﷺ . وثانيها : الادّعاء أن كلامه أبهر من كلام الله سبحانه . وثالثها : الادّعاء بأنه قال إنه لا حُجة بعده . ورابعها : الادّعاء بأنه زعم أنه مهدي عيسى . وخامسها : الادّعاء عليه أنه قال إنه لا يموت ولا يُستشهد حتى يقوم في آخر الزمان . وسادسها : ما ادّعي عليه أنه قال إنه يُوحى إليه في المنام . وطريقته في ردّ كل تلك الدعاوى إيراد فقر من كتب الحسين بن القاسم يرى السيّد حميدان أنها تكذب ذلك تماماً .

ثم تأتي الخاتمة وتشتمل على عدة أسئلة وإشكالات أهمّها أنه ثبت للمهدي كتبٌ وأقوالٌ ، كما أن هناك أقوالاً مختلفاً عليه فيها . وهو يرى أن نردّ المختلف عليه فيه إلى الثابت عنه .

وما أورده السيّد حميدان في كتابه ليس مقنعاً كلّهُ ؛ لا لأنه ينتزع الأقوال أحياناً من سياقاتها ، ويؤولها على غير الظاهر منها أحياناً أخرى ؛ بل لأنّ الحسين بن القاسم نفسه تختلف أقواله وتتناقض تبعاً لحالاته النفسية فيما يبدو ، ولطبيعة اتهامات الخصوم له . فقد كان مضطراً أحياناً للتراجع عن بعض ما ادّعاه أمام هجمات الطاعنين ، ثم يعودُ في رسالةٍ أخرى أو كتابٍ آخر لإثبات ما أنكره من قبل .

ويبدو أنّ محاولة السيّد حميدان لتصوير المذهب الزيدي بصورةٍ معيّنة ، بما في ذلك رأيه في الحسين بن القاسم وُثرائه ؛ لم تحظ بالاستحسان الكامل من جانب الزيدية المعاصرين واللاحقين ؛ وإن قرّظها بعض المعاصرين⁽¹⁾ . يقول يحيى بن الحسين (- 1099 هـ) في « طبقات الزيدية » إنّ الإمام الناصر لدين الله

(1) قارن بتقريظ ابن شبيب له آخر هذا التمهيد .

صلاح الدين محمد بن هادي (- 793 هـ) لما قرأ مجموع السيد حميدان كتب للهادي بن إبراهيم⁽¹⁾ : « مجموع السيد حميدان قد وقفتُ على شيءٍ منه . وفي كلامه جدّة . وهو من فضلاء أهل البيت . والأقوال تختلف . ولقد وقفنا على شيءٍ في علوم آل محمد لأحمد بن عيسى بن زيد وغيره مما يخالف القواعد الأصولية الكلامية . وفيه أشياء من كلام أهل البيت منسوبةٌ إلى أهل البيت ادّعى أنها عقيدة أهل البيت كافة . وفي النفس أنّ ذلك غير متّسق . ثم إنّ كلامه وإيراده على وجه الإلزام . وبنى على ذلك قاعدة التعليل . والتعليل الحقيقي لا يقع بالإلزام والإفحام . ولعلّه هذا حدّ القاسم (بن علي العياني) في كتاب الدعامة في تثبيت الإمامة ؛ فإنه على هذا النحو . . . » .



اعتمدنا في نشر كتاب « بيان الإشكال » في الملحق الثالث على مخطوطتين اثنتين ؛ إحداهما : تتضمّن مجموع السيد حميدان (بالجامع الكبير ، المكتبة الغربية ، رقم 8 - مجاميع)⁽²⁾ . من نسخ العام 1040 هـ . ويقع كتاب بيان الإشكال فيها على الورقات (92 - 97) . والمخطوطة الثانية : بملك العلامة السيد محمد بن محمد المنصور بضعاء ، وتتضمّن ثمانية من كتب مجموع السيد حميدان ، وفي مقدمة المخطوطة كتاب الأنوار في معرفة الله ومعرفة رسله لأبي الحسين أحمد بن موسى الطبري (توفي حوالي 325 هـ) صاحب الهادي . و « بيان الإشكال » يأتي سادساً بين كتب هذه المخطوطة ، ويقع على الصفحات (118 - 130) ؛ بينما يبلغ مجموع صفحات المخطوط (بما في ذلك كتاب الأنوار) 146 صفحة . وهو من نسخ العام 1054 هـ (الرابع عشر من ذي القعدة) . وقد ذكرنا في نشرته هنا أرقام صفحاته .

وفي نهاية مخطوطتي « بيان الإشكال » تقرّظٌ للكتاب ، ولمجموع السيد حميدان ؛ نصّه : « وفي الأمّ المنقول منها ؛ قال القاضي الأوحّد الأفضل العالم

(1) طبقات الزيدية ، ص 124 .

(2) فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بالجامع الكبير بضعاء ، ص 717 - 718 .

العامل الأكمل أبو عبد الله محمد بن جعفر بن الشَّيْبِل بن عبد الله⁽¹⁾ رحمه الله : لما سمعتُ من السيّد الشريف الفاضل حميدان بن يحيى هذه المجموعات التي جمعها وذلك بعد أن نسختُها من الكراريس التي بخطّه ، ومن جملتها هذا الذي من كلام مولانا الإمام المهديّ لدين الله الحسين بن القاسم سلامُ الله عليه ورضوانه قلتُ فيه أبياتاً وهي هذه :

هذا إمام عالم عاملٌ	أبرا إلى الرحمن من بُغْضِهِ
ومن مُوالاةٍ لأعدائه	ومن غُلُوفٍ فيه أو رَفْضِهِ
قف واتّق إلّه السّما	يا أيّها الطّاعنُ في عِرْضِهِ
إنّ تكُ منه اليوم مستقرضاً	ففي غدٍ تندمُ من قرْضِهِ
أدينُ أنّ الحقَّ ما قاله	من صفة الباري ومن فرْضِهِ
وأنّ مَنْ في فضله قد غلا	أكبرُ جُرْماً من ذوي بُغْضِهِ
فخَفَ إلّه الخلق يا مَنْ غلا	في خلطٍ ما قد شيبَ في مَخْضِهِ
مثل ابنِ غطريف الذي لم يقلْ	في كُله الحقّ ولا بعضِهِ
قال ابنُ غطريف الذي قاله	فشَمّر المهديّ في نقْضِهِ
وردّ ما قال ولم يرْضَهُ	إذ أسخط الله ولم يرْضِهِ
صلّى عليه الله من راحضٍ	طاب فطاب الدينُ من خطّه (?)

(1) قارن عنه : طبقات الزيدية ليحيى بن الحسين ، ص 124 .

لثباته مع مقدمات الالزام فهم
بما دوت وما دة في الما ٥

تبارك من ص كتاب الله عز وجل

والجبار له وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين

والحمد لله رب العالمين

والحمد لله رب العالمين

والحمد لله رب العالمين

والحمد لله رب العالمين

والحمد لله رب العالمين

والحمد لله رب العالمين

والحمد لله رب العالمين

الصفحة الأخيرة من المخطوطة

الحمد لله رب العالمين

الحمد لله رب العالمين

الحمد لله رب العالمين

الحمد لله رب العالمين

الحمد لله رب العالمين

الحمد لله رب العالمين

الحمد لله رب العالمين

الحمد لله رب العالمين

الحمد لله رب العالمين

الحمد لله رب العالمين

الصفحة الأولى من المخطوطة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

/ قال مفرّح بن أحمد - وفقه الله لمسالك الجنة وأعانته على العمل بالكتاب [م ق 6] والسنة -: رأيتُ أن أُثبِت أخبار الدولة الفاطمية الحسينية ، وأذكر أفاضل الحضرة القاسمية اليمينية . وأبتدى ذلك بأخبار الشريف المبارك الأمين من حيث كان انتهى⁽¹⁾ سيرة الإمام المهدي لدين الله صلوات الله عليه . وملتُ إلى الاختصار والتلخيص ، وأخذ ما كان من عيون الأخبار والأفاضل ، ولو ذهبتُ إلى ذكر ما كان من جميع الفتن ، وما لاقى آل رسول الله صلوات الله عليهم من البلاء والمحن ، لطال به الكتاب وبعُدَ فيه الخطاب . وقد أجريتُ في تأليفي هذا أسباباً ، وجعلتُ فيه روايات وأبواباً . فمنها ما رويته لمعرفة عظم المحنة التي امتحن بها الشريف الفاضل وما كان بسببه . ومنها ما رويته ليكون لأوليائه القدوة به > ليعلم ذلك من لم يدركه من آلِه وعقبه . ومنها ما رويته < (*) لإبانة فضله لمن جهله ليعرف غائب ويتوب مناصب ؛ ليعلم من لم يختبره أنه لم يكن له في الحطام رغبة ، ولو كان له في الدنيا رغبة لكان قد بلغ إلى أقصى رتبة . بل همّ بشيء ففعله ، وكان له غرض فوصله . وفي كل من آلِه وذويه فضلٌ فلكثير من عظماء هذه الدولة مكانٌ وفعلٌ ولكل شيء^(**) من موضع ومحل . وأنا إن شاء الله مُثبِت كل شيء من ذلك في أوامه ،

(*) ما بين الحاصرتين عن الهامش الأيمن من الصفحة .

(**) سقط في الأصل بمقدار كلمة .

(1) كذا في الأصل ، وربما كانت : انتهت .

ومبين فضل كل ذي فضل في مكانه ، قال :

لما كان من غيبة إمام العصر وصاحب الدهر المهدي لدين الله الحسين ابن القاسم صلوات الله عليه⁽¹⁾ ، وكان امتحاناً لأولياء الله ونقمةً على أعداء الله فلماً <...> (*) وأراهم برهانه فما عقلوا؛ بقي الناس في ظلمةٍ وفتن ، وزلازل ومحن من سنة أربع وأربعمئة سنة إلى سنة تسع^(**) وثلاثين ، خرج عدو الله علي بن محمد الصليحي متوجّهاً إلى الحرم ودعا إلى مذهب الإسماعيلية⁽²⁾ بالحجاز > وأجابه إلى ذلك طوائف من حراز وجعل طريقة نجد في مبتداه ، وجعل طريقه تهامة في منتهاه . وفي هذه السنة أخذ حاج اليمن بجازان⁽³⁾ وتابع من يأتي من الحجاز <***> وغيرهم على وصولهم إليه ليوم ذي أمار . وطلع في رأس الحول من قابل في شهر جمادى من هذه السنة مسار⁽⁴⁾ . وتألب أهل المغرب إلى رجل من بني

(*) سَقَطَ في الأصل .

(**) في الأصل : سبع .

(***) ما بين الحاصرتين عن الهامش الأيمن من الصفحة .

(1) أعلن الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني قيامه في سنة 389 هـ وظل إماماً للزيدية إلى أن توفي في شهر رمضان سنة 393 هـ . انظر يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ج 1 ص 229 ، 234 . أما الإمام الحسين بن القاسم فقد أعلن القيام بعد وفاة أبيه سنة 393 . وقتل بالقرب من ريدة في صراعه مع ابن الضحاك . يقول يحيى بن الحسين : « وفي جهلة الشيعة من يزعم أنه حي وأنه المهدي المنتظر » ؛ غاية الأمانى 1/239 ، وقارن بالمقدمة والتمهيد .

(2) كان علي بن محمد الصليحي شافعيّاً ثم تحول إلى المذهب الإسماعيلي . وفي سنة 439 هـ أعلن الثورة في مسار إيداناً بقيام الدولة الصليحية . انظر : عمارة ، تاريخ اليمن ، ص 101 ، ويحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ج 1 ص 247 ، وحسين الهمداني ، الصليحيون ، ص 75 .

(3) وادي جازان من أكبر أودية تهامة ، وعلى مصب الوادي مدينة جازان التي كانت عاصمة للمخلاف السليماني ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 98 ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 1 ص 171 ؛ البلادي ، بين مكة وحضرموت ، ص 179 - 189 .

(4) مسار بفتح الميم والسين ، قرية وعزلة في ناحية وبني إسماعيل ، قضاء حراز . وبها حصن مسار المشهور الذي يطل على مدينة مناعة ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 133 ، ج 1 نفس الصفحة ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 4 ص 707 ؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، ج 1 ص 42 - 44 ؛ خريطة ج . ع . ي . 1 : 500000 قطعة رقم 1 .

شاوور⁽¹⁾ المعيل يقال : إنه جعفر بن عباس⁽²⁾ ، واجتمع معه على قتال الصليحي كثير من الناس ، فلمّا خفّوا إليه قتلهم وكسرهم ، وفجع قلوب الناس وبهرهم . وقتل منيع بن إسحاق الهمداني من بني حماد⁽³⁾ في جماعة من بني عمّه بالجحاد⁽⁴⁾ . وصار للصليحي في تلك النواحي طوائل على جميع من بها من العرب في تلك المغارب . ثم إن رؤساء الناس من همدان⁽⁵⁾ وحمير⁽⁶⁾ ورؤساء المغرب ووجوه الأحبوب⁽⁷⁾ ضربوا لقاءً إلى بيت معدي كرب⁽⁸⁾ / حضر فيه الأميران جعفر بن القاسم وولده عبد الله بن جعفر وأبو حاشد بن يحيى بن أبي حاشد بن الضحّاك⁽⁹⁾ . فسألوا الأمير عبد الله بن جعفر التقدم إلى نواحي الحيمة⁽¹⁰⁾ لفتنة الصليحي لأنه كان له بها خبرة ، وكان أهلها له عشيرة فأجابهم إلى ذلك ونهض فيمن

(1) بنو شاوور : من قبائل همدان ويمتد نسبهم إلى كهلان من قحطان . ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص 47 .

(2) ذكر يحيى بن الحسين أنه كان هناك تحالف بين الأمير جعفر بن الإمام القاسم وبين جعفر بن عباس . وقد انتصر الصليحي وقتل جعفر بن عباس وتفرق الناس عن الأمير جعفر بن القاسم ؛ غاية الأمانى ، ج 1 ص 249 .

(3) بلاد بني حماد ذكرها الهمداني من مساقى وادي مور بالقرب من مسور ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 134 .

(4) الجحاد وعلسان : عزلة في ناحية الحيمة الخارجية قضاء صنعاء . والجحاد قرية من عزلة البشاري وبني حبش ناحية الطويلة ؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، ج 2 ص 196 ؛ التوزيع السكاني في محافظة المحويت ، ص 1 .

(5) همدان : أشهر قبائل اليمن ، وتنحصر قبائل همدان في البطينين حاشد وبكيل ابني جشم بن خيران . . . بن همدان . انظر ، الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 4 ص 752 - 759 .

(6) حمير : بكسر الحاء ، شعب عظيم في اليمن من ولد حمير بن سبأ بن قحطان . وينقسم إلى عدة قبائل . انظر ، ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص 50 ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 2 ص 282 - 298 .

(7) الأحبوب : عزلة من ناحية الحيمة الداخلية قضاء صنعاء ؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، ج 2 ص 215 - 216 .

(8) بيت كرب : من مخلاف شبام أقيان (كوكبان) ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 213 .

(9) أبو حاشد بن الضحّاك كان صاحب السلطة الفعلية في صنعاء . وكان يطلق عليه أحياناً اسم سلطان أو ملك صنعاء . انظر ، يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ج 1 ص 249 ؛ عمارة ، تاريخ اليمن ، ص 107 .

(10) الحيمة هي ما يطلق عليها الآن الحيمة الداخلية والحيمة الخارجية وهما جهتان تابعتان لقضاء صنعاء .

تبعه من الناس وبالغ في الفتنة إلى جهده . وكان في موضع يقال له المحارم⁽¹⁾ بالحدب فجَرَدَ له الصُّليحيُّ منسراً فخذله الناسُ وأسلموه ، فقتلَ مَنْ استقام معه وأسير إلى مسار فأقام هناك مُدَّةً ثم سَرَّحه وَمَنْ عليه بعد أن حَمَله العهود وأكد عليه العقود أن لا يقاتنه . ثم أجمعت رؤساء حمير ورؤساء همدان إلى والده جعفر ابن القاسم وسألوه القيام في بلدانهم والمحاماة على أوطانهم ، فنهض معهم إلى صيد البرار⁽²⁾ فبالغ في الفتنة هنالك إلى جهده ، ثم أخرج له الصُّليحيُّ عسكرياً وانهزم عنه جمهور الناس وأسلموه ، واستقام معه نفرٌ من أصحابه فاستشهدوا رحمةً الله عليهم ؛ منهم : أنسُ بنُ يعقوب الهمداني وعبد الرحمن بن حسان الحوالي⁽³⁾ وعلي بن عبد الله الأكبر ، ورجلٌ يقال له : المعقّر - في جماعةٍ من وجوه حمير زهاء ثلاثين فارساً ، وأسر الأمير جعفر بن القاسم إلى مسار ، فأقام هنالك ما علم الله . ثم حَمَله [م ق 6 ب] العهود وأكد عليه العقود على سراحه أن لا ينصب له حرباً ولا يقاتل له حزباً/

وروى لي جهضم بن أبي الحروب - وهو من أهل الورع والدين - عن الأمير جعفر بن القاسم أن الصُّليحيَّ قال له : أنا أسألك أن تكفيني وَلَدَكَ القاسم بن جعفر ! رواها لي عنه سماعاً والقاسمُ بنُ جعفر في ذلك الوقت حَدَث السن ما نصبَ لحربٍ ولا قام فيه .

فلما كان في سنة أربعٍ وأربعين وأربعمائة طلع الصُّليحي يناع⁽⁴⁾ وقتل

(1) في الأصل : (المحادم) . والمحارم : قرية من عزلة الحدب ناحية الحيمة الداخلية قضاء صنعاء ؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، ج 2 ص 214 ، والتقسيمات الإدارية لعام 1985 : عزلة الحدب .

(2) البرار الأسفل والبرار الأعلى من قرى عزلة حمدة ناحية ريده ؛ قارن بالتوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، ج 2 ص 313 . ويرجح الأكوع أن يكون المكان المقصود هو « صيد حضور » ؛ انظر : عمارة ، تاريخ اليمن ، ص 108 .

(3) الحوالي : بكسر الحاء المهملة أفصح من فتحها . والحواليون من قبائل حمير ؛ انظر ، الهمداني ؛ صفة جزيرة العرب ، ص 211 ، ج 12 ، نفس الصفحة . ؛ والحجري : مجموع بلدان اليمن ، ج 2 ص 299 .

(4) يناع : حصن في أسفل جبل حضور بالحيمة الداخلية . انظر : الهمداني ؛ صفة جزيرة العرب ، ص 210 ؛ الحجري : مجموع بلدان اليمن ، ج 2 ص 277 ، ج 4 ص 806 ؛ عمارة : تاريخ اليمن ، ص 110 .

الأحباب وأهل الجبل في يفاعه⁽¹⁾ ، وظافرة في أموره أبو الحسين بن مهلهل بن جناح وكان < ... > (*) موضع بني الصليحي بالأخروج⁽²⁾ يوم < ... > (**) ودافع العشائر على ما خلفوه من مالٍ أو دارٍ وقتل ابني أبي العسكر والعطاب في جماعة من وجوه أهل ذلك الجنب ، وبسببه كان قتل الأحباب وأهل الجبل وطلوع بيت خولان⁽³⁾ . وتعاضمت الميخنة وارتاع أهل اليمن ، واجتمعوا إلى حاشد بن يحيى - وهو يومئذ الرئيس والسلطان من حمير وهمدان وبني الحارث⁽⁴⁾ وخولان⁽⁵⁾ في عددٍ من رؤسائهم وكثرة وقوة ووفرة وأجمعوا على مكاسرة الصليحي ، وساروا بأجمعهم إليه . وكان عبد الأكبر بن وهيب الهمداني من أهل الرئاسة والشدة والبأس والنجدة قد نهض مقدماً لعسكر الهمدانيين وطلع الجبل وغنم ، وقتل ، وراح سالماً غانماً . فكان فيمن قتله ذلك اليوم محمد بن جعفر بن راسان ، وكان لسان بني الصليحي وشاعرهم وخاصتهم . وسار أبو حاشد بن يحيى في بقية العسكر وجمهوره حتى إذا كانوا بيازل⁽⁶⁾ من وادي صوف نزل عليهم عسكر الصليحي فقتل

(*) في الأصل : أحد ، والباقي ساقط .

(**) في الأصل بياض .

(1) يفاعه : قرية من عزلة الجحادب ناحية الحيمة الخارجية محافظة صنعاء . التقسيمات الإدارية لعام 1985 ، عزلة الجحادب .

(2) الأخروج : بلد الأخروج بن الغوث ، وتقع ما بين حضور وهوزن من حراز وهو ما يسمى بالحيمة . انظر ، الهمداني ؛ صفة جزيرة العرب ، ص 122 ج 6 ؛ الحجري ؛ مجموع بلدان اليمن ، ج 2 ص 255 ، ص 277 .

(3) بيت خولان : قرية على قمة جبل حضور إلى الغرب من صنعاء ؛ الهمداني ؛ صفة جزيرة العرب ، ص 122 ج 6 .

(4) بنو الحارث بن كعب حي ، من مذحج يسكنون عدة مناطق منها منطقة في شمال صنعاء وأخرى ، بالقرب من رداع ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 181 ؛ نشوان : منتخبات في أخبار اليمن ، ص 25 ؛ كحالة : معجم القبائل العربية ، ج 1 ص 227 - 228 .

(5) خولان : هم ولد خولان بن عمرو . وتنقسم خولان إلى ثلاثة أقسام خولان صعدة ، وخولان العالية شرقي صنعاء ، وخولان بني الخياط ؛ انظر ، ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص 78 - 79 ، والحجري ؛ مجموع بلدان اليمن ، ج 2 ص 313 - 322 .

(6) يازل : قرية من عزلة بني سوار ناحية بني مطر قضاء صنعاء ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، ج 1 ص 88 ؛ التقسيمات الإدارية لعام 1985 .

[م ق 7] أبو حاشد بن يحيى في عِدَّةٍ من الرؤساء والسلاطين ، وقُتِلَ في ذلك اليوم خَلْقٌ كثير وغُنِمَ ما كان معهم من الخيل / والسلاح والعدد والرماح . ونزل بالناس بلاءٌ عظيم ، وخطبُ هائلٌ جسيم ؛ وذلك بسبب أعمالهم وقُبْحِ أفعالهم واعتزالهم لآل نبيِّهم وما كان منهم في أيام مهديِّهم : ﴿وليمحَّص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين﴾⁽¹⁾ ، وكان ذلك في يوم الأحد من شهر ربيع الأول سنة أربع وأربعين وأربعمائة سنة . فلما اشتدَّ البلاء عليهم فزعوا إلى آل رسول الله صلوات الله عليه والتمسوا الفرج من عندهم وبهم . فالتمسوا الأفضل منهم وَمَنْ يُشارُ إليه فيهم ، ووجدوا الفضل في الشريفين الفاضلين الطاهرين الكاملين القاسم بن جعفر بن الإمام القاسم بن علي رضي الله عنه ، وحمزة بن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن⁽²⁾ . فأقبلوا إليهما مسرعين ، ومدّوا أعناقهم لهما خاضعين ، وسألوهما القيامَ فيهم والجهادَ لأعدائهم ، وعقدوا لهما بذلك بذل النفوس والأموال والمُواساة في الإكثار والإقلال ، وأعطوا على ذلك موثيق وعهوداً وأزِمَةً وعقوداً .

واستعاد⁽³⁾ الصُّليحيُّ من بيت خولان إلى تهامة فافتتحها وأقام بها إلى سنة سبعٍ وأربعين وأربعمائة . وكتب إلى الشريف الفاضل عليه السَّلام من هنالك كتاباً يقول فيه : بسم الله الرحمن الرحيم .

أما بعد ؛ فإنَّ الله لو أراد للنملة صلاحاً ما جعل لها جناحاً > < (*) بعد ذلك على كلامٍ قال فيه : وأنا في استدعاء الفرسان ، وسنَّ الرماح ، وصقل الصفاح . ثم أنا ناهضٌ إليه ومُطَلٌّ بمشيئة الله عليه فكأنني به وقد رأى الأمر في خلاف ما رتب فاستشار أهل خلته في أمره أيحارب أم يُسالم فقال قائلٌ منهم : المسالمة سلامة ، ويقول منهم من يريد بذل روحه من جسده في طاعته : والله لنخوضنَّ المنية حتَّى نبُلِّغَ الأمانة أو نذهب قتلاً بالكلية ! فيميل هو إلى هذا القول اتِّباعاً للهوى وسبباً لحلول المنية والردى . ثم أتى بعد ذلك على كلامٍ وكتب أبيات شِعْرِ يقول فيهنَّ :

(*) بياض في الأصل مقدار كلمتين .

(1) سورة آل عمران/ 141 .

(2) نقل مسلم اللحجي في م 4/ص 210 هذا النص عن مفرح .

(3) يستخدم الكاتب هذا الفعل بمعنى : « رجع » دائماً .

هذا اليقين وخيل الحق مقبلة تحت في نفعها جري السراحين
هناك لا تنفع الرسي ندامته وعرض إبهامه في الوقت والحين
فيا لهمدان لا يغرركم طمع إن الغرور جبال الشياطين

ثم قال : ألم تعلم أن خيلي منصوره المقاصد ، وأني أرتب فيها القواعد بعد
القواعد ، وأوردها سم الأسود والأسود ، فليدبر الشريف في نفسه رأياً . والسلام .

فلما قرأ الشريف الفاضل كتابه أعاد على يد رسوله جوابه يقول فيه : بسم الله
الرحمن الرحيم وحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد صلى الله عليه / ثم قال : [م ق 7 ب]
وقفنا على كتاب رجل قد طما في بحر الغرور وعلا في أسفل الأمور يخطب العشوى
في تجبره ، ويمشي الخيلاء بتكبره والكبرياء لذي العزة المنان الذي غمر العاصين
بالجود والإحسان حتى يستدرجهم في أقرب أوان : ﴿ ولو ترى إذ فرعوا فلا فوت
وأخذوا من مكان قريب ﴾ ⁽¹⁾ . ذكر كثرة كتابه ومن يتألفه برغائبه ؛ وتلكم العصب
أول أنصارنا وأكبر أعضادنا لأنهم من ولد قحطان ⁽²⁾ وأبناء حمير وكهلان ⁽³⁾ الذين لهم
علو الشأن في قديم الزمان وحدوث الأوان فبادعائه إلى نحلتنا أكرموا وعظموا ، والله
يفتح بصائرهم بنور الهدى وبرهان التقى حتى يعود الحق منصوراً والباطل مقهوراً
بأنصار الدين وتقارب الأجناد المعاضدين فلا يغره يازل وما قتل فيه من فارس وراجل
فإنها أمنيّة خدعتهم وعدوة فاجأتهم فلو تأهبوا لقتاله وأخذته ونزاه لضاق به الفجاج
وكثر منه الارتجاج . وقد علم مقام شيخهم عبد الأكبر بن وهيب لما استيقظ في
عصبة يسيرة تركت من قاتله صريعاً ، وخرج بأصحابه سالمين جميعاً . وهم الآن
فقد أصلحوا السلاح وثقفوا الرماح انتظاراً ليوم الكفاح واثقين بإزالة الدولة عنه
للبراهين التي قد لاحت وللأمور التي أتى وقتها وفاحت لما أتى في مُحكم التنزيل

(1) سورة سبأ/ 51 .

(2) قحطان : هو الجد الجامع لقبائل اليمن . وآل قحطان في بلاد صعدة ؛ الحجري : مجموع بلدان
اليمن ، ج 4 ص 647 .

(3) كهلان : بنو كهلان هم الأزدي بن الغوث وينسبون إلى كهلان بن سبأ . . . بن قحطان ؛ ابن رسول ،
طرفة الأصحاب ، ص 54 - 55 ؛ الحجري : مجموع بلدان اليمن ، ج 4 ص 673 - 674 ؛
الويسى : اليمن الكبرى ، ص 239 - 241 .

وفسره أمير المؤمنين . فالأمر صائر إلى أربابه حقاً ، والفرع عائد إلى نصابه صدقاً .
فكأنني به قد رأى الأمر في خلاف ما رتب فقام وقعد وانحدر وأصعد . وكتب أبياتاً
يقول فيهن :

هذا اليقين وإبلائي عن الدين عزمي وثيق وقلبي غير مرتعب لا بد من وقعة مني تظل بها تظل فيكم سيوف الهند راتعة هناك تعرف للرسى صولته وإن همدان لا تغضي على قذإ بكل أجرد سباح وسابحة فلا يغرك ما قد نلت من لمم ولا يصيبك ما قد قلت ممتثلاً لا تحسبوا في لقيانا لكم فرجاً بإسمنا نلتكم السلطان لا بكم ونحن ننزلكم عنه بمقدرة كأنني بك والخيلاً مقبلة قد غصك الريق واستعبرت منتجياً تود أنك لم تحملك ناجية	ليس الوعيد ولا الإرجاف يشيني إذا ألم نواميس الدهاقين أشلائكم مزقاً بين السراحين يطير من وقعها قطن الخفاتين إذا رأيت قريض الموت في الحين ولا تلاقيه إلا في الميادين على مناكبها شم العرانيين حراثة ما(*) وأصحاب الدكاكين إن الغرور جبال الشياطين بنا تبيدون ياركب البراذين / كما تصاد القمارى بالشواهين منا عليكم بتسهيل وتمكين تأتي وتذهب أوساط العثانين بكل صوتك تسميني وتكنيني ولا أدعيت إلى اسم السلاطين
--	---

ثم ختم كتابه يقول : ألم تعلم أنا أهل بيت نقمع من ناواناه ، وندمغ من
عاديناه في أوقات إذا عرفها الفاضل وأطرد الجحافل وأسر القبائل ونحن من ذرية ذلك
الشخص اليتيم الذي كان في كفالة عم فقير كان يقول : أنا أدوخ ملك كسرى
وقيصر ! فيقول السامعون : ساحر كذاب ومعلم مجنون ! وأنا في رباب ما غرسه
وتشييد ما أسسه . وتلك البركة تطرقني ، وذلك التوفيق يؤيدني . والسلام على
رسول الله .

(*) كذا في الأصل .

ولمّا وصله كتب إلى الشريفين المقدّم ذكرهما كتاباً جميلاً يستعفيهما من القيام مع العشائر ، ويعتذر في قتل همدان ، ويبالغ في الإجمال ، ويصف كراهيته لدماء الشرفاء ، ويحذّرهما عواقب الأمور .

رواية الشيخ الفقيه أبي الحسن علي بن محمد بن أبي الجيش قال : لمّ استعاد الصّليحي إلى تهامة كثر اختلاف أهل اليمن إلى الشريف الفاضل عليه السّلام وإلحاحهم ومطالبتهم له يسألونه إثبات الأمر والنهي والمناسبة لأعداء الله ويلحّون ويطلبون ويأتون ويذهبون فيدافعهم وهو في خلال ذلك يدير الفكر ويناقش نفسه وينظر في كتب آبائه ويستخير الله ويستشير إخوانه في جميع آرائه . فلمّا أجمع شيعة على أنّ الله لا يعذره من مدافعة الظلمة مع ما وجده من الآثار عن الأئمة وتحقّق أنّ ذلك فرضٌ قد لزمه لا يطيق له ردّاً ولا يجد من القيام به بدءاً إذ كان الفدّ من جميع أهل زمانه والمشار إليه بالصّلاح في جميع أفئانه .

* * *

قال مفرّح بن أحمد : لمّا نشأ الشريف الفاضل القاسم بن جعفر عليه السّلام كان منشؤه طاهراً وورعه ظاهراً عفيفاً كفيفاً قريباً لطيفاً رحيماً رؤوفاً ، ليس له همّة إلاّ تعليم الدين ومجالسة الموحّدين ، ودراسة كتب آبائه الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين .

يلبس خشناء ، ويأكلُ يسيراً ، ويصوم طويلاً ، معتزلاً للقرى ابتنى خارج حمدة⁽¹⁾ منزلاً ، ثمّ صار إلى شيع⁽²⁾ فابتنى عنها معزلاً ، ثمّ صار إلى أثافت⁽³⁾ فانفرد منها جانباً فشخصت إليه العيون وقصده المتعلّمون ، وعُرف بالفقه والفهم ،

(1) حمدة : بفتح الحاء وكسر الميم : قرية من عزلة حمدة ناحية ريدة قضاء عمران ، وتقع على بعد 8 كم غربي ريدة ؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، ج 2 ص 312 ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، ج 2 ص 490 ؛ خريطة ج.ع.ى . 1 : 50000 ، القطعة 1543 B2

(2) شيع : قرية من عزلة الظاهر ناحية خمر ، تقع على بعد 9 كم شمال غرب حمدة . التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، ج 1 ص 64 ؛ خريطة ج.ع.ى . 1 : 50000 ، القطعة 1543 B2

(3) أثافت بضم الهمزة وكسر الفاء ، وقد ذكرها البعض بفتح الهمزة . بلدة بالقرب من دماج شرقي خمر ؛ الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص 114 - 115 ؛ البكري : معجم ما استعجم ، ج 1 ص 105 ؛ ياقوت : معجم البلدان ، ج 1 ص 89 .

واشير إليه بالفضل والعلم . فلما فزع الناس مما أظلمهم فزعوا إليه فأبى عليهم فأبوا [م ق 8ب] عليه ، وتباعد منهم فقرّبوا منه . فلما قرب منهم / تباعدوا عنه وذلك سبيل الناس فيه وفي مثله من آبائه الطاهرين وخلفه الغابرين : ﴿ والله يحكم لا معقب لحكمه ﴾ ، ﴿ وهو خير الحاكمين ﴾⁽¹⁾ .

قال مفرّح بن أحمد : روي لي أنّ الشريف الفاضل عليه السلام لما بلغ إلى مكة والمدينة يسأل الله أن يرزقه الجهاد في سبيله فسألته عن الرواية وأردت أن آخذها عنه سماعاً فقال لي عليه السلام : أعلمك لما وصلت مكة أو قال المدينة ومكة روي أنّ بها موضعين لا يسأل الله بهما حاجة إلّا قضاها . فآليت على نفسي أن لا أسأل الله فيهما حاجة من حوائج الدنيا ؛ وأكنى عني مسألته لربه ؛ ثم قال : ما أظنّ ذلك إلّا ما تراني فيه ! وكان عليه السلام لا يلوي على مالٍ ولا ولدٍ ولا يلتذّ من العيش إلّا باليسير ولا يطعمُ النومَ إلّا الحقيق ولا يأوي منزلاً إلّا أقلّ عمره ، قد أنحف السيرُ ركابه ، وأنهك الحطّ والارتحالُ أصحابه . يجاهد ليله ونهاره وأصاله وأبكاره ولا يأكل شيئاً من الجبايات دقيقاً كان أو جليلاً ، ولا يلبس منها ثوباً ولا يدخر منها ديناراً ولا درهماً . ولقد كان رحمة الله عليه إذا داخله شك في شيء مما يجوز ليأكله ويسمح له بذلك الشيء أهله يعيده إلى بيت مال المسلمين وإن كان أحوج المسلمين إليه في الوقت والحين ورعاً منه وتكففاً عنه . ولقد زُرعت له زراعة > نواحي صنعاء < (*) من خاصته وماله ، فلما كان قريباً من حصاد الزرع وكماله بعد أن بالغ فيها عملاً وأنفق فيها من خاصته جُملاً ذكر له أنه استوهب له من الرعية سقوفين من الغيل المعروف بربقين فكره ذلك وأعاده إلى بيت مال المسلمين . ولقد روي لي القائد مقبل السحرتي وهو من أهل الورع والدين أنه التأم له بُرٌّ من وادي صنّاف وحمل على جملين وسار في جملة قطارٍ لبيت مال المسلمين . فلما صاروا بأقر⁽²⁾ خالطهم الشك فقليل هو هذا بل هو هذا فصرف جميع ذلك إلى بيت مال المسلمين .

(*) عن الهامش الأيسر للصفحة .

(1) سورة الرعد/41 : ﴿ والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ﴾ . وفي سورة الأعراف/87 : ﴿ فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ﴾ .

(2) أقر : بفتح الهمزة وكسر القاف وراء مهملة : وإد شرقي شهارة في بلاد حاشد ؛ الحجري : مجموع بلدان اليمن ، ج 1 ص 87 .

وروى لي أيضاً أنه لما صار بيت الجالد⁽¹⁾ مجهّزاً إلى مصنعة ذمرمر⁽²⁾ مخرجاً أتاه أهل بيت الجالد ببرّ قد جمعه له وهو شبه عشرين ديناراً فصرف ذلك إلى بيت مال المسلمين فسئل عن ذلك فقال : لم تجر العادة منهم لنا ببرّ وأنا أخشى أن يكون هذا لمكان هذا الأمر . ورواها لي عنه القاضي يعقوب بن عيسى سماعاً . وروى لي الشيخ الفقيه علي بن محمد أنه أتى له بدينار وسأله صاحبه كتاباً فقال : اصرف الدينار إلى بيت مال المسلمين واكتب له بما سأل فيني أخشى أن يكون الدينار لمكان الكتاب . وروى لي أيضاً سلامة بن علي أنه جعل معه وديعة تسعة عشر ديناراً براً وديناراً من الزكاة وأمره أن يشتاط⁽³⁾ له بدنانير البرّ طعاماً ثم سأله عن دينار الزكاة فقال له قد خلطت بتلك الدنانير ناسياً واشتطت بالكلّ والسعر معروف . فأمره بصرف الكلّ إلى بيت مال المسلمين . ولقد كان / يؤتى بطعام فارغ(*) يتبرع به أهله فيقول : لم [م ق 6ب] تجر لنا العادة منهم قبل هذا الأمر بهذا فلا يأكله ، ثم يؤتى بطعام مثله من بعض من كان يعرف ذلك منه قديماً فيأكله . ولقد كان له فرس في خاصته وحسكة من بيت مال المسلمين فصرفه بنفسه إلى بيت مال المسلمين . ولقد ملك رحمه الله البيضاء

(1) الجالد : قرية من عزلة الخميس ناحية أرحب قضاء صنعاء ؛ الحجري : مجموع بلدان اليمن ، ج 1 ص 66 ، ص 172 ؛ التقسيمات الإدارية لعام 1985 ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، ج 1 ص 65 .

(2) ذمرمر : ذمرمر أو ذي مرمر ، حصن في أعلى قرية شبام الغراس على بعد 18 كم شمال شرق صنعاء وتقع ما بين : 05 31 15° شمالاً ، و 14 19 44 شرقاً : قارن : الهمداني : الإكليل ، ج 8 ص 150 - 151 ؛ خريطة ج . ع . ي . 1 : 50000 ، صفحة A4 1544 .

(3) ذكر لنا كل من الدكتور عبد الله الشيبة والدكتور إبراهيم الصلوي الأستاذين بجامعة صنعاء أن : شيط بمعنى باع وبمعنى اشترى ، جاء ذلك في نقش قتباني دُون فيه قانون عرف باسم : « قانون سوق تمنع » ، وقد استمر استخدام هذه الكلمة حتى اليوم في العامية اليمنية ؛ يقول المثل اليمني : « الحب الغابش يدي الله له مشتط أعمى » .

S.D.F. مادة شيط ، Ricks , David ; Lexicon of the Epigraphic Qatabanian (1982) ، Goitein ; JEMENICA Sprichwörter und Redensarten aus Zentral-Jemen , Leiden (1940) , P. 58 . A.F.L. Beeston , « Notes on old South Arabian Lexicography » , Le Musèon , 67 , PP. 311 - 322 .

(*) كذا في الأصل . وربما كانت : فاره .

والصفراء وتعرضت له الدنيا من جلّها فما راقه ذلك ولا شاقه بل انزوى عنه انزواء الشوبة عن النار . ولقد أملاني إلى شيعة بشهارة كتاباً وسمعتُه منه إليهم خطاباً يأمر أهل الصناعات بالأكل من غلل أموالهم وإن لم يكن غلة أمرهم بالبيع للمصون من رحالهم ويقول من ذخّر من ماله قليلاً أو كثيراً أو أكل من هذه الجبايات كثيراً أو يسيراً فهو كمن أكل ميتة أو دماً أو خنزيراً .

ولا تحلّ إلا لمن ألجىء إليها واضطر عليها فإذا لم يجد غيرها مالاً ، ولم يُحسن عنها انعدالاً جاز له أن يأكل منها بالمعروف والإرشاد ، ويستعين بها على ما قد اشتغل به من أمور الجهاد .

وقد شرحتُ من فضائله يسيراً وأغفلت كثيراً . وروى غير واحدٍ من أصحابه أنه قال : مثْلُ مَنْ يتناول من هذه الأشياء شيئاً ومعه غيرها مثل رجلٍ مسافرٍ في طريقٍ معه رغيفان في جيبه ثم مرَّ بميتةٍ فقال : أتغذى من هذه ، وأخبأ هذين الرغيفين > للعشاء ثم يدركه الموت وقد أكل الميتة وترك الرغيفين < (*) دلالةً منه عليه السلام أن لا يدخّر أحدٌ شيئاً من حلاله ويتناول شيئاً من هذه الجبايات وهو يعلم غيرها دقيقاً كان أو جليلاً . لا أقول ذلك إلا وقد علمه الداني والقاصي وشهد به المطيعُ والعاصي . وروى لي الشيخ الفقيه علي بن محمد أنه كان له بُرٌّ فترك في بيتٍ في جانبه شيءٌ لبيت مال المسلمين فكره ذلك وصرفه إلى بيت مال المسلمين . وروى لي أيضاً أنه جمع إخوته محمداً وأحمد وعلياً أولاد جعفر في مرضٍ له مرضه بشهارة وأشفى فيه على التعب⁽¹⁾ ثم قال لهم : ما تعلمون لي من الطين ؟ قالوا : ما نعلم لك إلا يسيراً قد أخرجته في حقِّ لزمك ! فقال : فما تعلمون لي من السلاح والدواب والآلة ؟ قالوا : لا نعلم . ثم قال : هذا الظاهر وأما الباطن فإني أقسم لكم بالله اليمين البالغة ما أملك ديناراً ولا درهماً ولا عَرَضاً ولا منتقلاً إلا سبعين درهماً أرسل بها لي محمد في ميلاد ولدي جعفر وقد أنفقتُ فيما يُصلحُه بعضها . ثم قال :

(*) ما بين الحاصرتين عن الهامش الأيمن للصفحة .

(1) كذا في الأصل ، وربما كانت : التلف .

أردت أن تعلموا أنني لم أتعلق بشيء من الدنيا لتسلكوا بها مسلكي .

ثم كان رحمة الله عليه يدبر في ما وقع من بيت مال المسلمين في يده ولا يعطيه رياء ولا سُمعة ولا يتقي به خوف كلام ولا سُنعة ، يعطي الأجناد فينجزل وينفق في الجهاد / فيفضل . وإذا سأله سائل لا يعلم فيه للإسلام نفعاً ولا يرجو فيه في حال [م ق و ب] من أحوال الجهاد حرمة السير وزوى دونه الحقير . ولقد روى لي غير واحد من أصحابه أن سائلاً سأله مراراً فقال له بعض أصحابه : هَبْ له ديناراً ! فقال : وبم أعذرُ إلى الله إذا لقيته غداً ؟ ! والله لا فعلتُ هذا أبداً . وروى لي بعض أصحابه أنه هتف إليه غزلاً⁽¹⁾ هُتافاً عظيماً فسأله بعض أصحابه أن يهب لهم من المعز فطيماً ! فقال : لست أُعطي مال الله مَنْ ليس به حقيقاً ، ولا أداهن في الله عدواً ولا صديقاً . وهو يعطي على الجهاد الخيل الشنوفية والحلل الموشية والهبات السنية ويتفقد ببره البائس الفقير ، ويؤثر من قوته بالكثير ، ويستمتع منه باليسير معروفاً بأسوة الصاحب لا بل بأثرته ، موصوفاً بالبر واللين لأهل عشيرته . أرعى الناس للصاحب وأوصلهم للأقارب . ولقد رأيتُه لا يترك منزلاً من منازل ذوي رَحِمه إذا آب وينتقل إلى منازل أهله وحریمه إذا خرج راجلاً ، ويتفقد ذلك من أقصى الشرفاء وأدناهم ويوجب حقَّ رَحِم آل رسول الله صلوات الله عليه وعليهم ويرعاهم ويحرص على صلة قاطعهم وقرب شاسعهم . ولقد رأيتُه يشمر مدرعة صلاته ، ويرقع ثياب بدنه بيديه في بعض أوقاته . ولقد رأيتُه يستخليه للصغير والكبير والرفيع والحقير . ولقد رأيتُه من لين جانبه لإخوانه يمدُّ إليهم في حال ما < > (*) عليه بحنانه . ولقد رأيتُه من تَكْرُمه يَهَبُ نعله من قدمه . ولقد رأيتُه يهسُّ الجفان بيديه لضيفانه الوافدين عليه ، ولا يقنع بمقام كُفاته حتى يقوم في ذلك بذاته . ولقد رأيتُ من شدته في الفتن وصبره على المَحَن وتدبيره ودهائه وإصابته للمعاني وذكائه ورصانة رأيه وتمييزه وتيقظه من كيد العدو وتحرُّزه ما يطول به القول لو سطرته ، ويكثرُ فيه الأثر لو أثرته . وما عسيتُ أن أصِفَ من جميل خلائقه ونبل طرائقه ولو ذهبتُ لأحصي الروايات في مناقبه والجميل من مذاهبه ما أتيتُ على ذلك ولا أحطتُ بما هنالك فرحمة الله وسلامه

(*) طمس في الأصل .

(1) كذا في الأصل .

وَصَلَوَاتُهُ وَإِكْرَامِهِ عَلَى تِلْكَ الشَّيْبَةِ الطَّاهِرَةِ فِي ثَرَاهَا الْمَخْضِبَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي دِمَائِهَا
وَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَاذِلِيهِ وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى قَاتِلِيهِ .

* * *

قال مفرح بن أحمد : سألت الشريف الفاضل عليه السلام عن الحجة في جواز هذه الجبايات المجموعة وما يؤخذ من غير هذه الأعشار المشروعة فقال لي : < إن الهادي إلى الحق > عليه السلام لما ظهر القُرْمُطِي (*) ابن فضل (1) على الإسلام جمع أهل صنعاء وسألهم أن يعينوه بشيء من أموالهم يدفع به عنهم ما أَلَمَّ بهم . فتكلم أناس من جهالهم وقالوا قد رغب هذا العلوي في أموالنا ولحقه الطمع في رجالنا ! فمضى وخلاهم . فلما أجاز بالهادي عليه السلام هزيم من بقي منهم بكى لما / لحقهم وتأسف على أن لا يكون خيرهم (2) على أخذ شيء من أموالهم [م ف 110] والمدافعة عنهم بشيء من رجالهم والرواية في ذلك مشهورة والحجج عن الأئمة عليهم السلام في ذلك مأثورة . وقد كان من احتساب الناصر عليه السلام ، وما أمره به المرتضى في أيامه وهو الإمام ما علم به الخاص والعام . وكذلك رأى الإمام القاسم بن علي وكذلك فعله إمام عصرنا المهدي لدين الله صلوات الله عليه وعلى آله (3) الكرام .

وهذه نسخة رواية عن المهدي عليه السلام أخذتها من كتاب سلامة ابن علي بن محمد المحلي ، وهو من أصحاب الشريف الفاضل عليه السلام ، أخذها

(*) عن الهامش الأيسر من الصفحة .

(1) علي بن الفضل الحميري ، كان داعياً لعبيد الله المهدي في اليمن ، واتخذ من بلاد يافع مركزاً للدعوة وتمكن من إقامة دولة إسماعيلية في اليمن مركزها المذيخرة . ثم توسع على حساب باقي القوى المحلية . ثم انشق ابن الفضل على الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي واستقل عنه . وقد اشتهر بالعنف وسفك الدماء ، كما اتهم بأنه ادعى النبوة وأباح كثيراً من المحرمات . انظر : يحيى بن الحسين : غاية الأمان ، ج 1 ص 191 - 197 ؛ حسين بن فضل الله الهمداني : الصليحيون ، ص 35 - 46 .

(2) كذا في الأصل . وربما كانت صحتها : أجبرهم .

(3) كذا في الأصل . وكتب فوقها : آباءه . وقد حكم الهادي حتى وفاته عام 298 هـ . وخلفه ابنه محمد المرتضى المتوفى عام 310 هـ ، ثم ابنه الثاني أحمد الناصر المتوفى عام 322 هـ ، وتوفي القاسم بن علي سنة 393 هـ . كما قُتل ابنه المهدي الحسين بن القاسم سنة 404 هـ .

عن وليد بن محمد الحرادي ، أخذها وليد من كتاب وجد بالشرف شرف البياض⁽¹⁾ فيه مسائل مشهورة للمهدي صلوات الله عليه : وأيّما زمانٍ ظهرت فيه القرامط على الأمة فأحلّوا ما حرّم الله وحرّموا حلاله وأحلّوا الزنا وأكلوا الربا وسفكوا الدماء وبدّلوا الأحكام ، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، وأنكروا الوعد والوعيد والعدل والتوحيد ؛ ثم ظهر عليهم ظاهرٌ من آل الرسول يريد التغيير عليهم وكان ليس معه أموالٌ يجاهد بها وكان أهل الأرض له خاذلين وغير باذلين ولا مجاهدين ؛ كان له أن يأخذ الأعشار من أموال الناس فإن كفت جيشه والدواوين التي تكون معه وإلا أخذ السهم الثاني فإن كفى وإلا أخذ السهم الثالث فإن كفى وإلا أخذ السهم الرابع فإن كفى وإلا أخذ إلى تسعة أسهمٍ مما في أيدي الناس ووضعه في الجند والرساتيق ، ويعقّف منه أهل الدين والورع والاحتساب إلا من قطع به الشيء وألّمت به الحاجة وهو مقيمٌ في الحضرة كان له أن يأكل ما يقوته ولا يدين⁽⁴⁾ في ذلك بالتحليل ، وكذلك للمسلمين أن يشتروا من تلك الخراجات الخيل والسلاح وما كانوا يُجلبون به على القرامط فإذا أطفأ الله نار الحرب وأوهن الكفرة والمردة لم يحلّ لإمامٍ كان أو أميرٍ إلا سهم الله الذي فرض على عباده يضعه حيث وضعه الله تبارك وتعالى .

* * *

وروى لي الشيخ الفقيه علي بن محمد أنّ الشريف الفاضل عليه السلام قال : القرامطة تطالب الناس بأربعة بأنفسهم وأموالهم وحریمهم وأديانهم . وأنا أرى < أن >⁽³⁾ أجبر الناس على اثنتين لسلامة اثنتين يُجبرون على الجهاد بالنفوس والأموال دون الحریم والأديان . وروى لي أيضاً أنه سمعه يقول في شهارة حرسها الله ويُقسّم بالله أن أخذ تسعة أسهمٍ مما في أيدي الناس لأصلح لهم وأعدل من تخلية هذا الأمر لأنه لو يُخلّى صاحبه لأخذ الكلّ مع النفس والدين والحریم .

* * *

(1) شرف البياض : من بلاد خولان من جهة صعدة ؛ الحجري : مجموع بلدان اليمن ، ج 3 ص 451 .

(2) كذا في الأصل . وربما كان صحة الفعل : يدين .

(3) زيادة من المحققين .

ذكر دعوة الشريف الفاضل عليه السلام :

[م ق 10 ب] هذا كتابُ كتبه / الشريف الفاضل القاسم بن جعفر بن الإمام القاسم بن علي رضي الله عنه فيه كلامٌ واسعٌ واحتجاجٌ قاطعٌ كتبه إلى كافة الناس عند ظهور القرامطة باليمن عليهم لعنة الله يدعو الناس إلى القيام معه والحضور إليه ويحقُّ لهم الواجب الذي أوجب ذلك عليه .

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله على ما ألهم من شكره وعلم من مكنون سرّه وعرف من زواجر أمره ونهيه وأصبغ من غمير نعمه وحميد آلائه ومننه واتّسع بالرحمة لخلقه وجاد بالمنة على عباده وبسط المواهب بجوده ومنح عوائد المزيد من عنده بغير ما طلب ويعطي الجزيل بغير ما أرب ونافي الفاقة لغير نصب وباذل العطاء من فضله وقابل الشكر من أهله وجازي المحسن بإحسانه أحمدُهُ حمداً يكون للوسيلة سبباً ، وبما لديه تقرباً ، ولرضائه موجباً وأشهد أن لا إله إلا هو شهادة من اعترف بوحدانيته وأقرّ بربوبيته ، < وشكر على هدايته > (*) وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله في حين فترةٍ والناس في حيرةٍ وغفول غمرةٍ فهدى به إلى السبيل وأوضح بنور هدايته الدليل صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وسلّم تسليماً . سلامٌ عليكم أيها الإخوان الأولياء والخاصّة الأصفياء ورحمة الله وبركاته .

أمّا (1) بعد أكرمكم الله كرامة الأبرار ونجانا وإياكم من عذاب النار فقد أصبحتم بدين سلفنا متمسكين وبمذهبهم متعلقين وبإمامتهم قائلين وبحبلهم ملتزمين رجاءً لثواب ربّ العالمين .

ولا بُدّ لكل عملٍ من عمارة ، ولكلِّ حرثٍ من إثارة وقد هجم (**) على الإسلام ما قد علمتم من تحليل الحرام وركوب الآثام ودخول العوامّ والطغام مع هؤلاء القرامطة الملاحين وما هم يحاولون من سفك دماء المسلمين وسبي حريم المؤمنين

(*) عن الهامش الأيسر من الصفحة .

(**) في اللآلي : هجمكم .

(1) اقتبس الشرفي في اللآلي المضية م 2/ ص 149 - 150 بعض هذه الرسالة .

وقتل الأجناد والسلاطين وذلك بتخاذل أهل الدين وافتراقهم وقلة نظرهم في أمورهم وأمر غيرهم واشتغالهم بالخلاف في أديانهم وكان يسعهم عند الله ترك الإحن والإقبال على هذا الفن الذي هو يفسد على الجميع اعتقادهم وتُسبى به حريمهم وتُقتل أولادهم ولم أر لكم أيها الإخوان ثم غرضاً ولا اهتماماً ولا اجتماعاً وقد يجب علينا وعليكم الفرض دون الناس أجمعين والدفع عن الأديان والحريم فلم أر لأحد منا عند الله عذراً من القيام والمدافعة والاهتمام وقد رأينا تعريفكم بذلك . وإنا بعد خيرة الله تعالى ناهضون لقتال هؤلاء القرامطة الملاحين مستعدون فيمن رغب في معونتنا وكان من أهل الإسلام ثار معنا وأعدَّ السلاح والزاد وأخذ الأُهبه للجهاد ومقاتلة أهل العناد والزَّيغ والفساد ، ولسنا ندعوهم إلى سلطنة ولا جِباة ولا إمامة - وقد وجبت لنا بالسبق - ، ولا إلى استعطاف أحدٍ من اعتقاده / ومذهبه بل ندعوهم إلى المعاونة [م ق 11]

في جهاد الباغين القرامطة المشركين لما لزمنا من ذلك ولولا ما ذكره أئمتنا عليهم السلام من الواجب علينا لما تعلّقنا بمالٍ مُحَرَّم ولا دخلنا أبداً في مآثمٍ بل قد ذكر الهادي إلى الحق صلوات الله عليه أن يأخذ جزءاً من أموال المسلمين ليدفع به عنهم جور المشركين الطواغيت الباغين وأوضح ذلك في مسائل عبيد الله بن يحيى الطبري⁽¹⁾ فيما قد وقفتم عليه من قوله عليه السلام قال⁽²⁾ : ومما سألت عنه وأُحِبَّتُ الجواب فيه ما كان من مجيء كبراء أهل صنعاء إلينا ومشايخهم وما سألونا من التقدم إليهم والمصير إلى بلادهم فأخبرناهم بقلة ذات اليد وأنا لا نُطِيقُ الإنفاق على العساكر ولا نجدُ إلى ذلك سبيلاً . فذكروا أنهم يعينون ويجهتدون وأن أهل البلد على ذلك مُجمِعون . فلما صرنا إليهم كتب على الناس على قدر طاقتهم بل دون طاقتهم فكتب على صاحب العشرة الآلاف مائة دينار ، وعلى صاحب عشرين ألف مائتان ، وعلى صاحب الخمسين ديناراً ديناراً ، وعلى صاحب الثلاثين ديناراً وشبيهاً بذلك فكلُّهم إلى ذلك مُسارع ، وكلُّهم رأى فيه المنفعة لنفسه في ماله وحريمه . وقد علمت كيف كان فعل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله

(1) في اللآلي المضية : مسائل عبد الله بن محمد الطبري !

(2) مجموع كتب الإمام الهادي (المجموعة الفاخرة) (مكتبة اليمن الكبرى ، بدون تاريخ) : جواب مسائل الحسن بن عبد الله الطبري (؟) ، السؤال الثالث ، ص 439 وما بعدها .

عليه⁽¹⁾ بعد حرب طلحة والزبير فوجد في بيوت المال من أهل البصرة مالاً كثيراً من الفيء الذي هو للصغير والكبير والمرأة والرجل والطفل والطفلة ، فدعا كبراء البلد ووجوه أهله ثم قال لهم : إن في بيوت مالكم مالاً وبأصحابنا حاجة شديدة فأطلقوا إليّ قسمته على أصحابي دونكم ففعلوا وأطلقوا له القسمة على أصحابه فوق لكل إنسان منهم خمسمائة درهم قفلة⁽²⁾ ولم يدع أوساط الناس ولا النساء ولا الصبيان ولا كل من يملكه واجترأ برأي كبرائهم إذ كان في ذلك صلاح لهم ومنفعة لبلدهم وعائده في العاقبة عليهم فافهم هذا المعنى وسنشرح لك في ذلك حجة أخرى قوية نيرة بينة عند أهل العلم والفهم واضحة . نحن نقول ؛ وكل ذي فهم وبصيرة من العلماء : إن الإمام المحقق المستحق العادل له أن يأخذ من المسلمين العفو من أموالهم اليسير الذي لا يضرهم فيرده على صلاحهم وصلاح بلادهم ، ويدفع به العدو القاهر على أموالهم وحریمهم ودمائهم ، أحبوا أم كرهوا ، أطاعوا أم أبوا . ثم نقول : إن ذلك من حسن النظر لهم الذي لا يجوز له عند الله غيره ولا نجد منه بدءاً ، ولا عن أخذه مندفعاً وإلا لم يكن إلا انفضاض عسكره وهلاك المجاهدين الذين معه . أو أخذ ما يأخذ من رعيته لأنه إن قصر في ذلك انفض العسكر وافتقرت الجماعة وذلّ الإمام [م ق 11 ب] والمؤمنون ، وهلكت الرعية المستضعفون / ، وقويت عليهم الأعداء الفاجرون ، وملكهم الجبابرة الطاغون . وأخذوا الأموال ، وقتلوا الرجال ، وأهلكوا الأطفال ، ومات الحق ، وظهر الباطل والفسق . فهذا ما لا يحلّ لإمام الحق أن يفعله . ولا يجوز هذا إلا لإمام حق مستحق بموضع نافذ حكمه في الأمة ، حاكم بالكتاب والسنة لأن في فعله ذلك نجاة للمسلمين وفي تركه له هلاك لجميع المؤمنين . فإذا كان ذلك كذلك فأخذ جزءاً من أموال المسلمين فرض عليه في ذلك ، فإن قصر فيه فقد شارك مهلكهم في هلكتهم⁽³⁾ ولم يحسن النظر لهم . وكان قد تحرّى في تركهم صلاحاً ورشداً فوق من ذلك في هلكة وارثك إداً . وسنضرب لك في ذلك مثلاً نقول فيه بصواب إن شاء الله مقالاً يصحّ رشده لذي لب ، ويتبين صدقه لكل ذي

(1) في مجموع كتب الهادي ، ص 440 بعد هذا : حين دخل البصرة .

(2) القفلة وزن 10/1 من الأوقية ، انظر : يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج 1 ح 4 ص 388 .

(3) في مجموع كتب الهادي ، ص 441 بخط مختلف : مهلكتهم .

تميز وفهم . ما يقول من أنكر علينا ذلك في نفسه لو(*) كان في قرية من قرى المسلمين وكان أمره فيها نافذاً جارياً ، وقوله فيهم جائزاً ماضياً ، ثم دلف إليها طاغية من طواغي المشركين أو طاغوت من طواغيت الباغين ؛ يقتل رجالها ، ويسبي نساءها ، ويأخذ أموالها ، ويهدم ديارها ؛ ووجد هذا الإنسان الرئيس عليها النافذ أمره فيها أعواناً ، يدفع(**) بهم عن القرية ما قد غشاها ، ويزيح عنها من الهلكة ما أتاها ، كان الواجب عليه بحكم الله وفيما يجب للمسلم على المسلم أن يأخذ من أموالهم طرفاً يقوت به هؤلاء الذين يدفعون عنهم حتى يسلّموا من الهلكة أو يخلّوهم حتى يهلكوا ويستباحوا ويقتلوا . فإن قال قائل : بل يخلّوهم فيقتلوا قبل أن يأخذ منهم سيراً يحييهم به ؛ فقد أساء في القول ، وجار بالحكم ، وخالف الحق لأن الله سبحانه يقول في كتابه : ﴿ تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾⁽¹⁾ ومن فعل ذلك فقد أعان على الإثم وترك المعونة على البر والتقوى . وإن قال : بل الواجب أن أخذ منهم ما أدفع به عنهم أحبوا أم كرهوا ، وأقيم فرض الله عليّ فيما يلزم للمسلمين ، ولا أنظر إلى قولهم إذا أبوا النظر لأنفسهم واستدعوا الهلكة إليهم إذ كنت منفذاً أمرهم بنفاذ حكمي عليهم فقد أصاب في قوله واحتذى وسلك الطريقة المثلى . ومن الحجّة في ذلك على من أنكره وقال بغيره ورفضه أن يقال له : أخبرنا عنك لو سرت في قافلة من قوافل المسلمين وأمرك فيهم نافذ فوجدت في بعض الطريق قوماً قد قطع بهم وتركوا مطروحين جوعاً عطاشاً عرايا لا يطيقون مشياً إن تركتهم ماتوا وإن حملتهم نجوا وإن أطعمتهم وسقيتهم حيوا : أليس كان الواجب عليك في حكم الله أن تأخذ من أهل الرفقة لهم قوتاً يحييهم وتلزمهم لهم المعاقبة على رواحهم حتى يلحقوا بالقرى والمدن / والمناهل أو لا تأخذ لهم [م ق 12] قوتاً ولا مركباً فيموتوا كلّهم ويهلكوا بأجمعهم ؟ فإن قال : بل أتركهم يموتوا فقد شرك في قتلهم ، وقال بالمنكر من القول فيهم الذي ينكره عليه الجهال فضلاً عن العلماء من الرجال ! وإذا قال أحمل أهل القافلة على أن يواسوهم بما لا يضرهم من

(*) في الأصل : ولو .

(**) في الأصل : ويدفع .

(1) سورة المائدة / 2 .

الطعام والشراب والمعاقبة على الركاب فقد قال الحق من المقال وانتحل صواباً من الفعال وأدى حقوق الله وحقوق المسلمين ونجا من قبل إخوانه أجمعين ، ألا تسمع إلى قول الله سبحانه : ﴿ من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ﴾ (1) . فحكم الله على كل مسلم بإزاحة الهلكة عن المسلمين بجهد وطاقته . . . إلى آخر ما في المسألة من كلامه عليه السلام . تم كلام الهادي صلوات الله عليه (2) .

وآعلموا رحمكم الله أن هذا الظالم لا يدفع إلا بالخيل والرجال والعدد والاستعداد وجمع الأجناد بالأرزاق والأرفاق التي تُقيم مراكزهم وتثبت أسواقهم . وليس ذلك يكون إلا بالإجماع ومشورة من أهل الاستماع . وقد كاتبنا جميع عشائرننا واستحلفنا كافة من يلينا من إخواننا ، فمن دخل معنا منهم واختار ديننا فهو منا له ما لنا وعليه ما علينا . ومن دخل مع عدو الإسلام وعدونا استتبنا واستحلفناه فإن أبى جاهذناه وحكمنا فيه بحكم الله ونابذناه وكان حكمه كحكم المفسدين الذين ذكر الله في كتابه حين يقول : ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يُقتلوا أو يُصلبوا أو تُقَطَّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يُنْفَوْا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾ (3) . وقد ودينا (4) ما أمر الله به من تنبيه خلقه وهو الشاهد لنا على برئته وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وعلى ولده المهدي وعلى آلهم الطيبين وسلم تسليماً .

قال مفرح بن أحمد (5) : فلما كان من الأمور ما كان وبان للناس من عواقب أمرهم ما بان رأوا في عواقب تدبير الشريف الفاضل عليه السلام من الفرج والراحة ما

(1) سورة المائدة / 32 .

(2) في اللآلي المضية هنا : قال مصنف السيرة حاكياً عن الفاضل عليه السلام : تم كلام الهادي صلوات الله عليه . ثم تابع النقل عن السيرة .

(3) سورة المائدة / 33 .

(4) كذا في الأصل واللآلي المضية وربما كانت : أدينا .

(5) عاد الشرفي في اللآلي المضية م 2 / ص 151 للنقل عن السيرة قائلاً : قال مفرح بن أحمد . الخ .

لم يكونوا يطمعون بالوصول إليه . ولقد بلغني على لسان الثقة أنّ قوماً ممن بقي (1) ملك القرامطة بصنعاء والرحبة (2) وبلد الأبناء (3) وبلد عنس (4) وما والاها اقتسموا قسمة الملك وعمل فيهم ما لا يُعمل في الروم - وهم أهل الشرك - يبيعونهم ويشترونهم ويصرفونهم عن منازلهم ويمنعونهم ويدخل الواحد إلى منزل قسيمه ويخلو بأهله وحريمه . ولقد بلغني أن حجازياً قتل رجلاً على غثة سُنبُلٍ / من زرعه [م ق 12 ب] وماله واستولى على داره من بعده وعياله . ولقد بلغني أن رجلاً أمر قسيماً له ينتحل الدين - لا كثر الله مثله في المسلمين - أن يعمل له شراباً ويضع له عليه طعاماً وكباباً وقسيمه هذا في علو منزله بدولابه (*) على شرابه ، ويضربون المعازف والطنابير والأدفاف والمزامير مختلطين بأحرامه في جانب الدار وهو واضعُ خَدَّه للعار والنار . ولقد بلغني أن الرجل وأولاده يصيرون مقسماً لجماعة فيأتي هو لرجلٍ وولده لرجلٍ آخر وزوجته لرجلٍ آخر وكلُّ منهم يُجري على أقسامه ما يُحبُّ من أحكامه . ولقد بلغني أن الرجل تقع له القرية فيبيعها بمن فيها . ومن هذا أمورٌ كثيرةٌ لا أُحصيها فما يقول من لا يرى جهادهم من القاعدين بأيِّ وجهٍ استحلّوا تعنيف أولياء الله المجاهدين ؟!

قال : ولما لم يجد الشريف الفاضل عذراً من القيام والمدافعة عن المسلمين والإسلام ، ولزمته الحجة والفرض لما ظهر من الفساد في الأرض بدأ بشيعته فحملهم العهود وأخذ عليهم العقود على الصبر والجهد والمواساة والإسعاد والمواتاة في كلِّ حالٍ من الأحوال وبذل النفوس والأموال ثم سألهم شيئاً من أموالهم ليختبر أفعالهم بعد مقالهم فأقبلوا بما سأل عليه وسارعوا به إليه . ثم أجاب سائر الناس إلى

(*) كذا في الأصل . وهذه الفقرة من النص ليست في اللآلي المضية .

(1) كذا في الأصل . وفي اللآلي : ممن بغى عليه ملك القرامطة . . الخ .

(2) الرحبة : القاع الفسيح الممتد من الروضة في شمال صنعاء حتى بلد أرحب . ابن الديبع ، قرة العيون ، ج 1 ص 120 - 121 ، ح 6 ؛ الويسي : اليمن الكبرى ، ص 47 .

(3) بيت الأبناء : عزلة من ناحية بني حشيش قضاء صنعاء ؛ التوزيع السكاني 237/2 - 238 .

(4) عنس : بفتح العين ثم سين مهملة مخلاف واسع من أعمال ذمار سمي باسم عنس بن مذحج . وهو الناحية المعروفة الآن بمغرب عنس من قضاء ذمار . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 3 ص 613 ؛ التوزيع السكاني في محافظة ذمار ، ص 149 - 159 .

ما سألوه واستحلف على ذلك وباع وأمر ونهى وولّى الولاية ورتّب العُمال وأجرى الأمر على أحسنه واستتبع جميع من نسب إليه الفساد وأخرب منازل الإسماعيلية من بني الحذيفي⁽¹⁾ وغيرهم بأعلى البون⁽²⁾ ، وأجرى ذلك في جميع النواحي وأخذ يحيى بن محمد الضراب وكان أحد الإسماعيلية فأقام عنده محبوساً ، وكانت له غوائل وإفساد وتخزيل وعناد .

روى لي الشيخ الفقيه علي بن محمد بن الجيش^(*) أنه قال له ذات يوم وهو في البون : لو ملأت هذا الوادي رماحاً ما كان بُدّ القرامطة من ملكه ! قال : فقلت : يا مولانا فما الموجب لما نحن فيه من المقاساة والتعب والفتنة والنصب ؟ قال : لأنني لا أستقل أن أدفع القرامطة عن الناس سنة أو شهراً أو يوماً أو ساعة ، وأريد أن يقع الملك عليهم بخذلانهم لي ولا ألقى الله بخذلاني لهم ، وأنا أعلم أنني لو أغلقت بابي ولزمت منزلي لوقع الملك عليهم في أسرع أوقاتهم ولم آمن غضب الله علي في ذلك ! وكان عليه السلام يقول في جماعته دأباً : تعلمون أنني لم أقم لسلطنة ولا لرئاسة ! أما السلطنة فأنا أنزه نفسي عنها فلا بعد أن يكون جدي رسول الله صلى الله عليه وعلى أهله وأبي علي وأمي فاطمة وأنا مطيع لله ؛ فأني رئاسة بعد رئاستي ؟ ثم إنه خرج مخرجاً له إلى صعدة⁽³⁾ وتجهز علي بن محمد الصليحي من زبيد⁽⁴⁾ إلى

(*) سَمَاهُ في مواطن أخرى : علي بن محمد بن أبي الجيش .

(1) بنو الحذيفي : عزلة من ناحية الحيمة الداخلية قضاء صنعاء . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 2 ص 252 ؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، ج 2 ص 218 .

(2) البون : حقل واسع وينقسم إلى البون الأعلى ، ومن قراه قاعة وقارن ، والبون الأسفل ومن قراه ريده . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 1 ص 130 ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ج 1 ص 229 ح 1 .

(3) صعدة : بفتح وسكون عاصمة محافظة صعدة في شمال اليمن وتقع ما بين 45 56 B 16 شمالاً ، 45 43 شرقاً . انظر ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 116 ، 124 ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 3 ص 467 - 480 ؛

The Yemen Arab Republic and Neighbouring Areas , 1: 250000 , Sheet , 1.

(4) زبيد بالفتح واد من أودية اليمن الكبيرة تأتيه المياه من مغارب بلاد عنس ويصب في البحر الأحمر ، وبه سميت مدينة زبيد وهي مدينة مدورة الشكل ، من جنوبها وادي زبيد ومن شمالها وادي رمع . وهي ناحية وقضاء في محافظة الحديدة . ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص 70 ؛ التوزيع السكاني في محافظة الحديدة ، ص 101 وما بعدها .

صنعاء فلمَّا بلغه العلم استعاد من صعدة و صار إلى البون / وبقية هزيم أهل صنعاء [م ق 13] في البون وقد تقلَّ الناس وكثُر فيهم الفساد واستُميلوا بالعطايا وجرت المكاتبَةُ بين بني الصُّليحي والرؤساء .

ثم إنَّ الشريف الفاضل عليه السَّلام دعا(*) النَّاسَ على الخروج إلى صنعاء وقد بان له(**) فسادهم فخرج خمسمائة فارس وأمرَ عليهم أخاه الحسن بن جعفر وابن عمِّه عيسى بن عيَّاش وساروا إلى صنعاء ؛ فلمَّا قَرَّب العدوَّ هربوا عنهما حتى خرجا منها في نفرٍ يسير وتقدَّم الصُّليحي من بيت خولان فدخل صنعاء في يومين خاليين من ذي القعدة سنة سبعٍ وأربعين وأربعمائة سنة .

و صار الشريف الفاضل عليه السَّلام إلى بلد بني صريم⁽¹⁾ ووصلت خيل الصليحي إلى عجيب⁽²⁾ ورجعت من هناك وأقاموا بصنعاء . فلمَّا⁽³⁾ كان في المحرمِّ أول شهور سنة ثمانٍ وأربعين تفرَّقت رؤساء همدان بحريمهم منهم سلامة ابن الضحَّاك وعلي بن ذعفان وغيرهما من رؤساء همدان في بلد بني صريم وبلد بني الدِّعَام⁽⁴⁾ ، وجمعوا العساكر من حاشد⁽⁵⁾ وبكيل⁽⁶⁾ ، واستنهضوا الشريف الفاضل

(*) في الأصل واللائي المضية : راع !

(**) في الأصل : لهم .

(1) بنو صريم بن مالك بن حرب من قبائل حاشد ، وتنقسم بلاد بني صريم إلى تسعة ألساع ، ومركز الناحية مدينة خمر ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 2 ص 216 - 217 .

(2) عجيب بفتح فكسرة : بلدة شمال ريدة . والنقل عند اليمنيين : العقبة . زبارة : أئمة اليمن ، ج 1 ص 79 ؛ وياقوت : معجم البلدان ، ج 5 ص 303 .

(3) النص منقول في اللآلي المضية م 2/ ص 151 - 152 ، وأنباء الزمن م 1/ 152 - 153 ، وغاية الأمان 1/ 251 - 252 .

(4) آل دِعام : أهل درب ظالم بالجوف ، بطن من بكيل الهمدانية . ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص 123 - 124 ؛ أحمد بن يحيى : الدر المنثور ، ورقة 90 .

(5) حاشد : من أكبر قبائل اليمن تنسب إلى حاشد بن جشم بن همدان ، وتنقسم إلى أربعة أقسام : بنو صريم ، وخارف ، والعصيمات وعُذر ، وكل واحدة منها تنقسم إلى عدة بطون . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 1 ص 213 - 226 .

(6) بكيل : بطن من همدان ، تُنسب إلى بكيل بن جشم أخو حاشد بن جشم . وبلاد بكيل ما بين صنعاء وصعدة في الجانب الشرقي ، كما أنَّ بلاد حاشد في الجانب الغربي . انظر ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 217 ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 2 ص 213 - 214 .

عليه السلام، فلم يجد بُدّاً من النهوض معهم وهو لذلك كارهٌ لما قد علم من أمور الناس .

أخبرني الشيخ الفقيه أبو الحسن علي بن محمد بن أبي الجيش أنه قال : إن لم أُجبهم إلى ما سألوا خشيتُ أن ينقلبوا إلى بني الصُّليحي ويجدون بذلك عليَّ حُجَّةً عاجلاً وأجلاً . وأخبرني أيضاً أنه قال : أنا لا أدري أتم الصلاة أم أقصرُ لأنني مع هؤلاء < وهؤلاء > (*) ليسوا معي ! .

وروى لي القاضي يعقوب بن عيسى عن أبيه أنه قال ، سألتُ الشريف الفاضل وهو بحاز⁽¹⁾ فقال : يا ابنَ رسول الله ! أنقصُ الصلاة أم نُتمُّها ؟ فقال لي : سل عليَّ بن ذعفان ! دلالةً على أنه كارهٌ لذلك . فراح القاضي عيسى بن الحسين من فوره لتلك المقالة . قال : ولما اجتمع حشد القوم إلى حاز خرج حشد بني الصُّليحي إلى هنالك فأمسى بإزائهم بقرية تسمى قراتيل⁽²⁾ فقال لهم الشريف الفاضل عليه السلام : أغزوا بنا القومَ إلى موضعهم فلم يُسعدوه . ثم قال : أطيعوني فيما أمركم فيه فلم يطيعوه ! ثم قال : أتبعوني الخيلَ إلى صنعاء ! فلم يُتبعوه ؛ وبأن فسادُهم ومكابرتُهم وعنادُهم . فلما كان من الغد باكرهم القومُ (***) ، فلما رأت العين العين ولّوا منهزمين لا يلوي أحدٌ على أحد . فروى لي الشيخ علي بن محمد عن الثقة أنَّ الشريف استقام وما بقي معه إلا خمسة نفرٍ هو سادسُهم أخوه محمد بن جعفر والقاسم بن إبراهيم وجشم^(***) بن عبد الأعلى بن جناح

(*) زيادة لإتمام المعنى .

(**) في اللآلي المضية : العدو .

(***) في الأصل واللالِي المضية بدون نقط ، ولم ندر صحة الاسم .

(1) حاز : قرية من عزلة جشم ناحية همدان ، تقع على وادي حاز على بُعد 28 كم في الشمال الغربي لمدينة صنعاء . التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، ج 1 ص 134 ؛ التقسيمات الإدارية لعام 1985 ؛ خريطة ج.ع.ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1544A3 .

(2) قراتيل : قرية من عزلة الربع ناحية همدان ، تقع على بُعد 18 كم في الشمال الغربي لمدينة صنعاء ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، ج 1 ص 131 ؛ التقسيمات الإدارية لعام 1985 ؛ خريطة ج.ع.ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1544C1 . وفي اللآلي المضية م 2/ص 151 : قراتل - وكذا في غاية الأمان 1/252 .

ورجل من شيعة يقال له المحترم بن محمد بن الدقيق ورجلٌ من خاصته يقال له علي بن علي . وكان الشريف إبراهيم بن سليمان في ناحية أخرى فُضِرْبَ ضربةً بالسيف في وجهه فكان بوجهه منها أثرٌ عظيم . وولّى الحشد وتبعهم عدوهم فقتل في ذلك اليوم من وجوه الناس علي بن ذعفان وقيس بن / وهيب في جماعة من وجوه الناس⁽¹⁾ . [م ق 13 ب]

وروى لي الثقة أنه كان للشريف عيسى بن عيَّاش في ذلك اليوم مقام محمود ، وأن الشريف الفاضل عليه السلام كان كثيراً ما يذكر له ذلك المقام .

فلما كان في سنة ثمانٍ وأربعين وأربعمائة سنة صار الشريف الفاضل الأجل الكامل إلى الهراة⁽²⁾ في أهل بيته وحشمه وأطفال رسول الله صلى الله عليه وحرمة وفي جميع أهل مذهبه وشيعته ورجال خلصوا إليه من أهل بيعته من صناديد العرب وخيارها ورؤسائها وكبارها وأهل الحمية وذوي الأبوية مثل جشم بن عبد الأعلى بن الدعام والربيع بن الروية ومنصور ومفضل وذعفان بن ذعفان⁽³⁾ . ومن بني حمّاد إسحاق وحاجب ومصعب بن إبراهيم بن إسحاق بن حمّاد ، وأحمد بن العباس بن الضحّاك ، وأسعد بن الأشرم ، وعبد بن شهاب صاحب الهجر⁽⁴⁾ بالأحباب ، وعيَّاش بن أبي سُهيم الحارثي وأسعد بن عمر وأولاده ، وأبو القاسم بن علي الشيخ وابن عمّه مفضل بن أحمد اللّعوّيان ، وعبد الله بن كليب بن مقيع ، وقيس بن كريف ، وأبي مسلم بن وهيب ، وإبراهيم بن إسحاق وولده الحسين بن إبراهيم في جماعة من بني عمّه ، وجبيل بن أبي سعيد ، وسالم وعطاف ابني أسعد ، ومظفر بن عبد الله الغضباني ، وعلي بن عبد الله الصلي ، ذكر أنه نزل يقاتل دارعاً وهو يقول :

(1) ذكر مسلم اللحي م 4 / ص 20 خبر مقتل علي بن ذعفان وقيس بن وهيب بوقعة حاز عن مفرح « في كتابه في سيرة آل القاسم الحسينيين بشهارة » .

(2) الهراة كما سيرد بعد ذلك حصن في بلاد وادعة . ووادعة عزلة من ناحية حوث قضاء خمر ، محافظة صنعاء . انظر : عمارة ، تاريخ اليمن ، ص 116 ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 4 ص 761 - 762 ؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، ج 1 ص 60 - 61 .

(3) خبر الهراة في أنباء الزمن م 1 / ص 152 - 153 ، وغاية الأمان 1 / 252 ، ولواحق الحقائق الوردية للزحيف ، ص 178 - 179 عن السيرة باختصار . وهو عن السيرة بالتفصيل في اللّالي المضية م 2 / ص 152 - 155 .

(4) الهجر : محلة من قرية الصبار عزلة الأحباب ناحية الحيمة الداخلية ؛ قارن بالتوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، ج 2 ص 215 .

حلّ الحرام ما إلينا مقدم أسيافنا البيض بها تقدم
وبيتنا الوادي وضرب أهيم

ومن حمير بني السدوف وبنو قريش وبنو راسان وجماعة من أهل مسور⁽¹⁾
وافرة . وذكر أنهم كانوا ثلاثمائة رجل مع كثير ممن لم نذكره من وجوه همدان وحمير
وبنو صريم الأكثر منهم وبنو مالك⁽²⁾ وبنو عبيد وبنو ربيعة⁽³⁾ من وادعة عن آخرهم
وفيههم يقول الشاعر :

كذا فليكن فعل الخليط المشارك كفعل تنأهى من عبّيد ومالك
أحلوا ابن بنت المصطفى ووصيه مع النجم في عالي المنارة سامك

وذكر أنّ جملة أهل الهراة كانوا ألفي مقاتل منهم ثمانمائة معد فارين⁽⁴⁾
بحريمهم ودينهم وأموالهم وضنينهم . فما كان غير المدة اليسيرة حتى نهض إليه عدو
الله وأجلب عليه المخالف والموالف ممن عقد له بيعته وبذل له نصرته . فلو أنهم إذ
خرجوا من حربه لم ينصبوا لحربه بل نصبوا وأجلبوا والله المجازي على ما ارتكبوا
والسائل لهم عما اكتسبوا . وأحاطوا بالهراة من كل جانب وفرقت عليها المراكز
والكتائب ، ومنعوا الماء وقتلوا بالظماً . وأقام الحصار عليها سبعين يوماً جمادى
الأولى وجمادى الآخرة وعشراً من رجب ، ونصبت / عليهم المجانيق والعرّادات [م ق 14 أ]
وحرس عليهم الماء ، ودهمهم من الجيوش والعساكر ما ضاقت به البلاد . فلقد
روى لي الثقة أنه كان إذا ضربت الجبابب والطبول ونفخت الأبواق والنفاطات يخیل

(1) مسور : إحدى نواحي قضاء صنعاء ، وتقع هذه الناحية ما بين ناحيتي ثلا وبني العوام ، وتقع قرية
مسور في غرب الناحية ما بين :

38° 36' 15" شمالاً ، 55° 40' 43" شرقاً على بعد 15 كم جنوب شرق حجة . انظر : التعداد
السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، ج 1 ص 145 - 160 ؛ خريطة ج . ع . ي ، 1/50000 ،
صفحة 1543B3 .

(2) بنو مالك : بطن من سحار بن خولان بن عمرو بن الحاف في بلاد صعدة . الحجري ، مجموع بلدان
اليمن ، ج 4 ص 687 .

(3) في اللآلي المضية م 2/ص 152 : وبني مالك وبني عبيد ابني ربيعة من وادعة .

(4) كذا في الأصل 1 وفي اللآلي المضية م 2/ص 152 : منهم ثمان مائة فارس بحريمهم ودينهم . .
الخ .

إلى الإنسان أن الأرض ترتج بهم ، وأن النيار إذا أوقدت بالليل صار أهل الهرابة في مثل النهار . وبالع أهله الهرابة في القتال العظيم والصبر الذي ما شهد مثله في حديث ولا قديم . ولقد روى لي أبو عوف(*) بن سليمان أحد بني عبيد من وادعة أنه رمى في ساعة واحدة في موقفه بتسعين سهماً . وذكر لي أن رجلاً مَدَّ يده في منزله ليأكل طعاماً فأصابه سهمٌ في يده . وروى لي أن رجلاً لقي ذرقةً لماءٍ يسيل من مشرب ، فبينما هو يشرب أصابه حَجَرٌ في وجهه فاختلط الماء بالدم . وكثيرٌ من الناس قُتل في منزله بالنبل والحجارة . وتعب الناس من العطش وبلغ الماء كُلُّ ثمن . فروى لي رجلٌ يقال له سعيد بن بُريه من بني عبيد أن رجلاً طلب شربةً من ماءٍ بماله ، وماله يسوى ألف دينار . وذكر أن امرأةً طلبت ماءً بمائة دينار وعشرين ديناراً . وروى لي أيضاً أنهم كانوا يقتسمون الماء بالعطبة (؟) . وروى لي يعقوب بن سليمان العبيدي أنهم كانوا يقتسمون الماء بالفتيلة (؟) . وروى لي أبو عوف أن ولدًا له يقال له سليمان رأى سحابةً في الهواء فرفع رأسه إليها فاغراً فاه رجاء أن تقع في فيه قطرةً من السحاب . وروى لي أن رجلاً اشترى ملء يديه ماءً بثمانين ، وأن الواحد كان يطرح الحجر في فيه ويلعق الصفا لبرده ، ويمص الحديد لبرده . وروى لي أنه رأى ناساً مصطفين في بيوتهم أمواتاً . وهذا قليلٌ من كثير ، والعجبُ في ذلك أن صبرهم والأمان مبسوط لمن أراد الخروج منهم يُلقَى بالماء والطعام . وروى لي رجلٌ من بني عبيد أن امرأةً من بني عبيد راودها بعض أوليائها على الخروج فقالت : لست أبيع الأخرة بشربة ماء(**).

وكان الشريف الفاضل عليه السلام صار إلى الهرابة ورفع إليها الحبوب والسلاح ، وبُنيت فيها الأبنية والحيطان والخوارج والمقابلات والفحول . وكان الماء إلى جانب المصنعة في الوادي فعمل له ماجلٌ إلى جنب المصنعة وأجري له مفتسخٌ مسترقٌ في ساقية تصل بالماء إلى الماجل(***) . وعافصهم عدوهم علي بن محمد الصليحي بالخروج إليهم . فلما وصل الناحية وهي مصنعةٌ مقطوعةٌ في واسطة وادٍ

(*) في اللآلي المضية : ابن عوف .

(**) في اللآلي المضية : بشربة من ماء .

(***) في اللآلي المضية : وأجرى له ساقية للماء يسترق الماء إليه .

بين جبالٍ مشرفة عليها من جميع جوانبها تصلها النبل والمواضع وترى العين العين ويسمع المتكلم في هون ؛ فلما وصل ضرب مضاربه وجعل جمهوره عسكره مقابلاً للباب في مركزٍ من ناحية اليمن ، وجعل أبا الحسين بن جناح ، ومحمد ابن الحسن بن مروان في مركزٍ من ناحية المشرق قريباً من الخندق ، وجعل عامر ابن [م ق 14 ب] سليمان الزواحي⁽¹⁾ قبلياً في مركز / ، وجعل المنتاب بن الحسين بن المنتاب⁽²⁾ في مركز غربياً . وتقدم الزبير بن معمر الوادعي لخبرته بذلك المفتاح فكسر تلك الساقية وأخرب ذلك المفتاح وانقطع الباي(*) بأسبابه ، فكان آخر أمره أنه أصابته علة الجذام ثم قتله عسكر الزواحي في نقيط أثافت مراحهم إلى(**) الشام . قال رسول الله صلى الله عليه : من أعان ظالماً أغري به .

رواية الشيخ الفقيه علي بن محمد بن أبي الجيش وقد سأله عن ذلك فقال : سألتني يا أخي - وفقك الله - أن أثبت شيئاً من أخبار الهراة وأخبارها كثيرة تطول وقد اختصرت لك من ذلك عيوناً وجُملاً تدل على ما غاب من كثرة عجائبها وشدة المَحَن بها . وأعلمك أنه لما قُرب القوم وصحَّ أن قصدهم إلينا خرج الشريف الفاضل عليه السلام بارزاً من الحصن ، وأمر الناس فحضروا إليه فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد صلى الله عليه وأمر الناس بتقوى الله وحرّضهم على قتال عدوهم والصبر على ما أطلّ عليهم وأخبرهم أنه يلحقهم التعب والحصار والضيق ، وأنهم يُرمون بالمجانيق وأنه قد وطّن نفسه على الصبر في ذلك والموت فيما هنالك فمن كان غير موطنٍ نفسه على الموت أو كان يخشى الفوت فهذا الباب مفتوح ، فمن أحبَّ الخروج فليخرج فهو معذور . وبعد موقفي هذا فإنني أغلق الباب وأمرُ بقتل مَنْ أراد

(*) في الأصل : الباب - والتصحيح عن اللآلي المضية .

(**) في اللآلي : من .

(1) بنو الزواحي : يرى البعض أن آل الزواحي من سلالة القيل ذي حوال ويجمعون بآل يعفر الحوالبين في ذي حوال ، ولا زال لهم وجود حول شبام كوكبان . بينما ينسبهم البعض إلى قرية الزواحي من أعمال حراز . انظر ، عمارة ، تاريخ اليمن ، ص 95 - 96 ، الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 2 ص 396 .

(2) المنتاب : نسبة إلى المنتاب بن عمرو بن علاف بن ذي أبين . . . بن الهميسع بن حمير الأكبر ، إليه ينسب مسور المنتاب . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 4 ص 720 .

الخروج ويقوي عدونا ! فلم يبدله من أحد إلا الصبر . ثم استعاد الناس إلى حصنهم ، وقام في ترتيبهم فجعل صنوه محمد بن جعفر في شيعته وهم زهاء ثلاثمائة رجل . وهذه من إشاراته إليه منهم مائة معد وصيرهم في وسط الحصن كتيبة معدة للحملة أينما حدث وصار هو بنفسه ومن يتولى خدمته من خاصته ووجوه الهمدانين والصريميين وغيرهم من أهل القوة والعدة والبأس والشدة على باب الحصن في صدر القتال . وقسم باقي الناس على مقدمات من الأشراف وهم : إبراهيم بن سليمان وعيسى بن عياش وصنوه الحسن بن جعفر في سائر مقابلات الحصن وأطرافه في بني عبيد وبني مالك . ثم إنه بلغ إلى صنوه وشيعته أن أهل الباب تكلموا وقالوا : صير أخاه وشيعته في وسط الحصن وقدّمنا للفتنة⁽¹⁾ ! فغاضهم ذلك وأتوا إليه فقالوا : نحن نريد أن تجعلنا بهذا الباب وصدر الفتنة وتجعل هؤلاء الرجال مكاننا ففعل ذلك ونقلهم إلى الباب وتأخر بمن معه إلى وسط الحصن فتعب من ذلك الهمدانيون ومن معهم من وجوه الناس وسألوه أن يردّهم إلى الباب فكره الشيعة ذلك ، فقسم الكلّ منهم على الباب وفي صدر الفتنة وكان في المقابلات موضع هو أعسرها وأقربها من العدو وأضرّها ، وهي عارضة قبلي الخندق ومن صار بها ولزمها لم يحل سلاحه ولم يزل منقبضاً في جنته / متّقياً على وجهه ليلاً ونهاراً ، فمن جعل من القبائل بها مال [م ق 15] عنها ولم يستقم بها . فلما رأى الشريف الفاضل عليه السلام ذلك لم ير أنه يجعل في ذلك المكان غير أخيه محمد بن جعفر وشيعته فنقلهم إلى ذلك الموضع ، واستقام الناس في مواضعهم ، واشتدّ الحرب وملك القوم علينا الماء ليلاً ونهاراً ، وقرب الناس بعضهم من بعض واشتدّ القتال من أجل الماء فلا نحطّ سلاحنا ليلاً ولا نهاراً ولا نخلو طول إقامتنا سبعين يوماً من قتال ، > وصبرنا لهم على كثرتهم فلم يكن يثقل علينا قتالهم <(*) ولا تهولنا كثرتهم . فلقد رأيت يوماً وقد تقدّم الأمير محمد بن جعفر في نفر من شيعته كنت أحدهم إلى موضع لزمنا فيه القتال وعسر علينا الرجوع من كثرة النبل والحجارة فجلس الأرض وجلسنا حوله وسقفنا الجن من فوقه . ورمانا القوم بما قدروا عليه من النبل والحجارة فكانت الحجارة تصير فوق الدرق رزماً ،

(*) ما بين الحاصرتين عن الهامش الأيمن من الصفحة .

(1) يستخدم الكاتب « الفتنة » بمعنى القتال ، في النصّ كلّ .

وتضعف اليد الواحدة من لزوم الجنة فيطابق الرجل يديه في مقبض جنته ثم تسحج الدرق فتنزل الحجارة ، وتكسر كثير من سيوفنا . إلا أننا كنا أهل عُدّة حصينة ورأيت النبل قد كسرتها الحجارة فصارت رِمَماً . ولقد رأيت أهل الحصن يوقدون القداح لكثرتها ، فما زلنا في موضعنا ذلك حتى ملّ (*) القوم منا وانصرفوا عنا ؛ فيذهب الواحد منا ليقوم فلا يستطيع لكثرة الحجارة حتى نبرحها(**) عنه .

ولما تعب الناس من العطش التأم جماعة منهم وتواثقوا على النزول وورود الماء عزاً فنزلوا وقد جعلوا منهم من يستقي ومنهم من يقاتل فأزالوا القوم عن الماء وأتردوا شكلاً من خمسمائة قربة . فلما نجح (***) ذلك الماء اشتدّ على الناس العطش وانقطع عنهم الماء إلا ما يأتي من المطر الشيء اليسير بعد العشرين يوماً أو أقلّ أو أكثر فيشرب الناس منه اليومين والثلاثة الأيام . وكان القوم إذا وقع علينا المطر أجمعوا لنا بالقتال وشدّوا بالفتنة لأن يشغلوا الناس عن طلب الماء من المشارب والسطوح والوقاير . ويتوخون أيضاً قتال الناس في الهواجر ووقت الحرّ لقدر ما يعرفون من تعب أهل الحصن في النهار من شدة الظمّ . وكان يدولون القتال أثلاثاً ثلث يقاتل يوماً وليلة . وماتت الخيل والبهائم ، وكان صبر الفرس عن الماء اثني عشر يوماً ثم تموت عطشاً . وصارت البهائم تأكل بعضها بعضاً ثم ماتت فما كان السائر يسير إلا على جُشّها(****) . وقد غشي الأرض حيتانها ودخلت البيوت حتى صار الناس يكنسونها عن البيوت . ورأيت الشريف الفاضل عليه السلام وقد بذل لمن ينزح ما على باب داره خمسة دنائير فما وجد أحداً . ورأيت عُذراً كانت في الحصن من حيث كان الناس يأخذون التراب قد امتلأت من جيف الحيوانات وقد تحير فيها [م ق 15 ب] من المطر ، فرأيت الناس يميلون تلك الجيف ثم يتخذون ما قد حصل من الماء / تحتها وما سال من صديدها مختلطاً أسود كأنه القطران فيشونونه(*****) عن

(*) في الأصل : مال .

(**) في اللآلي المضية : نزيحها .

(***) كذا في الأصل وربما كانت صحة الكلمة : نزح .

(****) في الأصل : خففها . وفي اللآلي المضية : جيفها .

(*****) في اللآلي المضية : فيشيونونه .

الحيتان والشعر وإنهم ليتلثمون من نتن رائحته ثم يجعلون فيه تراباً أبيض ليقلب لونه
ويطبخونه بالنار ثم يلزم الإنسان على أنفه ويتحساه فإذا صار في بطنه تقياً منه حتى
يكاد ينتزع نفسه . قال عواض بن رميد(*) : أنا ممن شربه هنالك ! وكثير من الناس
شرب بولهُ ، وبلغ الماء كل مبلغ في الثمن . وغاية ذلك أن الرجل كان يطلب
بجميع ما يملك شربة من الماء فلا يقدر عليها ! ورأيت الناس يشرفون الماء فينظرونه
ثم يبكون وينتحبون وإن الماء لغير ممنوع عمن أراد الخروج لكن صبراً لله واحتساباً
في سبيل الله . ثم كثر الموت في الناس والأطفال من العطش > وأيقنوا
بالتلف <(**) فعادوا يخرجون إلا من وثق بدينه وكثرت معرفته لربه .

فلما رأى الشريف الفاضل عليه السلام ما نزل بالناس عاد لا يمنعهم من
الخروج ولا يأمرهم به ورأيته يجعل درعه على قلبه يتبرد به ، ورأيته وقد أتيتُه بقليل
ماءٍ وهبه له بعض الناس فقال : إني عهدتُ فلاناً - خادماً له - على موتٍ على الباب
فامض به إليه ففعلتُ ما أمرني به وهو إليه محتاج لكن أثره به . وروى لي سلامة بن
علي أن رجلاً كان يقال له عامر بن يوسف من بني صريم بقي عنده سببٌ من ماءٍ
واشتهر موضع ذلك الماء فهجم عليه جماعةٌ وغاصبوه عليه فصاح وخرج فأغار إليه
رجلان من الشيعة أحدهما سلامة بن علي فأصلحا بينهما بشيءٍ من الماء فسقى
سلامة بن علي وصاحبه من ذلك الماء لموضع عنايتهما معه وأعطاهما شيئاً منه
فمضى به سلامة بن علي حتى وصل به إلى الشريف الفاضل عليه السلام ليشربه
فقال : ومن أين هو ؟ فقصص عليه القصة فقال : هذا الحرام الذي لا يحل ! أردد إلى
الرجل ماءه وأعطياه قيمة ما شربتما له ! فلم يكن غير ما أمر به .

قال : وكنتُ أرى الناس يختبئون الحجارة من الليل فيجعلونها على قلوبهم
يتبردون بها وكذلك الدروع وما أمكنهم من الحديد . ورأيتني يوماً أجعل درعي على
قلبي شيئاً شيئاً حتى عاد كله حاراً كأنه أصابه رمض . ولما لحق الناس ما أتعبهم وكثر
موتهم وأشرف الناس على الهلاك بأجمعهم خرج الناس إلا القليل ممن اختار الموت

(*) في اللآلي : عواض بن رسد .

(**) عن الهامش الأيسر من الصفحة .

على الحياة والآخرة على الدنيا ولم يبق في الحصن ممن فيه حركة أو يستطيع مدافعة إلا زهاء مائة رجل أو نحو ذلك مع ضعف في أجسامنا وتعب من العطش الذي قد نالنا . فلما رأى ذلك القوم وأيقنوا بضعفنا وقتلنا مع أنهم قد كانوا هدموا بالمجانيق وجوه الحصن عزموا بالدخول(*) علينا قهراً مكاسرةً وجعلوا حملتهم علينا في نصف النهار يتوخون وقت تعب الناس من العطش . واجتمعوا من جميع مراكزهم وحملوا علينا من جميع النواحي حملةً واحدةً والناس في غفلة وشدة القائلة فدخلوا علينا من [م ق 16] الأبواب باباً / ولزمنا عليهم الباب الثاني ولزمنا جميع مداخل الحصن من أعلاه . ووصل الناس بعضهم بعضاً في جميع المقابلات ، وكثر الرهج والهرج < حتى > (**) يخيل للإنسان لكثرة الريح والنفاطات والأصوات ووقع الحجارة والأوصاف أن الأرض تزلزلت (***) .

فلما صار الأمر كذلك أمر الشريف الفاضل عليه السلام فأحضر إليه من كان عادةً في الحصن يستطيع حمل السلاح ، فاجتمع إليه زهاء عشرين رجلاً فخرج بهم وهو في أولهم فانهزم القوم بأجمعهم من جميع المقابلات ووقع فيهم القتل وتحيد منهم كثير واضطربوا في مراكزهم وعاد الأول إلى الآخر بعد أن قام أميرهم عن مجلسه ولقيهم بوجهه يقرعهم بالكلام ويقول : والله لو كان في بطون هؤلاء وقية ماء ما رجع إلي منكم أحد ! فاستعادوا إلى القتال إلى آخر النهار وشدوا في القتال لأن يستخرجوا قتلاهم فلم يقدروا على ذلك حتى سألوا أن يفسح لهم في حمل قتلاهم ففعلنا وافترق الناس ونحن أهل سلامة ونصر من الله ومعونة لم يُقتل منا أحد ولم يُصبنا من الجراح متعب .

ولما كان ثاني ذلك النهار أتى إلينا رجال من بني بَحيير⁽¹⁾ فنادوا إلى الشريف

(*) في اللآلي : على الدخول .

(**) عن اللآلي المضية .

(***) في الأصل : تزلزل ، وما أثبتناه عن اللآلي .

(1) في الأصل : يحير بفتح الياء المثناة وكسر الحاء : اسم قبيلة وعزلة من خبان رعين ، وفرقة منهم في مخلاف ذي مازن بالقرب من صنعاء ؛ قارن بالهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ج 3 ، ص 202 ، ح 3 نفس الصفحة ، لكننا فضلنا قراءتها : بَحيير - في كل المخطوطة .

عيسى بن عياش فواجههم وهم أهل محبة وشفقة . فلما صار معهم قبضوا عليه وصاروا به إلى أمير القوم يتوخون بذلك سلامة أهل الحصن وكان خروجه عن غير رأي الشريف الفاضل ، فلما صار إلى أميرهم فرح به وحيّاه وكساه وأعطاه أماناً لأهل الحصن على الخروج منه بأنفسهم وحریمهم حيث أحبوا من أرض الله ثم استعاد إلينا وحقق ما جاء به من عندهم للشريف الفاضل عليه السلام فلم يُعد عليه جواباً ، وقام بنفسه جانباً ، وأمر لمن بقي معه في الحصن فقال(*) : من عاد يصبر معي على الموت فيبايعني ؟ فبايعه جميع من بقي وهم زهاء مائة رجل وأقل من ذلك وأمر أخاه محمداً فتقدّم بهم للزوم الباب ففعلوا ذلك وقد كان قبل ذلك جمع أصحابه وشيعته ومن كان من أهل محبته فقال : كيف طاعتكم لي وامثالكم لأمري ؟ قالوا : نموت بين يديك ! فقال لهم : هذا أخي فما أمركم به فأطيعوه وما رسم عليكم فاتبعوه فأكرموا لإكرامي فقد أقمته مقامي ! وهذه من إشاراته ، عليهما جميعاً السلام . قال : ثم خلا الشريف الفاضل في موضعٍ وأحضر بني عمّه وخواصه فقال لهم : ما ترون فيما جاء به هذا الشريف ؟ فصرخوا الرأي إليه فقال : لو كان هذا يصحُّ لقبلائه ولكن ما أرى أنه يصح فاجمع رأيهم على المشاورة لبعض سلاطين القوم والأخذ لما عندهم . والتقى منا رجالٌ ومنهم رجالٌ واشتوروا على أن يصير كلُّ شريفٍ منا إلى سلطانٍ منهم ويمضون جميعاً إلى أميرهم ففعلوا فكان من كلام أميرهم أن قال : اعلموا أنني أخاف هذا الشريف / فإن واجهني فلکم ما تحبون وإن لم يواجهني [م ق 16 ب] فلست آمنه ولا أسعف لكم ما تطلبون ! وأحسن إلى من وصله منا ورجعوا إلينا ، وكان في الليل وقد وُجد في بيتٍ قليل ماءٍ فأمر به الشريف الفاضل عليه السلام أن يُقسم على الناس فقسم بالقوارير وأخذت له نصيبه كأحد من قسمنا له شيئاً من قلي شعيرٍ وقليل زبيبٍ وأتيت به إليه لعلمي بتعبه وذلك على نصفٍ من الليل وهو على باب الحصن في نفرٍ من أصحابه يحترسون الباب فإذا هم نيامٌ حوله وهو جالسٌ بنفسه محترسٌ من عدوه فقلت له : هذا نصيبك من الماء فشُدَّ به نفسك وبشيءٍ من هذا الزبيب والقلي فأخذه بيده وأطرق ساعةً ثم رفع رأسه إليّ وقال : خذ هذا الماء

(*) في اللآلي المضية : من بقي يصبر معي على الموت ؟

وأمض إلى خادمي ميمون فإني عهدتُهُ إلى آخر نفسه ففعلتُ . فلما أصبح وصل الأشراف وهو جالسٌ في موضعه لم يتحول عنه فجلسوا بين يديه وأعلموه بما واجههم به أميرُ القوم وأنه لا يعذره عن مواجهته . فقال لهم : لا بُدَّ لنا من أحدٍ أمرين إما خرجتُ إلى القوم وفديتُكم بنفسي فليس طلب القوم غيري ، وإما صبرنا وقاتلنا حتى نموتَ عن آخرنا دون حريمنا فأَيُّ الوجهين ما شئتم ؛ فاخترُوا ! فقال الكلُّ منهم : نرى أن المواجهة أصلحٌ للجميع منا ! قال : فادعوا إليَّ جميع من < عاد > (*) معنا من الناس ، فلما حضروه قال : أيها الإخوة لم يعذرني هذا الأمير عن مواجهته وأنتم فتمضون معي يكون لكم ما لي وعليكم ما علي . فقام حشمر (**) بن عبد الأعلى بن جناح رحمة الله عليه فقال : الرأي أن تقف الجماعةُ مع هذا الحريم وتمضي أنت فتسأل فيهم وفي صيانتهم وسلامتهم . فقال : هو الرأي . وقام من موضعه متجهزاً للخروج فخرج إليهم من ساعته وإن كثيراً من الناس ليبكون من خروجه إلى عدوّه .

فلما خرج الشريف الفاضل عليه السّلام أشاح القوم لخروجه حتى إذا دنا من مضرب علي بن محمد الصّليحي نهض فاستقبله ماشياً ولقيه حافياً . ثم قدّمه وعظّمه وخلع عليه وأكرمه وتكلّم بكلامٍ فيه توبيخٌ وتعنيفٌ وتذكيرٌ وتوقيفٌ . وذكر استنجاد الشريف عيسى بن عيَّاش من الحرّمين ، وخروجه إلى بني الحسن والحسين . وقد كان خرج الشريف عيسى بن عيَّاش إلى مكة مستنجداً شكر بن أبي الفتوح⁽¹⁾ وبني الحسن فما أنجد بمالٍ ولا رجال ، وانقلب من هنالك . فقال الشريف الفاضل عليه السّلام : مهلاً أيها الأمير ! فقال : إذا لزمْتُ حُسامي وسِناني فدعني ولساني (***) . ثم أمر أحمد بن مظفر بلزوم الحصن وحفظ ما فيه من الحرّيم وغيرهم

(*) فوق السطر بقلم مخالف ، وبجانبها علامة (صح) .

(**) في اللّالي : حشم .

(***) فوق السطر : وكلامي ، وبجانبها علامة (صح) .

(1) شكر بن أبي الفتوح الحسن بن جعفر بن محمد بن الحسن بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن . ملك مكة والمدينة أحياناً زهاء ثلاث وعشرين سنة . ومات سنة 453 هـ . وانقرضت به دولة السليمانيين بمكة وجاءت دولة القواسم لأن والده لم يولد له غيره ، وهو لم يولد له . قارن بالعقد الثمين للفاسي 14/4 - 16 . وانظر مقدمة ماديلونغ على هذه النشرة للسيرة .

من أهليه . فنهض إليه فلزمه ومال العسكر إلى الحصن وأقتحمه .

فلما رأى أميرهم ذلك نهض بنفسه إلى الحصن وصار فيه وهنالك الأمير محمد بن جعفر وحريمه وذويه فردّ علي بن محمد العسكر جميعاً عن الحصن وجعل يدور فيه وقد التثم لعظم ما فيه من نتن الميت / وروائحها ويتعجب ويقول : هكذا [م ق 17] والله الصبر ! وسمعت الشريف الفاضل يقول ، سمعت الصليحي يقول في حصاره لابن الكرندي⁽¹⁾ : ليس فلان بأعزّ من هذا الشريف ولا رجاله بأصبر من رجال الهراة ! وذكر بعض أصحابنا أنه سمع الصليحي يقول : لو كان لي مثل رجال الهراة لدخلت بهم العراق⁽²⁾ ! قال : ثم أمر الصليحي بما كان في دار الشريف الفاضل فحمل إليه إلى حيث أحبّ ، وأطلق له من السلاح عشرة أدرع وعشرة أسياف . وأطلق لجميع أصحابه سلاحهم وما يقدر الواحد أن يحمل هو وحريمه .

قال الشيخ الفقيه علي بن محمد : ثم إنني استوحشت لفراق الشريف الفاضل فتخلّيت حتى وصلت إليه إلى مضربه فسمعتُه وقد أرسل ربيعة بن فلان الجوبي إلى علي بن محمد الصليحي يقول : ما أرادني به من صيانة ففي صنوي وحريمي حتي يخرجوا في ستره فيأمر الأمير خدمه ينزحون العسكر من الطريق . فيقول : أنا أجله وأجل حريمه أن أرسل خادماً ولكن السلاطين بأنفسهم أرسلهم فأرسلهم . وأمر بثلاثين بغلة فقدمت للحريم ، وقدم بهم الأمير محمد بن جعفر في وجه من الليل إلى الحصن . ثم إن علي بن محمد الصليحي أمر بهدم الحصن ورفع ما فيه من السلاح وغير ذلك .

ولما صار الشريف الفاضل عليه السلام معهم وحيداً فريداً من شيعته وأهل محبته وصحبته ولم يبق معه إلا سلامة بن علي ، وكان رجلاً مؤمناً نقياً لطيفاً عفيفاً

(1) بنو الكرندي : قوم من حمير كانت لهم مكارم ومفاخر وسلطنة قاهرة ودولة ظاهرة ، وكانت دولتهم في مخلاف الجند ومخلاف المعافر ، ومن حصونهم السوا والدملوة وذخر والتعكر . انظر ، عمارة ، تاريخ اليمن ، ص 86 - 87 ، واللائي المضية ، م 2 / ص 155 .

(2) ذكر يحيى بن الحسين هذه العبارة على النحو التالي : « لو ملك رجال الهراة لأخذت بهم الروم » ، انظر : غاية الأمان ، ج 1 ص 252 .

فكان يتولّى خدمته في طعامه وشرابه وطهوره ولحافه . وكان لا يركن إلا إليه ولا تطيب نفسه إلا عليه . فلما وصلتُ إلى ما لديه قال : قد صرتُ مع هؤلاء القوم منفرداً من الأصحاب والأهل والأحباب ولا أدري إلى ما تؤول الأمور . وأنا أُحبُّ تصحُّبني مع أخي سلامة فإن عشتُ آنستُماني وإن متُّ أو مرضتُ كفَلْتُماني . فأجبتُه إلى ذلك وعدتُ منه أوصي بأهلي وحريمي فأصابتنِي الحمى فأرسلتُ إليه أعتذر . ورفع القوم إلى صنعاء وهو معهم .

رواية الشيخ سلامة بن علي :

سألته عن أخبار مصير الشريف الفاضل عليه السّلام وكان به خابراً وعلى جميع أموره التي امتُحن بها الشريف صابراً مؤازراً فقال : أعلم أنا لما نهضنا مع القوم إلى صنعاء وصرنا بعجيب قدّموا الرُّسل إلى صنعاء وأمروا لنا بتخليفة دار إبراهيم بن أبي سلمة في السّرار⁽¹⁾ . وأمرتُ أنا وأحمد بن طريف بالتقدم فتقدمنا حتى لزمنا الدار . وكان أحمد بن طريف هذا مولى لآل القاسم ذا عقلٍ رصين وأدبٍ ودينٍ ، فوصلنا إلى الدار وأقمنا بها في أحوالٍ ضيقةٍ يخوفنا إبراهيم بن أبي سلمة هذا بوصول الشرِّ إلينا ويضيق في المنزل والكفاية علينا . وكانت كفايتنا على يديه من أميرهم . [م ق 17 ب] وأظهر لنا من الغلظة والأذى ما ليس لأمرهم به علم . / فرأيتُ ليلة عيد رمضان وقد أتى بطعامٍ مآدومٍ بعدس ، وكان الشريف عليه السّلام إذا أكله مريض . فلحق الشريف الفاضل منه اضطرابٌ في بدنه . فلما كان بكرة عيد الفطر بكر إلينا سبأ ابن أسود يأمرنا بالتجهُّز للصلاة معهم وحضور عيدهم فوجد الشريف شاكياً . فبحث عن سبب ذلك حتّى أطلع عليه من بعض من في الدار فعاد بذلك إلى أميرهم فالحق إبراهيم بن أبي سلمة مَعَرَّةً لذلك وأدباً .

ولما كان بعد ذلك بأيام أتانا إبراهيم بن أبي سلمة قال : يا شريف أرى لك

(1) السّرار : قرية من عزلة موهب ناحية السودة قضاء عمران . والسّرار : قرية من عزلة شعب وهزم ناحية أرحب قضاء صنعاء . ويبدو أنها المَعْنِيَّة في النص . انظر ، التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، ج 2 ص 298 ، والتعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، ج 1 ص 92 ، والتقسيمات الإدارية لعام 1985 ، ناحية أرحب .

الدخول في العهد والإمامة إن أردت أن تسلك بنفسك سبيل السلامة ولو أطلعت على ديننا لشاقك أو ظللت على مذهبنا لراقت . فقال له الشريف الفاضل عليه السلام : يا أبا فلان ! الغاية الموت يأتيني ، ولست والله أبالي بالموت على ديني ومعني درهم قد نقدته لنفسي ثم عرضته على النقادين حتى صح لي أنه درهم رصين ، ثم لويت عليه أخياطاً وأوثقته رباطاً ، ولست أرضى به بديلاً ولا أعرف له عديلاً . فأغلق عني هذا الباب وأقطع عني فيه الخطاب . وأقمنا عنده في أمور صعبة . قال : ثم سد(*) لأمرهم مخرج والشريف الفاضل هنالك مقبلاً على عبادة ربه غير متأسف على ما ناله في جنبه ، قد أوجب على نفسه أن لا ينام ليلاً ولا يفطر نهاراً . فهو يظل نهاره صائماً حتى إذا كان وقت الزوال أسبغ وضوءه وصلى ثم قعد في محرابه حتى إذا صلى المغرب والعشاء الآخرة أثبت له مصباحاً فلا ينام حتى يقوم إلى صلاة الفجر صباحاً . فكان ذلك دأبه رحمة الله عليه . ثم إن جماعة من سلاطينهم أتوا إلى الحرة⁽¹⁾ في غيبة أميرهم فقالوا لها : إننا قد عرفنا أن هذا الشريف يعمل في الخروج ، وقد اشترت له حبال يدلى بها من الدار وهودائب يعمل مفتسحاً(**) قبلي محرابه في الجدار . قد أسدل عليه حصيراً وأرسل لفرس لابن عمه داود وهو فرس سابق لا يلحق به لاحق وهو واصل إحدى لياليه . فأنظري ماذا تأمرين فيه ! فما شعرنا حتى دهمتنا عصبة زهاء ثلاثمائة رجل ونحن عن ذلك غفول ، فأقاموا يحترسون علينا الدار محيطين بنا في الليل والنهار ؛ إذا خرجت لآتي له بوضوئه من جانب الدار سار معي رجلان حتى أعود . وكان إذا خرج بيت الماء اكتنفه أربعة رجال ؛ حتى يحيطون ببيت الماء إلى أن يعود . ثم يقوم إلى وضوئه في جانب من الدار قد أصلحته له مطهراً ، وحجبت له بعضه مقعداً مستتراً فيبيتون حولنا نياماً وقياماً وهم لا يرون له طول ليله مناماً . فما زالت تلك حالتنا حتى كان من حال هؤلاء السلاطين حال أرادوا به هلاكنا فسبب الله به من أيديهم فكاكنا . وراودوا الحرة على قتل الشريف فلم تسعدهم . وأرسلت إلينا / سبأ بن أسود وكان موثقاً بافتقادنا وقصت عليه القصة بما ذكروا لها [م ف 18]

(*) كذا في الأصل ، وربما كانت صحتها : بدا .

(**) في الأصل : فستحاً .

(1) هي السيدة أسماء بنت شهاب الصليحي زوجة علي بن محمد الصليحي ووالدة ابنه المكرم .

من مرادنا فوصل إلينا وقصّ القصة علينا ، ثم أطلع على ذلك الحصار الذي ذكروا أنه مغطى به على ذلك الحفير في قبلة محراب الشريف الفاضل . وإذا ما ذكروا له من ذلك المفتوح باطل . ثم سألنا عن شراء الحبال ؟ فعرفناه أنا اشترينا حبلاً لنمدّ عليه ثيابنا عند الغسل . فعاد من فوره وقصّ القصة عليها . قالت : فما الرأي تراه ؟ قال : تكتبين إلى الأمير وتطالعينه بالصغير والكبير ، وأنا آخذُ هذا الشريف إليّ وأشهد لكم بضمائه عليّ ! قالت : فإن كان منه ما ذكر من الحال ؟ قال : سلّمت الولد والنفس والمال ! قال : ثم رفعنا سباً إلى منزله وأخلى لنا داراً واسعةً بفرشها وجميع منافعها ، ووسّع علينا في الكفاية ، ورفع عنا الحرس وقال : انفسحوا ليلاً ونهاراً ، واذهب أنت يا سلامة أنى شئت ومتى شئت ، واقض للشريف حوائجه في الليل والنهار ، واغسل ثيابه خارج المدينة على الغيل .

ثم كتبت الحرة إلى أميرهم كتاباً فما جعل لكتابها غير وصوله جواباً . فلما وصل أمرنا سباً أن نصل إليه ونسلم عليه فقدّمت للشريف بغلة فركبها ووصلنا إليه وهو في مجلسٍ له رفيع ، فلما رأى الشريف الفاضل استقبله ماشياً ، ولقيه حافياً ، وقدمه وأكرمه ، وبجّله وعظّمه ، والحرة في بعض البيوت التي أمامنا تسمع مناجاتنا وكلامنا . ثم أقبل أميرهم يعتذر للشريف الفاضل فيما لحقه من التعب وقال : يعزُّ عليّ والله يا شريف ما نالك من الضيق ، وما أمرتُ من ذلك بعجلٍ ولا دقيق . وأنا أشكر إليك هذه الحرة فلقد حُملت على ما يسوؤني فيك فما أسعدت من حملها عليه . فشكر لها الشريف الفاضل ما أسدت إليه . ثم قال : يا شريف كلّ ضيقٍ لحقك من قبلي فهو خوفٌ لك . فقال الشريف : أيها الأمير نظّر في الخبر خيرٌ من ألف خبر ، إني لم أبق في مقاتلتك شيئاً قدرتُ عليه ولا حالاً وصلت إليه . ولقد استحلت في ذلك بيع الوصايا جمعاً ، وأخذ أموال الناس كرهاً وطوعاً ، ولو قدرتُ على أكثر من ذلك لعملته ، ولو استطعتُ أن أستأصل شأفتك لفعلتُ ! وقد صرتُ على هذا الحال ولستُ أستحسنُ أن أقابلك من القول بالمُحال . قال الصليحي : والله لقد زادك كلامك هذا عندي رفعةً ولو تكلمتُ بغير هذا ما عددتُ منك إلا خدعة . ثم عاد من عنده وقد خلع عليه وأجمل وأعطى وأجزل ، فرحنا إلى منزلنا عند سبأ فلبثنا هنالك ما شاء الله . ثم رفع إلى الصليحي بغتهً وليس لنا برفعها خبر ولا

دِرْيَة فآرسل إليَّ سبأ بن أسود يقول : لستُ أشتَهي أن يكون مع الشريف أحدٌ من شيعته وأنا أعطيه خادماً يتولَّى ما يحتاج إليه من خدمته / ، ويقرب إليه طهوره ، [م ق 18 ب : ويكفيه أموره ، ويروح صاحبه هذا . فشق ذلك على الشريف الفاضل ، ولم نجد بدأ من إنفاذ الأمر الواصل . فلبث الوصيف عنده أياماً وهو لا يُحسِن بأحواله قياماً . فلما رأى الشريف الفاضل ذلك أرسل إليه وعَوَّل عليه في وقوفي عنده وعَرَفه أن الوصيف ما ينفعه فأسعف ما كان من سؤاله وأغفل كلاً مِنَّا على حاله . فلما كان بعد ذلك بمدة أجرى مع الشريف كلاماً وقال : قد اختبرتكَ باطناً وظاهراً ، وبعثتُ عليك العيون سراً وشاهداً ، واحترستُك في جميع الأحوال فما وجدتُ عليك زَلَّةً في فعالٍ ولا مقال . قال : ثم إنَّ عليَّ بن محمد الصُّليحي أمر أن يكون عند سلطانٍ من سلاطينه شهراً فأجملوا فينا غاية الإجمال .

قال مفرّح بن أحمد ؛ سمعت الشريف الفاضل يقول ؛ كنت في دار ابن مروان فأتاني غلامٌ لستُ أعرفه فقال : يا شريف ! قد أجمع هذا الأمير على سراحك بعد أن اشتور خاصته فمنهم من قال اقتله ، ومنهم من قال أرسله . فقالت الحرة : إن قتلته قامت عليك الرعية ، ونفرت عنك قلوب البرية ؛ وقد عمل فيكم على رأي الحرة وهو يرسل لك بكرة غدٍ فإذا عرض عليك السراح ، وفسح لك في الرواح فهو يختبرك بهذا الكلام ؛ فعرفه أنك راغبٌ في الجلوس في حضرته والمقام . فلما كان من الغد وصلت الرسالة فوجد الشريف الأشياء على ما وصف له الغلام .

رواية الشيخ الفقيه علي بن محمد بن أبي الجيش قال :

ولما كان في المحرم من شهور سنة خمسين وأربعمائة سنة عزم الصُّليحي على النهوض لفتنة الكرندي يعفر بن أحمد ومحاصرته على حصن⁽¹⁾ السوا أجرى مع الشريف الفاضل كلاماً فقال : يا مولاي الشريف ! اعلم أن الناس يخوفونني بك وأنا والله أخافك ، ويقولون لك جاه ، والناس يجيبونك ويملكونك أموالهم وأنفسهم وأنا أحبُّك وأشتَهي ما سرُّك ، وأكره ما ضرُّك ! وقد نظرتُ في أمري وأمرك فإذا لك أصل

(1) حصن السوا : هو ما يسمى قلعة خولان ، والسوا عزلة من ناحية المواسط قضاء الحجرية . انظر ؛ عمارة : تاريخ اليمن ، ص 86 ح 1 ؛ والتوزيع السكاني في محافظة تعز ، ج 1 ص 96 - 100 .

وفيك ديانة ولك مروءة وأمانة . وهذه أفعال سنيّة ، وهذه الأوجه لا تحملك لي على قبيحٍ تُسرُّ به مع جميلي إليك الذي أوليه وهذه صنعاء إن أحببتّها فرغْتُ لك بعض دوري أو دور سلاطيني وبسطتُ لك ما أحببت من مالي ومضنوني وأنت على دينك وأنا على ديني . وإن كرهت ذلك فرُحْ إلى منزلك وأولادك وحيث تحبُّ نفسك من بلادك ! فقال الشريف : يا مولانا الأمير أمّا ما ذكرت من تخويفهم لك بي فقد أنا في يدك فافعل ما يؤمنك عني ، وأمّا قولهم أنّ لي جاهاً وأنهم يحبوني ويملكوني أموالهم ونفوسهم ويطيعوني فلست أنكرُ ذلك بفضل الله لأنّ جدّي رسول الله صلّى الله عليه ؛ وأنا أعلم أن أحداً من أهل اليمن لا يقدر على معارضتك غيري . وقد بلغت [م ق 19] في معارضتك إلى غاية أمري . ولست أغترُّ بعد المعرفة بما قد نظرت / ، فلا أعلم أنني أقدر على غير ما قد كنتُ قدرتُ . وأنت مقبلٌ عليّ بجميلك وإحسانك ولست أميلُ عن حضرتك ولا مكانك ، إن نزلت نزلتُ ، وإن ارتحلت ارتحلت .

فلما سمع الصليحي مقالة الشريف الفاضل قال : يا شريف إذا كان ذلك بمرادك وطيب من نفسك أمرتُ بفرسٍ وبغلةٍ وحمولٍ وكفاية . وحمله في عمّارية إلى جنب عمّاريتّه ، وخرّج عساكره وأجناده وسلاطينه وقواده طريق اليمن . وخرج في خاصته وخيله وكتائبه وخدمه وحسانه وجميع ثقله لخريق زبيد فسرنا منقلتين وهجرنا في الثالثة بوادٍ كثير الحر قليل الماء . وتعب الناس من العطش فأمرنا مولانا الشريف الفاضل وقد حضرت الصلاة فجمعنا له من إداوتهم التي يشربون بها قليل ماءٍ فطهّر به ونهضنا المنقلة الرابعة فأشرفنا على عمد الصلي (*) فلقية أهل البلد فأمرهم بالمسير بين يدي الشريف ، ونهضنا المنقلة الخامسة فهجر الثانية بوادي الحلفا (**) وهو وادٍ كثير الأنهار والأشجار فبسط لأمرهم تحت شجرةٍ مهادٍ جلس عليه

(*) الصلي : بفتح الصاد المهملة المشددة ثم لام وياء موقع بالقرب من جبل برع . وعمد الصلي قرية على طريق صنعاء - حراز - زبيد وبجوارها موضع يسمى البرطسة كان بريداً للجمال تأوي إليه ومنه تكتري . انظر : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 122 ؛ مجهول : السيرة الصليحية ، ص 59 ؛ عمارة : تاريخ اليمن ، ص 94 .

(**) الحلفا بالقرب من عمد الصلي . يقول مؤلف السيرة الصليحية : إن الأمير المكرم نهض من العمد في يوم الخميس ونزل بالحلفا ثم نهض يوم الجمعة يريد المقصع . انظر ، السيرة الصليحية ، ص 60 .

وأخذ بيد الشريف فقربه إليه ثم جعل يسأله وفي الدين يجادله فاقتربت أنا والشيخ سلامة بن علي إلى جنب الشريف لنسمع خطابه وما يكون من ردّ جوابه . فقال له الصّليحي : يا مولاي الشريف أنت من معدن الرسالة والنبوة وسلالة الإمامة والوصية والناس يطيعونك ويقلدونك أديانهم ويتبعونك ، ونحن نشتهي الحديث في أدياننا والبحث عن حُجّة زماننا . فقال له الشريف الفاضل عليه السّلام : أيها الأمير يعز عليّ حالك ولا يحسن لي جدالك ، وليس هذا موضع خصام لأنني أخشى أن يكثرفيه من الغير الكلام . فقال : ناضل عن دينك وجادل فلست أدع أحداً يتكلّم بيني وبينك بحق ولا باطل . قال : فقل ما شئت ! فقال الصّليحي : أنت تعلم أنّ الأرض لا تخلو من حُجّة قائمة ، وأنت تجمع معي على ذلك . قال الشريف : ذلك اعتقادنا وبه قولنا . فقال الصّليحي : وأنت تعلم أنّ النبي نصّ على عليّ . وأنّ علياً نصّ على الحسن وأن إماماً لا يخرج من دار الدنيا حتى ينصّ على إمامٍ لأنّ الإمام أعرف من الرعية وإذا كان بهذه الصفة وكانت الدنيا لا تخلو من الحُجّة وجب عند ذلك على الإمام أن لا يخرج من الدنيا حتى يعرفهم بصاحب المقام وإلاّ ظلمهم إذا لم يعرفهم بمن هو أعرف به منهم وتركهم على جهلهم ! فقال الشريف : أما أنا فلا أقول بالنصّ لأنّ في ذلك إبطال الحُجّة والدليل وتعطيل الحق والتزليل ولا حجة واضحة . وأنا أقول إنّ إماماً لا ينصّ على إمامٍ بغير دليلٍ ولا حُجّة واضحة ، ولكني أقول إنّ النبيّ صلّى الله عليه أشار إلى عليّ بعد ثبات الدليل والحجة البيّنة وكذلك أشار عليّ إلى الحسن / ، وكذلك أشار الحسن إلى الحسين ، وكذلك بلغهم بعد الحجة والبيّنة [م ق 19 ب] والدليل . قال الصّليحي : فأبّن لي أثمتك من أولهم إلى آخرهم ومن قتلهم ومن قاتلهم ومن كان في أزمئتهم إلى أن تبين لي صاحب عصرك وحجة دهرك يصحّ الحقّ معك ونسلم لك ولمن اتّبعك ، وإلاّ أبنا أثمتنا من عصر النبيّ إلى عصرنا وأنباء حجتنا وصاحب دهرنا ، وعلمت أنّ الحقّ معنا وسلّمت لنا ولمن اتّبعنا . قال الشريف : أما قتلهم وقتالهم وما كان في عصرهم فذلك حال لم يفترضه الله عليّ ولا تعبّدني به ، وأمّا أثمتي فأنا أثبتهم لك فمن أجمعيت معي عليه فهو إمامي وإمامك . ومن ناكرتني فيه أبنت الحُجّة عليه حتى يصحّ ما نسبّت من الإمامة إليه . فذكر الشريف الأئمة إماماً إماماً فيقول الشريف فلان إمامي فيقول الصّليحي وإمامي حتى أتى إلى الهادي

عليه السلام ثم إلى المرتضى ثم إلى الناصر ثم إلى القاسم بن علي عليهم السلام وهو يقول كذلك ثم سكت الشريف وعلم أن إجماعه معه ليس إلا سبباً للكلام في المهدي عليه أفضل التحية والسلام وفي غيبته لأن يستمع العوام والجهال ما لا يعرفونه في ذلك من الحجة والمقال .

فلما سكت الشريف قال رجلٌ حجازيٌّ : يا شريف خُصِمتَ ! فقال له الصُّليحي : إلحق بِرِغِيَةِ الغَنَمِ ودع عنك الحديث فيما ليس تفهم ! ثم قال : يا شريف لستُ أوسع في عذرِكَ ولا يحلُّ لك دون أن تبين لي حُجَّةَ دهرِكَ ! فقال الشريف الفاضل : لستُ أنكر أن لي حُجَّةً قائمةً بأمر الله غائبة في أرض الله . لكنْ أصابتنا في حُجَّتِنَا المحنة والبلوى وإلى الله سبحانه في ذلك الشكوى . قال الصُّليحي : لستُ أقبل ذلك منك ! فقال الشريف : قل ما شئتُ أسمعهُ عنكَ ! فتبسَّم ضاحكاً وقال : ﴿ لا إكراه في الدين ﴾⁽¹⁾ . ثم نهضنا منقلةً سابعةً حتى دخلنا القحمة⁽²⁾ فلقية أهل البلد فأمرهم بالمسير بين يدي الشريف الفاضل . ثم نهضنا منقلة ثامنة فدخلنا زبيد فأنزلنا في دار عبد الله بن محمد فكان أهل الناحية يختلفون للدخول على الشريف الفاضل عليه السلام فلا يوسع لهم في ذلك فإذا أراد الشريف لأمرهم مساءً أو صباحاً توقع أهل تلك الناحية النظر إليه غدواً ورواحاً .

وأقمنا بزبيد شهراً والمتولِّي لكفائتنا أسعد بن شهاب⁽³⁾ فأجزل في الكفاية وأوسع في الجراية . قال : والشريف الفاضل عليه السلام في مدته هذه مُقبِلٌ على عبادة ربِّه بالصيام والقيام ، مُثابِرٌ على الدراسة في كتب آبائه عليهم السلام يدعو إلى الله بخالص دعائه أن يخلصه مما هو فيه من مَحْنِهِ وبلوائه وهم لا يدعون شيئاً من أمور.

(1) سورة البقرة / 256 .

(2) القحمة بفتح فسكون : تقع في وادي ذؤال ما بين بيت الفقيه والمنصورية ؛ قارن بابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ، ص 62 ؛ والهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص 96 ، ج 5 نفس الصفحة ؛ وياقوت ، معجم البلدان ، ج 4 ص 311 .

(3) أسعد بن شهاب أخو السيدة أسماء بنت شهاب زوجة علي بن محمد الصليحي . ولأه الصليحي زبيد وأعمال تهامة . وكان حسن السيرة متسامحاً مع مخالفيه في المذهب من رعيته . انظر ، عمارة ، تاريخ اليمن ، ص 120 - 121 .

الدنيا إلا عرضوا له فيه يريدون بذلك استمالة قلبه واختباره وليعلموا نيته واختياره وهو لا يريهم أنه يزهد في ذلك .

قال الشيخ الفقيه / علي بن محمد بن أبي الجيش : ثم عرض لي ولأخي [م ق 120] سلامة بن علي الفكر في أن ما نحن فيه لا يجوز لنا وقلنا لعله يجوز للشریف من طريق ما اضطر إليه ونحن في خاصتنا لا يجوز لنا الوقوف فيما نحن عليه من أكل طعامهم وتكثير جمائهم . وكان الشریف الفاضل رضي الله عنه ينهانا عن النظر إلى مواكبهم ويقول : إنما هي كفر بالله ومعصية ولا يحل لعين ترى الله يعصى تطرف حتى تُغَيَّر⁽¹⁾ إلا من ضرورة ، ولا يجوز النظر إليهم تعمداً ولا تلذداً بغلبة مواكبهم عمداً والعبء مكتوب عليه النظرة والحركة والخطرة وليس ثم إلا طاعة أو معصية لا ثالث لهما ، فاحرسوا بنا أنفسنا مما هو مكتوب ومحفوظ علينا ، فأخذ ذلك بقلوبنا . فواجهته أنا وأخي سلامة بن علي وشكونا إليه ما قد اعترضنا فقال رضي الله عنه : ما أرجو لأحد السلامة إلا لكما بسببي وانقطاعكما معي وتعلقكما بي ومشاركتكما لي في المحنة التي قد نالتني ولم يمتحن بها أحد فيما علمت قبلي ؛ امتحن الحسين ابن علي عليه السلام بمنع الماء يوماً واحداً وهو كان في ذلك اليوم صائماً واستشهد في ذلك اليوم وأفضى إلى الراحة . وأنا مُنِعْتُ الماء سبعين يوماً ، ثم أفضيت من المحنة إلى ما هو أعظم من ذلك . وذكر كثيراً من مَحَنِ آبائه عليه السلام ثم قال : وأقربهم محمد بن الهادي رضي الله عنه حُسِّسَ وقيد والهادي يُعَذِّبُهُ في أهل بيته وشيعته وحريمه قائماً بالإسلام في جِرِّزٍ ومنعة والمرضى عليه السلام في الحرب ينادي أعداءه بالليل والنهار ويتهددهم بالكلام والأشعار . وأنا في أيدي هؤلاء القوم وجميع أهل بيتي وشيعتي في طرفٍ مما أنا فيه من محنتي أسير حيث لا أحب وأدخل تحت ما لا يجوز ولا يجب . أَمْنَعُ عن الذهاب في أرض الله وأحير خوفاً من أن أقوم بفرض الله وأؤدب على الجهاد في سبيل الله ، وأمنع من المواجهة لأولياء الله كرهاً لا طوعاً ، ولا أستطيع عن نفسي ولا عنهم دفعاً . وقد صرت وحيداً فرداً لا أستأنس إلا إليكما ولا أتكلم بعد الله إلا عليكما إن عشتُ آسئتماني وإن متُ واريتماني . فهل تعلمان أن الله

(1) في دواوين الحديث : حتى تُغَيَّر أو تنتقل .

يعذرُكما في إفرادي أو تستحسناً ترك معاويتي وافتقادي؟ قال : فسكنت أنفسنا لقوله ووطّنا أنفسنا على الوقوف معه حتّى يفتح الله لنا وله . ثم قال : لقد كنت رأيتُ أموراً أكرهها ولم تكن نفسي أبداً تقبلُها فسألته عن ذلك ما هو فقال : نعم كنت أتعوّف كثيراً من أولياء الله في شرابي وطعامي ولحافي وطهوري فرأيتني ذات يومٍ وقد أحضر لي ذلك النجس عبد السلام الصنعاني / طعاماً وهو يصلح المصباح بيده ثم يدخلها في الطعام من بعده فأكلُ ذلك لا أجِدُ منه بدأ . ثم رأيتُ الصلاة حضرّتي في وقتٍ قطع بي فيه الماء فلم أجده فجمع لي من أدوي بني الصليحي ما أظهر منه وأشرب ولا أجِدُ بدأ من ذلك وهم يشربون الخمر ويفعلون الشرور ، ورأيتني وقد أصابني مطرٌ في زحام الناس ولحافي رطب يياشُر لحافهم وفي لحافهم أثر النجاسات ، وأصلي في لحافي ولا أجِدُ من ذلك بدأ . وكنتُ كما قد علمتُما أتنزّه عن دخول أسواق العرب مع براء أهلها من دنسات الأسواق ونجاستها فرأيتني وقد اضطرّني الحال إلى وصول هذا الأمير وقد جعلوا في الطريق ما بيننا وبينهم سوقاً ولا أجِدُ عن يمينه ولا يساره طريقاً يبيعون فيه الخمر ولا يُخفون فيه الشرور وكانت طريقاً ضيقاً فسرتُ متقنّعاً بين شرورهم فاعترض لي في الطريق إنسانان قد تعلق أحدهما بصاحبه للفسق وهما يتجاذبان ففرقت بين أجسامهما إذ لم أجِدُ طريقاً إلّا في مقامهما عليهما لعنة الله وسخطه . ومن ذلك أني كنتُ أعتاد أني أذكر الله سرّاً حتّى كانت تلملم بذلك شفاتي ويتبين لمن هو قدامي فكنتُ في مجالسهم أحرس نفسي عن ذكر الله تعالى خوفاً أن يحسبوا أني أقول فيهم حالاً .

قال : ثم أقام معهم رضي الله عنه ونحن معه في عَرَد محاصرين لابن الكرندي تسعة أشهر وهو مقبلٌ على العبادة والدراسة ليلاً ونهاراً وإعلاناً وإسراراً قد ألصق أطراف مضره بالأرض لثلا ينظر شيئاً من المنكرات والناس يأتون إليه ويتباركون به ويأخذون التراب من محرابه فيستشفون به من أمراضهم فيشفاهم الله من جميع أعراضهم .

قال : ثم قد كان أوجب عليّ وعليه وعلى أخي سلامة بن علي أن نتدارس كلّ ليلة قبل النوم في ثلاثمائة مسألة فمائة منها في التوحيد ومائة منها في التفسير ومائة منها في الفقه . فكان عليه السلام يجلس متربّعاً ثم يأمرني فأجلس مقابله ثم يطرح يده

في يدي فأثنا ما غلب عليه النوم جذبه صاحبه وكنت لا أزال معه كذلك حتى نأتي على الثلاثمائة . وكنت أراه إذا نام بعد فراغنا يتفرغ في نومه ويظن أنه لم عاد يكمل ما أوجبنا على أنفسنا فيستوي جالساً ويقول هيه حتى نذكر أنه قد أكمل فيفعل ذلك مراراً . قال : وكنت بعد مصير الشريف الفاضل عليه السلام معهم قد سألت الشريف الطاهرة ابنة المهدي رحمة الله عليها هل معها من المهدي صلوات الله عليه خبر إلى ما يصير أمر الشريف الفاضل وكيف يكون خلاصه ؟ فقالت : يكون بأسباب أبيه ! فرويت له الرواية . فلما كان ذات يوم أقبل عليّ فقال⁽¹⁾ : اعلم أن قد طال مقامي مع هؤلاء القوم وقد أتعبني ذلك ولست / أشك في تعب من بعدي وقد رأيت أن [م ق 21]

تشرف لي والدي فقد ذكر لي أنه قد وصل من الحجاز إلى حقل صعدة⁽²⁾ وتسأله أن يصل إليّ فلعله أن يسكن نفوس هؤلاء القوم ويكون على يده لي خلاص . وقد كنت أحب أن يستقيم عند أولاده ويستريح من طول سفره ولا أشق عليه لكن الضرورة قد حملتني على ذلك ! ففعلت ما أمرني به . وكتب معي كتاباً وحملتني خطاباً . فمضيت حتى صرت إليه بعد أربعة عشر يوماً وهو بالجبجب⁽³⁾ من حقل صعدة قد أثار عليه أهل صعدة الحرب ووصلت وهم يقاتلون على باب الدرب فوقفت دونهم حتى افترق الناس ودخلت عليه فامتأ بوصولي سروراً لعلمه بوصولي من عند ولده ووضع الكتاب في يده وحققت له فيما نهضت إليه من عنده . فقال لي رحمة الله عليه : أنا صاحب السفر فكيف يلد لي الوقوف في منزلي وبين أهلي أويصوغ^(*) لي شراب أو طعام أو يقرّ بي قرار أو يلد لي منام وقاسم حيث هو وهو لحمي ودمي وأحب أولادي إليّ كفاني الحار والبارد ! قال النبي صلوات الله عليه : من سعادة المرء أن لا يموت حتى يرى في أولاده من يسرّ به . فمن سعادة الله لي أنني لم أمت حتى رأيت ذلك في ولدي القاسم ثم نهض من فوره حتى قدم عليه وهو في عرد . قال : ولما

(*) كذا في الأصل . وربما كانت : يسوغ .

(1) عاد صاحب اللآلي المضية م 2 / ص 155 - 156 فنقل عبارات عن السيرة هنا .

(2) الحقل : هو القاع الواسع ، وحقل صعدة من أشهر حقول اليمن وهو من بلاد خولان . انظر ، الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 2 ص 278 .

(3) الجبجب ، محلة من قرية زبون ، عزلة بني دويب ناحية حيدان . التوزيع السكاني في محافظة صعدة ، ص 48 .

وصل الأمير جعفر بن القاسم إلى ولده وهو في حضرة الصليحي وذلك في شهر رمضان سنة خمسين وأربعمائة سنة ؛ ونزل ابن الكرندي من حصنه واشتكى > الأمير جعفر بن القاسم بن علي شكواه التي مات منها ، واشتكى < (*) ولده القاسم بن جعفر ، وتوجهوا للرواح إلى صنعاء .

قال مفرّح بن أحمد رحمه الله ، سمعت الشريف الفاضل عليه السلام يقول : رأيت في المنام بعرد أو قال رآه بعض أصحابنا بعرد كأن الصليحي يسير أمامي وأنا خلفه وهو حاذي وأنا حافي فقصصت ذلك على معبر كان للصليحي فقال : أنت أولى بالأرض وأولى بها بعده . وروى لي سلامة بن علي أنه رأى في المنام في يدي قيام الشريف الفاضل عليه السلام أنه يقول له : ما سر الأسرار ؟ قال ؛ فقلت له : أن تسر إليّ سرّاً فأكتمه عن الناس ! قال : ليس هذا ولكن تكتّمه عن نفسك ! قلت : وكيف أكتّمه عن نفسي ؟ قال : تناساه . قال : ثم استقبل القبلة وفغر فاه وهو يخرج منه شيء كأنه قوس علان في لونه متصل بالسماء إلا أنه في دقة الخيط وهو يقول بهذا أورد وبهذا أصدر . قال سلامة بن علي : فمددت يدي لأتناوله فقال : أليس قد قلت لك ؟ فأمسكت . قال : ثم سألت المعبر عن تأويل هذه الرؤيا فقال : هذه الرؤيا تدل على أن صاحبها يدعو إلى إمام الأئمة . وروى لي القاضي يعقوب بن عيسى عن الشريف الفاضل عليه السلام وقد أخذته عنه سماعاً ، قال : رأى محرز بن عبد الله [مق21ب] - وكان رجلاً مؤمناً من أهل ترج⁽¹⁾ ، وكان هاجر / إلى عمران⁽²⁾ من وادي الجوف وتوفي هنالك رحمة الله عليه - فقال : رأيت في المنام كأنني واجهت المهدي عليه السلام فقلت له : يا مولاي متى تقوم ؟ قال : عاد قبل قيامي قيام أبي العساكر . قلت له : ومن أبو العساكر ؟ قال : القاسم بن جعفر !

قال الشيخ الفقيه أبو الحسن علي بن محمد بن أبي الجيش : لما صار الشريف الفاضل بصنعاء مراحه من عرد وهو شاكي هو وأبوه أحضر إليهما طبيب

(*) ما بين الحاصرتين عن الهامش الأيمن عن الصفحة .

(1) وادي ترج يصب في وادي بيشة عند نخيل الحيفة . انظر : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 88 ؛ فؤاد حمزة : في بلاد عسير ، ص 56 - 57 .

(2) عمران : مدينة بالجوف . الهمداني : الإكليل ، ج 8 ص 158 ، ح 55 نفس الصفحة .

الصُّليحي فأخذ الشريف الفاضل منه وصفاً وعالج نفسه فعوفي وشفى . وكان والده يشتكي وجعاً في صدره فسلم إليه ذلك الطبيب ثلاث بنادق من دواء لا أدري ما هُنَّ ثم جدَّ به الموت فتوفي رحمة الله عليه ورضوانه في شهر ذي الحجة سنة خمسين وأربعمائة سنة . وكان يقول : أنا أكثرُ مَنْ أُعطي عُمرًا من أهل بيتي أنا ابن خمسٍ وثمانين سنة . ثم تمثّل بقول النابغة الذبياني⁽¹⁾ :

وإني لأرجو فوق ذلك مظهرًا

قال : فأمر له الصُّليحي بأكفانٍ رفيعةٍ وقطعٍ من الكافور ، وأمر بحفر قبره في الجبَّانة بصنعاء بين مقابرهم وسأل إذا فرغ من جهازه أن يؤذن . فلما فرغنا من جهازه بعث الشريف الفاضل بالعلم إليه ، فخرج مسرعاً في حضرته وكافة أهل مملكته فتلقاه الشريف الفاضل فسلم الصُّليحي عليه وعزى له وبكى بين يديه وأقسم أن لا كان حَمْلُ الجنازة إلا إليه . فأمر خاصّة خدمه فحملوها ، وأمر جميع الناس بالترجل عن دوابهم والمسير خلفها فلما صلّوا عليه وفرغوا من دفنه أدنى مجلس الشريف إليه وجعل الفازة مُظَلَّةً عليه وعليه . ثم ابتدأ الكلام فقال : يا مولاي الشريف ! يعزُّ عليّ والله ما جرى على والدك وإن كان الموت لا بُدَّ منه ولكن كنت أُحِبُّ أن يكون ذلك في منزله وبلاده بين أهله وأولاده ، وأنا أعلم أن هذا الحادث يفزعهم ، والذي جرى من موته يجزعهم ، وأشقّ الأشياء عليهم موت أبيهم ولزم أخيه . وقد رأيت أن تروح إليهم ليسكن روعهم بقدمك عليهم ولا تراجعني في ذلك . فشكر الشريف الفاضل عليه السّلام ما هنالك وأمر لجميع من تحت يده بكساءٍ وعطيةٍ وعرض عليه قضاء الحوائج وأجرى نفقاتهم في كلّ شهرٍ بشهره وجراية أجراها له على الدوام ، وصيانة لجميع ما سأل فيه من شيعته ومحبّاه وخواصّه وأصحابه .

فلما راح الشريف الفاضل عليه السّلام أغلق بابه ، وقطع عن جميع الناس خطابه ، واشتغل بعبادة الله والثناء عليه والشكر له . فرأيت يوماً وقد التمسّت أنا وأخي سلامة بن علي الدُّخُولَ عليه ، ووقف على بابه من لا يشتهي أن يصل إليه ومعنا له حوائج وودائع وأسباب ومنافع . فأمر بقبض ما معنا واعتذرنا / عن المواجهة [م ق 22]

(1) عجزيت من قصيدة للنابغة الجعدي ، وليس للنابغة الذبياني .

ومنعنا . فعتب أخى سلامة وكتب كتاباً يذكر فيه عتاباً فلزم كتابه لعباية(*) . فلما ارتفع ذلك الناس من بابه أذن لنا فسلمنا عليه ، فلما نهضنا أوقفنا ثم قال احكموا بيني وبين أخى سلامة وأخرج كتابه ثم قال : ما أنا عندك أمؤمنٌ أو غير مؤمن ؟ قال : بل مؤمن . قال : فما من مؤمن يستحل أن يستخف بمؤمن ؛ أو هذا من الدين أو المروءة ممكن ؟ قال : فاعلم أن هذا لم يكن غرضي فيك فاستغفر الله فيما ظنبت بأخيك وإنما كان ذلك لعذرٍ حائلٍ قائم والله سبحانه بذلك شاهدٌ وعالم .

فصل في خروج ذي الشرفين إلى الشام :

قال مفرح بن أحمد : سألت الشريف الأمير محمد بن جعفر - مكن الله بسطته على الأنام - عن خروجه وخروج أخيه الشريف الفاضل عليه السلام بعد خلاصه من بني الصليحي وكنت أتوهم أنه خاف منهم على نفسه غائلةً أو مكيدةً . فقال : ما خرج عليه السلام لأيٍّ ذلك بل خوفاً لله ولمعرفته ويقينه فاراً من مجاورة الظالمين بنفسه ودينه لأنهم بذلوا له من الدنيا جزيلاً ، وأولوه بعد خروجه جميلاً ، وكانوا يشيرون اختلافه إليهم وقدومه عليهم والخروج في عساكرهم والحضور لمحاضرهم ، وإذا قطع ذلك استرابوا حاله وخافوا اغتياله . وخشي في تكثير جماعهم وتسويد جيوشهم وعمارة مجالسهم غضب الله فخرج بدينه هارباً إلى الله . ثم قلت : فكيف كان خروجه ؟ قال : لم يعلم بخروجه أحد بل قد كان أفضى إليّ يسره واستشارني في أمره فقلت : الرأي إليك وأنا معك وبين يديك فأكنى أمره وعمل على الخروج . وكتب إلى بني الصليحي كتاباً يوهمهم أنه يريد مصر الغز فيه(**) فقال عند وصوله إلى غرضه من كتابه : ولما داخل قلبي الشك رأيت الاتصال بالحضرة النبوية للاعتراف من العين الرؤية وأخذ الشيء من أصله من حيث أخذه من خلد الله ملكه . يشير عليه السلام إلى أنه يريد المدينة وزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه . ثم قال : وقولي يُصدِّقه فعلي وخبري يوجد في أثري واستوصاه بمخلفيه .

(*) كذا في الأصل ، ولم نستطع قراءتها .

(**) في اللآلي المضية م 2 / ص 156 ، ولما عزم على الخروج كتب إلى بني الصليحي (كتاباً) يوهمهم فيه أنه يريد المدينة وزيارة قبر رسول الله ﷺ .

قال مفرّح بن أحمد : إنما بالغت في ذكر ما أولاه الصُّليحي من الإجلال والإكرام والعطايا الجسام ليعلم من لم يعرف الشريف الفاضل عليه السّلام أنه لم تكن له رغبة في زائل الحطام ، ولو كان له رغبة في الدنيا لكان قد بلغ منها إلى أقصى المنى . ولكن كان غرضه ما قام فيه من الجهاد في سبيل الله . سألت سلامة بن علي عن خروج الشريف الفاضل عليه السّلام وسفره ، وكان من أصحابه العارفين بخبره فقال⁽¹⁾ : لمّا عزم على الخروج لم يطلع على خبره أحد إلا أخاه محمد بن جعفر . فلما كان ليلة خروجه / عرّفني وعرف من كان يشتهي أن يخرج لخروجه ممن حضره [م ق 22ب] من أصحابه وخيرهم الإقامة أو السفر فاخترنا الخروج بخروجه فكان هو وصنوه وأنا وتواب بن محمد الجراذي وعواض ويوسف ابنا يحيى الحمدي وأحمد بن طريف مولى آل القاسم وواجهنا في بلد بني بحر جشمير بن عبد الأعلى بن الدعام وأفلح بن محمد الجنبي⁽²⁾ فكنا تسعة نفر وكان قد أضاف إليه رجال من بني جماعة وابن خالد يحيى بن المنشر من بني مالك وحسين بن علي الأشل . ثم نهض من ليلته حتى أصبح بمذاب⁽³⁾ وظل قائلاً هو وصحبه تحت الرخصة حتى إذا صلّى ظهراً أو عصرًا نهض بنا حتى أصبحنا بالصعيد⁽⁴⁾ ثم نهض من هنالك متوجهاً بلد بني بحر⁽⁵⁾ وكان قد نوى بها المقام . فلما وقع خبره مع مُجاب بني الصليحي بصعدة قدّموا رسلاً إلى بني بحريعاملونهم في الشريف الفاضل وأصحابه ويبدلون لهم الأموال . فلما انتهينا إلى بلد بني بحير لقيونا ورحّبوا بنا وأجزلوا في القرى . وعمل الشريف على الإقامة في بلدهم ورجا أن يحرز نفسه ودينه عندهم فهو على ذلك إذ أتاه رجل من أهل

(1) اللآلي المضية م 2/ص 156 - 157 .

(2) جنب بفتح الجيم وسكون النون ، حي من مذحج كانت مواطنها هران ذمار . ويطلق اسم جنب على عدة قبائل . نشوان ، متخبات ، ص 22 ؛ ابن رسول : طرفة الأصحاب ، ص 64 - 65 ؛ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص 413 .

(3) مذاب : من أودية الجوف يمر ببلاد سفيان . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 161 ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 4 ص 699 .

(4) الصعيد : بلدة في العوالق العليا من عزلة حشبة ناحية فطابر قضاء جماعة . المقحفي : معجم البلدان والقبائل ، ص 391 ، ص 477 .

(5) بنو بحر : بطن من خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاة في بلاد صعدة . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 1 ص 104 .

بدر⁽¹⁾ يتحلل التشيع فقصّ عليه قصّة السعي بين المجاب وما قد عملوا مع مشائخ أهل ذلك الجنب ، فوهب له الشريف وأرغبه وسأله أن يسير معه إلى بدر ويصحبه وعزم على النقلة منهم وواجهنا هنالك حشمر بن عبد الأعلى مصدره من النائبة التي كانت حلت به وذلك أنه كان رجلاً ذا دينٍ وورعٍ وطهارةٍ ويقين متعلّقاً بمذهب آل محمد ومحبتهم . وكان من خواصّ الشريف الفاضل وممن كان معه في الهراة فلما خرج من الهراة إلى بلده وهي بيت بحر لم يحل عن دينه ولا مشاقّة ابن عمه أبي الحسين بن جناح فعمل أبو الحسين في قتله وله قصّة طريفة اختصرت ذكرها فرحمة الله عليه وفي جنب الله ما وصل من أعداء الله إليه .

قال سلامة بن علي : ولما عزم الشريف الفاضل عليه السّلام على النقلة من بلد بني بحر أعمل الحيلة في التخلص مما وقع فيه فكاتب أهل رازح⁽¹⁾ ونبا لقاء⁽³⁾ لهم ولبني بحر ولقبائل القد⁽⁴⁾ إلى بدر وأمر بزاده وأثائه فقدم إلى بدر شيئاً شيئاً حتى صار ببدر عن غير علمٍ ولا اشتهاٍ فلما أحكم ذلك نهض معه مشايخ البحرين فيهم الذين نسبت المعاملة فيه . وكان الشريف الفاضل قد ربّ مع ذلك الرجل المنتحل أنه يضيف إليه وينزل عليه ويكون من معه من بني بحر عند سائر أهل بدر .

فلما صرنا إلى بدر لقونا ورحبوا بنا واقتسمونا فأخذنا ذلك الرجل فصرنا عنده وصار الباؤون عند أهل بدر . فلما كان على جزءٍ من الليل نهضنا ومعنا ذلك الرجل

(1) بدر : بلدة وادٍ من نجران . وبدر فرع من آل فاطمة من قبيلة يام بنجران . وآل البدر يسكنون غولة بلاد . ولد نوار غربي حيدان من بلاد صعدة . الحجري : مجموع بلدان اليمن ، ج 1 ص 105 ، ج 4 ص 631 ؛ وكحالة : معجم قبائل العرب ، ج 1 ص 68 ، ج 3 ص 1259 ؛ وفؤاد حمزة ، في بلاد عسير ، ص 168 ، 173 ، 186 .

(2) رازح : ناحية من بلاد خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاة من أعمال صعدة سميت باسم رازح بن خولان . وهي أحد أقضية (قضاوات) ؟ محافظة صعدة . انظر ، الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 2 ص 355 ؛ التوزيع السكاني في محافظة صعدة ، ص 68 - 88 ؛ التقسيمات الإدارية لعام 1985 .

(3) كذا في الأصل ، وربما كان معناها : وضرب لهم موعداً .

(4) القد : بالكسر والفتح أشهر . يوجد بهذا الاسم أكثر من موضع في ناحية حيدان قضاء خولان بن عامر . وتذكر باسم القدود الشامية أو اليمانية . انظر ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 128 ، 135 .

فبتنا سارين وارتقى بنا جبلاً صعباً حتى صرنا إلى قرية تسمى / أنافية⁽¹⁾ فسألهم [م ق 123] الشريف الصحابة إلى الخطاب بن يعيش الجماعي⁽²⁾ ففعلوا حتى أوصلونا إلى جانب بلاده ولقيونا إلى جانب منها فرحب وقرب ، وعرض على الشريف الإقامة في بلده فكره ذلك الشريف وعزم على المصير إلى ترج من بلد خثعم⁽³⁾ فصحبنا حتى أوصلنا بلد وادعة⁽⁴⁾ فسألهم الصحابة فانغموا بذلك وأجزنا ببلاد سنحان⁽⁵⁾ معنا رجل سنحاني قد استصحبه لنا الوادعيون وكنا خوفاً من سنحان لأنها أصل الدعوة والأصل منها شواحط⁽⁶⁾ فسرنا بلدهم ليلاً حتى أصبحنا بالراحة من بلد بني شريف⁽⁷⁾ فلبثنا

- (1) أنافية : من روافد وادي صبيا . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 136 .
- (2) بنو جماعة من قبائل خولان بن عمرو بن الحاق بن جماعة . لهم بلاد واسعة من أعمال صعدة . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 162 ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 1 ص 191 .
- (3) خثعم : من ولد خثعم بن أنمار بن رأس بن عمرو بن الغوث بن النبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ . ومن بطون خثعم شهران وناهس وأكلب . ومواطنهم في إمارة سراة الحجاز المسماة بغامد وزهران . انظر ، فؤاد حمزة ، في بلاد عسير ، ص 60 - 61 ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 2 ص 304 .
- (4) قبائل وادعة في عدة جهات منها وادعة عسير في شمال غرب نجران . وهم ولد وادعة بن عمرو بن عامر . . . بن حاشد من قبائل همدان . انظر ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 225 ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 4 ص 761 ؛ فؤاد حمزة ، في بلاد عسير ، ص 138 - 139 .
- (5) سنحان : بفتح السين وسكون النون ، اسم مشترك بين ناحية سنحان قرب صنعاء وبلاد سنحان في عسير . أما سنحان عسير فهم سنحان بن عمرو بن حارثة بن ثعلبة . . بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . انظر ، ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص 48 ، 51 ، 65 ، 122 ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 3 ص 432 ؛ فؤاد حمزة : في بلاد عسير ، ص 142 ؛ كحالة : معجم قبائل العرب ، ص 2 ص 558 .
- (6) واضح من النص أن شواحط من بلاد سنحان . ولم أجد في المصادر المتاحة ما يؤيد ذلك . وشوachte قرية لشحب وهي من قرى وادي ريم من المع . وأشهر أودية المع وادي حلي . وشوachte من قرى آل رميان من قبائل بني مالك في عسير . انظر ، فؤاد حمزة ، في بلاد عسير ، ص 156 ، 121 . أما شواحط فهي قرية بالقرب من حصن حب في بعدان . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 3 ص 458 .
- (7) راحة شريف : أحد الأودية المكونة لوادي تثليث من بلاد قحطان ويضم وادي راحة شريف ثمان قرى ، كما أن بني شريف ينقسمون إلى ست بطون . وينسب بنو شريف إلى قحطان . انظر : فؤاد حمزة : في بلاد عسير ، ص 143 - 144 ؛ البلادي ، بين مكة والمدينة ، ص 72 - 73 ؛ وراحة

بها زهاء ثمانية أيام فطمعنا فيها بالمقام وإذا فيها لبني الصليحي المجاب وأهل العهد والأصحاب فاستوحش الشريف لذلك فسألهم الصحابة إلى الأخرق الجنبى ففعلوا < حتى أوصلونا إليه > (*) فوجدناه بأرض فيحاء إلا أنها جديبة منقطعة عن القرى ، وإذا عنده القننة شحيحة وخطمه مشيخة فقدّمنا وأكرمنا وواجهنا بالبشاشة في السلام والبشر والإكرام ، ثم ذبح لنا شاة هزلآء وهياً طعاماً غثاً صنع البادية مع أنه قد بالغ في قدرته إلى الكرامة وبعّد عن الذمّ والملامة .

قال سلامة بن علي : فتعوّفت ذلك الطعام فصاح عليّ الشريف وقال : تعاف ما لا يعاف وتأكل ما يكره ويعاف ، أنسيت موائد بني الصليحي على ما تعرف من الحال وتعاف الطعام الطيب الحلال ؟ قال : ونفذ ما كان معنا من الزاد ووقعنا في مقطعة محطومة من البلاد . ثم سأله الصحابة فأرسل معنا رجلين من بني عمّه فصارا بنا على صرّم لبني عبيدة من جنب⁽¹⁾ فما شعروا بنا إلا بين أبياتهم . ولقد همّوا بنا لعظم البغضة فلم يجدوا بداً أن أضافونا وفرشوا لنا فرايت نساءهم تأتي الواحدة حتى تشرف في وجه الشريف وهو مرخ عليه جلبابه فتقول : ما أدّاك ها هنا يا شريف ؟ فيميل بوجهه عنها فتأتي الأخرى من الناحية الأخرى فتقول كذلك . ثم سأل الشريف منهم الصحابة فانتدب منهم لذلك رجلاً وسريناً من ليلتنا تلك ، وندموا علينا ومضوا على أثرنا يريدون الفتكة بنا وبصاحبهم . فلما أصبحنا صليّنا والقوم قد لزموا لنا الطريق فشددنا للفتنة ثم مضى أحد صاحبهم حتى نحاهم جانباً ، ومضى صاحبهم الآخر جانباً . فلما قربنا من بلاد عنز بن وائل⁽²⁾ جعلوا يلحقون بنا فارساً واثنين حتى لحقنا منهم ثمانية فرسان وتحقّق الشريف أنهم يريدون بنا المكيدة فنزل فصلّى

(*) ما بين الحاصرتين في الهامش الأيمن من الصفحة .

(1) عبيدة : إحدى قبائل جنب القحطانية . انظر : الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص 227 ؛ البلادي بين مكة وحضرموت ، ص 67 ، 72 .

(2) تقع ديار عنز فيما بين أرض جنب وسراة الحجر من الأزدي كما يسمى مخلاف جرش . وتنسب هذه البلاد إلى عنز بن وائل بن قاسط من قبائل ربيعة . انظر ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 229 - 231 ؛ وابن رسول : طرفة الأصحاب ، ص 53 ، 82 ، 122 ؛ مسلم اللحجي م 4/ ص 344 ؛ البلادي : بين مكة وحضرموت ، ص 46 - 47 .

وصنوه محمد بن جعفر وحشمر بن عبد الأعلى راكبان فلما صلى ركب ونزل صنوه فصلّى فلما فرغ ركب ونزل حشمر فصلّى والقوم في خلال ذلك يديرون الرأي ويشتورون . فلما فرغنا من الصلاة أقبل القوم بأجمعهم إلينا ، ثم استفتح شيخ لهم الكلام / فقال : يا شريف والشريفُ الله ، ها هنا حدُّنا وإلى ها هنا صحابتنا ؛ وفي [م ق 23 ب] نفوسهم الغدرُ والخديعةُ والمكر . فلما سمع الشريف ذلك منهم قال لهم : يا وجوه العرب ! لست بحراثٍ ولا تاجرٍ فترغبون فيّ أو تهولون عليّ ، أنا رجلٌ من بني الحسن ، أنا القاسمُ بن جعفر ! مَنْ أخذني ها هنا أخذتهُ بمكة . ثم قال لنا : إمضوا فمضينا غير بعيدٍ إلّا وقد تبعونا يقولون : يا شريف أنتم صحابتنا ! ثم مضينا نحن وهم ونحن على أحزم أمورنا حتّى انتهوا بنا إلى قريةٍ من بلد عنز مما يليهم فلقينا أهل تلك القرية بالترحيب فقال لهم الشريف : ما أردتم من إكرامنا فاجعلوه الصحابة لنا إلى أماننا فصحبونا حتّى انتهوا بنا إلى البذاخ وهو رجلٌ من جذيمة من عنز بن وائل ، وهو دليلُ الحاجِّ فرحب وأجمل وقرى وأجزل وعرفنا أنه مُفاتنٌ للعواسج⁽¹⁾ بجرش⁽²⁾ .

وكانت كتب بني الصُّليحي قد تقدّمتنا من ناحية تهامة إليهم فهم على مسرّة الصُّليحي بمساءتنا حراصٌ ، ونحن لهم خوفٌ ؛ وكان وصولنا بالبذاخ ليلاً فأمرنا فكمتنا في دربة صبيحة يومنا ذلك . فلما كان من الليل ركب معنا حتّى استصحب لنا رجلاً رُفيدياً من عنز فسار بنا الرجل من فوره حتّى إذا صرنا في بعض الطريق تبعنا من عشيرته خيلٌ ورجالٌ يريدون الغدر فينا وقدّموا منهم رجلين إلى مضيقٍ قدّامنا يعرفونه وأمروا هذين الرجلين بلزم رفيقهم إذا مرَّ بهما في المضيق ، فلما صرنا إلى ذلك الطريق وثب الرجلان فلزما رفيقهم . فلما رأى ذلك الشريف الفاضل حمل هو وصنوه محمد بن جعفر على الرجلين بالسيوف فخلّيا عن شكيمة فرس صاحبنا

(1) العواسج : من قبائل حمير ويعرفون الآن باسم العواشز . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 229 ، ح 2 نفس الصفحة .

(2) جرش : بضم الجيم وفتح الراء ، كانت أعظم مدينة بين الطائف ونجران ، وكانت تقوم عند مبدأ وادي بيشة ولم يبق منها إلا أطلال وخرائب . وكانت أيضاً من مخاليف اليمن ، يصفها الهمداني بأنها كورة نجد العليا . انظر ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 229 ؛ فؤاد حمزة ، في بلاد عسير ، ص 54 ؛ البلادي ، بين مكة وحضرموت ، ص 50 - 51 .

ومضينا على حالنا حتى انتهينا إلى الشقرة من بلد شهران⁽¹⁾ حتى صرنا إلى ترج بالسلامة بعد مشقة من الخوف وانقطاع الزاد . فلما أفضينا إلى ترج مضى الشريف قاصداً إلى المعافى بن بدر . ومضى الشريف الأمير صنوه محمد بن جعفر إلى محمد بن منيع إلى المرفق⁽²⁾ . وأقمنا هنالك في أحسن حال وأنعم بال ، ليس لنا اشتغال إلا بقراءة كتاب أو صلاة أو مُدَارسَة . وتزوج الأمير محمد بن جعفر بالشريفة ابنة عمه سليمان بن القاسم بن علي ، وتزوج الشريف الفاضل امرأة من آل صُهب⁽³⁾ . فلما أرادوا الخروج إلى اليمامة طَلَّقَهَا .

قال مفرح بن أحمد ؛ سألت الأمير الأجل ذا الشرفين عن سفره إلى مكة فقال : لما صرنا بترج بقيت معا فرسان وبغلتان وخشينا أن يلحقنا من الأمير ابن أبي الفتوح عتب إذا لم نتصل به لأن يده كانت تصل البلاد التي نحن بها فأمرني الشريف الفاضل بالتقدم إليه بتلك الدواب وتسليمها إليه على سبيل الهدية . فنهضت مسافراً [م ف 24] إلى مكة معي حشمر بن عبد الأعلى وأحمد / بن طريف ويوسف بن يحيى حتى إذا صرنا بتربة⁽⁴⁾ حضرنا الصلاة بمسجد تربة ونحن مُنيخون بفناء رجل يُقال له جبير بن بدر فنحن بالمسجد وجعل قوم يتذكرون فضائل الصحابة ويقدمون أبا بكر وعمر على علي عليه السلام فخضت معهم في الحديث وقلت : مَنْ قَدَّمَهُمَا عليه فقد أخطأ حظه . وكان هنالك غرباء من العجم فغاضهم كلامي ، فتقدم رجل منهم أمامي فقال : ما تقول في القرآن أمُحَدَّث أم قديم ؟ قلت : أقول كما قال الله السميع

(1) شهران : بطن من قبيلة خثعم ، وتنقسم إلى عدة بطون . وتقع منازل هذه القبيلة على ضفاف وادي شهران وأهم مراكزها خميس مشيط . انظر ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 88 ، 230 ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 2 ص 304 ؛ فؤاد حمزة ، في بلاد عسير ، ص 59 - 61 ؛ البلادي : بين مكة وحضرموت ، ص 17 - 21 .

(2) المرفق كما سيذكرها المؤلف بعد ذلك : قرية في أعلى وادي بيشة .

(3) الصهب من دحيم من قبيلة بالقرن من قبائل بشة ؛ فؤاد حمزة ، في بلاد عسير ، ص 61 .

(4) وادي تربة ، ينشأ من أطراف جبل حضن الجنوبية ، ويسير في ديرة البقوم مسافة طويلة حيث تقوم على جانبيه بلدان البقوم التي أهمها قرية تربة . وينتهي الوادي في عرق سبيع ويغور في رماله . انظر ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 265 ، 278 ؛ فؤاد حمزة ، في بلاد عسير ، ص 26 - 27 ؛ البلادي ، بين مكة وحضرموت ، ص 170 - 171 .

العليم : ﴿ ما يأتيهم من ذكرٍ من ربِّهم مُحدِّثٍ إلَّا استمعوه وهم يلعبون ﴾⁽¹⁾ فجعل إصبعه في أذنيه ، ثمَّ صاح بأعلى صوته : يا لِعبادِ الله ! هذا الكفرُ بالله ! يقول هذا كلامُ الله مُحدِّث . فوقَّعنا في خلطةٍ من الناس وأجمعوا علينا الكلمة وهمَّوا أن يبطشوا بنا لولا مناخنا بفناء الجبير بن بدر وخيفة العاقبة من قِبَل الأمير شكر . ثمَّ شدَّ عزم رفاقنا على سرِّيَّة الليل ، فسَرَّينا . ثمَّ إنَّ أهل تلك الناحية أجمعوا وتحالفوا على أن يسطوا بنا في ممرِّنا عليهم لا يرقُبون فينا إلَّا ولا ذِمَّةً . ومضينا حتَّى دخلنا مكَّة من ذات عِرْق⁽²⁾ مُحَرِّمين بعمرَةٍ في شهر رجب . وسعينا ليلاً ثمَّ أحللنا ونهضنا من الغد إلى الأمير شكر بالبرقة⁽³⁾ فلقينا أمره بالرحب والسعة ، وقُبضت منا الدوابُّ في الوقت والحين بسرعة . وأمر لنا بمضربٍ فمضرب على ناحية ، فكُنَّا فيه . ولم يلبث أن واجهنا بالبشاشة والبشر والاهتِشاش ولبثنا عنده إلى مستَهْلٍ ذي الحِجَّة . فلمَّا دنا الحجَّ سألناه الإذن إلى مكَّة ففعل وأمر لنا إلى هنالك بالكفاية . ومضينا فحججنا . فلمَّا كان يوم الموقف صبيحة عرفة أذن المؤذِّنون فما سمعنا أحداً يؤذِّن إلَّا الصلاة خيرٌ من النوم ، فقلتُ لأصحابي : تقربوا بنا إلى الله بالأذان حيَّ على خير العمل . فَعَلُّونا فوق صخرةٍ عاليةٍ ثمَّ أذَّنتُ بأعلى صوتي وأذن أصحابي معي . ثمَّ وصل الأمير شكر فالتقينا به في الموقف فرحَّب وسَهَّل وتفقَّد وأجمل وقضينا حَجَّنا ولم نشعر برسوله حتَّى وصل بنفاذنا فأثاب على الفرسين بمائتي مثقالٍ ، وعلى البغلَين بخمسين ومائة مثقال . وأمر لي رسماً بمائة مثقال . وتعذَّر علينا الخروجُ بخروج الحاجِّ فلبثنا بعدهم مدةً غيرَ بعيدة ، فالتمسنا الرفاق فلم نجد إلَّا رفقةً من بعض أهل تهامة من ناحية

(1) سورة الأنبياء/ 2 .

(2) ذات عرق : بكسر العين وسكون الراء في أعلى نخلة الشامية وتفصل ما بين تهامة ونجد والحجاز . وقيل عرق جبل بطريق مكة ومنه ذات عرق . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 89 ، ح 5 نفس الصفحة ، ص 256 ؛ ياقوت : معجم البلدان ، ج 4 ص 107 - 108 .

(3) البرقة حصن بالمراغة من بلد خثعم . وبرقة : إحدى المواقع بمفازة صيهد . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 231 ، 337 . وبرقة حسنا جنوب بدر ما بين مكة والمدينة . انظر : حمد الجاسر : في شمال غرب الجزيرة ، ص 193 ، 199 .

وقد ذكر ياقوت العديد من الأماكن التي تسمى برقة ، منها : برقة العناب ، والعناب جبل في طريق مكة ؛ ياقوت : معجم البلدان ، ج 1 ص 396 .

يحيى بن عويد وقد حبس (*) الأمير شكر رفيقاً لهم في حالٍ لا أدري ما هو فسألوني المسألة فيه ففعلت فاطلقه لهم لسؤالي .

ومضينا في صحبتهم حتى انتهينا إلى بلاد بني عويد فشكر لنا ما كان من إطلاق ذلك الرجل كأنه كان منه بسبب وأجمل إلينا وبدا معنا صاحباً . واعترضنا السراة [م ق 24 ب] ووقعنا في عَقْبَةٍ كَوُدِدَ صَعْبَةٌ أُغِيَتْ فيها / ركابنا فخليناها إلا جملاً واحداً . فلما صرنا بحوران⁽¹⁾ من أعلى ترج ووقعت علينا عيون من يعرفنا فابتدروا بالبشارة إلى الشريف الفاضل بقدمونا وكان قد ساءه تأخرنا عن الحاج وَاغْتَمَ لذلك غمّاً شديداً فلقينا رحمة الله ورضوانه عليه في جماعة من بني بدر ووجوه أهل البلد ومحابهم ، وقفنا بالسلامة .

وكنت⁽²⁾ لما وصلت بشكر بن أبي الفتوح سألني مواجهة الشريف الفاضل وكأنه أبان عتياً في انقباضه ، فلما وصلت إليه رحمة الله ورضوانه عليه بالسلامة عرفتُه بقصتي وخبري وما واجهته في جميع سفري ، وأوصلته تلك الرسالة بما أعاده عليّ الأمير شكر من المقالة . فقال الشريف : كم لله من أمرٍ إلى حولٍ قابلٍ ! فلعلّ الموسم يأتي وقد هلك أحدُ الثلاثة إمّا صاحب اليمن أو صاحب مكة أو هلك ! فأفضيت إلى الراحة ! فما حال الحول حتى هلك شكر بن أبي الفتوح وخرج الشريف الفاضل حاجاً ، وخرجتُ لخروجه حتى انتهينا إلى الحرم فأحرمتنا بعمرة ولبشنا هنالك إلى وقت الحج . فكان الشريف الفاضل عليه السلام يطوف أكثر أوقاته ليلاً لا اختلاط الناس ، وتارة يطوف نهاراً ، وتارة يقف في المسجد ونحن كذلك معه . فبينا نحن ذات يوم في الحجر إذ ضربوا شيئاً يؤذنون به للصلاة ويسمونه الفرقلة⁽³⁾ من أذنان ثورٍ مدبوغٍ على سبيل الدرة إلا أنه أطول منها باعاً ، أشدّ صعاقاً

(*) في الأصل : حبسه .

(1) حوران من قرى وادي ترج . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 334 ؛ فؤاد حمزة : في بلاد عسير ، ص 57 .

(2) قارن باللآلي المضية م 2/ ص 156 وما بعدها .

(3) الفرقلة : كانت تصنع في الريف المصري على هيئة سوط كبير مصنوع من التيل وله يد خشبية ويضرب بها في الهواء فتحدث صوتاً عالياً . وكان استخدامها لقيادة المواشي وإخافتها .

من المشطة اليمانية . ثم قام المؤذنون للصلاة ونحن في ناحية منهم لا نقوم بقيامهم فنحن كذلك مرة بعد أخرى حتى أتانا ذات يوم رسولٌ يقول : إن فلاناً الشيبى يقول الدعوة في هذا اليوم إسماعيلية فإن كنتم تصلّون بصلاة الناس وإلا فآخروا إلى مسجد علي ، فهل من المحنة شيء أعظم من إخراج آل محمد عليهم السلام من بيت الله الحرام ومنعهم الصلاة من دون الإمام وهو أولى به وبوراثته ، وأولى بالدين والدعوة ، وهم الأعلام والقدوة ؟! وهذا والله من أعجب النوادر وأعظم الكبائر ، قال : ثم كنت أطوف ذات يوم إذا بباب الكعبة قد فُتح وُرفِع مقام إبراهيم عليه السلام إلى جوف الكعبة ، وكان المتولّي لذلك شريفٌ يقال المتقدّي فلما رأني أشار إليّ بيده وهو في جوف الكعبة ، فطلعتُ إليه وتباركتُ بذلك المقام والكعبة . ثم قال : امض للشريف السيّد فأسرعتُ إليه وعرفتُهُ ، فمضى معي حتى ارتقى إلى جوف الكعبة ، وتبارك بذلك المقام . ودعونا وصلينا ، وقضينا حَجَّنا ، وقفلنا إلى ترج بالسلامة .

قال : وكان الشريف الفاضل قد بنى على الخروج من مكة إلى الكوفة وقد كَلَّم رجلاً يقال له : شبانة بن الأحيمر من بني هلال ، فأنعم له بالرفاق ، / وعقد له [م ق 25] الصحابة إلى العراق . فطلبنا ركابنا وكانت متخلفة بعرفة ، فخرج الرجل وفاتنا . قال : وكان الشريف الفاضل قد همّ بمحلّ الدرب المعروف بهرجاب وإثارة المزرعة التي كانت للقاسم بن علي عليه السلام . قال : وروى لي عليُّ بن محمد بن أبي الجيش أن ذلك الرجل شبانة بن الأحيمر الهلالي قال له : إن كنت تفدُ على ملوك العراق وتطلب فوائدهم ، وتأكل موائدهم وإلا رُميت بالعداوة ! فقال : إنما أنا أفرٌ بديني فإذا كان عادي فيما فررتُ منه⁽¹⁾ لم أخرج إلى العراق . فأنشني من السفر إلى العراق وعمل عليه السلام على محلّ الدرب المعروف بهرجاب⁽²⁾ وإثارة المزرعة

(1) في اللآلي المضية م 2/ ص 157 : إنما أنا أفر بديني وإذا كان وقوعي فيما فررتُ منه لم أخرج إلى العراق .

(2) هرجاب : من الأودية العظيمة في بلاد شهران ؛ وهو من روافد بيشة مثل وادي ترج وغيره من الأودية الأخرى . وربما كان هذا الدرب (درب هرجاب) إحدى المناطق القليلة الصالحة للزراعة على وادي هرجاب . انظر ، فؤاد حمزة ، في بلاد عسير ، ص 58 - 59 .

التي كانت للقاسم بن علي عليه السلام على نحو ما أشار به ذلك الشريف فكأن صاحب ترج كره ذلك وتخوف مما هنالك فأضربنا عنه لعلمنا بكراهته . ثم عرض علينا أن نزرع في المكان عنده وسلم إلينا بئراً من أبياره تسمى الصيعانية وربط لنا رباطاً من نخله وقمنا في أهبة ذلك فبينما نحن كذلك إذ ورد علينا كتاب من بعض أصحابنا باليمن يقول : إن هذا الصليحي قد سرح مخرجاً كبيراً وجهّز له جهازاً كثيراً وهو خارج إلى ناحيتكم لا محالة .

فلما وصلتنا هذه الرسالة أضربنا عن الزراعة وخشنا إن نهضوا أن يكون لهم في البلاد طاعة . فشاور الشريف الفاضل عليه السلام من معه من الجماعة على ظعن أو إقامة ؛ فكان من عزمه الخروج إلى اليمامة ، وكان غرضهم العراق ، وعمل الشريف الأمير محمد بن جعفر على العودة إلى اليمن . فلما فارقهم استوحش لفراقهم وأنشأ يقول⁽¹⁾ :

أبى لي عظم الوجد أن أتصبراً	فحزني مُزداد إذا قلت أقصراً
سلا الصحب عن ذكر الديار وأظهروا	عزاءً وأبدى القلب وجداً وأظهرا
إذا ذكرت نفسي العداة على النوى	علياً ونسل القاسمين وجعفرأ
وأحمد والفتيان من آل قاسم	وصنوا لنا شمساً يوماً تديراً
ومن قد حوى السور المحيط تفتقت	عري الصبر حتى من رأى الصبر أنكرا
عليّ ولولا الشوق ما كنت واجداً	ولكنه أشجى الفؤاد وأحسرا
ألم تر أنا اليوم من بعد كوننا	يترج معاً كلُّ يُحاول مَصْدرأ
أخلاي من عليا بكيلى وهاشم	وحام يرومون العراق وتذمرا
[م ق 25 ب] ولست أروم اليوم إلا زيارة	لصحن عيان ⁽²⁾ فالسبيع ⁽³⁾ فورورا ⁽⁴⁾ /

(1) ذكر صاحب اللآلي المضية م 2 / ص 157 (تحت) مطلع القصيدة فقط .

(2) عَيَّان بتشديد الياء وفتح العين من بلاد حجة ، وعَيَّان بكسر العين وفتح الياء من قرى بلاد سفيان . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 3 ص 618 .

(3) السبيع بفتح السين وكسر الباء وسكون الياء ، قرية من عزلة بني قيس ناحية خمر . النتائج الأولية لتعداد 1986 ؛ التقسيمات الإدارية لعام 1985 ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 3 ص 415 .

(4) ورور : بفتح الواو وسكون الراء : جبل وواد في بني جبر ناحية ذيبين ، شمال شرق قرية ذيبين . =

فبيتر شعيب⁽¹⁾ فالرسوم التي به
رسوم لنا كانت مداراً وملعباً
فمن ينس إذ بان الديار فإني
لعمرك ذو ذكر وإن كان لهونا
فذكر الصبا واللهو يا قلب خلة
ليالي إذ كنا بذعبان قد ترى
وإخوان صدق لا تبأغض بينهم
إذا علم مولانا الحسین أداره
فسقياً لعصر كان ثم تتابعت
لقد كدت من وجدٍ عليه ولوعة
سأندب ذاك العصر حقاً وأهله
وأندب أيام الهرابة ما بدت
فقد كان في أيامها العز والعللا
وكنت ترى الفتيان والخیل والقنا
يقودهم الطهر الزكي أخو التقى
رئيس بني الزهراء قاسم ذو العللا
وباین من بادی الإله بكفره
زماناً وأردى الدهر غدراً وأهله
فأصبح منا اليوم بعض مشرداً
فيا دهر أماً حين أبعدت قاسماً
وفرقت بيني اليوم كرهاً وبينهم

سقته الغوادي الجود حتى تعرعرأ
وللغانيات البيض ملهى ومسمراً
لربع بشمسان⁽²⁾ الغديّة أقفراً
به كان من ذكر المهيمن أكثرأ
ولا تنس عصراً كان لا شك أظهرأ
به مصحفاً يقري ولوحاً ودفترأ
ومجلس علم يستفاد ومحضراً
ذوو الحفظ منا خلّت مسكاً وعنبراً
عليه صروف الدهر حتى تغيراً
أصير شجياً ناحل الجسم أصفراً
وأذكرهم ما دمت حياً مغمراً
نجوم وما لاح الصباح وأسفراً
وكنّا بها العالين يا من تحيدراً
بها عكفاً يشجون من قد تجبرأ
وأكرم خلق الله أصلاً وعنصراً
فأظهر معروفاً وأخمل منكراً
وواصل من والى الكبير المكبرأ
فبعداً لأهل الدهر ما كان أغدراً
وأهلك ريب الدهر بعضاً وأقبرأ
وأحمد نفاع الصديق وحشمرأ
فمالي إلا أن أنوح وأسهرأ

= الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 4 ص 764 ؛ خريطة ج. ع. ي . 1 : 50000 صفحة
1544A1 .

- (1) بيت شعيب : قرية من حزة سهمان ناحية بني مطر قضاء صنعاء . التقسيمات الإدارية لعام 1985 .
(2) شمسان : حصن مظل على علمان من ناحية بني الحارث أسفل وادي ظهر . وشمسان حصن في
غربان من بلاد حاشد . وشمسان حصن في مدام من ناحية همدان قرب صنعاء . انظر : الحجري :
مجموع بلدان اليمن ، ج 3 ص 457 .

لقد كان مني الوجد من أجل قُربهم
فلَمَّا استمرَّ السيرُ منهم وودَّعوا
وأصبحتُ ذا هَمٍّ وحُزْنٍ ولوعةٍ
لعظم الذي لاقاه من شدة الأسى
[م ق 26] فمالي إلا الضبر إذ صرتُ مُفَرِّداً
صفيّاً من الإخوان أو ذا قرابةٍ
كذا المرء والأيام إن قيل إنه
فلا تجزعن من ريب دهرٍ وصرفه
لَعَمْرُكَ في جنّاتٍ عَدْنٍ نعيمها
إذا الحُرُّ حقاً صام عن لَذَّةِ الفنا

ومن قبل أن يرموا اليمامة أحسرا
تكاثف نبتُ الوجد حقاً وأزهرا
فلو أن ما بي اليوم بالصخر أخبرا
ومن مَحَنٍ شتّى ودهرٍ تنكّرا
بيشة⁽¹⁾ لا ألقى العداة ولا أرى/
فيالك خطباً ما أَجَلٌّ وأكبرا
قد أيسريوماً قيل لا شك أعسرا
ولا تبغ إلا عيشةً لن تُكَدِّرا
مقيمٌ لمن والى الإله وشَمِّرا
على لَذَّةِ التخليد لا شك أفطرا

تم الشعر . وكم له رحمة الله عليه من الشعر في هذا الجنس .

قال : ثم أمر بحريمه أن تُنقل من بيت شعيب إلى عيان وصاحب ذلك مواجهة الصليحي في بعض طيافته لصوافيه ، وعمل في ذلك بعض أهل البغي بغية فنبد بالأمان إليه ، وقابل صنوه الحسن بن جعفر بالنقض عليه فأرسل إلى صنوه محمد بن جعفر بذلك العلم . قال : وصادف وصول العلم به وصول أحمد بن مظفر من صعدة إلى عيان فواجهه وهو على رحيلٍ قد ركب في عمارة له فقال له : لي إليك حاجة ! فقال : إلحقني إلى بركة الضرك⁽²⁾ فلحقه فشكى إليه القصة وقال له : أعطني موثقاً عل المحلّ في مخاليفك وكن أولى بحيازنا فأنّت أقرب الناس إلى ديارنا ! فقال : أنا أكفيك ! قال : أعطني خطأ ! قال : أنا أكفيك ! قال : أعطني خطأ ! قال : أنا أقول لك أنا أكفيك فلا تقنع ؟ فليج عليه في الخطّ فقال : إلحقني إلى أثافت . قال : فصرت في أمر مريجٍ إن تقدّمتُ فالتقدّم يُتعبني وإن تأخّرت

(1) بيشة : أكبر أودية السراة الشرقية . ويبدأ وادي بيشة من سراة عبيدة ورُفيدة . وروافد بيشة أودية عظيمة مثل ترج وتباله وهرجاب وبطنة . ويعتبر هذا الوادي وادي خثعم إذ أن جميع البطون القاطنة فيه وفي معظم روافده هي بطون من خثعم . وتقوم على أطراف الوادي إحدى وعشرون قرية . انظر، فؤاد حمزة ، في بلاد عسير ، ص 54 - 59 ؛ والبلادي : بين مكة وحضرموت ، ص 172 - 173 .

(2) ذكر الهمداني أن الضرك من بلد همدان . ويتضح مما ذكر أن الضرك هي إحدى قرى ناحية حرف سفيان . انظر ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 218 .

صارت وحشة ؛ فلم أر إلا التقدم . قال : فعذت فلما كان متى تقدّمتُ إلى مشهد القاسم بن عليّ عليه السّلام وتباركتُ به وتقدّمتُ حتّى لحقتهُ بأثافت فدخلتُ عليه وهو في مجلسه وإنّ عنده لجماعةً من الأصحاب والإخوان والمحبّاب فما ردّ أيّهم عليّ سلاماً ولا همّ لي بقيام فكلّمتُهُ في شأن الرقع فكتبه لي وعدت إلى عيان . قال : وكان سبب تلك الوحشة التي أقيت إلى الصليحي حركة الشيعة الحسينية بالظاهر⁽¹⁾ . قال : ونهض الأمير محمد بن جعفر إلى صنوة الحسن بن جعفر بيت شعيب يريد أن يمضيا إلى الصليحي ويسكتان هذه القالة ويغطيان سبب هذه الحالة . فنهضنا إلى صنعاء ، وصاقب وصولهما مراحاً للقوم من مخرج لهم خرجوه وهم مجتمعون بمسجد الحرة الذي بالميدان خارج المدينة . فاستأذنا عليه فلم يؤذن لهما . قال : فمضى الأمير محمد بن جعفر حتّى دخل القرية ، وبقي صنوه الحسن بن جعفر / فأذن له بعد مُضيّ صنوه فدخل ، ثمّ قال له الصليحي : [م ق 26 ب] يا شريف ! تعلم أنّ أخاك هذا يتعرّض لنا ، ويفسد عشائرنّا ، ولم يقبل العافية منا وأنا فقد برئت من ذمّته فلا أمانَ عليه مني ! قال : ثمّ قدم إلى صنوه داخل المدينة فأخبره الخبر . قال : فأقمنا خائفين نترقب الهلكة لولا العصمة من الله عزّ وجلّ . ثمّ سِرنا إلى دار أحمد بن مظفر نسأل أن يُجَدّد لنا أماناً أو يغفل عنا زماناً . فلقينا كاتبه عبد الله بن محمّد في دهليز داره فتحدّث معنا وأخرج لنا كتباً من الشيعة الحسينية من بعضهم إلى بعض يذكرون فيه أنهم قد اشتوروا على قتل أحمد بن مظفر في الفقع⁽²⁾ وأنّا قد شاورنا على ذلك الشريف محمد بن جعفر . وكان الواصل إليهم بتلك الكتب الزبير بن معمر الوادعي . قال : فوقعنا في هذه ما كدنا أن نخلص منها إلا بفضل الله ! قال ؛ فقلْتُ : ما فتحتُ في هذا باباً ، ولا كتبتُ فيه كتاباً ، ولا أجريتُ فيه خطاباً ، ولو كنتُ فعلتُ هذا لقلّته . وما إذن أتيتُ هذا المكان ولا وصلّته ! ثمّ سأله مواجّهة أحمد بن مظفر فأذن لنا فطلّعنا إليه فابتدأناه بالكلام وطلبنا منه الأمان

(1) الظاهر : كل ما ارتفع من البلدان يسمى ظاهراً ، كذا بالإضافة إلى محله كظاهر همدان وظاهر

المحويت . الحجري : مجموع بلدان اليمن ، ج 3 ص 563 .

(2) الفقع من وادعة ، وهو نقيط وأحد مسايل وادي حبش . انظر ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ،

ص 160 ، 222 ، 364 .

والذمام . فما زاد على أن قال : أفسدتم الناس بمُحالكم وكذبكم تعدونهم بحياة عمكم ولم ترعوا ما فعلنا لكم وأسدينا من المِنِّ إليكم ! هذا أخوك أجملنا في أمره وأطلقناه من أسره فمضى يطلب لنا الغوائل ، ويحالف علينا القبائل ! وأنت في اليمن تُفسد العشائر وتُحالف شيعتكم بالظاهر ، وليس عاد اليمن يسعنا وإياكم فأحمل منا نفسك والحق أخاك . قال ؛ ثم قلت له : افسح لي في الكلام ! فقال : تكلم بما شئت ! وأصغى إلى كلامي . قلت له : أمّا قولك أن في رقابنا مِننا لكم فلعمري ما جحدنا فعلكم ولو أردنا جحدَها ما انجحدت لاشتهارها ، وأمّا أنا فما خالفُ ولا خالفُ . وأمّا قولنا بحياة عمنا فذلك قولنا واعتقادنا وعليه نبت لحومنا ودمائنا ، وإذا سُئلنا عن ذلك أخبرنا فإن أمرتنا أن نرجع عن ذلك رجعنا . قال : لا والله ما أنا آمرك بالرجوع عن دينك هؤلاء تحت لهوجنا يهود ونصارى ومجبرة وزيدية ما جبر أحداً منهم أحدٌ على دينه ! ثم قلت : أنا أحبُّ أن يعمل معي أحد ثلاثة أوجه ! قال : وما هي ؟ قلت : قد صار تحت أيدينا حريمٌ وعيالٌ وضعف وأطفال وأنا أحبُّ أن تدعني سبياً لمساكهم ولا يكن بيدك سببٌ هلاكهم ، وتتركني أقوم عليهم وأسبب في الرزق إليهم ، ولا تسمع عليّ كلاماً ولا تصدق فيّ باغياً ولا نماماً ، وإمّا كفيتني مؤونتهم وأجريت ما يقوم بهم وأغلق عليّ بابي وألزم منزلي ولا أخرج من الباب ولا أواجه أحداً بخطاب ، وإمّا أعنتني على نقلهم بالحمول / والزاد ونقلتهم منك إلى بعض البلاد . قال : نعم أريد أقويك وأفعل لك ولأخيك كما فعلنا فيه أولاً فكفر نعمتنا وجحد مِنتنا ! قلت : ما كفر نعمتكم ، ولا أساء إليكم ، ولا جحدَها ، ولا خالف عليكم ! إنما هو رجلٌ أعداؤه كثيرٌ من أهل اليمن وبينه وبين كثيرٍ منهم بسبب القيام عليكم الضغناء ، وهذا طاهر بن الحسين قُتل في فنائكم وكان من أمره ما علمت ، ومن مثلها خرج أخي . قال : قد عرضنا قتلته على بني عمه ! قلت : لو جرى على أخي جارٍ ثم أفنيت الخلق بعده ما أغنى عنا شيئاً ، فما خرج إلّا فاراً بنفسه ، خائفاً على رأسه ! قال : فامتلاً غيظاً وقال : فخف على رأسك والحق أخاك فليس يسعنا اليمن وإياك ! قال : فلطفنا به وترفقنا في خطابه وقلنا له تسبب في أماننا وأقربنا في مكاننا ! قال : قد حتم مولانا حتماً وليس عادتي أقدر على مراجعته فيه . فما زلنا به حتى قال أفعلُ بكرهٍ منه ، ثم لم نشعر برقعه حتى أتانا يقول : قد واجهتُ

مولانا فيما سألاه فما أنعم في شيء من ذلك ! قال الأمير محمد بن جعفر : فتطايروني أصحابي وبقيت وحدي خائفاً أترقب وقوع البلية ونزول المنية في مسجد بإزائهم . ثم تلطفت حتى صرت إلى دار أخي أبي الفتح نوح بن يحيى بن زنجي . فلبثت عنده لا يعلم أحد بمكاني ثم سألته أن يكتري لي ركوباً فأتاني بحمالين من أهل الجوف الأعلى قد حملا عنياً فركبت معهما بين قفصين وخرجت في غسق الفجر متنكراً وأفضت الطريق بي من خطر إلى خطر حتى صرت إلى مهدي بن أبي ليلي رحمة الله عليه بعد أن كدت ألا أصل إليه فأبشته أمري وأطلعتني على سري ، فسلى عني بعض ما كنت فيه وجمل حالي عنده ثم صحبني هو وبنو عمه إلى ريدة⁽¹⁾ . ثم توجهت طريق الحصن متنكباً عن الطريق خوفاً حتى انتهيت إلى هنالك فشكوت ما لقيت إلى بعض الإخوان فقال : أنا أرى أن يؤمر بصائح في هذا السوق يعني سوق بني ربيعة⁽²⁾ أن محمد بن جعفر يقول : لا يواجهه أحد ، ولا يصل إليه . فما زاد ذلك الصائح على أن أغرى بي الإخوان ، فما شعرت إلا وعندي منهم جماعة في الليل يعرضون بذل أنفسهم وأموالهم والمنازلة للعدو والمجاهدة ؛ وذلك في شدة من أمور بني الصليحي وقوة منهم ولأنهم في جميع الإقليم يأخذون البريء بالسقيم ، فكرهت ما عرضوا عليّ وعرفتهم أن غرضي في الخروج إلى الشام فتكفلوا لي بالقيام بمن خلفته من الأولاد والأحرام . ثم قلت : اصحبوني ! وخرجت متنكراً فذكرت قول زيد بن علي عليه السلام⁽³⁾ :

-
- (1) ريدة : بفتح الراء وسكون الياء بالبدال المهملة المفتوحة ، قرية وناحية في قضاء عمران . وتقع ما بين : 8° 49' 15" شمالاً ، 34° 102' 44" شرقاً . انظر ، الهمداني ، الإكليل ، ج 8 ص 165 - 166 ؛ البكري ، معجم ما استعجم ، ج 2 ص 688 ؛ السياغي ، معالم الآثار اليمنية ، ص 64 ؛ خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1544A1 .
- (2) ربيعة بن عبد : بطن من أرحب بن الدعام . . . بن دومان بن بكيل من همدان القحطانية . كحالة : معجم قبائل العرب ، ج 2 ص 422 . وقد ذكر الهمداني أن بني ربيعة وبني صريم هم سكان بلد حرب بن وادعة وهي مناطق تقع حول قرية حوث . انظر ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 128 ، 160 .
- (3) مقاتل الطالبين ص 205 أن المتمثل بالأبيات هو محمد النفس الزكية الشائر عام 145 هـ على المنصور .

منخرق الخفين يشكو الوجي [م ق 27 ب] قد كان في الموت له راحة
 تنكبه أطراف مرو جداد والموت حتم في رقاب العباد/
 شرده الخوف عن أوطانه⁽¹⁾ كذاك من يكره حر الجلال

قال : ومضى معي أصحابي حتى فارقوني ببركة خيوان⁽²⁾ ، وتممت أنا
 والشريف الحسن بن إبراهيم إلى عيان وأقمت متخفياً بها عن الأهل وغيرهم زهاء
 السبع أو الثمان حتى عرض ركب يريدون الحجاز من سنحان ، فودعت في ليلتي
 تلك جميع الأهل والإخوان وداع من لا يرجو الاجتماع بهم ، وخرجت مع الركب
 وسألتهم الصحابة فقالوا : من اسمك ؟ فقلت : عبد الله . قالوا : ابن من ؟ قلت :
 ابن محمد ، وما قلت إلا حقاً . وجدنا بنا السير إلى بعض الطريق فلما حططنا خلا بي
 رجل منهم ثم قال : ألسنت بفلان ؟ قلت : لعلك شبّهت ! قال : ألسنت أودعت
 عندك وديعة ، وفي رقبتك لك صنعة ؟ وأثبتني معرفة وقال : لست لك بعدو ولا
 شاني . قلت له : فلا يعلم أحد بمكاني . فقال : القوم عدو للجميع منا .

قال العباس بن يوسف الشريفي : هذا الرجل الذي واجهه هو رجل شريفي
 من أهل راحة يقال له : الجابر بن عمرو المحصني . قال : ثم انتهى بنا السير إلى
 بلد سنحان وتفرق القوم إلى أماكنهم وأصبحونا بصبي منهم . وحشنا السير حتى
 وصلنا إلى وطن جنب ؛ وكان الرجل جنياً ؛ ثم قال : لا تكتم شيئاً من شأنك فإنك
 قد بلغت إلى أمانك ! ثم لم يدع شيئاً من الجميل حتى أسداه إلينا . ثم استصحب
 لنا رجلاً يقال له الوجيه من بني فضلة حتى أوصلنا إلى رجل يقال له المرتفع بن
 المزراق من شهران ، وبلغنا إلى ترج بالسلامة .

(1) في مقاتل الطالبين : شرده الخوف وأزرى به .

(2) خيوان بفتح الخاء وسكون الياء . أرض خيوان بن مالك وهي الحد بين حاشد وبكيل . وخيوان عزلة
 في ناحية حوث . وقرية خيوان على بعد 10 كم جنوب مدينة الحرف ، وتقع ما بين : 44° 16' 16" شمالاً ،
 51° 03' 44" شرقاً . انظر ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 115 ؛ الحجري ،
 مجموع بلدان اليمن ، ج 2 ص 215 ، 223 ؛ التقسيمات الإدارية لعام 1985 ؛ التعداد السكاني
 التعاوني لمحافظة صنعاء ، ج 2 ص 445 ، 458 ؛ خريطة ج.ع.ي ، 1 : 50000 ، صفحة
 1544C1 .

قال مفرح بن أحمد : سألت الحسن بن واقد عن سبب خروجه إلى الشريف
الفاضل عليه السلام فقال : اعلم أنني لما تعلقت بالدين والإسلام ووقعت في قلبي
محبة الشريف الفاضل عليه السلام عقدت على الخروج والهجرة إليه بالشام فنهضت
أنا وزيد بن أبي العشيرة النعماني وأحمد بن طريف - وهما من أهل خدمته ومحبة -
حتى إذا صرنا بصعدة التمسنا رفيقاً فألفينا هنالك علي بن ناهض الشاعر الخثعمي
فسألناه الصحابة فقال : حباً ونعماً ! ثم قال متمثلاً :

إصحب رفيقك حتى ينقضي السفر إن الذي أنت موليه سينتشر
ولا تكن كلئام مسهم ضجر إن اللئام إذا ما سافروا ضجروا

ثم سرننا في صحبته إلى بلد خثعم ، واستصحب لنا إلى ترج فوصلنا إلى الأمير
محمد بن جعفر وهو بقرية الحبل⁽¹⁾ من ترج فسرنا وأكرمنا ثم نهض بنا إلى الشريف
الفاضل وهو بالحضير في زراعة له منفرداً يقاسي بنفسه يظل صائماً قائماً ولا أهل له
ولا ولد فإذا أمسى عليه قام يقاسي شيئاً يفطر عليه فلما قدمنا إليه سر بمقدمنا ورحب
بنا وأكرمنا ثم ذكر لنا / المَحَنَ والعوارض فقال : اعتزلتُ ها هنا عن سماع ما أكره [م ق 28]
ورؤية ما لا يجوز رؤيته فاستأجرتُ هذا الأجير ليسوق لي هذين الناضحين فهو يتغنى
ويترنم ويذكر ما لا يجوز ذكره . قال : فبينما هو يذكر ذلك إذا برأح قد دخل إلى
عريش في جانب الموضع وجعل ينفخ في قصبه له وي زمر . قال عليه السلام : وهذا
أيضاً . ثم خاف بالموضع وانتقل منه إلى مكان يسمى أبا نجاش فرتب به زراعة وأقام
مدة ثم رجع بعد ذلك إلى ترج وذلك بعد موت حشمر بن عبد الأعلى رحمة الله
عليه ؛ وتخلّى للعبادة وعقد على نفسه التخلّي والتعبّد والدراسة ، ولزم منزله . ثم
اشتهدى العزلة عن القرية إلى موضع يقال له القصر فآبتنى به منزلاً وآبتنينا بإزائه بيتاً ثم
قال لنا ذات يوم : قد رأيتُ رأياً ! قلنا : ما هو ؟ قال : يأخذ كل رجل منا كتاباً يقرأ
فيه سنة كاملة ؛ فيأخذ رجل كتاب (المُعْجَز) ورجل كتاب (المختصر) ورجل

(1) أرض الحبل في مسيل وادي السودة شمال وادي بيشة . فؤاد حمزة ، في بلاد عسير ، ص 52 . بينما
يذكر الهمداني أن الحبل من بلاد الحجر يسكنها بنو مالك بن شهر ، الهمداني : صفة جزيرة
العرب ، ص 234 ؛ والبلادي : بين مكة وحضرموت ، ص 27 .

كتاب (التفسير) ورجل كتاب (المتشخب) ورجل كتاب (التفريع)⁽¹⁾ وكنا خمسة نفر الشريف الفاضل وصنوه محمد بن جعفر وولده سليمان بن القاسم وزيد بن أبي العشيرة وأنا . وعملنا على هذا الرأي وعقد الشريف الفاضل على نفسه أن لا يجلس في غير منزله إلا أن يزوره المعافى بن بدر فيجلس معه لحق الجيار . فأقمنا على ذلك مدة من الزمان حتى لحق الشريف سليمان بن القاسم جفاف في دماغه من كثرة الدراسة فزال عقله . وكان سليمان بن القاسم يقول : ما أظن المِحنَ تدْعُكم وإتمام ما عقدتم عليه ! فكان كما توسم رحمه الله . وروى لي الحسن بن واقد عن الأمير محمد أنه قال : قد كنت أحسست شيئاً من الدراسة فتداركت نفسي وعالجتها فزال عني ذلك . قال : ثم اشتغلنا بمقاساته في علته حتى خفت عنه منها شيء . ثم تناهى إلى الشريف الفاضل أخبار وتحوّر الغوائل بترج فبنى على السفر فقال لي ولزيد : أعلمنا أني قد عزمْتُ على السَّفر إلى العراق والشام والانقطاع من اليمن بالكلية فإن أحببتم الانقطاع معي بنيتما على ذلك وإن أحببتم الرواح عرّفتماني . فقلنا : نحن معك حيث توجّهت من أرض الله ! فعرض عليّ الخروج إلى مكّة فأمرنا بالزاد وعلفنا ركابنا وقمنا عليها أربعين يوماً ثم نهضنا متوجّهين إلى مكّة ، فلما صرنا ببعض الطريق وقد التأمت إلينا قافلة فاعترض لنا عربٌ من بني هلال⁽²⁾ ليأخذونا فقال لهم الشريف الفاضل : أنا رجلٌ من بني حسن فأقْدِمُوا على ما شئتم مني ! قالوا : فاطلب لنا من هؤلاء التجّار سبياً ! قال : هم رفاقي وليس إليهم سبيل ! ومضينا حتى دخلنا مكّة في شهر رجب سنة تسع وخمسين وأربعمائة فأحرّمنا بعُمْرةٍ ، وحططنا في مسجد علي رضي الله عنه ثم أحلّلنا .

[م ق 28 ب] وكان الشريف يطوف قليلاً والاسم للصليحي بمكّة فنحن بها / أخواف فأشرنا على الشريف بمواجهة ابن أبي هاشم فمضى ليواجهه فاعتذر عن المواجهة فزادنا

(1) أمّا كتب المعجز والمختصر والتفسير فهي للمهدي الحسين بن القاسم (قارن بالتمهيد عنها) . وأما التفريع فلوالده القاسم بن علي العياني . وأما المتشخب فهو كتاب في الفقه جمعه محمد بن سليمان الكوفي مما سأل عنه الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين .

(2) هلال بن عامر بن صعصعة ، من هوازن . . . كانوا يقطنون الحجاز ونجداً حول مكّة . ومن ديارهم بيشة وتربة . كحالة : معجم قبائل العرب ، ج 3 ص 1221 . وانظر : ياقوت : معجم البلدان ، ج 2 ص 21 .

اعتذاره خوفاً . فبنى الشريف على الخروج إلى المدينة فخرج معه ركب من بني جعفر فصحبونا بأحسن صحابة حتى خرجنا من بلادهم وصرنا إلى بلاد بني حرب⁽¹⁾ فلما انتهينا إلى بعض المياه استقينا وصلينا ومضينا . ثم أتى سرحهم فوردوا الماء فقصوا أثرنا على الماء فما شعرنا باليحاوية(*) إلا وهي على أثرنا فما لبثوا أن أحاطوا بنا . فلما رأينا ذلك لزمنا ، فقالوا : ادفعوا الصحابة إن أحببتم السلامة ! وكان معنا رفيق لنا مدني فلم ينظروا فيه فقال الشريف : أنا رجل من بني حسن ! قالوا : فهؤلاء اليمانيون ؟ فوهبنا لهم شيئاً من زادنا ومضينا حتى دخلنا المدينة من بعد أن عدي علينا مرة أخرى . فلما دخلنا المدينة أمرنا الشريف بالاغتسال وقال : هذا حرم رسول الله يجب له ما يجب لحرم بيت الله فاغتسلنا ودخلنا المسجد ، وازدربنا قبر رسول الله صلوات الله عليه ، ووصلنا وقد انقطع الزاد فأجمع رأي الشريف على قصد الحسين بن المهنا الحسيني⁽²⁾ وهو يومئذ خليفة أمير المدينة مخيط بن أحمد الحسيني⁽³⁾ ومخيط غائب بمصر فأضفنا إليه وذلك في شهر شعبان سنة تسع وخمسين وأربعمائة سنة فأنزلنا منزلاً من بعض أزقة المدينة وأجرى لنا صاعاً من دقيق ذرة وأوقيتين من سمن ونحن ستة فأقمنا في منزلنا ذلك في شق منه وفي الشق الثاني قوم يعملون بالمعاصي إلا أنهم يسرونها جهدهم فشق علينا ذلك فواجهت الشريف في ذلك فواجه رجلاً من أهل المدينة كان يحضر مجلسه ، إلا أنه اثني عشري في مذهبه وكان يتحدث معه ويناضل عن دينه حتى يقطع الشريف فكان يشتهي كلامه ويتفقه منه في الدين فشكى إليه ما شق علينا من ذلك المنزل ، فطلب لنا منزلاً على ناحية أخرى فانتقلنا إليه فما شعرنا إلا والمعازف محيطة بنا جهاراً ! فقال الشريف : ما رضيت يا أبا فلان أن نجاور قوماً يعصون سراً حتى جاورنا قوماً يعصون الله جهراً ! قال : ثم تعبنا من تقاصر الأسفار فأمر الشريف ببيع أواعي زاده وخروج راحلته . فكنا

(*) كذا في الأصل .

(1) حرب : قبيلة أكثرها من العدنانية ، تقع أماكنها في نجد وفي الحجاز . أما في الحجاز فتمتد ديارها من جنوبي ينبع حتى القنفذة . انظر : فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب ، ص 147 - 151 ؛ وكحالة : معجم قبائل العرب ، ج 1 ص 259 .

(2) في اللآلي المضية : الحسين المهنا الحسيني .

(3) في اللآلي : محبط بن أحمد الحسيني .

نأخذ الشيء اليسير من الثمن بالثمن الكثير وكنا ننتظر قدوم أمير المدينة مخيط نرجو منه أن يزمّلنا بزادٍ وركابٍ ويُعيننا على السفر ، وغرض الشريف الفاضل الكوفة وزيارة قبر أمير المؤمنين والوقوف بمشاهد العراق والتوصّل إلى بيت المقدس . فنحن على تلك النية إذ ورد قُلٌّ من الناس قد ظفر بهم اللصوص في طريقهم وهم من العراق ، [م ق 29] فأخذوا زادهم وركابهم فكان ذلك ثنى عزائمتنا . ثم هممنا بقرى الشام / فأخبرنا بشكلٍ من ذلك ، فنحن ما بين صادرٍ وواردٍ في أمرنا إذ قدم أمير المدينة مخيط من سفره ونفوسنا مُسرَّعةً إلى قدومه فما زاد إلّا أن قطع عنا ذلك الصاع وصرنا على غايةٍ من الانقطاع ! فأمر الشريف ببيع مدرعة صلاته والقناع . فلمّا لم نجد شيئاً نبيعه ؛ نهض الشريف إلى مخيط على كرهٍ منه ؛ فكلمه في إعادة ذلك الصاع فأعاده . فلمّا أהלّ علينا شهر رمضان تقدّم الشريف الفاضل عليه السّلام فاعتكف في مسجد رسول الله صلواتُ الله عليه وأقبل على القراءة والدراسة لكتب آبائه عليهم السّلام . وكان يتنقل من الروضة إلى المنبر ويثابر على مقام جبريل الأمين عليه صلواتُ ربّ العالمين . فكان يُكثر الدعاء بمقام جبريل فسألته عمّا يدعو فقال : سألتُ الله أن يرزقني الجهادَ في سبيله ، وأن ينتقم من الصّليحي وقبيله ، وأن يُعينني على الزهد في كثير الحطام وقليله .

فما لبثنا غير شوالٍ وقُتل الصّليحي⁽¹⁾ في ذي القعدة فكان بعد وصوله اليمن ومقاساته لما قاسى من المحن يقول : يا أبا فلان ! استجيب الدعوة ! وقد كان لما عظمت عليه المخافة يأمرنا باستبطان السكاكين وبالصلاة في المسجد مجتمعين يقول : إنّ عدا علينا عادٍ أخذ كُلّ منّا بنفسه . قال : واشتهر أمر الشريف الفاضل هنالك عند الشرفاء والعرب وصارت الزوار يقصدونه ويتباركون به ويحضرون مجلسه باشتهاره .

(1) قام سعيد الأحول بن نجاح وأتباعه من الأحباش بقتل علي بن محمد الصليحي في يوم السبت الثاني عشر من ذي القعدة سنة تسع وخمسين وأربعمائة وقتلوا معه عدداً كبيراً من بني الصليحي وكبار دولته بالقرب من المهجم . انظر : مجهول : السيرة الصليحية ، ص 30 - 31 ؛ عمارة : تاريخ اليمن ، ص 126 - 127 .

فلما اشتدّ بنا الأمرُ عزم الشريف على الاختلاط ببني حسن بالصفراء⁽¹⁾ وينبع فواجه رجلاً من رجالهم فسأله الصحابة فأنسل عنه . فلما رأى ذلك عزم على النهوض إلى اليمن والكمون به في بلاده وأوطانه وبين بني عمه وأخواله . فمضى إلى أمير المدينة مخيط بن أحمد فسأله الزاد والركاب . فوجه إليه بشارفين من الإبل لا يخرجان ثمناً ولا يحملان راكباً . فأمر فيهما الشريف شبيل بن عمرو ببيعهما فلم يخرجاه إلا ديناراً واحداً ، فعاد بهما شبيل إلى باب مخيط فارتبطهما هنالك وولى وهو يقول :

إلى الله أشكو ما تردّد قاسمٌ	إلى مخيطٍ صبراً نهافاً غلائله
أقمنا زماناً نرتجي فضل مخيطٍ	وهو غائبٌ حتى أتتنا جمائله
فيا ليتنا متنا(*) ولم نلق مخيطاً	وغالته منادون مصرٍ غوائله
كفى ابن المهنا مخيطاً طرق الندى	ونرجونوا نائل النجم نائله

ووصل إلى الشريف فعرفه بذلك ثم سأل الشريف الحسين بن المهنا زاداً فبعث إليه بثوبين / من حوك الحجاز وكان قد أرسل غلامه مبارك بن سليمان إلى [م ق 29 ب] الشريف أبي هجري سليمان بن محمد بن علي الرستي فبعث إليه بمثقالين . قال : وتجهّزنا للسفر إلى اليمن حتى انتهينا إلى السوارقية⁽²⁾ ونحن من صاحبٍ إلى صاحبٍ ومن خوفٍ إلى خوف ؛ ونحن نلتمسُ الرفاق مجاوزين مكة سرقةً منتحين عن طرقها لأنه حَقَّق لنا أن الغريب أبا البقاء وزير الصليحي قد حطَّ بمكة في الأموال والرجال مقدّمةً لخروج الصليحي إلى مكة وقد ابتدأ بها العمارة يُكاتبُ عربها ويستدعي أدلة الطريق إلى العراق فنحن له خائفون وعن طريق مكة صارفون . ثم

(*) في الأصل : منا .

(1) الصفراء من أرض هوازن . ويقع وادي الصفراء شمال شرق بدر على الطريق من مكة إلى المدينة . الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص 286 ؛ الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص 410 ، حمد الجاسر : في شمال غرب الجزيرة ، ص 186 ، 193 .

(2) السوارقية ، قرية لبني سليم من أرض جهينة . انظر : الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص 286 ؛ وحمد الجاسر : في شمال غرب الجزيرة ، ص 222 .

صرنا إلى حيّ عَدَوَان⁽¹⁾ فلقينا تصریح من الأخبار بقتل الصُّليحي فلم نأخذ بذلك .
ثم تقدّمنا برفیق من عدوان حتّى هجمنا على عربٍ بعُكاظ⁽²⁾ فأنخنا بإزائهم فهموا
بأخذنا فرفعنا عَجلاً حتّى أنخنا بين أبياتهم فكفّوا عنا وضافونا وصحبونا إلى تربة
والأخبار في ذلك مطردة بقتل الصُّليحي ولا يعمل الشريف على شيء من ذلك حتّى
إذا صرنا بتربة لقينا بها جمعٌ كثيرٌ من أخلاط الحجاز ونجد ومن خثعم وسواءة⁽³⁾
ونهد⁽⁴⁾ وسنحان وجنب ويام⁽⁵⁾ يريدون لقاء الصُّليحي إلى مكة ووجدوا تلك الأخبار
فلم يأخذوا بها فذكر لهم أنّ الخبر عن الشريف الفاضل فاجتمع إليه رؤسائهم وسألوه
عن ذلك فقال : ما تكلمتُ بذلك ولا تكلم به إلّا صاحبُكم هذا فاسألوه ! يعني
شبل بن عمرو الهروي الخثعمي فسألوه فأخبرهم عمّا وقع معه من الخبر فلم يأخذوا
به وصرنا برفیق حتّى اتصلنا بترج .

وصحّت الأخبار بقتل الصُّليحي ، وبنى الشريف على الإقامة بترج لخبرته
بتمكّن بني الصُّليحي باليمن وكثرة أموالهم وأعوانهم وضعف همم كثيرٍ من الناس
وخذلانهم . ثم ذكر من خلفه من آله وأوليائه وشيعته وأحبابه فأزعجه ذلك عن المقام
فعزم على السفر وبقينا نتوقّع الرفيق . فنحن بذلك إذ قدم ذلك الجمعُ الذي لقينا بتربة
قد وصلوا مكة وصحّت لهم الأخبار وعادوا ، فسألهم الشريف الصحابة فأنعموا

(1) عَدَوَان : من قبائل قيس عيلان وموطنهم في سراة بجيلة . الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص 131 ؛ ابن رسول : طرفة الأصحاب ، ص 52 .

(2) عكاظ : من أسواق العرب القديمة من بلاد سراة الطائف في أعلى نجد بالقرب من مدينة الطائف .
الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص 131 ؛ حمد الجاسر : في شمال غرب الجزيرة ، ص 225 ؛
البلادي : بين مكة وحضرموت ، ص 187 .

(3) بنو سواءة بن عامر من الأزديين وبلادهم في نجد سراة زهران . الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص 131 .

(4) نهد : من قبائل قضاعة ولهم مساكن في عسير ونجران . انظر : الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص 227 - 228 ؛ ابن رسول : طرفة الأصحاب ، ص 51 . 78 ؛ الحجري : مجموع بلدان اليمن ، ج 4 ص 745 - 746 .

(5) يام من قبائل حاشد ، وموطنهم بنجران . انظر : الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص 154 ؛
الحجري : مجموع بلدان اليمن ، ج 4 ص 734 ، 774 ؛ فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب ، ص 211 .

ونَهَضْنَا معهم من تَرَجٍ حَتَّى إِذَا صرْنَا عَلَى بَرِيدٍ من تَرَجٍ اجتمع رؤسائهم فاشتوروا من أَجْلِنَا فَأشار بعضهم بِقَتْلِنَا، وَأشار بعضهم بِرَدِّنَا. ثم أَقبل القومُ إِلَيْنَا بعد إجماعهم عَلَى رَدِّنَا فواجهونا بذلك . فقال الشريف : إِذَا كرهتم صحابتنا فنحن نكثر من خيرة الله سبحانه فَأَنْشئ منهم ومعنا رفيقٌ لَنَا خثعمي . ثم بنى الشريف الفاضل عَلَى الْمُضِيِّ إِلَى بلد نهد ثم منها إِلَى نجران⁽¹⁾ . فبينما نحن فِي الطريق إِذْ عرض لَنَا ثلاثةُ رُكبانٍ فاستعرضناهم فَإِذَا هم من آل صُهَيْب من خثعم فعرفهم الشريف الفاضل وعرفوه للمصاهرة التي كانت بَيْنَهُ وبينهم . فسألهم الصحابة إِلَى أَكَلَب⁽²⁾ بِأَسْفَل بَيْشَةَ فسأله الرجل الصُّهَيْبِي عن / غرضه فلم يخبره فَلَجَّ عَلَيْهِ وقال : لعلَّ عِنْدِي فيما تَوَمَّلُهُ رأياً ! [م ق 30]

فأخبره الشريف فقال : معي وَحِبًّا ونِعْمًا فَأَهْلِي عَلَى سَعْفٍ من الطريق مما يلي بلد عَزْز بن وائل ، وَعَلَيَّ لَكُمْ الصحابة إِلَى أَنْ تصلوا العوسجيَّ بِجَرَشٍ فمضينا معه ثلاثة أَيَّامٍ لَا نَلْقِي أَنيساً حَتَّى أَفْضِينَا إِلَى أَهْلِهِ فَقَرَى وَأَجْزَلَ . ثُمَّ وَجَّهَ معنا رجلين فسارا بنا نهاراً ثُمَّ لَيْلاً حَتَّى وَقَفْنَا بنا عَلَى باب العوسجي بِجَرَشٍ قَرِبَ الصُّبْحِ فظَهَرَ إِلَيْنَا فَرَحٌ وَقَرَّبٌ ثُمَّ سَأَلَهُ الشريف الصحابة فَأَنعم فَإِنَّا لَكَذَلِكَ إِذْ وَرَدَ عَلَيْنَا عَلِيُّ بن عبد القادر الجنبِي فقال : يَا شَرِيفُ قَدْ أَتَى اللهَ بِالرَّفِيقِ فواجه لَنَا ذَلِكَ الرجل وسأله صحابتنا فَأَنعم . فَنهَضْنَا مع رجلٍ أَكْرَمَ بِهِ مصاحباً .

فلما كان يوم ثاني صادفنا سوقاً يجتمع الناسُ إِلَيْهِ فَكَلَّمَا رَأَيْنَا ناسٌ هَشَّوا إِلَيْنَا ، وَأَغَارُوا عَلَيْنَا ، وَتَلَقَّاهُمْ رَفِيقُنَا فَيَدْفَعُهُمَ عَنَّا وَيَكْتُمُ من يَغِيرُ إِلَيْنَا شَأْنَنَا . فلم نزل من ناسٍ فِي ناسٍ وَنَتَخَلَّصُ من ناسٍ حَتَّى أَشْرَفَ بنا عَلَى الرَّاحَةِ⁽³⁾ فَصَلَّى الشريف فِي صَلَاحِهِ وَخُفِّيه من < الخوف > (*) وَالْعَجَلَةِ . وَقَدْ بنى صَاحِبُنَا عَلَى أَنْ يَسْرِي بنا بِلَدٍ جَنْبَ خَوْفًا عَلَيْنَا فَمَضِينَا حَتَّى أَفْضِينَا إِلَى عَقْبَةٍ صَعْبَةٍ قَدْ لَزَمْنَا فِيهَا اللَّيْلَ فَسَقَطَ

(*) عن الهامش الأيمن من الصفحة .

- (1) نجران : بفتح أوله وسكون ثانيه إقليم واسع يقع بين نجد واليمن وعسير . وتقع مدينة نجران - مركز الإقليم - فِي الشمال الشرقي لمدينة صعدة . البكري : معجم ما استعجم ، ج 4 ص 1298 ؛ الويسي : اليمن الكبرى ، ص 117 - 118 ؛ فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب ، ص 207 .
- (2) أَكَلَب من قبائل بَيْشَةَ وتنقسم إِلَى بطنين الأول : عامر . وفيه من الأقسام خمسة . والثاني : الْمُحَلَّف . وفيه من الأقسام أربعة . فؤاد حمزة : فِي بلاد عسير ، ص 59 .
- (3) راحة من بلاد جنب ؛ الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص 227 .

الشريف من راحلته فصار ذلك الرجل يتلهّف للشريف وسقطته ثم أقسم لا زدتُ سرّت بكم الليلة بعد سلامة الشريف فله الحمد . ثم أمسى بنا عند رجلٍ من بني عمّه فأخبره بمكاننا ولم يكتّم عنه شيئاً من شأننا . فلما كان من الغد نهضنا ونهض معنا نهضاً حتّى وصلنا إلى مكانه ظهراً فقرب لنا طعاماً وسألنا أن نقف عنده أياماً فتخوفنا أن يقع علمنا مع حسين بن عمر الشواحي وهو بشواحي يومئذ فلم نقف . ومضينا من فورنا حتّى وصلنا أدنى بلاد وادعة .

قال : واشتهر مكان الشريف الفاضل عليه السلام وتسامع به العرب ، وأقبلت وادعة من جميع نواحيها وأمسينا في بلدهم ففرحوا بنا وأكرمونا وكان من الغد ونهض معنا منهم جماعة حتّى صرنا إلى بلد بني حي من خولان ومنها إلى الحقل .

قال : وكان الأمير المنتصر بالله محمد بن جعفر لما فارقنا من ترج ورجع اليمن كان له ولشيعة محاضر وأخبار ومواجهات وأسرار ؛ فلما قُتل الصليحي أبدوا أمرهم وأظهروا سرّهم .

ولما قُتل الصليحي كتب الأمير إلى صنوه الشريف الفاضل كتاباً يعرفه بقتل الصليحي وقيام الشريف الطاهر حمزة بن الحسن⁽¹⁾ رحمة الله عليه ودعا الناس للمسير إليهم وأنه يجب علينا القيام لمناصرتهم فمضى ثواب بن محمد بذلك الكتاب وبما حمّله الأمير من الخطاب حتّى لقي الشريف الفاضل عليه السلام ببلد بني حي [م ق 30 ب] ببلد يقال له قنام . فلما قرأ كتابه وسمع خطابه عمل على حسب ذلك وعزم على القيام ، والتأم إليه جماعة من وادعة وخولان فدخل الحقل في عسكرٍ عاملاً على ما وصل في كتاب صنوه ولقيته عساكر الحقل⁽²⁾ من بني مالك ومن الربيع⁽³⁾ وأهل القرية مادّين برقابهم للطاعة فما مكث بالبطنة⁽⁴⁾ إلا ليلة واحدة حتّى ورد عليه صنوه

(1) المقصود الشريف حمزة بن أبي هاشم ، الذي دعا لنفسه ، ثم ما لبث أن قُتل .

(2) المقصود هو : حقل صعدة .

(3) الربيع : من بطون خولان بن عمرو بن قضاة . ابن رسول : طرفة الأصحاب ، ص 51 .

(4) البطنة : من أودية صعدة . الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص 224 . والبطنة عزلة من ناحية القفلة قضاء خمر . التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، ج 2 ص 427 - 428 ؛ التقسيمات الإدارية لعام 1985 .

الأمير في جماعة آل القاسم بن علي رضي الله عنه ووجوه عشائريهم وأصحابهم وشيعتهم ومحابهم مسلمين عليه مسرورين بقدومه مبادرين إليه ، وأنهبوا إليه ما كان من قتل الشريف الطاهر حمزة بن الحسن رضوان الله عليه فأغتم لذلك غمّاً شديداً وتوجّع واسترجع وانكسر شأؤه(*) عن تلك النية وعزم على إغفال القيام بالكلية لما يعرفه من ضعف همم كثير من الناس وقلة صبرهم على شدة المحنة والبأس . فغبى على أهل تلك الناحية أموره وحث إلى ناحية عيان مسيره في شهر الحجة سنة تسع وخمسين وأربعمائة بعد كثرة الأخطار وبُعد الأسفار والمحن الكبار ، يتخلص من خطر إلى خطر ، ويرتحل من سفر إلى سفر ؛ وهو في خلال ذلك لا يدع الصيام ، ولا يُغفل القيام مع خوف من الأنام ، وقلة من العوام حتى باع القناع وأكل الرعاع ، ونقل قدمه لطلبة الصاع .

كان مسيره في مدة سفره زهاء مائتي مرحلة ، ولقي فيه ما يزيد على خمسة وسبعين كؤيه(**) . وكان طول إقامته فيه قياس سبع سنين وأقام في حربهم بعد مراحه من الشام عشر سنين . وأقام في الدراسة والتعليم ست عشرة سنة وقبيل بلوغ الحلم خمس عشرة سنة > وكان مدة جهاده عشر سنين <(***) .

واستشهد رحمه الله ورضوانه عليه ومغفرته وإحسانه وله من العمر سبع وخمسين سنة في يوم الثلاثاء لسبع باقية من شهر صفر من شهور سنة ثمان وستين وأربعمائة . وتزوج خمسا من النساء أولهن ابنة عمه عبد الله بن القاسم ، وهي أم أولاده : سليمان ومحمد ابني القاسم ، وأختهما فطيمة زوجة حميدان بن القاسم . فأما سليمان بن القاسم فمات صغيراً ولم يُعقب . وابنة عمه المهدي لدين الله تُوفيت قبله رحمه الله عليها . وامرأتين بنجد من العرب طلقهما . وابنة ابن عمه القاسم بن عبد الله مات عنها ؛ وُلد منها ذكران : جعفر وعبد الله ابنا القاسم ، وامرأة حدثت بعده .

* * *

(*) في الأصل : شاءه - وربما كانت : شيئاً .

(**) كذا في الأصل . وربما كانت صحتها : كونة . وهي في اللآلي المضية م 2 / ص 158 : كؤنة !

(***) ما بين الحاصرتين عن الهامش الأيسر من الصفحة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله وصلى الله على محمد وأهله .

قال مفرح بن أحمد الربعي : لما كان في شهر ذي الحجة منسلخ سنة تسع وخمسين وأربعمائة وصلت بنو الدعام وبنو بحير وعيون من نهم إلى الشريف الفاضل [م ق 31] عليه السلام وهو بعيان وصاقب وصولهم وصول الجماعة من شيعته / من وادعة وغيرهم فرحب وسهل وقرى وأجزل ، ثم إنهم فتحوا معه الكلام وسألوه واستدعوه للقيام فأبى عليهم لقلة ما في يديه ، واعتذر إليهم فأبوا عليه وعرضوا عليه بذل الأنفس والأموال والمواساة في الإكثار والإقلال فقال لهم : إن بني الصليحي أهل حصون وأموال وخيول ورجال ؛ فلو لم يبق منهم إلا جارية لقاتلت بالأموال ، ولست بمُسْعِدِكم إلى هذا الحال فكلمنا اعتذر إليهم عاودوه ، وكلما أبى عليهم راودوه . وكانت بنو بحير له شيعَةٌ ومحاب ، فما زالوا به حتى أسعدهم ودنا إليهم بعدما أبعدهم فأعطوه الموائيق والعهود وعقدوا له أشد العقود على دفع الخمس من أموالهم والفتنة معه بخيولهم ورجالهم والأسوة له في جميع أحوالهم ؛ وهم يومئذ بقرية غُرق⁽¹⁾ قد أجلتهم بنو الصليحي من بلادهم فصاروا هنالك بحريمهم وأولادهم . وراحوا منه على ميعاد الوصول إليهم . فكان بعد مدة أيام ووصل إلى ما لديهم فصار بالجوف الأسفل فاستقبله الجميع من بني بحير وبني الدعام وغيرهم . فدخل في موكب كثير الخيل والرجال واستقام بها على أحسن الأحوال .

قال : وعزم بنو الصليحي على نزول تهامة لاستخراج حريمهم فحرصوا على تسكين الفتنة وخاطبوا الشريف الفاضل في المحادثة والهدنة .

وكان الأمير ذو الشرفين قد دعت حاجته إلى الوصول ببیت شعيب ، فلما وصل إلى هنالك قال له صنوه الحسن بن جعفر : ما ترى يا مولاي في الوصول إلى هؤلاء القوم بصنعاء وتسكين الأمر بيننا وبينهم ؟ فأبى عليه فقال : إنني أخشى أن يكونوا قد أعلموا بمكاننا فيلزمون الطريق علينا فلم يزل به حتى أسعده على المضي إليهم

(1) في الأصل ، وفي غاية الأمانى ج 1 ص 268 : عرف . وغُرق واد وقرية بالجوف الأعلى . وقرية غرق هي ما يسمى الآن سوق دعام . انظر : الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص 161 ، ح 6 نفس الصفحة .

والقدوم عليهم . فوصلا صنعاء وصادفاهم في مخرج لهم في اليمن والخليفة لهم يومئذ على صنعاء إسماعيل بن أبي يعفر الصليحي فوصلا إليه وسلما عليه فأكرمهما وبجلهما . فلما هما بالانصراف قال : لا عذر من الإيقاف إلى ما يصل مولانا السلطان فهم واصلون في أقرب أوانٍ فعملا على ذلك ولم يجدوا سبيلاً إلى غير ذلك . قال : فما لبثوا أن قدموا بعد أيام فخرجنا في لقائهم للسلام . فلما صاروا في ديارهم قال الأمير ذو الشرفين عليه السلام : لم نشعر برسول السلطان أحمد بن مظفر حتى قدم يأمرنا بالوصول إليه فوصلنا . فلما دخلنا عليه إذا هو في المجلس الذي كنت دخلت عليه آنفاً فأذاني فيه بما الله يسأله عنه ويجازيه ، قال فاستقبلنا بإسعادٍ وبشاشٍ وإقبالٍ وإهشاشٍ وأوماً إليّ فجلستُ إلى جنبه على مرتبة كانت تحته ثم استفتح الكلام بعد أن فرغنا من التحية والسلام فقال : يا مولاي الشريف نحن لكم عبيدٌ وخدمٌ وقد لحقنا ما تعلم من قتل أميرنا وسبي حريمنا ونحن نشير المناصرة / [م ق 31 ب]

والأنفة علينا والمظاهرة . فنحن أنصارُ أجدادكم والبلاد بلادكم . وهبوا أنا مشركين فقد قال رب العالمين : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ (1) . ولا بد من الخروج إلى ناحية زبيد والمناجزة لهؤلاء العبيد فإن قتلونا فالبلاد ومن فيها لكم وإن قتلناهم وأخذنا حريمنا كان ذلك بفضلكم . وقد أنا أحب منكم يا مولاي الشريف أن تكلم لنا مولانا الشريف في العفاف من الفتنة ، وتسأله لنا المحادثة والهدنة ، وتؤنس لنا مدينتنا هذه برجلٍ منكم فإنه لا غنى لنا في مغيبنا عنكم . قال : وأمر لنا بحبائٍ وكساءٍ وثلاثٍ من الخيل ، وأشخص معنا رجلاً من حراز يقال له : دلهام (2) وسرنا حتى صرنا بعيان . وكتبْتُ إلى مولانا الشريف الفاضل عليه السلام أعرفه بخبرهم وخبرنا وما واجهنا في سفرنا وسألتُهُ الوصول عليه السلام وهو إذ ذاك بقرية بني الدعام فأعاد إليّ الجواب أني قد حالفْتُ رجالاً ولستُ بالذي أقطع عنهم حالاً . قال : فنزلتُ إليه وعولتُ في الطلوع معي عليه وطلعنا إلى عيان وواجه ذلك الرجل دلهام بخطابٍ وعقودٍ وكتابٍ .

(1) سورة التوبة/ 6 .

(2) في اللآلي المضية م 2/ ص 159 : دلهام بن عبد الله الحرازي .

قال مفرّح بن أحمد : سألتُ السلطان يحيى بن محمد بن أحمد المالكي عن المحادة التي كانت أين كانت وكيف كانت؟ قال : سمعت الأمير ذا الشرفين وهو بناحية الجراف⁽¹⁾ من بلد بني صريم في موكب كبير وعسكر كثير فشرح على الناس ، فكان من كلامه أن قال : تعلمون يا إخوتنا وعشيرتنا أنا قد حاددنا هؤلاء السلاطين على بلد وادعة وبكيل والحدّ نقيلاً عجيباً وأعطينا على ذلك شروطاً بيننا وبينهم ثلاثة مناشير فمنها منشور على هذا الحدّ المذكور ، ومنشور منها ثاني على الشيعة الحسينية قاصيهم والداني حيث كانوا وأين كانوا ، والمنشور الثالث على قرى معروفة بنا ومنسوبة إلينا كحمده وحاز وبیت شعيب وبیت سود⁽²⁾ . فهذا ما جرى الشرط به بيننا وبينهم⁽³⁾ .

قال : وكانت هذه الكتب والعقود على يدي إسماعيل بن أبي يعفر الصليحي ودلهام بن عبد الله الحرازي . قال : ولم يجد الشريف الفاضل بُدّاً مما عقد صنوه الأمير ذو الشرفين فأجابه إليه وعمل عليه وسيّر ولده محمد بن القاسم إليهم إلى صنعاء فلم يزل هنالك حتى قُتل العبيد ودُخلت زييد ، وراحوا بالحرير والأموال وقد حالوا عن جميع تلك الأحوال وجحدوا الكتب والعقود الشروط والحدود . ومناشيرهم مقرّة محفوظة الآن بالحضرة العالية بشهارة وإن كان لا حاجة لحفظها إلاّ لبيان غدرهم وما كان من نكثهم وخترهم .

قال : ولما راحوا من سفرهم خرجوا إلى الجوف الأعلى من فورهم فعثروا [م ق 32] الأعناب والنخيل وكتبوا إلى بني الدّعام كتاباً / ، وجعلوه استعطافاً لهم وعتاباً فيه فأوقفوا الشريف على الكتاب فأمرهم برّد الجواب بما آيسهم من استفساد بني الدّعام ورجعوا من هنالك على أشرّ حال . وأخذت منهم في المولدة⁽⁴⁾ خيل وبغال ، وقُتل

(1) الجراف الأسفل والجراف الأعلى : قريتان من عزلة الجراف والستين ناحية خمر؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، ج 1 ص 63 .

(2) ربما كان المقصود بيت سودان من عزلة بني قيس ناحية بني مطر ؛ انظر : التقسيمات الإدارية لعام 1985 ، عزلة بني قيس ، التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، ج 2 ص 251 .

(3) قارن باللائي المضية م 2/ ص 159 .

(4) المولدة : قرية من عزلة بني جبر ناحية ذيبين . التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، ج 2 ص 309 .

منهم رجالٌ وراموا الهدنة بعد زمانٍ على يد الشريف السيد إبراهيم بن سليمان
وأكثرُوا فيها المخاطبة كلَّ ذلك بعد وقعة الرحبة فلم يُجِبْهُمُ الأميرُ ذو الشرفين إلى
شيءٍ من ذلك . وفي ذلك يقول مفرّح :

أَسْرَتُ إِلَيْكَ دُجَى الظلامِ
فَصَبَا فؤادُكَ في المِنامِ
فَغَضَضْتَ طَرْفَكَ دونَهَا
فَسَطَتْ إِلَيْكَ بِكَفِّهَا
فَقَبَضْتَ كَفًّا دونَهَا
سَبَحَانَ مَنْ دَفَعَ الْعَدَا
وَارْتَحَاحَ (*) جَلَّ بِقَاسِمِ
وَجَلَّى بَطْلَعَةَ وَجْهِهِ
يَا ابْنَ النُّبُوَّةِ وَالْوَصِيَّةِ
يَا دَعْوَةَ الطَّهْرِ الْخَلِيلِ
لَا تَرْكَنْنِ إِلَى الَّذِي
وَهُمُ وَإِنْ لَمْ تَنْخَدِعْ
وَالسَّمُ إِنْ بَاشَرْتَهُ بِاللَّحِ
قَدْ قَالَ الْأَوَّلُ دَسَ لِي
عَدُوُّ الْحُدُودِ وَذَكَرَهَا
أَوْ لَمْ يَكُونُوا أَوْثَقُوا
فَكَفَفْتَ عَنْهُمْ كَفًّا سَامِ
فَثَنُوا أَعْنَتَهُمْ وَقَدْ كَفَرُوا
فَحَمَيْتَ حَدَّكَ دُونَهُمْ
وَهَزَزْتَ صَنُوكَ ذَا الْمَمِ
ذَاكَ الْأَمِيرَ أَخُو الْأَمِيرِ
فَجَعَلْتَهُ فِي مَعْقِلِ

(*) كذا بالأصل . ولم نهتد للقراءة الصحيحة .

فَأَرْتِكَ طَيْفًا فِي الْمَنَامِ
وَكَأَنَّ ضِغْثًا فِي الْمَرَامِ
وَرَعَا عَنْ النَّظَرِ الْحَرَامِ
سَطَوُ التَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ
فَتَلَثَّمْتُكَ عَلَى الثَّامِ
قُبُوبَةَ وَالْحَسَابِ عَلَى النَّيَامِ
لِدُعَا الْبَرِيَّةِ وَالْأَنَامِ
غَسَقَ الدُّجْنَةُ وَالظَّلَامِ
وَالْإِمَامَةُ وَالْمَقَامِ
وَصَفْوَةُ اللَّهِ السَّلَامِ
يَرْجُوا نَخْدَاعَكَ مِنْ قِيَامِ
خَدَعُوا رَجَالَكَ بِالْحُطَامِ
مَ دَبَّ إِلَى الْعِظَامِ
رَجَلِي وَذَرْنِي وَالزَّحَامِ
فَالْحَدُّ فِي حَدِّ الْحُسَامِ
كَ وَهَادِنُوكَ عَلَى التَّمَامِ
وَتَرَكْتَهُمْ وَرَجَالَ حَامِ
بِأَنْعُمِكَ الْجِسَامِ
بَشْبَا الْقَنَا الْأَسْلَ الصَّوَامِ
نَارَ كَهْزَةِ السَّيْفِ الْحُسَامِ / (م ق 32 ب)
رَ ابْنَ الْأَمِيرِ ابْنَ الْإِمَامِ
عَالٍ يُنَاغِي النُّجْمَ سَامِ

ما إن يني متعمماً دكناء من نسج الغمام
وترى البوارق تحته وسوائل المطر الرّهام

قال : وفي هذه السنة رسم الشريف الفاضل عليه السّلام مخرجاً إلى صنعاء
اختصرت ذكره لأنه مشهور وهو في كتاب السيرة المذكور . قال : فلما صار الشريف
الفاضل عليه السّلام بالجوف وصله سفيران من سعيد بن نجاح⁽¹⁾ يُراسِئُهُ على اللقاء
إلى صنعاء فأنهض الشريف الفاضل معهما صنوه الشريف الأجلّ سنان الدولة
أحمد بن جعفر والقاضي عيسى بن الحسين بن أحمد وأعاد معهما على الخطاب
خطاباً وللكتاب جواباً وأكرمهما وحباهما وسرفهما بعطية سنّية وكساء زهية والعطية
ألفا دينار شهابية وأوقفهما على ميعاد مرسومٍ ليومٍ معلومٍ فما وصلا إلى الشريف إلّا
وقد وصل الخبر بقتله ، فاتّصل خبره بالشريف الفاضل وهو بناحية خرفان⁽²⁾ فاستعاد
من هنالك إلى ناحية عيان ، وهو في ذلك عليه السّلام يدبّر الأمر في طلوع شهارة قد
كان وجه صنوه الأمير ذا الشرفين إلى بلد الأهنوم ملتمساً طلوع هذا الجبل فوصل إلى
موضعٍ يسمى النجد⁽³⁾ فتعذّر عليه لأنه لم يكن بينه وبين أحدٍ من الأهنوم مراسمةٌ
عليه فاستعاد من هنالك(*) .

ثم إنَّ الشريف الفاضل عليه السّلام وجّه الشيخ الفقيه عليّ بن محمد بن أبي
الجيش والشيخ يعقوب بن سليمان العبيدي ومعهما جماعةٌ من أصحابه فواطئاً رجلاً
من الهنوميين والظليّمين على لزوم هذا الجبل فرجعا إليه بتمام الحال وهو في
الجوف الأسفل . فنهض عليه السّلام فيمن معه من أهل بيته وجماعة من النهميين⁽⁴⁾

(*) في الهامش الأيسر من الصفحة بخطّ مختلف ، أول دخول القاسم بن جعفر وإخوته شهارة . وقارن
باللّالي المضية م 2/ص 159 وما بعدها .

- (1) صاحب زبيد ، وعدوّ الصليحيين ؛ قارن بمقدمة ماديلونغ ، ص .
(2) خرفان بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء آخره نون : جبل وقرية من بلد مرهبة الدعام . الهمداني ،
صفة جزيرة العرب ، ص 160 ؛ الحجري : مجموع بلدان اليمن ، ج 2 ص 352 .
(3) النجد : موضع على بعد 2 كم غربي شهارة . خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة
1643D3 .

- (4) نهم : من قبائل بكيل ، ينسبون إلى نهم بن عمرو . . . بن بكيل . وتقع بلادهم في الشمال الشرقي
لصنعاء بناحية نهم . انظر ، ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص 62 ؛ الحجري : مجموع بلدان

والسفيانيين⁽¹⁾ حتى إذا صار بحوث⁽²⁾ من بلد وادعة أنهض صنوه الشريف سنان الدولة وركنها أحمد بن جعفر في نفر قليل زهاء عشرة رجال ، وجعل الشريف الفاضل بينه وبينهم شعاراً أنهم إذا طلّوا الجبل أوقدوا في رأسه ناراً . فنهضوا مبادرين حتى جنّهم الليل عند رجلٍ من الأهنوم يقال له : غليس بن عباس ، واختفوا عنده جانباً من ليلتهم . ثم تقدّم عبد الله بن أبي الهزام الصوري إلى الحرس الذين على الباب فشغل وجوههم بسبب من الأسباب . وطلع الشريف بأصحابه معه لمشايخ الهنوميين الذين كانوا في ناحية الجبل وجنابه . فلما صاروا في رأس الجبل أمر الشريف / بضرب الريح ففرغت العشائر وكثرت الغوائر .

[م ق 33أ]

فلما علموا بمكان الشريف وواجههم مشايخ الأهنوم الذين كانوا معه تفرّقوا وانصرفوا . فلما كان في الليلة من قابل أمر الشريف بإيقاد النيار فتحقق الشريف الفاضل عليه السلام طلوع الجبل بذلك الشعار وانصرف راجعاً إلى الجوف الأسفل . فلما كان بعد أيام نهض الشريف الفاضل في نفسه في خيلٍ ورجال من نهم وسفيان وجماعة من الشيعة الحسينية وافرة باكرٍ آخر يومٍ من رمضان سنة ستين وأربعمائة فطلع من ليلته وخلف ثقله بأقر حتى صلى صلاة العيد بالرحبة تحت شهارة⁽³⁾ .

اليمن ، ج 4 ص 746 ؛ كحالة : معجم قبائل العرب ، ج 3 ص 1198 .
(1) سفيان : قبيلة من قبائل بكيل ، وهم ولد سفيان بن أرحب بن الدعام ، وتعرف بلادهم بحرف سفيان . انظر : ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص 62 ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 2 ص 424 .

(2) حوث بضم الحاء : من بلاد حاشد وهي مركز ناحية حوث بقضاء خمر ، وتقع ما بين : 55° 13' 16" شمالاً ، 54° 58' 43" شرقاً . خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1643D4 ؛ البكري ، معجم ما استعجم ، ج 2 ص 474 ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 2 ص 221 - 222 ؛ الويسي ، اليمن الكبرى ، ص 83 .

(3) شهارة : من المعاقل المشهورة باليمن . وقد أفاض مؤلف السيرة في وصفها في صفحات تالية . وتقع شهارة ما بين : 5° 11' 16" شمالاً ، 11° 42' 43" شرقاً . على بعد 15 كم شمال حبور ظليمة . انظر ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 238 ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 1 ص 95 - 96 ؛ خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1643D3 .

فلما طلع الجبل أرسل لمشائخ الأهنوم⁽¹⁾ ووجوه ظليمة⁽²⁾ وأجرى معهم كلاماً نبيلاً وبذل لهم صيانةً وجميلاً وأوصاهم بشريفهم وجبلهم . وأوصى صنوه سنان الدولة بتبجيلهم وإكرامهم ، وعاد إلى ناحية الجوف الأسفل وقد أحكم فيه الترتيب وحمل إليه أحمالاً من الزبيب وجعل يذمر جميع الشيعة بالانتقال إليه ، ويحضهم بالمصير بالأهل والمال إلى ما لديه .

ثم خرج الأمير المسمى بالمكرّم⁽³⁾ إلى ناحية نجران وأرسل الشريف الفاضل إلى صنوه الأمير ذي الشرفين عليهما السلام جميعاً حتى وصله وهو بالخارد⁽⁴⁾ وكان في بلد خولان بالقدّ فأمره بالمصير إلى هذا الجبل وسأله أن يعزم . قال : فأخبرت أنه أقسم لئن لم ينهض إلى هذا الجبل لأعودنّ من فوري هذا إلى الشام ! قال : فنهض في جماعة من الشيعة جامعة ؛ فلقية من كان منهم ببلاد وادعة ومضى حتى طلع شهارة . قال : فأكرم الأمير ذو الشرفين حراسة بوابتها ومراشيها ، وفرّق جماعة من أصحابه على جميع نواحيها واشتهر أمرها وشاع في البلاد ذكرها ، وعظم على بني الصليحي كون الحسينية إليها فعملوا على الخروج للحصار عليها وذكر لهم قلة الحبوب وضعف المطعوم والمشروب فدسّوا الغوائل والأعمال وبذلوا الرغائب والأموال ، فكان من ذلك أن رجلاً من الجنبيين يقال له : علي بن يحيى ابن عبد الرحمن الصهباني عامل رجلاً ورّتب خدعاً وأحوالاً ؛ وكاتب بني الصليحي ووعدوه بولاية الجبل وأعماله ، ووعدهم قتل ذي الشرفين أو إنزاله عندما يصيرون قبل الجبل وهو في خلال ذلك يدبر الغدر والحيل ؛ وكان ممن يستخصّه الأمير

(1) الأهنوم : بطن من همدان من ولد الأهنوم بن شاحذ بن حاشد وديارها في الشمال من حجة في نواحي شهارة وظليمة حبور والمدان وغير ذلك . انظر ، الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 1 ص 95 - 98 ؛ السياغي ، معالم الآثار ، ص 69 - 70 .

(2) ظليمة حبور : ناحية من قضاء شهارة محافظة حجة ، ومركز الناحية قرية حبور ظليمة . وتقع ما بين : 04° 03' 16" شمالاً ، 23° 42' 43" شرقاً . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 3 ص 568 ؛ خريطة ج . ع . ي ، 50000/1 ، صفحة 1643D3 .

(3) الأمير المكرّم أحمد بن علي بن محمد الصليحي ، تولى رئاسة الدولة بعد مقتل والده .

(4) الخارد : من أكبر أنهار اليمن ، ويسمى غيل الخارد ، منابعه في بلاد أرحب . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 155 ؛ الحجري : مجموع بلدان اليمن ، ج 1 ص 200 .

ذو الشرفين عليه السلام ويعتدّ به لنوائبه الجسم ، فرفع عنه الخبر وكثرت فيه القالة واشتهر فعاتبه في ذلك فقال له : يا مولانا لا تؤخذني إلاّ ببينة وأجمعت معه الشيعة على تلك الكلمة .

وكان ممن اتّهم لتهمته / إنسان يُقال له : محمد بن يحيى العثينة الكباري [م ق 33ب] فلما بغيا على الله وأوليائه وكاتباً حزب الشيطان من أعدائه ، كشف الله لأوليائه أمرهما وهتك من حيث لم يحتسبا سرهما . قال : وكتبنا كتباً فيها سبٌ فظيع وكلامٌ شنيع لا يحسنُ إعادةُ ذكره لِمَا كان من قبيح أمره ؛ ويحثّان ويؤلّبان ويذكران معهما جماعة من الشيعة أو العشائر . وكانا لعمر الله يكذبان ، كانا في أول كتابٍ من كتبهما يتمثلان بقول التهامي⁽¹⁾ :

الهون في ظلّ الهوينا كائنٌ وجلالةُ الأخطار في الإخطار

قال : فواجهها رجلاً من مشائخ الأهنوم يقال له : أحمد بن عبد الله بن أبي مدين فطمعاً أن يستفسداه وبذلاً له ووعداه وقالوا : تمضي بكتبٍ ها هنا من ليلتك هذه إلى المكرّم من حيث لا يدري أحدٌ ولا يعلم وقد كتبنا لك بالعطية والجوائز السنية . قال : وقد كان الأمير ذو الشرفين لَمَّا صَحَّ كون بني الصّليحي بالظاهر قاصدين إليه ومحاصرين عليه ، جمع أهل بيته وشيعته وحاشيته وجماعته فجَدَّد عليهم الأيمان المؤكّدة ، وأخذ منهم العقود المشددة . فلَمَّا تقدّم علي بن يحيى هذا اللعين فحلّفه اليمين البالغة ما به يمينُ بالله . قال أحمد بن عبد الله بن أبي مدين : كنتُ مع الجماعة ومولانا يستحلف هذا الرجل فارتعدت فرائصي وسال عَرقي حتّى وقع على قدمي لجرأة ذلك الإنسان على اليمين . قال : فلَمَّا افترق الناس ودخل الأمير منزله استأذنتُ عليه فلَمَّا أذن لي وصلتُ إليه وكَلَمْتُه بما معي من النصيحة . فقال عليه السلام : وكيف لي بهذه المقالة حتّى أعلم أنها صحيحة ؟ فقال : عندي كتبهما . قال : كيف لي بها ؟ قال : آتيك بها في آخر ليلتي هذه إن

(1) ديوان أبي الحسن التهامي ص 155 - 160 من قصيدة مطلعها :

حكم المنية في البرية جاري ما هذه الدنيا بدار قرار

شاء الله . فما كان في آخر الليل إلا وقد وصل بالكتب . فلما وقف عليها الأمير ذو الشرفين عليه السلام ، فهم جميع ما فيها من الكلام وعرف خطّ الملعون محمد بن يحيى العثيثه أصبح فأمر باجتماع الناس فاجتمعوا وأمر بعلي بن يحيى فلزم . فلما استوثق منه أظهر الأمير عليه السلام الكتب فقرأها . فلما فرغ من قراءتها طواها ثم قال للعثيثه : هذا خط يدك ؟ قال : نعم . قال : فما حملك عليه ؟ قال : النفاق يا مولانا ! فأمر بضرب عنقه . ثم قال لعلي بن يحيى : ما حملك على ما جئت به ؟ فجدد . فأمر أحمد بن أبي مدين أن يتكلم فتكلم وشهد . فعند ذلك أمر بعلي بن يحيى فقيّد .

قال : ووصل الأمير المتسمي بالمكرّم في عساكر كالتراب ، وضرب مضاربه في رأس ذرى⁽¹⁾ / . فلما نظر إلى شهارة فعلم أن الشيطان دلاه بغرور واستدبر ما لم يستقبله في الخروج إليها من الأمور . ونظر إلى جبل صعب المرام .

قال مفرّح بن أحمد⁽²⁾ : رأيت أن أصف شهارة في ذاتها بما يجب من جميع صفاتها : جبل شامخ ومعقل باذخ . مزر على أربعة جبال ، مركز بين شناخيب(*) طيال ، أصلهن واحد ورؤوسهن متباعدة ويعيا أن يحاط به في يومين ، لا يتهيأ له حصر ولا يخشى فيه قهر . وهو جبلان فليقان ليس لكل واحد منهما إلا طريق باب بينهما فرق بعيد الغور في الأرض ، ومقدار قاب القوس في الطول والعرض ، يتناجى الرجلان بخفي الأصوات فيما يحتاجان من الأسرار والحاجات . تنظر من فوقه الشمس وهي تدرج فوق السحاب ، وترى البرق والرعد تحته في الأودية والشعاب . ذاهب في السماء لا يكاد يفارقه الغيم والغمام . وإذا كنت في الليل في أساسه وأوقدت النيران في رأسه اختلطت عليك الوهوم فلا تكاد تفرق بين النيران والنجوم . وإنما سُميت شهارة لاشتهارها . وسأذكر ما كان في قديم الزمان من أخبارها . وكان يُسمى مُعْتَقاً فيما تقدّم وفيه يقول مفرّح > بن أحمد .

(1) جبل ذرى على بعد 3 كم شمال شهارة . وجوة ذرى على بعد 3 كم شمال غرب شهارة . خريطة

ج . ع . ي ، 1/50000 ، صفحة 1643D3 .

(2) قارن بالآلي المضية م 2/ص 160 - 161 .

رحمه الله <(*)> :

وإذا امرؤ أم النجاة فإنما سبب النجاة بمعنق في معنق
ثبتت قواعده أسه بمحمد لصالح دين محمد المستغرق

وإنما سُمِّي مُعْتَقاً لأنه كان يلتوي به الطريد وتأتي إليه العبيد فإذا لحقهم مواليهم قالت الأهنوم شاوروهم وشاوروا معتقاً . وذكر - والله أعلم وأحكم - أن أسعد الكامل طلعتها في مبتدى أمره في ثمانين رجلاً <وجمع القوت في رأسه> (***) وأن صاحب اليمن في ذلك الزمان حاصره عليها ونزل بمكان يقال له : أقر > فقال : استقروا ها هنا فسُمِّي الموضع أقر <****> وأنه نزل عليهم فقتلهم . فقال صاحب اليمن : شهرنا هذا الجبل شهره الله فسُمِّي شهارة لهذه الرواية . وروى بعض أهل الأخبار أنه كان يسمى قبل ذلك بظفار ويقوي ذلك ما قاله بعض القدماء حيث يقول :

حين سيلت ظفار قيل لمن أنت فقالت لحمير الأخيار
ثم ردت وأخبرتهم فقالت إن ملكي إلى قريش التجار

> وإنما حداني على صفته تعريف من يسمع به ولم يحقق معرفته مع عظيم
اشتهاره <*****>

قال مفرح بن أحمد : روى لي حي والدي قال : لم ينبج من القرامطة في الزمان الأول إلا جبل الأهنوم⁽¹⁾ والعنان⁽²⁾ من بلد شاكر . ومن أوصاف شهارة أن منابتها الشث والعرعر والعتم والصندل والتالب والبطم وغير ذلك . ومن مغارسها / [م ق 34 ب]

(*) ما بين الحاصرتين على السطر بخط مختلف .

(**) ما بين الحاصرتين عن الهامش الأيمن من الصفحة .

(***) ما بين الحاصرتين عن الهامش الأيمن من الصفحة - وبعدها علامة (صح) .

(****) ما بين الحاصرتين عن الهامش الأيمن من الصفحة .

(1) جبل الأهنوم : عبارة عن سلسلة من الجبال أهمها جبال سيران وذرى وشهارة وعيشان وظليمة . انظر : الويسي ، اليمن الكبرى ، ص 107 ؛ السياغي ، معالم الآثار ، ص 69 - 70 .

(2) العنان : مركز ناحية برط يحيط بها سلسلة من الجبال ويسكن هذه المناطق قبائل ذو غيلان بن محمد بن شبعان . . . بن دهم بن دهم بن شاكر من بكيل . انظر ، الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 1 ص 107 - 109 .

الكروم والعنب والآس والخوخ والأترنج والتفاح والمشمش والبلس والخرنوب .
وفي مغايضها شيءٌ من النخل وقصب السكر الأبيض والعلس والبر والشعير والذرة
والقضب(*) وهو القَتُّ بلُغة أهل الشام والعصفر والورس وهو الخلق > يأتي منه
شيءٌ لا يُقاسُ بغيره في اللون والفعل <(**).

ومن معادنها شيءٌ ذكره الرواة في قديم الزمان وشيءٌ موجود بالمشاهدة
والعيان ؛ فمن الموجودات المشهورة : فمنها حجر البلور يوجد منها شيءٌ منفرداً .
ويمكن أن لها معادن مستورة . وقد روى ذلك الحسن بن يعقوب المعروف بابن
الحائك في كتاب الإكليل . ومن ذلك الكحل > يوجد في شيءٍ من مساقط أوديتها
والله أعلم بعنصر ذلك أين هو <(***) . ومنها الشبُّ شبُّ الفوة والشب الحميدي
الشبُّ الفائق المعروف بشب الفؤاد ، ومنها عروقٌ من الملح لطاف . ومنها طينٌ في
معادن منها أبيض لين لزج أشبه شيءٍ بالصابون وله في غسل الأدران فعل .

وفيه الموز واللوبيا والأقطن واليقطين والصبغة . وذكر - والله أعلم - أن بجبلٍ
من نواحيها يقال له عيشان⁽¹⁾ معدنٌ من الذهب . ومن خصائص أوصافها أن معزرها
في غور متهم ينشأ السحاب من مغابنها عياناً لا يحتاج من شاهد ذلك إلى إسناد ؛
يُرى منها بحرٌ تهامة على مسافة ثلاثة أيام ، وسمعت الشريف الحسن بن علي
الزبيدي الحسيني يقول : وطئت معاقل اليمن وحصونها فما فيها لشهارة نظير .
وسمعت كثيراً ممن عرف حصون اليمن ووطئها يقول قوله .

وروى الشريف المحسن بن محمد الحسيني الديلمي الحليط بطبرستان وكان
وصل إلى شهارة في شهر جمادى من شهور سنة خمسٍ وثمانين وأربعمائة ؛ فتحدث
على مذهب الزيدية وله في الحديث لسانٌ وفي الأدب حظٌ ، خرج الحديث إلى ذكر
الشيعة الحسينية بشهارة فقال : عندنا بطبرستان ونواحيها من الشيعة الحسينية

(*) عن الهامش الأيسر من الصفحة .

(**) ما بين الحاصرتين عن الهامش الأيسر من الصفحة .

(***) بياض في الأصل .

(1) عيشان بفتح العين المهملة من الجبال المسنمة يقع في الشمال الشرقي من شهارة . الهمداني : صفة
جزيرة العرب ، ص 239 ؛ المقحفي ، معجم البلدان والقبائل ، ص 483 .

< قياس > (*) ستة عشر ألفاً ولهم هناك شريف فاضل يمتاحون من علمه ، عندهم من كتب المهدي عليه السلام كتاب (المعجز) و (التفسير) ثم خرج إلى ذكر شهارة فقال : اسمها واشتهارها ببلدنا أكثر وعندنا أشهر وما ينسب إليها أو يذكر أنه ما وصلها إنسان إلا كان له في بلادنا حال وشأن يُتبارك به . قال : وهي عندنا مذكورة في قصة أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه يذكرها باسمها ويسمّيها قبة الإسلام باليمن . حولها ثلاثمائة وستون / وادياً وفي ناحيتها معادن [م ق 35] أربعة ؛ معدنا ذهب ومعدنا فضة وكحل . فهذا ما كان من روايته والله أعلم .

وذكر (**) لي الشيخ الفقيه أبو الحسن علي بن محمد بن أبي الجيش أنه وجد بصعدة كتاباً قديماً الخط ؛ قال ؛ بخط الهادي عليه السلام أو من عصر الهادي يقول إنه يكون أول عز أهل بيت محمد صلى الله عليه من موضع بناحية تهامة أول اسمه شين وآخره هاء .

رجع الحديث إلى خبر المنقل⁽¹⁾ وغارة الرحبة ووقعة ذيبين⁽²⁾ وغارة الجراف وطلوع ذروة لبن . ذلك كله كان قبل الحصار .

فلما كان في سنة (***) خرج بنو الصليحي < على > طريق تهامة ورثب الشريف الفاضل عليه السلام مخرجاً من الجوف الأسفل فخرج في خيل من نهم وبنى الدعام ثم صار بناحية شوابة⁽³⁾ فالتأم إليه بنو بحير وذبيان⁽⁴⁾ . وقد كان أحمد

(*) عن الهامش الأيسر من الصفحة .

(**) كتب فوقها : وروى .

(***) بياض في الأصل .

(1) المنقل : قرية بالقرب من السبيع . مؤلف مجهول : أخبار الهجرة المنصورية ، ورقة 1 ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج 1 ص 202 ؛ المسجد المسبوك ، ص 262 ؛ ابن الديبع ، قرية العيون ، ج 2 ص 43 ح 3 .

(2) ذيبين : قرية ومركز ناحية ذيبين ، على بعد 20 كم شمال شرق ريدة . وتقع ما بين : 40° 58' 15" شمالاً ، 53° 07' 44" شرقاً .

خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1544A1 .

(3) شوابة بضم الشين : واد من أعمال ذيبين ، ينحدر ماؤه إلى الجوف وإليه تنسب قرية شوابة في عزلة سفيان ناحية ذيبين . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 128 ؛ الويسي : اليمن الكبرى ، ص 82 ؛ النتائج الأولية لتعداد 1986 .

(4) ذبيان : بفتح الذال وسكون الياء ، قبيل ووطن في بلاد أرحب . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، =

ابن المظفر بعد رجوعهم من تهامة أنكر المحاددة والهدنة وعزم على المحاربة والفتنة لأن البلاد التي وقعت عليها الحدود مما كان في يديه فطمع أن يستظهر على الشريف الفاضل . فخرج فيمن بقي معه من بني الصُّليحي وعساكرهم إلى بلد وادعة حتى حط بالمدحك⁽¹⁾ فلما سمع به الشريف الفاضل طلع حتى حط بالمنقل من خرفان فيمن معه من الناس ، وشاورهم على الهجيمة على ابن مظفر بالمدحك ، فكلَّ صرف الرأي إليه فقام الجحّاف بن مربع الدعامي فقال : يا مولانا ! إنَّ الهجائم لا تكون إلّا بالرجال والضاربة الذين يضربون الناس في مراقدهم ولا ييلعونهم الريق ، وليس معك إلّا خيلٌ ليس لها في القوم عملٌ حيث هم . قال : فقبل الشريفُ الفاضلُ رأيه واستعاد فأمسى بورور . فلما كان من ليلته رتب طلائع من ذبيان وخيلاً من بني بحير تعود إلى خرفان . ثم نهض أحمد بن مظفر إلى أثافت فأرسل خيله وعسكره فيهم محمد بن إبراهيم بن محمد الصُّليحي وعبد الله بن محمد الحرازي في عدّة من الوجوه والمقدمات وعسكرٍ من الديوان وغيرهم حتى وصلوا المنقل فطلعوا الدرب وطمعوا بما فيه . واستعادت عليهم جماعةٌ < من بحير > (*) ومن ذبيان فهزموهم منه وأزاحوهم عنه واعترضت خيلهم خيل بني بحير في سهل خرفان فوق فيهم السيف وكثُر فيهم القتل والسلب حتى وصلوا موضعاً يسمّى عرام . وأتى الخبر إلى الشريف الفاضل فطلع من فوره حتى أمسى في المنقل . ولما وقع أفلال عسكر ابن مظفر معه بأثافت منهزمين مكسورين أمر بالشّد والرحيل وولّوا منهزمين طريق عجيب لا يلوي أولُهم على آخرهم حتى استعادوا إلى صنعاء .

وكان من الغد ونهض الشريف إلى أثافت فأخرب الدار التي كانت لبني الصُّليحي بها ، ولم يعرض لأهل الناحية إلّا بخير . ثم نهض حتى حط بين ذي قين⁽²⁾ فأقام بها أياماً وأرسل لسنوه الأمير الأجلّ ذي الشرفين أن يصله في حاشيته

= ص 159 ، ح 5 نفس الصفحة ؛ الحجري : مجموع بلدان اليمن ، ج 2 ص 351 .

(1) المدحك من القرى الخربة ببلاد وادعة بالقرب من حوث . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 221 ، ح 6 نفس الصفحة .

(*) بياض في الأصل .

(2) ذي قين موضع من أوطان بني صريم . أبو فراس ، بن دعثم ، السيرة المنصورية ، ج 3 ص 646 .

وشييعته وأهل طاعته فنهض من شهارة واستخلف عليها الشريف الأجل ناصر الدولة وعزّها الحسن بن إبراهيم بن سليمان ومضى من فوره وأخذ عباس بن الخدين وكان عاملاً لبني الصليحي ونهب ما في دربه وأخر به وأمر به إلى شهارة . ثم مضى حتى اتصل بالشريف الفاضل ، لحقه الشريف بعسكره إلى بركة الجراف .

وتقدّم العسكران جميعاً حتى أمسياً بسرّ بكيل . وكان من الغد وأمر الشريف الفاضل بالشيعة فجمعوا له فأجرى معهم كلاماً ، كان مما قال : تعلمون يا معاشر شيعتنا وأهل محبتنا وطاعتنا أني قد دُرْتُ في أقباض الحجاز والشام وخالطت بني الحسن بن علي عليهم السلام فما رأيت أفضل من شريفكم هذا ولا أظهر ولا أروع ولا أعلم . وقد منّ الله عليكم به فائتموا بأمره وازدجروا بزجره ، وارفعوا حريمكم إليه وهاجروا من أهل المعاصي إلى ما لديه .

وفي هذا المخرج أخرج الشريف الفاضل الكولة من بلد خولان . وكان سبب خرابها أن ابن مظفر قد كان همّ بلزمها . وأخرج أيضاً درب الستين⁽¹⁾ . ثم نهضاً جميعاً عليهما السلام إلى درب الثابتى من بلد الأقهوم⁽²⁾ . فلما وصلا استقرّ الشريف الفاضل في الخيل في ناحية مُطَلَّة على بلد الأقهوم ، وهبط الأمير الأجل ذو الشرفين فقاتل مع أصحابه على الدرب حتى نالته جراح في وجهه ثم أعطاه الله النصر والظفر ففتح الدرب ونهبه وخرّقه وأخر به وأخذ ابن الثابتى وولديه أسارى بين يديه وذلك بسبب ما نسب إليهم من قتل الشريف عبد الله بن القاسم بن عبد الله فوصل بهم إلى الشريف الفاضل ورجع العسكر المنصور سالماً غانماً ، وصار الأمير ذو الشرفين إلى مستقرّ عزّه وأنهض صنوه سنان الدولة وركنها من فوره بالعسكر إلى بيته⁽³⁾ فغنمها وقتل ناساً من أهل الدعوة واستعاد مؤيداً منصوراً . قال : واستعاد

(1) الستين : قرية على بعد 3 كم جنوب خمر ، وتقع ما بين : 16° 59' 15" شمالاً ، 43° 57' 16" شرقاً . خريطة ج.ع.ي ، 1 / 50000 ، صفحة 1543B2 .

(2) الأقهوم وهي الأقهوم ، عزلة من ناحية جبل عيال يزيد قضاء عمران . انظر ، إسماعيل الأكوع ، أفعال ، ص 23 ؛ الشامي : تاريخ اليمن الفكري ، ج 3 ص 142 ؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، ج 2 ص 303 .

(3) وادي بيته : يقع على بعد 7 كم غربي حبور ظليمة ؛ خريطة ج.ع.ي ، 1 / 50000 ، صفحة 1643D3 .

الشريف الفاضل إلى ناحية شوابة وأعطى عسكره أرزاقهم . واستعاد إلى الجوف الأسفل .

قال : ولما راح بنو الصُّليحي من تهامة رتبوا مخرجاً إلى شوابة فطلعوا المشرق حتى حطوا بحياس من بلد ذيبان . وباتت ذيبان ترميهم في الليل ، ونهضوا فحطوا [م ق 36] بشوابة من ناحية ثريان⁽¹⁾ فتلقَّتهم / خيلُ الشريف الفاضل من بني بحير ونهد وبني الدعامي . وصار القتال في أعقابهم من ذيبان فغنمت منهم غنائم من السلاح والكراع والإبل والمتاع وأخذت عمارية أبي الحسين بن جناح ولحمهم القتال حتى أقبل الزواحي عامر بن سليمان من ناحية المولدة فنفس عليهم ومالت الخيل التي كانت تقاتلهم منهم وتموا حتى حطوا بموضع يقال له المديد⁽²⁾ من ناحية الشمط⁽³⁾ غير بعيد . وخيل الشريف الفاضل بهران⁽⁴⁾ تشارف إليهم وتغير عليهم وتلتقي الخيلان بموضع يقال له الميدان ما بين الغيل الأعلى وهران . قُتل هنالك رجل من بني الحراس يقال له الحسن بن همدان . وقُتل من الحجاز رجل قتلته منيع بن محمد بن ذعفان . قال : فلم يزالوا بني الصُّليحي يتعمَّلون ويعطون المال ويبذلون حتى استفسدوا بني الدعام فواجههم الجحاف بن منيع وأبو النار بن عليان . وراحوا على هذا الوجه وذيبان لازمة عليهم الطرق فجاءوا طريق العرض فوق ورور بعد أن لزم لهم الزواحي رؤوس الجبال وقد كانت شردمة منهم خرجوا طريق المولدة فقتل منهم رجالاً وأخذت منهم خيلٌ وبغال . وراح الكلُّ منهم إلى صنعاء خائبين مكسورين .

(1) ثريان : وطن بني علي ، قبيلة من زهير من أرحب . الأكوع : البلدان اليمانية ، ص 60 ؛ المقحفي : معجم البلدان والقبائل ، ص 467 .

(2) المديد : قرية من عزلة عيال منصور ، ناحية نهم ، على بعد 44 كم شمال شرق صنعاء . وتقع ما بين : 40° 38' 15" شمالاً ، 27° 28' 44" شرقاً . التقسيمات الإدارية لعام 1985 ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، ج 1 ص 220 ؛ خريطة ج.ع. ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1544A4 .

خريطة ج.ع. ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1544A4 .

(3) يبدو أن الشمط هو أحد الأسماء القديمة غير المتداولة الآن .

(4) هران : بلد وواد من عزلة هران ، ناحية ذيبان قضاء عمران ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 159 ح 6 ؛ الحجري : مجموع بلدان اليمن ، ج 4 ص 751 ؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، ج 2 ص 311 .

قال : ونهض الشريف الفاضل من الجوف الأسفل في خيلٍ من نِهمٍ ومَن بقي معه من بني الدعام حتّى صار بشوابة وأرسل إلى صنوه الأمير ذي الشرفين فخرج إليه من شيعته جماعةً وافرةً فيهم ناصر الدولة وعزّها الحسن بن إبراهيم في جماعةٍ من أهل بيته ونزل بهم الجوف الأسفل . فلما صار به انهزم أهل الفساد من بني الدعام إلى درب الحشرج . وصار الشريف الفاضل بالقرية وجرى الخطاب بينه وبين أهل الحشرج فلم يقبل منهم شيئاً دون أن يطأوا فراشه وينزلوا على حكمه ويطردوا من عندهم من بني الدعام . ففعلوا وأوقفهم عنده وأمر بدرب الحشرج فأخرب . وفي ذلك يقول مفرّح بن أحمد :

أبنا بأفضل أوبةٍ عن مخرج	أسر العُدّة وهذم درب الحشرج
وخضوع كلِّ مخالفٍ متمنّع	وثبات كل أخٍ صعارة أعوج
لمّادعاهم قاسمٌ فتمنّعوا	وطغّوا ومالوا عن طريق المنهج
نهض ابنُ جعفر قاسمٌ في فيلقٍ	جمّ الجياد كعارضٍ ذي زُبرج
فأنصاع جيش بني الدّعام وجمعهم	هرباً إلى نَعمان غير معرج
فأتى لهم من خلفهم بكتيبةٍ	نقضت عليهم كلّ رأيٍ مُدرج / [م ق 36 ب]
وأنت جيادُ الخيل من قُدّامهم	والشمس في جلبابها لم تخرج
وأنذر قرْنُ الشمس وهي قواربُ	يمعجن بالسّهلاب صعب المخرج

هذا ما حفظ من الشعر . قال : ولما كان يوم الخميس من عيد الأضحى جهّز الأمير الأجلُّ ذو الشرفين منسراً إلى ناحية الجراف وكان بها خدمٌ لبني الصُّليحي ولقيته خيلٌ من عند الشريف الفاضل إلى ناحية بهمان⁽¹⁾ فأغار يوم العيد بالجراف فقتل خدم بني الصُّليحي الذين وجدوا في الجراف ونهب ما كان في الدار . واعترض ناسٌ من بني صريم فقبض منهم على الشيخ المرداس بن محمد وحرب بن كهلان . واستعاد الأمير طريقه بلد الجواشة⁽²⁾ فلحقته الغوائر من بني صريم كلّها إلى

(1) بهمان : اسم لعدة مواقع وأودية ، والمقصود هنا قاع بهمان إلى الجنوب من حوث . انظر ، الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص 221 ، ح 6 نفس الصفحة .

(2) الجواشة بضم الجيم من الأماكن الدارسة ، ذكرها الهمداني متصلة بسراة عذر وهنوم ، أي في المنطقة الواقعة غربي خمر . انظر ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 127 ، ح 4 نفس الصفحة .

موضع يقال له ضلع عيان . فأرسل إليهم بهاء الدولة وحسامها القاسم بن إبراهيم بن سليمان يقول : يا عشيرتنا لا تعرضوا لنا فلم نعرض لكم وإنما قصدنا خدم بني الصليحي ، وعاودوا منا فقد خرجنا من حدود بلادكم ، وقد وضع عذرهم عند سلطانكم فلم يفعلوا ولم يرجعوا ولاحموهم القتال فعطف عليهم عليه السلام في جماعة خيل من أهل بيته فقتل من الصريميين رجالاً وولّوا منهزمين على أسوأ حال . وراح الأمير ذو الشرفين مؤيداً منصوراً بعد أن أخرج دار السلطنة بالجواشة وقبض عاملهم الشيخ الهريف بن عبد الله .

وقد ذكر بعض الرواة أن مخرج الشريف سنان الدولة وركنها إلى بينة كان بعقب هذا المخرج .

رجع الحديث إلى ذكر الخبر عن وقعة ذيبين .

قال : ثم إن الشريف الفاضل رتب مخرجاً إلى ناحية شوابة فنهض في خيل كثيرة وجماعة من فوره حتى صار بناحية الغيل الأعلى من شوابة فلقية العلم هنالك أن أحمد بن مظفر طلع ذروة⁽¹⁾ ونظر المضارب من ذلك المكان فأرسل عليه السلام من ذلك المقام إلى صنوه الأمير ذي الشرفين فخرج إليه جماعة من الشيعة ونهض حتى صار بورور والتأمت إليه عساكر كثيرة من ذيبان وسفيان وبني بحير ونهم وبني الدعام . وقد صار محمد بن عبد الله الحرازي بذروة وأحمد بن مظفر بيناعة⁽²⁾ من بلد الصيد ، فلما اجتمعت إلى الشريف الفاضل تلك العشائر وتكاثفت عليه العساكر حمّله أهل الرأي من مقدماتهم على النهوض إلى ذيبين والمكاسرة وهو لذلك كاره . فلم يزالوا به حتى نهض إلى ذيبين فأقام هنالك نهائراً واستقر على بركة مذود⁽³⁾ وله

(1) ذروة من الحصون المشهودة التي ذكرها الهمداني ، ويقع جبل ذروة على بعد 3 كم جنوب غرب ذيبين ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 238 ؛ خريطة ج.ع.ي ، 1 / 50000 ، صفحة 1544A1 .

(2) بيناعة : قرية من عزلة خميس حرمل ناحية ريدة على بعد 12 كم شمال شرق ريدة . وتقع ما بين : 25° 09' 44" شمالاً ، 50° 05' 44" شرقاً . التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، ج 2 ص 315 ؛ خريطة ج.ع.ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1544A1 .

(3) واضح من النص أن هذه البركة تقع ما بين بيناعة وذيبين اللتين احتشدت فيهما الجيوش . والمسافة بين =

عينٌ مختلفٌ بينه وبين ابن مظفر يأتيه بعلم ما عند ابن مظفر ، ويأتي ابن مظفر بعلم ما عنده ، صاحب وجهين / . قال : وكان ابن مظفر بيناعة في قِلَّةٍ ، فأرسل الصريخ [م ق 137] إلى صنعاء وأرسل عبد الله بن محمد رسلاً إلى الشريف محمد كالمخاطب في الإصلاح . وبات الشريف عليه السلام في محطته تلك على البركة وتفرَّق العسكر إلى أوزال الجبال . فلم يبق معه إلا نفرٌ قليلٌ من أهل بيته وشيعته في خيل ورجال خائفاً يترقب . قال : فرأيتُهُ وقد توضعاً للصلاة وهو يغسل رجله وكنت بالقرب منه فأومأ إليّ فدنوتُ إليه فقال : احرسني ما دمتُ في صلاتي وأنا أحرس في سائر أوقاتي ! فدعوتُ نفرًا من أوليائه حتى جلسنا بإزائه وبتنا في ليلتنا تلك في ضرةٍ عظيمةٍ من البرد والخوف والجوع . فلما أصبح أقبل العسكر من نواحي الجبال وقد دخل الفساد في بعض العسكر ، وهم ذبيان ضربوا لهم ديناراً صُفراً وبهرجوا عليه تَبْراً فأقاموا الناس يسبّون بها الديبانيين عصراً ويقولون دنانير ذيبانية إذا وجدوا تلك الدنانير الرديئة⁽¹⁾ . ثم إنَّ الشريف الفاضل عباً عسكره فجعل ذبيان في الميسرة وجعل سفيان على الميمنة ، وجعل الخيل قلباً . وتنگب من العسكر جانباً بإزائه بقرب شيعته قليل .

ثم أقبل عسكر بني الصليحي فلما توطأت خيلهم إلى بركة مذود طاردتهم من أهل بيت الشريف الفاضل أفراسٌ ومعهم من شيعته وخاصته قليلٌ من الناس . وأخذت لبني الصليحي راية تأم(*) ذبيان . فلما حَقَّقُوا عليهم ولّوا منهزمين ولم يلتفتوا إليهم ، وانقضت الخيل كأنَّ دويها الرعد القاصف . فقتل من الشرفاء خمسة رجال منهم الحسن بن جعفر بن القاسم وسليمان بن علي بن القاسم وعبد الله بن عباس ويحيى بن علي من أولاد الهادي والحسن بن قاسم الأثبي رحمةُ الله عليهم . وقتل من سائر العسكر ناسٌ ، وخلص الشريف الفاضل في أفراس . قال : وتمَّ الشريف الفاضل من فوره فأمسى في الجوف الأسفل خائفاً لما خلفه من الفساد والدغل .

= ذيبين ويناعة 8 كم . انظر : خريطة ج . ع . ي ، 1 / 50000 ، صفحة 1544A1 .

(*) كذا في الأصل ، ولم نهتد للقراءة الصحيحة .

(1) قارن بالقصة منقولة عن السيرة عند مسلم اللحجي في م 4/ص 211 - 213 ؛ وقد أوردناها ضمن نصوص مسلم في الملحق ، ص ؟ .

فلما صحَّ الخبر لبني الدعام المفسدين وأهل الحشرج المعتدين ، أظهروا ما كانوا يكتُمون من خلافه وأوقعوا في أهل طاعته وأحلافه . فأخذ هو ومن معه من أهل طاعته إلى أسفل الوادي بالقرب من معين . وقد كان مع بني الصُّليحي من بني الدعام همدان بن ربيع ، ونعمة بن يحيى ، وجحّاف بن منيع ، وأبو النار بن عليان حضروا الواقعة . ثم إنهم جرّوا بني الصُّليحي إلى بلادهم فلم يجدوا بُدّاً من إسعاف مسألتهم وإسعادهم . فساروا طريق ورور ثم أخذوا على حاوسن(*) ثم نزلوا الباطنة فقصدوا قرية بني الدعام فأقاموا بها زهاء ستة أيام ثم راحوا وبقيت بنو الدعام محيرين [م ق 37ب] بنعمان⁽¹⁾ ؛ ووعدتهم / بنو الصُّليحي أنهم يُمدُّونهم بالمال فكان كذلك .

قال : ثم عاد الشريف الفاضل حتّى ضرب مضربه إزاء قرية بني الدعام واجتمعت إليه البوادي والأصرام وصارت القرية خاليةً تقلع العشائر أبوابها وينقضون أخشابها فأقامت بهذه الصورة عشرة أشهر .

قال : ولما صار أحمد بن مظفر بذروة وأمر بعمارتها وأقام بنفسه فيها وسخر فيها العشيرة وأنفق في عمارتها الأموال الكثيرة ، وعمل فيها مآثر كماثر المتقدمين واستدعى لها القطّاعين أساطين المرمر والخروب المحكوك ، وزخرف سقفها بالذهب والجص والآجور ، وعمّر فيها مناهل أحكمها غاية الإحكام ، وجعل فيها المحلّ والمقام حتّى جاء أمرُ الله وكان أمر الله قدراً مقدوراً .

ذكر الخبر عن غارة البرحبة وما كان من شأنها وأسبابها :

قال : لما وصل الشريف الفاضل أبو الفتح ابن الحسين الحسيني الديلمي⁽²⁾

(*) كذا في الأصل ؛ ولم نعرف المكان .

(1) نعمان : واد بناحية المطمة بالجوف وهو أحد فروع وادي مذاب ويقع على بعد 8 كم شمال غرب سوق دعام ؛ خريطة ج. ع. ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1644C2 .

(2) خبر ظهور أبي الفتح ناصر الديلمي في هذه الفترة وهمّ محض . فقد ظهر عام 439 هـ ، وقُتل عام 444 هـ ، ولا ندري سبب هذا الوهم فقد كان كاتب السيرة معاصراً لتلك الأحداث . وقد نقل صاحب اللآلي المضية م 2/ص 160 - 161 هذا الخبر عن مختصر السيرة دون أن يشير إلى وهم مفرّح ! .

من ناحية العراق صار إلى بلد ضاعن⁽¹⁾ ثم طلع إلى جبل البر من جبال الأهنوم وذلك وقت خروج المكرم إلى نجران ثم أخذ من فوره وأشرأب الناس إليه وسار كثير منهم بين يديه فخاض البلاد حتى صار إلى تنعمة⁽²⁾ من بلد خولان في عسكر كثير وخلق كثير فخرج إليه من بقي بصنعاء من بني الصليحي إلى هنالك . فلما علم عسكره بمخرجهم تفرقوا منه وتمرقوا عنه فأخذ في الغائط حتى صار إلى الجوف الأسفل وبه الشريف الفاضل .

قال : ثم نهضنا إلى شوابة في خيل كثيرة فلما صاروا في قرية ورور وتكاثف العسكر وانفرد أبو الفتح ابن الحسين فلا أدري - الله أعلم - أخذ طريق المنقل أو أخذ في ناحية البون الأسفل . وقد ذكر بعض الرواة أنه أخذ طريق المنقل وهم بهدم المصنعة من أثافت فأرسل الشريف الفاضل صنوه سنان الدولة وركنها وأمر أن يقف فيها ويمانع عليها ولا يدع أحداً يصير بمكروه إليها . قال : ثم أخذ أبو الفتح في قائم الظاهر ونفذ بمن معه من العشائر وقد التأم إليه خلق كثير وصار في عسكر كثير . فتقدم من طريق الضلع⁽³⁾ إلى كوكبان⁽⁴⁾ حتى وقف على الباب وجرى بينه وبين أهل الحصن قتال وخطاب ، وأخذ عسكره خيلاً من شبام⁽⁵⁾ . فبينما هم على ذلك الحال

(1) الظاعن : قرية من عزلة حصن بني سعد ناحية حصن بني سعد المطمة قضاء الجوف ؛ التقسيمات الإدارية لعام 1985 ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة الجوف ، ص 22 .

(2) جبل تنعمة من الأماكن الحصينة في خولان العالية . انظر : الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص 239 ، 312 .

(3) الضلع : جبل متصل بكوكبان مشرف على شبام يقال له ضلع كوكبان . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 3 ص 553 ؛ المقحفي معجم البلدان والقبائل ، ص 407 .

(4) كوكبان : حصن مطلق على قرية شبام كوكبان ، ويرتفع عن سطح البحر بنحو 3000 متر ، ويقع ما بين : 00°30'15" شمالاً ، 04°54'43" شرقاً . الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص 212 ، 312 ؛ السياغي : معالم الآثار ، ص 74 ؛ خريطة ج. ع. ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1543B4 .

(5) شبام بكسر الشين ، اسم لعدد من البلاد منها شبام كوكبان ، وكانت تسمى شبام أقيان أو شبام حمير . وهي قرية على بعد 7 كم جنوب ثلا ، وتقع ما بين : 32°30'15" شمالاً ، 13°54'43" شرقاً . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 1 ص 87 - 88 ، ج 3 ص 441 ؛ خريطة ج. ع. ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1543B4 .

إذ أقبل أحمد بن مظفر مُغيراً من صنعاء بالخييل والرجال ، فلما عاينه عسكر أبي الفتح الناصر بن الحسين ووقعت العين على العين انحدروا قاصدين إلى السهل ، [م ق 38] ووقع فيهم من أهل الحصن / ومن مادّتهم السلب والقتل وصارت هزيمة لا يلوي أول على آخر وخلص الناصر بنفسه إلى شوابة بعد الأمر العظيم ، والشريف الفاضل بها مستقيم . فلما تحقق لابن مظفر كون الشريف الفاضل بوادي صناف ومصير الناصر إليه صار إلى ناحية الجراف . قال : ثم إنَّ الشريف الفاضل نظر في الأمر وأعمل الفكر فيما يردّ ابن مظفر من معسكره ويكون تغطيةً لهذه الهزيمة وتوطئةً للناس بعد الكسرة العظيمة . فعمل على الغارة برحبة صنعاء ، وأراد أن ينهض هو والناصر معاً وهو في ذلك كاتمٌ لسره لم يُطْلِع أحداً على أمره . وعمل على أن الناصر يمضي على مشرق خولان ويفتح عليهم الفتنة من ذلك المكان فشاورة الشريف الفاضل على ذلك فلم يُسْعِدْهُ ، فسرى من ليلته عليه السّلام حتّى أصبح في مشرق همدان . وقد كان أرسل الصريخ من ليلته إلى ذيبان فالتقوا به إلى موضعٍ يقال له ماجل بيت الأمير من ناحية مدر⁽¹⁾ مما يلي بلد بوسان⁽²⁾ فما كان نصف النهار إلّا وقد شنّ عليهم بالرحبة المغار ، وبلغت خيله إلى العشّتين⁽³⁾ وصارت صنعاء منهم رأي العين . وبلغت الهزيمة إلى صنعاء على الضباب وأرتجّ ذلك الجنب وغلّقت من صنعاء الأبواب . قال : واستعاد الشريف الفاضل عليه السّلام وقد غنم العسكر غنائم كثيرةً من خيل وأغنام ، وراح مؤيداً منصوراً .

قال : فلما سمع ابن مظفر بما كان من نهوضه إلى تلك الناحية عظمت عليه البلية فانقلب على أثره وصار لا يلوي أول العسكر على آخره . فلما صار بناحية

(1) مدر : قرية من عزلة الخميس ناحية أرحب ، على بعد 11 كم شرقي ناعط ، وتقع ما بين : 13° 46' 15° شمالاً ، 53° 13' 44° شرقاً . الأكوع ، اليمن الخضراء ، ص 55 ؛ السياغي ، معالم الآثار ، ص 58 ؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، ج 2 ص 185 ؛ خريطة ج. ع. ي ، 1 / 50000 ، صفحة 1544A1 .

(2) بوسان : قرية من عزلة شاكر ناحية أرحب ، تقع على بعد 13 كم جنوب شرق مدر . التوزيع السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ج 1 ص 102 ؛ خريطة ج. ع. ي ، 1 / 50000 ، صفحة 1544A4 .

(3) العشّتين : قرية من بني الحارث ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 3 ص 605 .

الخشب⁽¹⁾ صَحَّ له أَنَّ الشريف الفاضل قد انقلب فجانبَ حتَّى طلع ناعطاً⁽²⁾ فلبث هنالك أياماً يسيرةً ثمَّ راح إلى صنعاء .

فلَمَّا راح الأمير المتسمِّي بالمكرَّم من تهامة أعملوا في الشريف الفاضل عليه السَّلام الغوائل ، ونصبوا له الحبائل ، فصرفوا تدبيرهم إليه وبعثوا على الفساد عليه ، وعزموا على حصار شهارة فبذلوا الأموال إلى ناحية الجوف الأسفل .

رجع الحديث إلى حصار شهارة⁽³⁾ :

قال : وخرج الأمير المتسمِّي بالمكرَّم في جميع سلاطينه وقواد عساكره من جميع أهل اليمن حتَّى صار بناحية ذرى ، فأقام به يوماً وانتشر عسكره يستتبعون ناساً من الأهنوم يريدون إلى شهارة حتَّى وصلوا إلى النجد⁽⁴⁾ ونزل أنفصاراً من الشيعة الحسينية قتلوا من مال إليهم فتلاحم القتالُ إلى وقت الزوال ثم ولّوا مدبرين ، وانكسروا صاغرين وقد قُتل منهم رجال . وعادوا إلى معسكرهم على أسوأ حال . [م ق 38 ب] فنزل أميرهم من الغد في جميع عساكره بمضاربه وثقله حتَّى حطوا بالنجد مجتمعين ، وأمسوا هنالك .

فلما كان من الغد لبس أميرُهُم وسلاطينهم ومقدماتهم الدروع والسلاح ، واستعدّوا للحملة والكفاح ، وصاروا كردوساً دون محطّتهم ومضاربهم . ثم خرجوا من بعد ذلك السلاطين سبأ بن أحمد ، ومحمد بن إبراهيم ، وأبو الحسين بن جناح إلى الرحبة تحت شهارة ، وفرّقوا العساكر حولها . فكان مركز بالنجد ، ومركز

(1) الخشب : وطن من أرحب في ظاهر همدان شرقي ريذة ، ومن قراه يناعة وقارن : الهمداني ، الإكليل ، ج 8 ح 49 ص 166 ؛ صفة جزيرة العرب ، ص 195 .

(2) ناعط : قرية أثرية من عزلة خميسر، القديمي ناحية ريذة ، على بعد 10 كم جنوب شرق ريذة وتقع ما بين : 49° 46' 15" شمالاً ، 49° 07' 44" شرقاً . التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ج 2 ص 314 ؛ خريطة ج. ع. ي ، 1 / 50000 ، صفحة 1544A1 .

(3) النص بكامله عن مختصر السيرة في اللآلي المضية م 2 / ص 161 - 162 .

(4) النجد : قرية على بعد 2 كم غربي شهارة . خريطة ج. ع. ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1643D4 .

بقسطل ومركز بالمحانة ومركز بالجميمة⁽¹⁾ ومركز بأوي(*) ومركز بأقر ومركز بدرب عفان(**) ومركز بوادي صور⁽²⁾ ومركز برأس ذرى ومركز بقرن جمع⁽³⁾ فذلك أحد عشر مركزاً⁽⁴⁾ ولزموا رؤوس الجبال وبطون الأودية وأحاطوا بشهارة من كل ناحية . فلما رأى الأمير الأجل ذو الشرفين ذلك أقبل على ترتيب حصنه من جميع نواحيه وإحكام مراتبه ومراشيه فجعل بني مالك مما يلي النجد ، وجعل بني صريم على الباب الأعظم وهو باب الصريميين ، وجعل في السرو⁽⁵⁾ جميع اليمانيين > وجعل على الغيل شيعته العبيديين وجعل <(*) في محارس الغربي جماعة الجواشيين ، وجعل الشريف الأجل بهاء الدولة وحسامها القاسم بن إبراهيم بن سليمان في الديوان على الغيل الغربي ، وجعل في شهارة الفائش الشريف الأجل ناصر الدولة وعزها الحسن بن إبراهيم بن سليمان فأحكم ترتيبها من جميع جوانبها ونواحيها ، ووثق مراتبها ومراشيها .

ثم إن الأمير ذا الشرفين وقع من شيعته وأصحابه وأهل الثقة من خاصته ومحابه مائة رجل وقدم عليهم عشرة عرفاء وجعلهم معه في حضرته ، واستقر في موضع في وسط الحصن أقام به مدة الحصار فسُمي المحطة لذلك ، وحرّم على نفسه وجميع

(*) في اللآلي المضية : أولك ! .

(**) في اللآلي : بذي عفان .

(1) الجميمة : موضع في شمال غرب شهارة على بعد 4 كم . والجميمة موضع آخر على بعد كيلومتر واحد جنوب شرق شهارة . خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1643D3 .

(2) وادي صور : على بعد 4 كم شمال شرق شهارة . خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1543D3 .

(3) هذه المراكز التي ذكرها المؤلف تقع إما تحت شهارة مباشرة أو في جوارها . وهكذا فإن قسطل والمحانة وأوى ودرب عفان من المواقع الصغيرة الموجودة حول شهارة ولم نجد أية بيانات عنها . أما قرن جمع فقد ذكر الحجري أن في رأس جبل الأهنوم قنة عالية تسمى قرن جمع . الحجري : مجموع بلدان اليمن ، ج 1 ص 97 .

(4) نقل مسلم الحجري م 4/ص 210 وما بعدها هذا النص عن حصار شهارة عن السيرة مع بعض اختلاف فربما رجع ذلك لأنه نقل عن السيرة لا عن مختصرها . والنص في الملحق الأول ضمن نصوص مسلم عن الشيعة الحسينية .

(5) السرو : أحد أبواب شهارة . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 1 ص 95 .

(*) ما بين الحاصرتين عن الهامش الأيسر من الصفحة

أصحابه دخول المنازل أو أن يقوم منهم أحدٌ بغير فسح . وجعل كلَّ عريفٍ يقوم بأصحابه العشرة فيغشون الجبل ويدورون فيه حتى يأتون على جميع نواحيه يحمدون الله ويكبرونه ويهللون برفيع أصواتهم ويذكرونه حتى يعودون إلى حضرة أميرهم . ثم يقوم عريفٌ ثاني بأصحابه فيفعلون كذلك حتى يتم العشرة العرفاء عسايتهم ويكملون حراستهم وفي ذلك قد طلع الصباح وتبين الفجرُ ولاح ، وقد رتب مع جميع المراشي والأبواب أنه إن حدثَ حدثٌ في ناحيةٍ أو جناب أن أحداً لا يزول من مكانه ولا يهَمُّ بمادّةٍ إلى إخوانه وقال : نحن نمدّ الصوت أينما كان فلا يزولنَّ أحدٌ منكم من مكانٍ إلى مكان .

فلما صار الكلُّ من العسكرين على ما وصفتُ من الحال جعلوا يغدون ويروحون على القتال فإذا أحبَّ أهل شهارة ونشطوا للقتال نزلوا وإن كرهوا القتال / [م ق 139] سكنوا . فلم يزالوا على ذلك الحال حتى تواقفوا على ما ذكر - والله أعلم - سبعين موقفاً في كلِّ ذلك الطول لأهل شهارة ويقع في الفريقين من القتل ما لم يُحصَ له عدد ، ومن عسكر المُكرَّم أكثر . فلما طال عليهم الأمد رتبوا دُولاً يجون وآخرين ينحون ودُولوا العشائر على أدوال السلاطين والحجاز والمقدمات من أهل اليمن وحراز . وكان الدول شهراً شهراً فقاتلوهم ذلك اليوم فمن قتلٍ وجريحٍ وكسيرٍ فيروحون إلى أهاليهم على أسوأ حال .

قال : وخرج من شهارة نفرٌ حتى كمنوا ببطن الوادي بين الرحبة والمحانة فمضى عليهم أربعة رجالٍ من مركز الرحبة فقتلوهم وسلبوهم . ثم كان بعد أيامٍ وخرج مُنسرٌ من شهارة إلى مركز قسطل فاقسموا عاديتين وجاءوا للمركز من ناحيتين فقتلوا أهل المركز وسلبوهم ونهبوا ما كان في محطّتهم وعادوا سالمين غانمين .

قال : وكان إلى ناحية شهارة الفائش⁽¹⁾ ذروة منيعة مما يلي باب الجبل > فجعل (*) بنو الصُّليحي يدبّرون فيها الحيل . فلما علم الأمير ذو الشرفين

(*) عن الهامش الأيمن من الصفحة .

(1) شهارة الفيش : في شرقي شهارة وهي قلعة مساوية لها . الحجري : مجموع بلدان اليمن ، ج 1 ص 96 ؛ خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1643D3 .

عليه السّلام ذلك من أمورهم ، أمر الشريف الأجلّ ليث الدولة وعُضدها حميدان ابن القاسم بجماعةٍ من الشيعة فلزموها وأحكموها . قال : فلمّا يئسوا من العمل في طلوع الجبل أنشأوا إلى الأمير ذي الشرفين كتاباً وذكروا فيه فتوناً وعتاباً ومِنناً متقدّمة وأسباباً . فأعاد الأمير ذو الشرفين جواباً لهذا الكلام يقول : أمّا المِنَّةُ التي سلفت فتلك مِنَّةٌ لغيركم . قال : والمعاتبة فهي بين الأحاب ولا يُستكثر ذلك بين الأصحاب وإن كنتُ لا أرى الإغراق في ذلك بصواب لعلمي أنّ كُلَّ ما عنده ولديه ليس بخافٍ علينا ولا عليه كما قال بعضهم⁽¹⁾ :

ومهما تكن عند امرئٍ من خليقةٍ ولو خالها تخفى على الناس تعلم
قال بعض أهل الأدب :

لولا الكراهة للعتاب وإنني أخشى القطيعة ما قطعتُ عتاباً
وذكرتُ من عثراتكم وذنوبكم ما لو يمرّ على الحديد لذاباً
ذكر وصية الأمير ذي الشرفين عليه السّلام :

عندما أراد النزول لمناجزة بني الصّليحي بالرحبة وُجد في كتبه بعد وفاته عليه السّلام وأُثبتت في شهر رجب من شهور سنة خمسٍ وثمانين وأربعمائة بأمر الأمير الأجلّ عمدة الإسلام حرس الله سلطانه ؛ وهذه النسخة من خطّ اليد المباركة [م ق 39 ب] للأمير ذي الشرفين / عليه السّلام :

بسم الله الرحمن الرحيم : باسم الله وبالله . عُبيد الله محمّد بن جعفر كُتب هذا الكتاب يوم الربوع أول يوم من شهر رجب من شهور اثنتين وستين سنة وأربعمائة ، وهو يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا شبيه ولا مثل ولا نظير ولا عدل ، يُعرف بآثار صنعته ويُسْتَدَلُّ عليه بفعله وخلّقه ، ﴿ لا تُدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير ﴾⁽²⁾ لا يُدرك بالحواس ، ولا يخطر على القلوب ؛ وأنّه بخلاف المحدثات لا يشبهها في قليلٍ ولا كثيرٍ ولا صغيرٍ ولا كبيرٍ ،

(1) بيتٌ من معلّقة زهير بن أبي سُلمى التي مطلعها :

أمن أمّ أوفى دمنّة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلّم

(2) سورة الأنعام / 103 .

عالم لا يُجهل ، قادر لا يُعجز ، حي لا يموت ، قديم . لم يزل ولا يزال يعتقد هذا يقينا . وأنه العدل الذي لا يجور والصادق الذي لا يكذب في خبره ووعدده ووعيدده ، كَلَّفَ العباد يسيراً وأمرهم ونهاهم تخيراً بعد أن مكّنهم من الاستطاعة . ويشهد أن محمداً رسول الله إلى الخلق أجمعين وأمينه على وحيه وصفيّه(*) من خلقه . وأن كل ما جاء به حق من عند الله لا شك فيه ولا امتراء ، وأنه قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة على أكملها وترك في أمته صلّى الله عليه كتاب الله الذي نزل به جبريل عليه وعترته أهل بيته ؛ أولهم وأفضلهم وأكملهم أخوه ووصيّه وصهره وأبوسبطيه القائم مقامه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه . وبعده الحسن والحسين ابني الرسول وسليبي البتول وبعدهما من كان من ذريتهما كهما . وأن الحسين بن القاسم المهدي لدين الله الذي بشر به الرسول عن الله ، وأنه صادق في جميع ما ادّعى ، أدين الله بتصديقه ، وألقاه باعتقاده ، لا هوى ولا رياء . فلقني حجتى يوم ألقاك بحقك العظيم . اللهم اشهد عليّ بهذه الشهادة في وحدانيتك ووعدك ووعيدك ونبئك والحجج من آله على خَلْقك والمهديّ لدينك . على ذلك أحيا ، وعليه أموت ، وعليه ألقاك . أريد بذلك رضاك فلا تحرمني عفوك وعطفك عليّ ومغفرتك . اللهم اشهد أن مقالتي واعتقادي في شهادة الحق مقالة الحسين بن القاسم واعتقاده . فما قصرتُ عن ذكره أو نسيتُهُ فإني أشهد بمثل ما شهد به ، وأقول مثل مقالته ، وأعتقد اعتقاده ، وأدينك بمثل ما دانك به . فأثبت شهادتي مع شهادته ، ونجّني ببركته ، وأحشُرني في زمرته ، واجعلني من حزبه ، وأعني على العمل بسيرته . اللهم استجب لي ، واشهد عليّ بما أشهدتك / وأعني على نفسي م وعلى حملها على ما يرضيك ولوتعبت . اللهم واشهد عليّ بالتوبة إليك من كل ذنب وخطيئة ، ومن كل شيء سخطته مني من قولٍ أو فعلٍ أو اعتقاد ، أتوب إليك اللهم من ذلك المذكور منه والمُنسي توبة نصوحاً فُتّب اللهم عليّ واغفر لي بحقك العظيم فإني أستغفرك وأتوب إليك .

أستغفر الله الذي لا إله إلا هو اللهم اشهد عليّ بالتوبة ، واقبلها مني إنك

(*) في الأصل : (وصفويه) .

التَّوَابُ الرَّحِيمُ . اللَّهُمَّ وَقَدْ وَقَعْتُ لِي أَشْيَاءُ أَخَافُ فِيهَا الْمَأْثَمَ ، وَاعْتِقَادِي جَوَازَهَا لَمَّا عَلِمْتُ ، وَأَنَا أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ مِمَّا لَيْسَ بِجَائِزٍ عِنْدَكَ ، وَأَشْهَدُكَ بِالتَّخَلُّصِ مِنْهَا إِنْ سَلِمْتَ وَبِأَنْ لِي أَنَّهَا خَطَأٌ . وَإِنْ مِتُّ فَلَا تُؤَاخِذْنِي بِهَا فَأَنْتَ تَعْلَمُ اعْتِقَادِي فِيهَا وَنِيَّتِي وَضَمِيرِي فَارْحَمْنِي وَتُبْ عَلَيَّ بِحَقِّكَ الْعَظِيمِ فَإِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ . أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِمَّا نَهَى عَنْهُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ مِمَّا لَمْ يَأْمُرْ بِهِ . اللَّهُمَّ وَإِنِّي أَعْقِدُ لِي فِي كِتَابِي هَذَا عَقُوداً عَلَى نَفْسِي أُرِيدُ بِهَا رِضَاكَ لَا غَيْرَ ذَلِكَ . فَأَعِنِّي وَلَا تَكِلْنِي إِلَى عِزْمِي وَلَا إِلَى تَدْبِيرِي وَنَظَرِي يَا إِلَهِي . اللَّهُمَّ وَإِنِّي لَا أَنْقُضُ هَذِهِ الْعُقُودَ أَبَداً حَتَّى لِقَاءِكَ إِلَّا أَنْ أَكُونَ نَاسِياً أَوْ مُضْطَرّاً ضَرُورَةً . اَعْلَمْ أَنَّ الدَّخُولَ فِيهَا أَقْرَبُ إِلَيْكَ مِنَ الْوُقُوفِ عَنْهَا ، وَكِتَابِي هَذَا تَذَكُّرَةٌ لِي اللَّهُمَّ اشْهَد .

فَأَوَّلُهَا يَا مَوْلَايَ أَنْ أَقَاطِعَ أَعْدَاءَكَ بَنِي الصُّلَيْحِيِّ خَاصَّةً وَأَعْوَانَهُمْ وَأَتَبَاعَهُمْ عَامَةً . وَلَا أُرِيدُ أَخْضَعَ لَهُمْ فِي مَكَاتِبَةٍ كَالَّذِي كُنْتُ أَفْعَلُ . فَإِنْ كَانَ كِتَابٌ إِلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مِنْ غَيْرِ ابْتِدَاءٍ فَلَا أَقُولُ مَوْلَايَ وَلَا أَدْعُو لَهُمْ إِلَّا بِمِثْلِ مَا أُخَاطَبُ بِهِ الظَّلَمَةَ . وَلَا أُرِيدُ أَوْقِعُ نَفْسِي فِي أَيْدِيهِمْ أَبَداً حَتَّى إِذَا نَصَرْتَنَا عَلَيْهِمْ وَإِنَّمَا مَضَيْتُ شَهِيداً بِأَيْدِيهِمْ . اللَّهُمَّ اشْهَدْ عَلَيَّ وَانْصُرْنِي فَإِنِّي مُحِبٌّ لِنَصْرِكَ عَلَيْهِمْ وَإِنْ اسْتَشْهَدْتُ بِأَيْدِيهِمْ فَأَعْطِنِي أَجْرَ الشَّهَدَاءِ بِحَقِّكَ الْعَظِيمِ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي مَا بَايْتُهُمْ إِلَّا طَالِباً لِرِضَاكَ ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَجْعَلُوا لِي وَلِمَنْ مَعِيَ مَخْرَجاً إِلَّا النُّزُولَ تَحْتَ أَحْكَامِهِمْ . وَإِنِّي خَشِيتُ فِي النُّزُولِ تَحْتَ أَحْكَامِهِمْ سَخَطَكَ . اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ . واجْعَلْ لِي عِنْدَكَ عَهْداً فَلَا بُدَّ مِنْ لِقَائِكَ . قَدْ أَيقَنْتُ بِذَاكَ فَارْحَمْنِي وَنَجِّنِي مِنْ سَخَطِكَ وَعَذَابِكَ وَاجْعَلْ لِي مَخْرَجاً مِنْ عِقَابِكَ فَإِنَّكَ عَالِمٌ لضعفي ومُسَكِّنِي وَمَا أَنَا عَلَيْهِ مِمَّا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي فَارْحَمْ ذُلَّ مَوْقِفِي بَيْنَ يَدَيْكَ وَضعف حُجَّتِي وَعَظْمُ فِرْعَوِي وَتَقَرُّحِي يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا رَبَّاهُ يَا رَبَّاهُ ، يَا سَيِّدَاهُ يَا سَيِّدَاهُ ، يَا خَالِقَاهُ . يَا اللَّهَ يَا غِيَاثَ الْمُسْتَغِيثِينَ ، يَا مَلْجَأَ الْلَاجِئِينَ ، اَرْحَمْ ضَعْفَ جِسْمِي مِنْ عَذَابِكَ وَأَمْنُنْ

[م ف 40 ب] عَلَيَّ بِثَوَابِكَ .

والثانية : يَا رَبِّ فَإِنْ خَلَّصْتَنَا مِنْ بَنِي الصُّلَيْحِيِّ وَفَرَّجْتَ عَلَيْنَا مِنْهُمْ وَأَنَا حَيٌّ فَاشْهَدْ عَلَيَّ بِإِثَارِ رِضَاكَ عَلَى رِضَا الْمَخْلُوقِينَ ، وَبِلِزُومِ شَهَارَةِ وَتَرْكِ مَفَارِقَتِهَا مُهَاجِراً

إليك ، متبعداً من جوار أعدائك ومقاربتهم حتى يأتيني أمرك الذي لا بُدَّ منه فأقبر فيها أو يظهر المهدى لدينك فيأمرني بما شاء ، وإني لا أغدى منها إلا أن يكون لقضاء حاجة ثم أعود إليها . أو في جهاد بني الصليحي والإعانة عليهم وعلى أعوانهم فإن سلمتُ عدتُ إليها وإلا فإليك يا أرحم الراحمين .

والثالثة : يا ربّ إني ما دمتُ أمراً ناهياً لا استنفعت مما أقتص من الناس في معونة أو غرامة أو عشور ، ومقاسمتهم في شيء من أملاكهم لا بدينار ولا بدرهم ولا بحبة ولا بأقل ولا بأكثر ولا بلباس ولا بمأكل . اللهم اشهد عليّ بذلك في خاصّة نفسي إلا من ضرورة أخاف منها التلف ولا آخذ شيئاً أستوهبه ولا أستلفه ولا أتحيّل به بحيلة . فأما كلّ برٍّ أبرُّ به ما دمتُ أمراً ناهياً فإني أشهد الله أني أقسمه نصفين فنصفٌ أستنفق منه وأكتسي وأقضي من الدين ما تسهّل وأنفق منه على امرأتَي اللتين هما معي بشهارة ، والنصف الثاني أواسي به بين أولادي وأمّي وإخوتي وإخواني الذين معي بشهارة لمن أرى منهم وقرابتي على قدرة الوقت . وهذا الشرط فيما يوهب لي بسبب أني صرتُ أمراً ناهياً أرجى وأخاف ، ولولا ضرورتي وضرورة الأشراف لم أستحلّه وصرفته إلى بيت مال المسلمين . وأيّما برٍّ أحقه يُرادُ به وجهُ الله لا غير ذلك فأنا فيه مُخَيَّر وليس عليّ فيه عقد ولا في نصيبي من برٍّ أولاد القاسم ولا في شيء يهبه لي الشريف . اللهم أشهد وأعِن .

والرابعة : إني أعدل بين امرأتَي اللتين معي بشهارة في الليالي والأيام والكسوة والنفقة والعطية إلا الأشياء(*) تخفى عن إحداهما أريد أخصُّ به إحداهما لما قال الهادي وأجاز . اللهم اشهد . فإذا كان يوم واحدة لم أدخل للأخرى بيتاً إلا لحاجة لا أجِدُ منها بداً ولا منها حيلة فأقضيها وأنصرف ، وتكون استقامتي في يوم الواحدة منهما إمّا عندها وإمّا في المسجد وإمّا خارجاً حتى أبصر ما يخلّصني إن حييت .

والخامسة : الذلُّ لأولياء الله وحُسنُ الأخلاق لهم والصبرُ على بغيهم وإلانةُ الجانب لهم ، وترك الغلظة والإحسان بقدر الطاقة إليهم ، إمّا بكلامٍ لِيِّنٍ سَمَحٍ ،

(*) في الأصل : للأشياء .

وإِذَا بِقَضَاءِ مَا تَسَهَّلَ مِنْ حَوَائِجِهِمْ .

والسادسة : الصلاة على أوقاتها عند الإمكان وأكثر الحين والله يا رب لا يمكن ذلك فأرحمني وأقبل مني .

[م ق 41] والسابعة : / الحرص والاجتهاد في الورع من دقيق ما يُخاف فيه المآثم وجليله والتحرُّز لذلك والتوقف عند الشبهات والصدق في الحديث غاية الصدق وإلا فالإمساك ، ولا نخف إلا الله لا نرجُ غيره . وكلُّ شيءٍ فإنه زائلٌ ذاهبٌ ، والله عَوْضٌ لكلِّ فائتٍ . وكفى هذه يا عظيم أصول عقدي الذي أعقد لك على نفسي وما كان من فروع ذلك أو نسيته وغاب عني فأشهد عليّ بالالتزام به وأعني ولا تكليني إلى حولي وقوتي فيضعف عزمي ويقلَّ صبري وتكلَّ نيتي بل يا كريم وفقني وسددني وكن لي ومعني واستنقذني وأيدني ونجني وأهديني وأرشدني يا الله . وتبَّ عليّ واغفر لي واجعلها عزمةً تورثني الجنة ، فقد عزمْتُ بنيةً صادقةً فأعني . اللهم قد كنتُ حايباً نفسي مدارياً لأعدائك منتظراً لقيام المهديِّ لدينك والجهاد بين يديه حتى أُلجأني أعداؤك إلى المباينة حتى أثرتُ وبنت اضطراراً لا اختياراً ، أنت العالمُ بذلك . اللهم . إني ليس عادتي أرجع عن مبايبتهم حتى ألقاك فإن تُسلِّمني إلى ظهور المهدي فقد جعلتُ نفسي وقفاً للجهاد بين يديه في سبيلك حتى يذهب قُدماً غير ناكص ، وإن تكن أيامي قاصرةً عن لحاقه فقد هي متباعدةٌ إليك وما ملكت بالجنة ، موقوفة في هذه الهجرة للجهاد دونها ودون مَنْ فيها من حريم وأطفال ومؤمنين حتى إذا مضت شهيدة وإما أتاها أمرك الذي لا بدَّ منه في هذه الهجرة ، وإما جرى صلحٌ بيد الشريف لهؤلاء على ترك بها فلا أُوقع نفسي في أيديهم ولا أقفُ لهم في ملك وأهاجر أينما قدرت منتظراً لأمر الله مُعدداً لنفسي لما قد وقفْتُها له . أويصالحهم الشريف على وقوفٍ فيها فإنني معهم بناءً صحيحاً مستويّاً فيه ظاهري وباطني لا اختر ولا أغدر حتى يكونوا هم المبتدئين بذلك . اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك ، وحملة عرشك ، وملاكيَّ اللذين وكلتهما بي أنني قد بعثت نفسي كلها ظاهرها وباطنها وشعرها وبشرها ولحمها ودمها جميعاً بجملتها وجميع حدودها بالجنة يا مولاي فأقبل مني ، ولا ترُدَّ يدي ، واغفر لي . اللهم اشهد أنني لا أستقيلك في هذه البيعة ولا أرجع عنها أبداً حتى ألقاك . اللهم فبلغني أقصى أُملي بحقِّك العظيم وهو مواجهة المهدي لدينك

والشهادة بين يديه . اللهم استجب دعوتي وأكملْ بذلك نيتي ؛ وإن كان غير ذلك فأسألك بي مسالك الشهداء وأحشُرني معهم غداً وأخلفني في مخلفي فلا أكُلهم إلا عليك ، ولا أصرف أمري وأمورهم إلا إليك . وإن كان غير هذا مما أنت به عالم فأنا على بيعتي مُعدٌّ لنفسي ، مُوقِفٌ لها حتى تُبلِّغني مُرادِي . وتوفاني / على أيقن يقيني [م ق 41 ب] وصحّة من ديني مباحناً مهاجراً شريداً منتظراً متشحطاً . اللهم اشهد وأعِنْ عُبيداً من عبيدك انقطع إليك ، وتوكل في كل أموره عليك ، يا سيده يا ربّه يا ربّه ، يا الله يا رحيم يا ودود يا فعالاً لما يريد . اللهم إني قد نويتُ أني أقومُ في إصلاح نفسي والاستعداد لسفري والتأهب للوقوف بين يديك يا سيدي نيةً صادقةً ونيةً متحققةً . فإن أعنتني يا مولاي قويتُ ، وإن تركتني يا عظيم ونيتُ . فلا تتركني ولا تخذلني ولا تكلني إلى نفسي يا إلهي يا حبيبي ومولاي وسيدي ، بل بحقك العظيم وفقني وسدّدني وأعني ، وكُنْ لي ، ووفقْ كلَّ مؤمنٍ لمثل نيتي ، وأعني بهم على أموري ، وارحمهم وارحمني وفرِّجْ على الجميع منّا . يا ذخري ومعتمدي يا الله يا الله يا ربّه يا ربّه يا سيدي أنت العليم بظاهري وباطني ومعنى عقودي فلا تؤاخذني ، واجعل ذلك سبب نجاتي . وصلى الله على سيدنا محمدٍ وأهله وسلّم تسليمًا .

وكم له من الأدعية صلواتُ الله عليه والوسائل إلى الله والتضرع إليه . وقد استجاب الله ما دعا ونصره على الزنادقة والأعداء . فرحمةُ الله عليه ورضوانه وبركاته وغفرانه . وقد اختصرتُ كثيراً من كلامه عليه السلام .

قال مفرّح : روى لي السلطان يحيى بن محمد بن يحيى المالكي قال : بينا نحن جلوسٌ ذات ليلة عند الأمير ذي الشرفين بالمحطة في شدة الحصار تراجعنا الحديث والأخبار فقال رجلٌ من الجماعة وأقسم ما الأشياء إلا لعبة هؤلاء القوم ، قد رتبوا دولاً يجون وآخرون ينحون ، وقد أثبتوا علينا المراكز من كلِّ جانب ، وخذلنا كلَّ صديقٍ وصاحب . والشريفُ الفاضلُ قد رتبوا له مَنْ شغل عنا وجهه بالفتنة من نهم وبني الدعام ، وقد قلَّ علينا الماء والطعام وجعل يتنفسُ صُعداً فأوقع في نفوس الجماعة انكساراً ، وكان الأمير ذو الشرفين عليه السلام متكئاً فاستوى جالساً وقال : صدقت يا فلان الأمرُ على ما ذكرتُ ! ولكن أخبرني هل رتبوا من دون السماء حجاباً وأغلقوا بيننا وبين الله سبحانه باباً ؟ قال : فاستبشر الجماعة في كلامه وسلا عنهم ما

كان وقع في قلوبهم من الاغتمام . رحمةُ الله عليه ورضوانه وبركاته وإحسانه . ما كان أعظم بالله > يقينه < (*) وأوثق اعتقاده ودينه .

قال مفرّح بن أحمد : عبّر عليّ رجلٌ من الجوف مناماً والحصارُ قائمٌ على شهارة قال : رأيتُ في المنام الشريف الفاضل عليه السّلام قائماً يطحنُ بُراً على رحا . ورأيتُ السلطان أحمد بن مظفرٍ يضحك عن دردرٍ أحمر ليس عاد فيه [م ق 42] واضحة . فعبرت له المنام في الحين وأيقنتُ / بالنصر من الله أشدّ اليقين فقلت : أمّا البرُّ فأشراف الناس وهو معبرٌ بهم في القياس . والشريف الفاضل قد شدّ إزاره وقام لحربهم وهو يطحنهم كما رأيت والرحا شهارة والقطب بها الأمير ذو الشرفين فما كان إلّا كذلك تعبير هذا المنام .

قال : ولما استقامت أمور شهادة واشتدّ أهلها لم ير الأمير المتسمّي بالمكرم وال슬اطين والحجاز إلّا الإقامة بالحصار والمطاولة لهم في الليل والنهار وترتيب الدول على الأدوار، فنهض الأمير المتسمّي بالمكرم راثحاً إلى صنعاء والسلطين سبأ بن أحمد وأبو الحسين بن جناح وبعض الحجاز ، ووقف السلطان أحمد بن مظفر في النجد والسلطين محمد بن إبراهيم ، وحاشد بن كديس وحوله ابن محمد في مركز الرحبة ودلوا العشائر إلى جميع المراكز فأقام الدول على هذا الحال خمسة أشهر . فلمّا رأى الأمير ذو الشرفين عليه السّلام ذلك كاتب من يرجو عنده مادّة أو نُصرة فلم يُجِبْهُ أحدٌ إلى ذلك . فلمّا آيس من القريب والبعيد استعان بالله العزيز الحميد . وقلّ على أهل شهارة الماء والطعام حتّى كانت كيلة الرجل من المسلمين خمسة أثماناً (***) في شهره ، وكان الماء يُقسّم على العرائف بالتوقيع فكان للنفس ماءً لطيف في يومين . قال : وأقاموا على الشريف الفاضل الفتنة بمن استفسدوا عليه من بني الدّعام وغيرهم من العشائر والعوام حتّى شغلوا وجهه عن النصرة لِصِنُوهِ الأمير ذي الشرفين .

(*) ليس في الأصل .

(**) كذا في الأصل .

وكان الأمير جِيَّاش بن نجاح^(١) قد رَتَّبَ إليه في كلِّ شهرٍ ألف دينار يستعين بها على هذه الفتنة والحصار فحصل عند الشريف منها مالٌ فمكث يُدير الحيلة في وصوله إلى صنوه بكلِّ حال ، فعمل في ذلك برصين رأيه وتوفيق الله له ولأوليائه . واجه مشائخ البحريين وأمرهم أن ينهضوا إلى مركز بني الصُّليحي ويصلحوا بينهم وبين الأمير ذي الشرفين وأصحابهم كتاباً وَحَمَلَهُمْ فَصَلاً من الكلام فسارعوا إلى ذلك ونهضوا من فورهم وأرسل معهم القائد مقبل السحرتي فتى سلمة بن قتال من حيث لم يعلموا أنه أرسله ولا أمره إلا أن القائد قال : أنا أسيرُ معكم لتخاطبوا لي في مولاي لعلِّي أنزله من شهارة ! وكان مولاه صبياً صغيراً بشهارة . ودسَّ الشريف الفاضل معه المال وجعله في مدرعةٍ مرقعةٍ وقسَّمه فيها وصرف عليه المدرعة . فلما وصل مشائخ البحريين إلى مركز أحمد بن مظفر تحدَّثوا معه فيما وصلوا له من الصلاح والسداد ورجا ابن مظفر أن يكون على أيديهم حال يقع له بحسب المراد لمكان وصولهم من ناحية الشريف الفاضل / . واستأذنه القائد في إنزال مولاه . فلما أذن له طلع إلى [م ق 42 ب] الأمير ذي الشرفين بالمال فوفَّاه إيَّاه .

قال : ولما وصل المشائخ البحريون إلى الأمير ذي الشرفين وأجروا بينه وبين السلطان أحمد بن مظفر الخطاب وكان معهم من الشريف الفاضل كتابٌ يقول فيه ظاهراً من قوله : إن رأى مولانا الأمير أن يصلح هؤلاء السلاطين ويغفل الفتنة لهم إلى حين كالمرخص له في ظاهر القول والخطاب وقد أودع القائد مقبل من الباطن ما لا يحتمله الكتاب . فقال المشائخ البحريون : هذا كتاب مولانا الشريف فأعمل بما فيه . فقال : قد وقفتُ عليه وفهمتُ جميع معانيه فهل هو أعظمُ عندكم أو كتاب الله ؟ قالوا : بل كتاب الله أعظمُ وأكرمُ ! فقال : لو نزل عليَّ كتابُ الله من عند الله يخبرني أن أعمار بني الصُّليحي ألف سنة ما بَرَحْتُ هذا المكان حتى أموتَ فيه والله المُستعان . فلما بلغ إلى ابن مظفر كلامه آيس من انخداعه وقال : لستُ ببارحِ هذا المكان لأنَّ هذا الحصن من ملكه ملك اليمن آخر الزمان .

(١) الملك الفاضل العادل أبو الطامي جِيَّاش ، تولى الملك بعد مقتل أخيه سعيد الأحول . وظلت دولتهم قائمة إلى أن أزالها علي بن مهدي سنة 504 هـ ؛ عمارة ، ص 84 .

وروى بعض أهل الحديث أنّ مدافع بن الحسن الجنبي عندما رجع إليهم من الأمير ذي الشرفين ما رجع من الكلام أقسم أو قال : لقد طلع هذا العبد بشيء من المال ! ولم يخطيء ظنه قاتله الله .

قال ولما كان ذلك كذلك جمع الأمير ذو الشرفين أصحابه وجَدّد عليهم العهود والمواثيق والعقود وأمر لكلّ منهم أن يوصي بما له وما عليه وأن يقضي زوجته لعظيم هول ما بين يديه ! قال ؛ فتكلّم القاضي عيسى بن الحسين بن أحمد بن يعقوب الحمدي وقد رأى الجماعة فأعجبته قال : يا مولانا هنا جماعة لو صيّبتهم على شهابوي معاوية لأزالوهما وتمثّل بقول الأول (1) :

إذا غامرت في شرفٍ مَرومٍ فلا تقنع بمادون النجومِ
فطعمُ الموت في أمرٍ صغيرٍ كطعم الموت في أمرٍ جسيمِ

وقد كان رتب عليه السلام على مركز الرحبة خرساً وجعل على أطرافهم في كلّ ليلة عَسَساً لئلا يستنكر في الليل من يهوي إليهم فيكون ذلك عوناً للهزيمة عليهم . ثم جَهَّز الشريفين الأجلين ناصر الدولة وعزّها الحسن بن إبراهيم ، وليث الدولة وعصدها حميدان بن القاسم وانتقى معهما رجالاً من خيار أصحابه وأهل الثقة من شيعة ومحابه وأمرهم أن يأتوا القوم من خلفهم وجعل لكل شعاراً يتعارفون بذلك

[م ق 43] الشعار وجعل / الميعاد الصبح إذا أسفر وأنار وشعارهم : يا شهارنا أفرغ ! انتزعه من

قول الله سبحانه : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (2) . وَحَرَّمَ عَلَى الجميع من شيعة وكافة أهل بيته وَمَنْ معه من أهل طاعته أن لا يرفع أحدٌ منهم عقلاً ولا خِلالاً ولا يأخذ من الغنائم قليلاً ولا كثيراً حتّى يفرغ من قتل القوم ويرفع الغنائم في آخر اليوم إلّا أن يكون رجلاً ينكسر سيفه فيأخذ سيفاً غيره . فذكر كثيرٌ من الرواة - والله أعلم - أنه كُسر في تلك الغداة ثمانون سيفاً .

وروى لي محمد بن علي بن شهران عدّة الجماعة الذين نزلوا مع الأمير ذي الشرفين من الشيعة تلك الليلة ثلاثمائة رجل غير من كان من جملة الشريفين السّيديين الذين

(1) البيتان للمتنبي .

(2) سورة البقرة / 250 .

كانوا من خلف القوم . ونهض بنفسه عليه السلام في عِدَّةٍ من شيعته وكتيبة بيضاء من جماعته حتى إذا كان بإزاء القوم قبل طلوع الفجر ينتظر ميعاد الشريفين وأصحابهما . فلما كَبُرَ المكَبُّ من ناحيتهما نزل بمن معه وكان ميعادهم إلى الدار وتهاتفوا بما يعرفونه من الشعار . وقد كان أمر الذين أتوا من خلفهم أن يهتفوا يا أرحباه يا ذبياناه ! والتقى الفريقان عليهم ووقع القتل فيهم من طلوع الفجر إلى غروب الشمس . وقد كان ترك الأمير ذو الشرفين ترك أنفاراً من أصحابه وجعلهم في جهة ابن مظفر وجنابه وقال : إن دهمكم أمرٌ أعلمتمونا فأمددناكم . فلما أتى من انفلت من الرحبة إلى معسكر ابن مظفر امتاض العسكر فهتف هاتفٌ إلى الأمير ذي الشرفين فطلع يريد المادَّة إليهم غير بعيد . ثم أتاه آتٍ فقال : ليس ثم إلا خيرٌ بل الأمرُ على ما تُحِبُّ وتريد ، وقد كان في غسق الصبح والظلام أوقفه أصحابه غير بعيدٍ منهم . فلما أته البشارة السارة بِظَفَرِ أوليائه وقتل أعدائه سجد لله سبحانه سجدتين ومدَّ(*) بالدعاء والرغبة إلى الله اليدين . فقتل من السلاطين حاشدُ بن كديس وجولة(**) بن محمد وصبيُّ ثالث من بني الصُّليحي يقال له : أبو الفتوح ، وأفلت محمد بن إبراهيم . وقتل من المقدمات والعرفاء بشرٌ كثيرٌ . أخبرني غيرُ واحدٍ أن القتلى كانوا ثمانمائة رجل ويزيدون .

وروى حسان بن سلامة عن يمين بن عبد الله العبيدي - وكان شيخاً من أهل الورع والديانة والعفة والأمانة - أنه قال : عُدَّ مَنْ وُجِدَ من القتلى فأحصاهم ثمانمائة رجل وخمسة وأربعين رجلاً . وأخبرنا رجلٌ من الأهنوم أن جماعةً منهم عدُّوا القتلى فوجدوهم زيادة / على تسعمائة قتيل . وجمعت الغنائم والأسلاب فكانت - مِنَّةً من [م ق 43 ب] الله تعالى - كبيرة وغنائم هنية كثيرة . وصفا الخيل والبغال والحلل والأموال التي لا تُحصَى ولا تُعدُّ مع ما حمل الناس من دقيقٍ وسويقٍ وطعامٍ وإدام . وطلع الأمير ذو الشرفين عليه السلام في عسكره مؤيداً منصوراً سالماً محبوراً ما قُتل من أصحابه إلا ثلاثة رجال . وقد ذكر أن أصحابهم غلطوا بهم . قال : ولما طلع الأمير ذو الشرفين أمر بالغنائم فجمعت فأحضر منها الدقيق والجليل والكثير والقليل . ولقد

(*) في الأصل : ومدنا .

(**) في اللآلي المضية م 2 / ص 163 : خولة !

أخبرني بعض الجماعة أن رجلاً جاء بإبرة فقال : هذه ؟ فقال : اطرحها هنالك فطرحها ! واصطفى الأمير عليه السلام إلى خزانة بيت المال أربعين صدرة مختارة والمشامل وقوائم الفضة . وتنفل لنفسه بغلة كانت لمحمد بن إبراهيم . وقسم الباقي على ما قسم الله من السُّهُمان فأخذ الخمس وقسم الباقي بين سائر الإخوان . واتسى في الغنيمة مَنْ حضر الوقعة والقتال ، وَمَنْ كان على المحارس من الرجال . قال : ومن كان معه شيءٌ من الإدام والطعام حسبه بقيمته وحُسب عليه من حصته في قسمته . فما استأثر أحدٌ بيسيرٍ ولا كثيرٍ . قال : وأمرهم الأمير ذو الشرفين بالأهبة للنزول على ابن مظفر من الغد ورتب السلاح والعُدَد . فلما كان من آخر الليل هرب ابنُ مظفرٍ إلى جبل سيران⁽¹⁾ وخلف ثقله ومضاربه حيث كان وأصبح فنزل لها أهل شهارة فانتهبوا ذلك ورفعوا إلى الأمير ذي الشرفين جميع ما هنالك . وصار ابن مظفر في سيران محصوراً مستذلاً مقهوراً . وأمر بالصريخ إلى صنعاء فنهض إليه المكرم والحجاز وَمَنْ معه من أهل الدعوة من حراز حتى صاروا بالقرب من أقر ونزل إليهم أحمد بن المظفر وراحوا جميعاً على أسوأ حال . وشاع ذكر القِتلة في جميع البلاد . وأطفأ الله بذكرها نيار أهل الفساد . قال : وقد كان الأمير ذو الشرفين عليه السلام رأى قبل الوقعة رؤيا في المنام فاستبشر بالنصر والظفر فسأله عليه السلام عن هذا المنام ؛ فقال : رأيتُ والدي جعفر بن القاسم عليه السلام ناوطني لوحاً فيه كتابٌ أخضر - يعني رطباً لم يجف - فقرأته فإذا فيه : يُحاطُ بالهراة مرتين ثم هويحميها ثم تأتي جنود سابور ! وفي هذه الوقعة وما كان فيها يقول الأمير ذو الشرفين عليه السلام :

يَقْبُلْنَ أَيْدِينَا وَحَدَّ الْقَوَاضِي	أَلَا قُلْ لِرَبَّاتِ الْخُدُورِ الْكَوَاعِبِ
بِمِنَّةِ رَبِّ الْعَرْشِ جَزَلَ الْمَوَاهِبِ /	وَيَنْعَمَنَّ مَا دَمْنَا وَدَامَتْ شَهَارَةُ
بَيْنَا لَهْنُ الْعَزِّ فَوْقَ الْكَوَاعِبِ	وَيَأْمَنَنَّ تَرْوِيْعُ الْأَعَادِي فَإِنَّا

[م ق 144]

(1) سيران الشرقي وسيران الغربي عزلتان من ناحية شهارة تقعان في الجنوب والجنوب الغربي من شهارة وتصل حدودهما إلى مدينة شهارة نفسها . والمنطقة بها مجموعة من السلاسل الجبلية غير أنه لا يوجد بها جبل يحمل اسم سيران ؛ انظر: التعداد السكاني التعاوني لمحافظة حجة ، ص 375 - 378 ، ص 381 - 382 ؛ خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1643D3 ، 1643D4 .

بنصر رأى الرحمنُ صَحَّةً أَصْلِهِ
فقد كُنَّ شَاهِدُنَ المَكْرَمِ إِذْ أَتَى
من أَقْطَارِ أَرْضِ اللَّهِ لَا شَكَّ كَلْهَا
فَبِالنَّجْدِ أَمْسَى مُرْسِيًّا وَأَبْتَنَى بِهِ
وَبَثَّ لَنَا الْأَجْنَادَ مِنْ كُلِّ مَوْضِعٍ
فَقُلْنَا لَهُمْ مَا الْجَمْعُ حَقًّا يَرَوْعُنَا
وَلَا الْحَصْرُ وَالتَّضْيِيقُ يَغْلِبُ صَبْرَنَا
وَلَا عَالِمٌ يَنْقَادُ طَوْعًا لِظَالِمٍ
أَلَسْنَا بِلَا فَخْرٍ لِيُوْثًا لَدَى الْوَعَى
صَبْرْنَا لَهُمْ فِي النَّجْدِ كَمْ مِنْ عَشِيَّةٍ
فَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ صَارَ فِي النَّجْدِ ثَاوِيًّا
وَلَمَّا رَأَى الْإِقْدَامَ وَالنَّصْرَ جَهْرَةً
ثَنَى نَفْسَهُ مِنْ عِنْدِنَا غَيْرَ طَامِعٍ
فَرَدَّهُمُ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِغِيظِهِمْ
وَكَانَ بِوَجْهِ الرَّأْيِ أَعْرَفَ كُلَّهُمْ
وَأَعْرَفَ مِنْ⁽¹⁾ سُنَّةٍ
وَلَمْ يَكْ ذَا عَقْلٍ وَرَأْيٍ وَفُطْنَةٍ
نَرَى الْمَوْتَ فَرَضًا وَاجِبًا دُونَ دِينِهِ
وَأَنْصَارَهُمْ مِنْ كُلِّ حَيٍّ خِيَارَهُمْ
أَقْرَابَ خَيْرِ النَّاسِ طَرًّا مُحَمَّدٌ
وَبَايَعَهُ بِالْجَهْلِ لَا شَكَّ حَاسِدٌ
فَحَلَّوْا وَقَصَدَ الْكُلَّ مِنْهُمْ هَالِكُنَا
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْأَمْرَ قَدْ جَدَّ جَدُّهُ

فَمَنْ بِنَصْرِ مَرْغَمٍ لِلْمُنَاصِبِ
يَقُودُ جِيُوشًا نَحُونَا كَالسَّحَابِ
مُشَارِقَهَا وَالشَّامِ ثُمَّ الْمَغَارِبِ
مَنَازِلَ قَدْ حَفَّتْ بِيَضٍ^(*) الْمَضَارِبِ
مُحِيطًا بِنَا لَا شَكَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
وَلَا نَفْخَ أَبْوَاقٍ وَضَرْبَ الْجَبَاجِبِ
وَلَا أَحَدٌ لَلْمَوْتِ مَنَّا بِهَائِبِ
عَظِيمٍ لَدَى الْأَوْبَاشِ سَامِي الْمَرَاتِبِ
وَأَكْرَمٍ مِنْ لَاقَاهُ عِنْدَ النَّوَائِبِ
عَلَى قُوَّةٍ مِنْهُمْ وَكَثْرِ الْكَتَائِبِ
وَكَمْ مِنْ جَرِيحٍ مُلْتَوٍ بِالْعَصَائِبِ
وَأَيُّقِنُ أَنَّ قَدْ غَرَّهُ كُلُّ كَاذِبٍ
لَمَّا كَانَ قَدْ هَيَّأَ لَهُ كُلُّ حَاسِبٍ
فَأَبَّ إِلَى صَنْعَاءِ أَوْبَةٍ خَائِبِ
وَأَبْصَرَهُمْ طَرًّا بِسُوءِ الْعَوَاقِبِ
وَلَمْ يَنْتَفِعْ⁽²⁾ بِطُولِ التَّجَارِبِ
فَيَعْلَمُ أَنَّ الْحَصْنَ فِي كَفِّ طَالِبِي
وَدُونَ حَرِيمِ الطَّاهِرِينَ الْأَطَايِبِ
يَدِينُونَ مَوْلَاهُمْ بِحَبِّ الْأَقَارِبِ
وَذَاكَ لَدَيْهِمْ وَاجِبٌ أَيْ وَاجِبٌ
وَحَوْلَةٌ وَالْفَرَارُ عَنْ كُلِّ صَاحِبٍ
وَمَا فِيهِمْ لِلَّهِ فِينَا بِرَاهِبٍ
رَمِيتُ بِقَصْدِي اللَّهُ مُنْشِي السَّحَابِ

(*) فِي الْأَصْلِ : نَصَب - فَوْق السَّطْرِ .

(1) بَعْدَهَا بِيَاضٍ مَقْدَارُ كَلِمَتَيْنِ .

(2) بَعْدَهَا بِيَاضٍ مَقْدَارُ كَلِمَةٍ .

[م ق 44ب] وناديتُ أشيعَ الحسين بن قاسمٍ
على أن يخوضوا الموت قصداً إليهم
وصيّرهم قسماً قسماً يقودهم
هما الحسن الوردُ الجريءُ وصنوهُ
فلما استوى الترتيبُ منا صبتهم
فلم يبدُ ضوءُ الشمس إلا وحاشدُ
لذي نظرٍ قد حلَّ بالقوم سخطه
تمازجت الأجسادُ بالترب والدماء
وأسياف أهل الدين بعد أبيضاها
تراهم بنصر الله ما بين قاتلٍ
وولى ابن إبراهيم جُبناً ولم يجدُ
فحامى عليه القوم ظناً بأنه
فأسلبهم وأنسلَّ والكُلُّ واكنُ
لعمرك يوماً في الحياة كحاشدٍ
فراراً وفي خرفان قد فر مرةً
فلو كان ذا رأيٍ هناك بزعمه
وعاين ما قد حلَّ بالقوم
فأصبح محصوراً على شرِّ حالةٍ
ولو كان لم يعجل صبحناه مثلها
وكان كما الماضين منهم فريسةً
كذلك لو أبطا المغيرُ إليهم

فبايعتُهم لله ببيعةٍ غاضبٍ /
ولعنة مولانا على كُُلِّ ناكبٍ
كميان من ابنا لؤي بن غالبٍ
حميدان حتفا كلَّ ضدِّ محاربٍ
على مركزٍ جمَّ كثيف المواقبِ
وخولةُ والأجناد إحدى العجائبِ
فأجسادهم كالصعد في أرض حاربٍ
فهم غير أجسادٍ وحمير الترائبِ
كما العندم الوردِيُّ حُمير الذبائبِ
وتابع مطرودٍ وملظٍ وناهبٍ
كأصحابه بالنفس عند النوائبِ
أخو نجداتٍ صابر غير هائبٍ
على أنه من بعده غير راغبٍ
وجولة لم يستحسننا في المذاهبِ
فأصبح مسلوباً بها غير سالبٍ
لما بعدها ولأه قود < الكتائب > (*)
(**)
(***)
(****)
(*****)
(*****)
(*****)

(*) بياض في الأصل - زيادة من المحققين .

(**) بياض في الأصل .

(***) بياض في الأصل .

(****) بياض في الأصل .

(*****) بياض في الأصل .

(*****) بياض في الأصل .

وله في ذلك أيضاً عليه السلام :

أَلَا قُلْ لِرَبِّاتِ الْخُدُورِ الْكُوَامِلِ
وَأَفْضَلِ أَشْيَاعٍ وَأَصْبَرَ عُصْبَةٍ
وَيَمْشِينَ فِي رَهْفِ الثِّيَابِ أَوْامِنًا
يَقُودُ جِيُوشًا لَيْسَ يُحْصَى عَدِيدُهَا
فَخُطَّ وَأَرْسَى فِي ذَرِيٍّ وَأَقْبَلَتْ
فَبَارَزَهُمْ مَنَّا رَجَالٌ قَلَائِلُ
فَلَمَّا رَأَى الْإِدْبَارَ مِنْهُمْ أَمِيرُهُمْ
فَأَثَبَتْ أَطْنَابُ الْمَضَارِبِ وَأَبْتَنَى
وَحَلَّ وَآلَى لَا يَزَالُ مُحَاصِرًا
وَأَوْقَدَ نَارَ الْحَرْبِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
فَأَلْقَى رَجَالًا لَا هَوَادَةَ عَنْدهُمْ
كَرَامٌ وَطَعْمُ الْمَوْتِ أَعَذَبُ عَنْدهُمْ
فِيَارُبَّ يَوْمٍ حَلَّ فِي النُّجْدِ خَطْبُهُ
بِبَدْرِ وَاحِدٍ وَالنُّضِيرِ وَخَيْبِرٍ
فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَا مَرَامَ يَرُومُهُ
تَرَحَّلَ مُرْدُودًا هُنَاكَ بَغِيظَهُ
وَحَلَفَ ابْنِي عَمِّهِ ثُمَّ جَدَّهُ
فَلَمَّا اسْتَبَانَ الْيَأْسَ مِنْهُمْ وَغَيْرَهُمْ
رَمَيْتُ بِقَصْدِي اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ
وَنَادَيْتُ أَشْيَاعَ الْحُسَيْنِ بْنِ قَاسِمٍ

(*)

(**)

(***)

..... / (****) [م ق 45]

عَسَاكِرُهُ تَهْوِي كَمَوْجٍ بِسَاحِلِ
فَمَرُّوا هَزِيمًا كَالنِّعَامِ الْجَوَافِلِ
أَتَى النُّجْدَ حَقًّا عَاجِلًا غَيْرَ آجِلِ
بِهِ مَنْزِلًا مِنْ فَوْقِ تِلْكَ الْمَنَازِلِ
مَدَى الدَّهْرِ مُرْسٍ نَحُونَا بِالْكَلاَكِلِ
وَعَالٍ فَأَبْلَى فِي جَمِيعِ الْغَوَائِلِ
يَذُبُّونَ عَنْ أَدْيَانِهِم بِالْمَنَاصِلِ
لَعَمْرُكَ مِنْ مَاءٍ مِنَ الْمُزْنِ سَائِلِ
صَبَرْنَا لَهُمْ صَبَرَ الْكَرَامِ الْأَوَائِلِ
بِنَاحِيٍّ حَقًّا ذَكَرْتُكَ الْمُحَافِلِ
وَأَيْنَ الثَّرِيَا مِنْ يَدِ الْمُتَنَاولِ
وَأَبَ إِلَى صَنْعَاءَ أَوْبَةً ثَاكِلِ
فَطَالَبْتُهُمْ صُلْحًا بِجَمِّ الرِّسَائِلِ
وَلَمْ يَبْقَ مَأْمُولٌ يُرْجَى لِأَمَلِ
فَلَمْ يَكُ ذُو الْأَلَاءِ مَوْلَايَ خَاذِلِي
فَبَايَعْتُهُمْ لِلَّهِ بَيْعَةً بَاذِلِ

(*) بياض في الأصل . وفي اللآلي المضية م 2/ ص 163 ما يدل على أن الشرفي صاحب اللآلي ينقل عن هذه النسخة من مختصر السيرة .

(**) بياض في الأصل وفي اللآلي .

(***) بياض في الأصل .

(****) بياض في الأصل .

على أن يزوروا القوم قصداً إليهم
وصيرت في قلب الكتيبة مُهَجَّتِي
وصيرت خلف القوم بعضاً يقودهم
هما الحسنُ المقدامُ حقاً وصنوهُ حميد
> < (*) العزم منهم محققاً
> < (**) مصباحاً
> < (***)
> < (****)
> < [م ق 45 ب] وأجدات بقتلهم
> <
> < فأصبحت
> < والعز والسنا
> <
> < تقصّدت
> < الحدّ باتك
فيا جولة الطغيان يا ابن محمد
ويا عُصبة السوء التي قد تعصبت
جهلتم ومن أرسى رُميضاً لحينكم
ألم تعلموا أنا استجرنا بمانع
وبعنا النفوس الغاليات تجلداً
وما الموت مهيبٌ لدينا لقاءه
قتلتم وبيت الله من ليس مثلهم
حسبتم بأن الثأر يذهب عندكم

(*) بياض في الأصل .

(**) بياض في الأصل .

(***) بياض في الأصل .

(****) بياض في الأصل .

ولعنة مولانا على كل ناكل
مريداً بذاك الله لا قول قائل
كريم من نسل الكرام الأفاضل
عدان رُكنانا لإحدى النوازل
وأيقنت أن القوم حتف المقاتل
لأكثر من ألفٍ وألفي مقاتل
حداد الطبا في هامهم والكواهل
وإلا قتيلاً بين تلك الجنادل
وأبنا بغنم القوم أوبة طائل
حوى كل خيرٍ وانتهى بالصواهل
بمنة ربّ الناس خير المعازل
مطهرة لا شك من كل باطل
ونحرن من لحم طري لا يكل
بأيديهم الأسياف عند التحامل
يقصد في هاماتهم والكواهل
ويا حاشد الأشرار يا شرّ واصل
لتحميها من كل أروغ باسل
عزائم أهل الدين يا كل جاهل
من الضيم لم يبرح لنا خير كافل
بجنة خلد ملكها غير زائل
ولا كل من يخشاه معنا بداخل
يضيع ولو طالت يدي كل نائل
وما الله عما قد فعلتم بغافل

قتلت بني الزهراء عمداً قطعتم
بذيين والمنوى قطعتم فما الذي
وبالفقع والمخلاف أيضاً قتلتم
أبحتم دماء الطاهرين تمرداً
ولا بُدَّ من يومٍ به قد تواترت
يُبيدُ بأيدينا الإله جميعكم
ونملك ما أثمرتم من مآثر

ولمفرح بن أحمد رحمة الله عليه :

ألا امتنعت في الجو عطاء هَنُومٍ
كما امتنعت عنقاء من الطير وكُرُها
سما رأسها دون السما وتطوّقت
إذا أوقدت نيرانها فوق رأسها
تبوّهت بل في غالب الظن أنها
رأى الله فيها العزّ للدين فأحتمت
وملّكتها آل النبي محمّدٍ
له عزّماتٌ هنّ أمضى من الظبي
دعا برجال المؤمنين وحشّهم
وأشلاهم نحو العدو وحضّهم
وقد كان قالوا قال حاسبهم لهم
سيأتونكم مستسلمين إليكم
فزافت رجال المسلمين إليهم
شعارهم يا ثار آل محمّدٍ
وصبّحهم والصبح بادٍ كأنه
فما كان إلا طلعة الشمس وأنجلت
وسارت بها الرُكبان في كلّ بلدةٍ

بذيين والمنوى جبال التواضل
نرجيه منكم بعد تلك الفعائل
أبا الفتح يهدي رأسه شرّ حاملٍ
فشلت من أيديكم يدي كلّ قاتلٍ
أقاويل صدق في صحيح التناقل
فيجت منكم كلّ خافٍ وناعلٍ
بملك عميم القهر لا شك شاملٍ

بمن حلّها دون الأمير المكرم
على رأس نعنوع من الصخر لملم
بأطلس مطرور القِطاط مُحَذَّلَمٍ / [م ق 46]
ولاحت على جناح من الليل مظلم
سماوية رمداء حفت بأنجم
قواعد هذا الدين عن كلّ مجرم
وزوجها منهم بالوى عشمشم
ورأي سديد صيب المتوسم
على خطّة فرض على كلّ مسلم
على جبل من كورة القوم أبهم
وغرّوا بقول الحاسب المتوهم
وسيان حاجي مسلم ومسلم
إزا باسل عبل الذراعين ضيغم
فأعزّز بهذا من شعار وأكرم
أخاطيط ورس في حدود المنعم
على جزر كوم ونهب مقسم
وفاه بها مستعلياً كلّ ذي فم

تَرْكَنَ سَيْوْفَ الْمُؤْمِنِينَ لِحُومَتِهِمْ
تَرْوُحُ وَتَغْدُو نَحْوَهُمْ وَمَرَّاحُهَا
عَدَّوْا بِالسَّيْوْفِ الْبَيْضِ بَيْضاً شَفَارُهَا
أَخَذْنَ بِثَأْرِ الْفَاطِمِيِّينَ ضَعْفَهُ
وَإِنْ كَانَ لَا يُوْفِي بِهِمْ مِنْ أَخْذَنَّهُ
وَكَمْ مِثْلُهَا اسْتَرْزَقَ اللَّهُ فِي الْعَدَا
سَتَشْفَعُهَا عَمَّا قَلِيلٍ بِمِثْلُهَا
وَتُشْلِي عَلَيْهِمْ كُلَّ أْبَيْضٍ صَارِمٍ
وَنَصْرٍ مَوْلَانَا ابْنَ جَعْفَرٍ قَاسِمًا
تَجَشَّمَهَا بِكَرٍّ عَوَانًا وَإِنَهَا
[م ف 46 ب] وَبَاشَرَهَا بِالنَّائِبَاتِ بِنَفْسِهِ
فَقُلْ لَعَيُونَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَا اِنْعَمِي
وَيَا دَوْلَةَ الْحَقِّ الْمُبِينِ أَلَا اَقْدِمِي

بِرَاداً لِبَطْلُسٍ أَوْ نِهَاباً لِقَشْعَمٍ
إِلَى مَعْقِلٍ دُونَ السِّمَّاكِينِ هَضِيمٍ
وَرَا حَوَا بِهَا حُمْرَ الشِّفَارِ مِنَ الدَّمِ
وَلَيْسَ الْقَضَا فِيمَا مَضَى بِمَحْرَمٍ
أَمْثَلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ابْنِ مُلْجَمٍ
شِفَاءً غَلِيلٍ أَوْ حِيَازاً لِمَغْنَمٍ
بِأَرْعَنَ جَرَّارٍ إِلَيْهِمْ عَرْمَرَمٍ
وَأَسْمَرَ عَسَّالٍ وَأَجْرَدَ شَيْظَمٍ
وَنَحْمِيهِ مِنْ كَيْدِ الْعَدُوِّ وَنَحْتَمِي
عَلَى غَيْرِهِ مَكْرُوهَةَ الْمُتَجَشَّمِ
وَأُسْرَتِهِ فَعَلَ الْكَرَامِ الْمَصْمَمِ /
وَقُلْ لَأَنْوَفِ الْكَاشِحِينَ أَلَا أَرْغَمِي
وَيَا دَوْلَةَ الْجَوْرِ اِنْقُضِي وَتَصَرَّمِي

قال : وَلَمَّا قُتِلَ الْقَوْمُ بِشَهَارَةَ وَانْفَضُّوا عَنْهَا يَثْسُوا مِنْهَا ، وَأَقْبَلَتِ الْعِشَائِرُ إِلَى
الْأَمِيرِ الْأَجَلِّ ذِي الشَّرَفِينَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَسَارَعُوا بِالنَّفَاعَةِ . كَافَأَ مِنْ اسْتِقَامٍ عَلَى
طَاعَتِهِ بِالْجَمِيلِ ، وَقَاسَمَ مِنْ حَنْثِ بَيْمِينِهِ بِالثَّلْثِ مِنْ مَالِهِ بِالْكَثِيرِ وَالْقَلِيلِ ، وَأَقْبَلَ إِلَى
إِصْلَاحِ شَهَارَةَ ، فَعَمَّرَ الْمَنَاهِلَ ، وَأَبْتَنِيَتِ الْمَنَازِلَ ، وَحَدَّثَتْ فِيهَا الْبَرَكَاتُ ، وَكَثُرَتْ
عَلَيْهَا الْأَمْطَارُ . لَقَدْ رَوَى لِي بَعْضُ مَنْ لَا يُتَّهَمُ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ هَنُومٍ - وَكَانَ
مِمَّنْ يَخْتَلِفُ إِلَى الْجَبَلِ وَهُوَ فَايْشُ مَرْسَلٌ - أَنَّهُ كَانَ لَهُ غَيْرَانِ فَمَا كَانَ الْغَيْلُ يَكَادُ
يُرْوِيهَا فِي بَعْضِ الْخَبَرِ فَأَنْشَأَ اللَّهُ فِيهِ الْبَرَكَهَ حَتَّى صَارَ يَرِدُهُ عَامَّةُ أَهْلِ الْجَبَلِ .

وَأَمَرَ الْأَمِيرُ ذُو الشَّرَفِينَ بَعْدَ أَنْ وَصَلَ بِهِ رَجُلٌ شَمَّامٌ فَذَكَرَ لَهُ أَنَّ فِي شَقِّ هَذَا
الْغَيْلِ مَاءً جَمًّا عَلَى قِيَاسِ ثَلَاثِينَ ذِرَاعًا ، فَأَمَرَ بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنْ حَفَرَهُ فَلَحَقَ فِيهِ الْمَاءُ
عَلَى مَا ذَكَرَهُ الشَّمَّامُ ، مَاءٌ غَزِيرٌ يَطْلُعُ حَتَّى يَسْقِي مِنْ رَأْسِ الْبَثْرِ وَيَصِيرُ جَارِيًّا عَلَى
وَجْهِ الْأَرْضِ إِذْ لَمْ يَوْرَدْ ، وَعَمَّرتِ الْمَنَاهِلُ فَصَارَتْ كَثِيرَةً الْعِدَدُ بَعْدَ إِذْ لَمْ يَكُنْ بِهَا إِلَّا
ثَلَاثَةُ مَنَاهِلَ . وَطَهَّرَتِ الْهَجْرَةَ فَلَا يُرَى فِيهَا مَوْذِيًّا وَلَا يَسْمَعُ إِلَّا مَهْلَلًا أَوْ قَارَنًا . وَابْتَنَى

فيها مسجداً للجماعة ، فإذا كان يوم الجمعة صَلَّى الأمير ذو الشرفين عليه السَّلام بالجماعة ، ثمَّ أقبل عليهم بوجهه يُحْضِهم على الطاعة وَيَعْظُهم ويذكرهم بالله واليوم الآخر ، ويقرأ القارئ بين يديه في كتب التوحيد ويتذاكرون في معرفة الله الواحد الحميد ولا يشتغلون بشيءٍ من الأشياء ولا يَقْضي أحدٌ في ذلك الوقت حاجةً من حوائج الدنيا . يتراجعون الكلام ، ويُنصتون إلى قوله عليه السَّلام في أظهر زِيٍّ وأحسن نَدْيٍّ مقبلين على التعليم غير مهملين لحجبة الحريم ، ولكل رجلٍ منهم في داره مسجدٌ يُصَلِّي فيه منفرداً فلا يسمع إلا قارئاً مجتهداً . ثم أمر عليه السَّلام بتنزيه الأسواق ، وشدَّدَ على عُمَّاله في جميع الآفاق فنفي منها المنكراتِ والشرورَ ، وقطع ما كان بها من شرب الخمر ، ونهى عن اختلاط النساء والرجال ، وكانوا في أسواقهم فيما تقدَّم على هذه الحال .

ذكر الخبر عن غزوة المُلاهي⁽¹⁾ :

قال⁽²⁾ : وفي هذه السنة غزا الشريف الفاضل إلى الملاهي وتُسمَّى حارود من حازة تهامة فنهب جميع ما فيه من بَزٍّ وحديدٍ ودروعٍ / وأثاثٍ وعبيدٍ ووقع مع العسكر [م ق 147] المنصور منه غنائمٌ كثيرة . وكان موضعاً مشهوراً بالفساد والشرور وارتكاب الفسوق وشرب الخمر . والذي كان هاج هذه الغزوة عَدُوُّ أبي الحفاظ ابن البكري على الشريف > الحسن بن علي ورفقته السفر من^(*) ناحية جَيَّاش بن نجاح . وانشى الشريف <^(**) الفاضل عليه السَّلام بِمَنْ معه سالماً غانماً .

قال⁽³⁾ : وفي هذه السنة كان مخرج بني الصُّليحي إلى أعمال شهارة بعد منقلبهم منها مقتولين وذلك أنه جمعهم محضراً بصنعاء فيه أميرهم وسلطينهم

(*) في الأصل : السعدان - والتصحيح عن اللآلي المضية .

(**) ما بين الحاصرتين عن الهامش الأيمن من الصفحة .

(1) المُلاهي من مناهل لسان من مخلاف حراز وهوزن ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 209 - 210 .

(2) قارن بالآلي المضية م 2/ص 164 ، وأنباء الزمن م 2/ص 160 .

(3) قارن بالآلي المضية م 2/ص 164 . وانظر النص مختصراً في أنباء الزمن م 2/ص 160 .

ومقدمات الحجاز وأهل الدعوة من حراز فتحدثوا في أمور شهارة . ولم يكن عامر بن سليمان الزواحي حضر معهم في حصار شهارة فكأنه زرى عليهم وقال : ما أحدثتم شيئاً ! أخبروني أليس يصطف على باب هذا الحصن ذبابتان ؟ قالوا : بلى وسوف تراها رأي العين فسدد رأيهم على النهوض إليها لغيار زروعها فنهضوا حتى حطوا بمراحم من بلد ظليمة . ووقع الغيار في الزرع ، ونظر الزواحي إلى الحصن فبهره وعرفه بعدما أنكره وسارت لهم خدَمٌ وجمالٌ يحملون لهم العلف من الوادي فقطع على ناسٍ منهم ، فعقرت الجمال ، وقُتلت الرجال ، وجرى بينهم قتال وأنقلبوا راثحين والقتال في أعقابهم فراحوا على أسوأ حال . وفي ذلك يقول مفرح بن أحمد :

وساكنه الميامن والمُشيمُ
عدوهم إلينا والحميمُ
وسيرتنا إذا زال الظلومُ
وقمنا حين يقعدُ مَنْ يقومُ
عليهن الجحاحجة القُرومُ
بأيدينا السيوفُ لِمَا نرومُ
غريماً كان يطلبُهُ غريمُ
ولم يمررْ له زمنٌ قديمُ
بعرضيها من أعظمهم رميمُ
تُنال ببسطة الكف النجومُ
وأقصرَ عن ملامة مَنْ يلومُ
لَعَمْرُ أبيكما عَجْزٌ ولومُ /
لهم وزرٌ ومعتصمٌ عصومُ
وللغاوي الصراطُ المستقيمُ

لعمري لودرى اليمن العظيم
بأين قد أصبحوا السعوا (*) عجالاً
وكيف يكونُ حالُ العدل فيهم
كشفنا الكرب عنه وعن ذويه
وقدنا الخيل سامية الهوادي
وناصبنا الملوكة وبلغتنا
أخذن سيوفنا بالثأر منهم
بثأرٍ لم يتم عليه عامُ
تجهَّزَ عامرٌ ليزور أرضاً
ورامَ تناولَ الجوزا وأنى
فعاود عاجزاً وثنى حسيراً
وعاد إلى غيار الزرع هذا [م ق 47 ب]
وقد علمت بنوقحطان أنا
وللناجي من الغريقين فلكُ

(*) كذا في الأصل ، ولم نهتد لتصحيحها .

رجع الحديث إلى قصّة ذي الرداعين :

قال : وكان بين الشريف الفاضل وبين الأمير جِيّاش بن نجاح خطابٌ ومُراسمةٌ للقاءٍ إلى بعض ذلك الجناب فنهض عليه السّلامُ في خيلٍ ضخمةٍ وعساكرٍ جمّةٍ حتّى انتهى إلى ذي الرداعين⁽¹⁾ . ووصل القائد عمر بن حقرّة إلى هنالك فوثقه الشريفُ الفاضل على المظاهرة والمُناصرة ، وتعذّرت المُواجهةُ بينه وبين جِيّاش .

قال مفرّح بن أحمد : سألتني الشريف الفاضل أن أعمل له شعراً إلى الأمير جِيّاش بن نجاح ويشكّره فيه ويُثني بما يوليه ، ويأمرُني أن أذكر فيه بني حسن وأسعد بن عراف والقوَاد والأجناد - وكان الأمير جِيّاش مرتباً له ولصنوه الأمير ذي الشرفين في كلّ شهر ألف دينار⁽²⁾ - وهذا الشعر :

تجاوزيا رسولُ عن البلاد	وَحُثَّ إلى ديارِ بني رِيادِ
وأتَحِفُ حضرةَ الملكِ المُرجى	بأضعافِ التحيةِ والرشادِ
وأخبره بأنّا قد أبَدْنَا	بني الأصلُوحِ بالقُضْبِ الجِدَادِ
صَبَحْنَاهُمْ غداةَ السيفِ كَأْساً	مريراً ذَوْقُهَا والصَّبْحُ بادِ
فلَمَّا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ ذَرَّتْ	على غُنى وقَتلى كالجَرَادِ
أبَدْنَا من سرائِهِم رجالاتاً	بأطرافِ الطُّبى يومَ الجِلَادِ
وبأقيهِم يؤوُلُ إلى ذهابِ	وبأقي ما احتَوَّوه إلى نَفَادِ
فَهُم في كلِّ يَومٍ في انتقاصِ	وإنّا كلَّ يومٍ في ازديادِ
فهذا ما لدينا أَبْلَغْنَهُ	إلى نجلِ المؤيَّدِ ذي الأيادي
وَبُخَّ بالشكرِ مني إنَّ شكري	له حقٌّ عليّ بكلِّ نادي
بجِيّاشٍ شَدَدْتُ العِزْمَ حتّى	بلغتُ من العُدَاةِ به مُرادِ
أمدُّ بماله وحباً . وأعطي	وأتَحِفُ بالطريفِ وبالتِلَادِ
مددْتُ بماله باعي فنالت	نواصي الظالمين على البِعَادِ

(1) لم نعثَر على ذي الرداعين في المصادر المتاحة وربما كان الموقع هو ذو الرداع : موضع ببطن تهامة من

أرض ليسان بمخلاف حراز وهوزن . انظر ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 210 .

(2) النص عن مختصر السيرة في اللآلي المضية م 2 / ص 164 .

وأشعلت النيار بكلّ نجدٍ
 وثمرت بها عشوَزنةً عليهم [م ق 48]
 فراموا نُصرةً لا مِن صديقٍ
 وعادوا يحسنون لمن أساءوا
 كدابةً الأديم وقد تَهَرَّى
 وأبلغ لي بني حسن مقالي
 أخوكم طالبٌ ثاراً وثأري
 هما سيّانٌ مُطلبٌ لثارٍ
 ولست أرى أبا حسان إلا
 وكنزاً لي إذا ما عُددَ كنزُ
 ولا القوَاد إلا من رجالي
 ولولا الله والملك المُرجى
 ونهم الأكرمون ومَن يليهم
 همُ نصرُوا وواسُوني وحاطوا
 وباقي الناس ليس لهم مرامُ
 أقاسي من أمور الناس شيئاً
 أمورٌ ما عليها من عماد
 فما مثلُ أصاب فتى كمثلي
 > لقد ناديتُ لو أسمعُتُ حيّاً
 أنادي في الأنام فمن يُجِبني
 أجاهدُ في حياة الدين جهدي
 وأبذلُ أسرتي فيها ونفسي
 ولا أغضي على مضمض جفوني
 إذا ما قد تولّى الله عذري
 وفي عنقي لحُجَّتِه مكانُ
 وكنت من الأنام له برياً

وداركت الممغار بكلّ وادٍ
 فقد منعتهم طعمَ الرُقَادِ/
 وجادوا بالعطا لا من جوادٍ
 إليه ويُصلِحون على فسادٍ
 وعابرة السبيل بغير زاد
 وإن بَعُدَتْ عن اللُقيَا بلادي
 لكم ثأرٌ فشُدُّوا للطرادِ
 ومقتبِضٌ على خَرطِ القَتَادِ
 عتاداً في النوائب من عتادي
 وذخراً لي لدى النُوبِ الشَّدَادِ
 ولا الأجناد إلا من عِدادي
 لذاب لما أقاسيه فؤادي
 من أهل محبّتي وذوي ودادي
 ذِماري حاضراً فيه وبادي
 سوى خفض المعيشة والتمادي
 يُروّيني البياض على السوادِ
 ولكنني على الله اعتمادي
 ولا إذ كُمُغْضِلَةٌ كَادِ
 ولكن لا حياة لمن أنادي <
 يجذني قد لبستُ لها نجادي
 وأرضي بالمُوالين المعادي
 وإخواني وأبذلُّها جيادي
 ولا أعطي على ظَلَعِ قيادي
 وقد بالغتُ في طلب الجهادِ
 فرقتُ بها بأعناق العبادِ
 وكان حسيبهم يوم المَعَادِ

فإن أسلم حمذتُ اللهَ ربِّي وأن أهلكُ فعفوُ الله زادي [م ق 48 ب]
سبيل الطيبين من أهل بيتي جهاد الظالمين إلى التناد

قال : فلما أنشد الشعر تكلم القاضي عيسى بن الحسين بين يدي جياش وخبره بما كان من الأخبار وكيف كان سبب قتل الظلّمة الفجار . ثم قال : قد حضرت هنا ألف دينار . فأنفذ بالألف الدينار وبكسوة سنّية وجارية حبشية إلى الأمير ذي الشرفين . قال مفرّح : وكان الشريف الفاضل عليه السلام قد عرّفني بما القيه من الكلام فقال : تُقرئني عني الأمير السلام وتقول له : أليس يرضى أن أصون ببلدي بلاده ، وبإخواني أجناده ، وبنفسي نفسه ؟ فأعدتُ عليه الكلام وقلت : وهو يطلب منك يا مولانا الأمير مالك نفعه وعليك منعه ! فأقسم بالله لو كان في فمي لقمةً للقطتها لمولانا الشريف .

خبر المخرج إلى صعدة الذي أخذ فيه الشّمري⁽¹⁾ :

قال : ولما كان في أيامٍ داخلَةٍ في شهر رمضان سنة ثلاثٍ وستين وأربعمائة سنة وصل من الربيعتين رجالٌ مع شريفين من أولاد الهادي يشكوان أهل صعدة والقصبة التي جرت بينهم على الخطبة للصليحي في المسجد ويستنجدان بالحضرة العالية . وقد كان من أهل صعدة وصاحب رأيهم جعفر بن الحسن الشّمري خروجُ جماعة أهل الرأي منهم يريدون إلى صنعاء ليثبت أمر بني الصليحي بصعدة . فلما بلغ علمهم إلى الحضرة العالية بشهارة خرج لهم الشريف الفاضل في عدّة من خيلٍ إلى مذاب⁽²⁾ ، وبلغ ذلك الصعديين فأنحازوا إلى برط واستعادوا من هنالك إلى صعدة ، وأمروا خطيباً لهم فصعد منبر الهادي عليه السلام فخطب عليه لبني الصليحي فنكر من كان من أولاد الهادي بصعدة ووقع بينهم في المسجد قتالٌ

(1) النص عن السيرة في تاريخ مسلم اللحجي م 4/ص 210 - 211 (وقارن بالملحق الأول ، وعن مختصر السيرة في اللآلي المضية م 2/ص 165 - 166 ، وأنباء الزمن م 2/ص 160 - 161 ، وغاية الأمانى 1/262 - 263 .

(2) مَذاب : موضع في بلد سفيان ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 161 . ومذاب من أودية ناحية المطمة بالجوف ؛ خريطة ج. ع. ي ، 1/50000 ، صفحة 1644C2 .

وجراحات حتى غلب على الأمر أهل صعدة وأطلعوا خطيبهم المنبر فتكلم ودعا
للأمير المتسمي بالمكرم . وبلغ الخبر إلى الحضرة العالية وذلك يوم الأربعاء لثلاثة
عشر يوماً باقية من شهر رمضان . وخرج الشريف الأجل بهاء الدولة وحسامها
القاسم بن إبراهيم بن سليمان إلى ناحية الجوف الأسفل ، فأطلع خيل نهم وآل
الدعام . قال : وخرج الشريف الفاضل من خميس الأهنوم آخر يوم الأربعاء وهو
على بغلة مولانا الأمير الشقري التي تسمى عنتره وهي التي أخذت يوم رحبة شهارة ،
وكانت لمحمد بن إبراهيم الصليحي فرأيتها تحته كأنها الرياح . وسمعتة يقول : ما
كانت هذه البغلة تصلح إلا لمحمد بن جعفر . ثم أمسينا آخر / يومنا بالفقمين من
بلد عذر وبكرنا حتى التقينا بعسكر الشريف الأجل بهاء الدولة وحسامها بالحبط⁽¹⁾
في ساعة واحدة وقت زوال الشمس يوم الخميس . وكنت مسيراً لمولانا - كبت الله
عُداته - فلما كنا بموضع يقال له المعلق التفت إليّ فقال : يا أبا فلان ! إني أحب أن
تخطب غداً على ذلك المنبر المبارك بصعدة إن شاء الله . فارتجلت الخطبة
وعرضتها عليه ونحن بالحبط من يومنا ذلك . قال : وسرنا من فورنا حتى كانت
المنقلة تحت عقبة شرق صلاة العصر . وأمر عليه السلام بالطرق فلزمت ، فلما
صلّى العتمة أمر فلبس كل سلاحه وركب وركب الناس . ونهضنا حتى إذا صرنا
بأسل⁽²⁾ ضربت الطبول ، ونفخت الأبواق ، وثار العجاج وجدّ السير فكان الرجل في
جهده حتى إذا صرنا بالخائق⁽³⁾ أسكنت الطبول وتقدّمت الخيل حتى دارت بالقرية
ولزمت الأبواب ولا علم لأهلها بما غشيهم . ومضى الشريف الفاضل حتى جعل
محطته بإزاء درب الناصر عليه السلام إذ وصل شريفان من أولاد الهادي فقالا :
يا ابن رسول الله ! إننا دخلنا القرية فلا علم لأهلها بالعسكر المنصور بعد فأتبعنا مائة

(1) الحبط - بفتح الحاء - ويقع في أسفل وادي مذاب ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 161 ، ج 2
نفس الصفحة .

(2) أسل : بلدة في جنوب صعدة ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 160 ، 224 ، 366 ؛
الحجري : مجموع بلدان اليمن ، ج 1 ص 78 .

(3) الخائق : من أودية ناحية سحار جنوب صعدة ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 163 - 164 ؛
الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 2 ص 303 ؛ المقحفي ، معجم البلدان والقبائل ،
ص 216 .

رجلٍ حتّى نلزمَ بهم دار الإمارة فأمر الشريف الفاضل الشريف الأجل ناصر الدولة وعزّها الحسن بن إبراهيم في خمسمائة رجلٍ من الحضوريين والهمدانين حتّى دخلوا القرية من شريقها في أوان السحر وشعر بعض أهل القرية بالخيل وهي على الأبواب فبينما هم يداعون من على الأبواب ويسألونهم من أين أنتم ؟ وما شأنكم ؟ إذا صاحت الأبواق من الدار وسط المدينة وضربت الطبول فارتاعوا روعاً شديداً ونزل بهم أمرٌ عظيمٌ وصار مَنْ خرج من الأبواب يريد الهزيمة وجد الخيل حرساً فلم يخرج إلا فارسٌ واحدٌ طردته خيلُ نهم فقتلوه وأخذوا فرسه . ثم إنَّ الشريف الفاضل أمر لهم بالأمان وأصبح واختلط الناس ، ودخل مَنْ أحبَّ الدخول من العسكر ليقضي حاجة ، وخرج وجوه أهل القرية من حملة السلاح والتجار فبدلوا أموالهم وسلاحهم وخيلهم فقال الشريف الفاضل لِحَمَلَةِ السلاح : لا حاجة لي بخيلكم ولا سلاحكم ، نحن نعتدُّ بكم للعدو ، ووالاهم جميلاً . وقبض على التجار فحبسهم في درب الناصر . ولم يكن فيمن خرج جعفر بن الحسن الشمري لأنّه كان مختفياً في القرية . فسمعتُهُ وهو يقول لأهل القرية : وحقّ جدّي رسول الله إن لم تأتونني به قبل الظهر لأضربنّها(*) بالنار . ولم يزالوا يبحثون(**) عنه حتّى وُجد ، فأخذ وأتى به . فلمّا كان وقت الصلاة أمرني عليه السّلام بالصلاة / في المسجد بالجماعة ، وأمرني بالخطبة [مق 49 ب] فطلعتُ المنبر فحمدتُ الله وأثّنتُ عليه وصليتُ على محمدٍ صلى الله عليه . وتكلّمتُ بكلامٍ طويلٍ حتّى انتهيتُ فيه إلى فصلٍ فيه ذكّرُ القرية وأهلها فتلوتُ الآية وقلتُ : مثلكم يا أهل صعدة مثل قريةٍ كانت آمنةً مطمئنةً يأتيها رزقها رغداً من كلّ مكانٍ فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباسَ الجوع والخوف بما كانوا يصنعون⁽¹⁾ . يا أهل صعدة ألم يرفع مولانا عنكم الدول ويحترس دونكم السهل والجبل قائماً على أخمصيه ليلاً ونهاراً وإعلاناً وإسراراً ، يأكلُ اليسير من المعاش ، ويلبس الخشن من الرياش فكافأتموه أن نكثتم بعهدّه وأذيتموه على منبر جدّه ؟! ما ترونه فاعلاً بكم أينتقمُ منكم أم يعفو عنكم ؟ أما لولا هذه القبورُ الزكية والمشاهد الرضية لقتلنا أهلها

(*) في اللآلي المضية : لأضرمّنها .

(**) في اللآلي : يبحثون .

(1) إشارة إلى الآية في سورة النحل/ 112 .

واجتثنا أصلها وتركنا عاليها سافلها؟ ولكن عفا الله عما سلف ﴿ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ (1) .

قال : ولما كان من الغد نهض الشريف الفاضل بابن الشمري وجماعة التجار وخلقهم البغال فركبوها . وتوجه قافلاً إلى مستقر عزة سالماً غانماً . وفي ذلك يقول مفرح بن أحمد (2) :

كن يا رسول إذا شخصت مشمراً
وأقصص لمولانا الأمير محمداً
قُذْنَا من الجبل المنيع جياناً
فصبحن شغباً كالعشار بوادياً
وخرجن في أسل كأمثال الظبي
وبدت بنا غرر الجياد طوالعاً
متسربلين من الحديد فضافضاً
يتبعن أشمط هاشم وهمامها
الزاهد الورع التقي الفاضل
فدخلن هجرة جدّه الهادي بنا
ذُذْنَا العدا عنها وقلنا دارنا
ونحوط ساكنها فلمّا استعملت
ودعا الملغلغ فوق منبر جدنا
فصغت وأصبح من رجاها خائفاً
ورجعن بالأسرى وكانت عندنا
وعفى عن الباقي الذنوب ولم يزل
إنّا لنفخر غير فخر أننا
صرنا لخائفهم ملاذاً مانعاً
هضنا جناح عدوهم وعدونا

وعلى السفارة بالبشارة غانماً
أخبار مخرجنا وأوب سالماً
أرن الأعنة كالصخور صلاماً
ومشين شرقاً كالقдах سواهما
وسلكنه من فورهن المأزما
متتوجين يلامقاً وعمائماً
مستنبلين ذوابلاً وصوارماً
نجل الأئمة ذا المهابة قاسماً
البر الزكي البرهمي العالم
أكريم بها وبه إليها قادماً
ترعى وتحفظ عهداً المتقادماً
سكان صعدة رأيها المتفاقماً
قُذْنَا إليها المأقط المتلاحماً /
منهم وأصبح من جناها نادماً
دون الغنائم والإياب غنائماً
في حال قدرته الغفور الكاظم
نبنا عن اليمن العظيم عظاماً
وكذا المعسيرهم غيائماً دائماً
هشماً وكان كذا أبونا هاشماً

(1) سورة المائدة/ 95 .

(2) أورد مسلم م 4 / ص 211 ، بعض الشعر ، ولم يورد صاحب اللآلي منه شيئاً .

لم تترك الرحبیتان علیهم جُنناً تُهاب ولا أديماً سالماً
القائدون من الجیاد معاقلاً واللابسون من السیوف تمائم
أنقى من السحب الغزار مواهباً أمضى من القُضب الحداد عزائم
والمرتقى فوق المنابر باسمنا المالكون على الملوك الخاتماً
ینمونا الحسنُ المطهرُ جدُّنا فی صفوة بلغت أباه آدماء
هذا وما نصبت لداعٍ رایةً إلا إلینا مُحسیناً أو ظالماً

قال : وأقام جعفر بن الحسن الشَّمری بشهارة ست سنین إلا شهرین حتی دفع
ثلاثة آلاف دینار . وكان خروجه فی سنة سبعین وأربعمائة سنة .

قال⁽¹⁾ : وفي هذه السنة كان المخرج الأول إلى شطب⁽²⁾ وذلك أن الأمير
ذا الشرفین لما أراد الخروج إلى شطب كاتب صنوه الشریف الفاضل وهو بالجوف
الأسفل من ناحية بني الدِّعام فنهض إليه فی عسكرٍ كثير . واستنهض الأمير
ذو الشرفین جميع الوادعیین ونزل فعسكر بالخمیس من بلد الأهنوم وشرح على
العسكر المنصور وقسمه أثلاثاً فكان الشریف الفاضل فی ثلث بالبکیلیین، والشریف
الأجل بهاء الدولة وحُسامها القاسم بن إبراهیم فی ثلث بالوادعیین ، والأمیر
ذو الشرفین فی ثلث بشیعته وجماعته وعشیرته وأهل طاعته .

ونهض الشریف الفاضل علیه السلام مقدمة العسكر طریق وادی أثلة كأنه یرید
بلد عُذر . ومضى الأمير ذو الشرفین والشریف بهاء الدولة وادی رحح (?) فالتقى
العسكر بناحية المشراق وباتوا هنالك وقد أخذت الطريق بالحرس خوف العیون .
وبكر الأمير ذو الشرفین والشریف بهاء الدولة وتبعهما الشریف الفاضل فی الأثقال
والخیل حتی صاروا بموضع یسمى الثاجة⁽³⁾ تحت شطب صُبْحاً / صلاة الفجر [م ق 50 ب]

(1) الخبر فی اللالی المضیة م 2/ ص 166 - 167 ، وأنباء الزمن م 2/ ص 161 ، وغایة الأمانی
263/1 .

(2) شطب بالفتح : جبل واسع یطل على مركز السودة وإليه تُنسب سودة شطب ؛ الحجري ، مجموع
بلدان الیمن ، ج 3 ص 452 ؛ المقحفی ، معجم البلدان والقبائل ، ص 365 .

(3) الثجة : محلة من قرية الموسم عزلة بني موهب ناحية السودة ، وتقع قرية الموسم على بعد 3 كم
شمال السودة ، انظر ، التوزیع السكاني فی محافظة صنعاء ، ج 2 ص 297 ؛ خريطة ج . ع . ی ،
50000 ، صفحة 1543B2 .

فصلى الناس هنالك وطلع من كل ناحية .

قال : ووقع القتال في موضع يُسمى ذُبيل⁽¹⁾ في ناحية الشريف بهاء الدولة فصبر لهم وقاتلهم بأصحابه حتى أنزلهم وطلع باقي العسكر حتى تروّسوا الجبل فقتل فيه رجالٌ وغنمت فيه أموالٌ ، وهرب أحمد بن أبي الحصن الحرازي وكان عاملاً لبني الصليحي في الجبل ، ووقف العسكر فيه زهاء ثلاثة أيام يخربون وينهبون وتودا من حلصة(*) من العشائر . ثم نهض الأمير ذو الشرفين في جملة العسكر المنصور إلى مدينة باري⁽²⁾ من بلد الجبر⁽³⁾ ثم شرح على العسكر فقال : هذه قرية كانت ظاهرة الفجور كثيرة الفسق والشُرور والواجب علينا أن نطهرها . فأمر بإحراقها وخرابها ، فوضع كلُّ يخرب في ناحية . وتولّى الشريف الفاضل خراب دار بني الصليحي التي هنالك ، بجماعة الشيعة .

قال : وكان في هذه القرية منكرٌ كبيرٌ وفساد كثيرٌ ، وكان من هرب إليها من نساء العرب تمنع الجبر عليها ولم يدعوا أهلها يصلوا إليها فصار فيها عدّة من الفواسد الفواجر وباينوا الله بالمنكر الظاهر ، فهي خرابٌ إلى يومنا هذا . قال : ثم إن ناساً من أهل شطب تجمعوا وتسارقوا من فوق موضعٍ يقال له الحسوة ، فطلع إليهم شدان من العسكر فقاتلوهم هنالك . فلما رأى الأمير ذو الشرفين أخذ الراية ، وطلع عليهم ، وطلع العسكر ، فقتل من لحق منهم ، وهرب الباقيون . وراح الشريف الفاضل والأمير ذو الشرفين بعسكرهما سالمين غانمين .

(*) لم نستطع قراءة الكلمتين .

(1) ذُبيل : محلة من قرية الضلاعة عزلة بني ناشر ناحية السودا قضاء عمران ؛ على بعد 4 كم شرقي السودا . التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، ج 2 ص 299 ؛ خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1543B2 .

(2) باري : من بلاد الجبر من نواحي حجة . انظر ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 127 . بينما يذكر يحيى بن الحسين أن مدينة بارا في جبل شطب ، غاية الأمان ، ج 1 ص 263 . وفي اللآلي المضية م 2/ص 167 مشطوبٌ على مدينة ، ومكانها : بيت باري .

(3) الجبر بفتح أوله وثانيه في نواحي حجور ، والجبر أيضاً من نواحي حجة والجبر أيضاً من ناحية السودا . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 1 ص 177 . والجبر الأسفل والجبر الأعلى عزلتان من ناحية المفتاح قضاء الشرقيين محافظة حجة ؛ انظر : التعداد السكاني التعاوني لمحافظة حجة ، ص 285 - 290 .

رواية القاضي يعقوب بن عيسى في قصة مخرج الشريف الأول⁽¹⁾ :

قال : لما كان في سنة ثلاثٍ وستين وأربعمائة سنة جمع الشريف الفاضل عليه السلام عسكرياً عظيماً وحطَّ بهم بناحية جوعان⁽²⁾ . فأقام هنالك أياماً ثم أرسل إلى الأمير ذي الشرفين وهو بشهارة يقول : إنه قد اجتمع معنا في هذا الموضع عسكري ذو عُدَّة وعِدَّة ؛ خيل ورجال ولا غنى لنا عن أن يحضر مولانا . فنزل الأمير ذو الشرفين من شهارة في جماعةٍ من شيعته ولقيه الشريف الفاضل إلى موضعٍ يقال له : حورة ، فتكلَّم الشريف الفاضل وشرح على الناس من فضائل الأمير الأجل ذي الشرفين ما يطول به الشرح ومن ذلك الموقف دعاه أميراً وذكر من فضائله كثيراً . ثم إنَّ الأمير شرح على العسكر المنصور وأمرهم من فوره بالمسير فصار الكل منهم على تعبته حتى أمسوا بمور⁽³⁾ واللييلة الثانية بدوبع⁽⁴⁾ من بلد نهم ، والثالثة بموضعٍ يقال له : الحول مشرف على بلاد حجور⁽⁵⁾ فأقام بها زهاء ثلاثة أيام ثم أمر بالأبواق / فنُفِخت وبالطبول فُضِّرت ؛ فاجتمع العسكر المنصور فشرح عليهم [م ق 151]

(1) اللآلي المضية م 2/ص 167 - 168 ، وأنباء الزمن م 2/ص 161 ، وغاية الأمانى 263/1 - 264 .

(2) جوعان اسم لعدد من القرى في محافظة حجة ، منها : قرية جوعان في عزلة مابين قضاء حجة ، وجوعان من قرى القفلة ما بين حوث وشهارة ، وجوعان قرية من عزلة بني نسر ناحية المدان قضاء شهارة . انظر ، التقسيمات الإدارية لعام 1985 ، ناحية مابين ، ناحية المدان ؛ النتائج الأولية لتعداد 1986 ، ناحية مابين ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة حجة ، ص 390 ؛ خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1543D3 ، 1543D4 .

(3) مور : بفتح الميم يعتبر أطول واد في اليمن ، تبدأ شبكته في الظهور من غرب منطقة صعدة ، ويجري من الشمال إلى الجنوب ماراً ببلاد صعدة وحجة وصنعاء . الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص 97 ، 134 ؛ الأكوع ، اليمن الخضراء ، ص 50 ؛ شاهر جمال ، جغرافية اليمن الطبيعية ، ص 346 - 347 .

(4) دوبع : قرية من عزلة العبادلة ناحية أفلح الشام قضاء الشرفين ؛ التقسيمات الإدارية لعام 1985 ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة حجة ، ص 298 .

(5) حجور : بلد واسع من همدان سُمِّي باسم حجور بن أسلم بن حاشد . تتصل بلاد حجور من شماليها ببلاد خولان بن عمرو من بلاد صعدة ، ومن شرقيها بلاد حاشد ومن جنوبيها بلاد حجة ، ومن غربيها تهامة ؛ انظر ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 125 ؛ الحجري ؛ مجموع بلدان اليمن ، ج 2 ص 240 - 241 .

الأمير ذو الشرفين وعباً العسكر أثلاثاً فجعل في جملته الشيعة ووادعة ، وصار قلباً . وجعل على ميمنته الشريف شكر بن علي في الأهنوم وظليمة وعشائر المغرب . وجعل على ميسرته الشريف الأجل بهاء الدولة القاسم بن إبراهيم في بكيل وألفافها . وجعل الشريف الفاضل عليه السلام على ساقته في الخيل والأثقال في موضع سهل في بني أفلح . وكان عسكر بني الصليحي بنوسان⁽¹⁾ مع العريف ظفر بن أبي العسكر ومع رجل من بني شرحبيل يقال له يوسف بن خبير^(*) وصاروا في جهة الأمير ذي الشرفين وصار ابن خبير^(**) هذا ومن معه من بني أفلح في جهة الشريف شكر بن علي وصار ظفر بن أبي العسكر في جهة الشريف الأجل بهاء الدولة . والتحم القتال فطلعت العساكر على تعبئتها من كل ناحية فانهمز الكل من عسكر بني الصليحي وطلع العسكر المنصور بنوسان فأمر به . ثم نهض الأمير الأجل ذو الشرفين من الغد إلى حصن الأذن فهدمه^(***) . واستعاد في يومه ذلك إلى بنوسان . قال : وأقام الأمير الأجل ذو الشرفين بنوسان يومين ونهض قافلاً إلى معسكره إلى حضرة الشريف الفاضل عليه السلام فأقام بها زهاء ثمانية أيام وأقبلت العشائر بالسمع والطاعة وأداء ما يجب عليهم من النفاة . ثم نهض عليه السلام قافلاً إلى مستقر عزه .

فصل فيه ذكر شيء من أمور شهارة وما حدث فيها من الإصلاح والعمارة :

عمر في أيام الأمير ذي الشرفين من المناهل الماغل الشرقي ، وماجلان في وسط الحصن ، وماجل على باب الصريميين والسد الذي غربي السرو اليماني ، وبئران بناحية الغيل الشرقي تحت باب العبيدين ، وثلاثة مناهل في شهارة الفائش ، ومنهل تحت الرزوة . وأحصي عدد دور شهارة الفائش نيف وسبعون داراً ، وأحصي عدد دور شهارة الكبيرة في أيام الأمير عمدة الإسلام خمسمائة دار وإحدى عشر

(*) في اللآلي المضية م 2/ص 167 : صر .

(**) في اللآلي المضية : ابن جبير .

(***) في الأصل : فهزمه - وما أثبتناه عن اللآلي المضية .

(1) بنوسان : بلدة من ناحية الشرف ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأمان ج 1 ص 263 .

داراً . وأُحصي عدد صبيان المكتب في أيام الأمير ذي الشرفين فكان جميعهم سبعمائة وأربعة وستون منهم أربعون شريفاً . وممن وُلد بشهارة ممن لم يعرف الإبل ولا رآها إلا بعد مُراهقة البلوغ . وأمر الأمير عمدة الإسلام بعمارة الطريق وتسهيلها حتى طلعت الإبل بحمولها وانتهت إلى رأس السرو الأسفل وأسفل السرو الأعلى موضع يعرف بدار عليس وذلك في سنة خمس وثمانين وأربعمائة سنة . وأمر ببناء مشهد > على قبر أبيه الأمير محمد ذي الشرفين < (*) فابتنى عليه مشهداً بالآجور والجص له ثلاثة أبوابٍ غربيٍّ وعدني وشرقي . وقبره عليه السلام بإزاء العدني منها . وأمر بحفر بئرٍ في رأس الجبل قد علمها له / الشَّمامون وأهل الهندسة [م ق 51 ب] وأجمعوا على مكانها مع اختلاف حضورهم وتباعُد ديارهم .

خدمة المملوك مفرَّح بن أحمد :

عن أمر الأمير ذي الشرفين وهو بيناع إلى الشرفاء بني الحسن عامة وإلى بني سليمان⁽¹⁾ وبني سويقة⁽²⁾ خاصة يستنهضهم إليه ويعاتبهم في إبعاث بعضهم في المخاليف عليه . ذكر مفرَّح كلاماً بليغاً إلى قوله : لا شك إلا أنه قد تناهى إلى الشرفاء الأجلّاء - أدام الله عزهم وخولهم ما يوليههم ، وحرس عليهم ما ينيلهم ويعطيهم - ما نحن عليه من فتنة أعادينا وأعاديهم . ولما الظَّتهم الفتنة بأسبابها وعصَّتهم الحرب بأنيابها هتف كلُّ منهم بصاحبه ، واستعان كلُّ بطنٍ منهم بأقاربه وإن كان حدُّهم بحمد الله قد انفلَّ ، وعزمُهم وشبابهم قد كَلَّ ، ومُجِبُّهم قد قلَّ ؛ فدعوتُ عند ذلك ببني أبي ، وفزعْتُ إلى عشيرتي ونسبي أدعوهم إلى مُلكٍ مُظِلٍّ وعزٍّ لهم مُطِلٍّ فقلتُ في ذلك :

أَتَسْلِبُنِي بَنُو حَسَنٍ وَأَدْعُو بِهَا لَمَّا انْتَدَبْتُ فَلَا تُجِيبُ
وَعَزِّي عَزُّهَا وَالْكُلُّ مَنَا لَهُ فِي عِزِّ صَاحِبِهِ نَصِيبُ

(*) ما بين الحاصرتين عن الهامش الأيمن من الصفحة .

(1) الأشراف بني سليمان : أهل المخلاف السليماني ، وهم بنو حسن أيضاً ، ينسبون إلى الحسن بن علي بن أبي طالب . ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص 113 - 115 ؛ أحمد بن يحيى ، الدر المنثور ، ورقة 88 .

(2) واضح أن بني سويقة أحد فروع بني حسن غير أننا لم نجد ما يؤيد ذلك .

وأنصُرُها بجَهْدِي مِنْ عِداها
وأَجْعِلْ مَهْجَتِي غَرَضَ الأَعادي
وتَدْعُو مَعْشَرَ الأَصْلُوحِ لَمَّا
وعَضَّتْهُمْ نُيُوبُ الحَرْبِ عَضًّا
ونادَتْ حَيَّ سَنحانٍ ويامِ
وأَدْعُو في بَنِي حَسَنِ وإِنِّي
فإن خَذَلْتُ ففِي الأَنْصارِ حَسْبِي

قد كفى الله الشرفاء الأجلاء السادة الفضلاء ، فلّ شبا حدّهم ، وتحليل
مستحكم أمورهم وعقدهم ، حتّى أصبحت بحمد الله أمورهم قد تخلخلت ،
وأقدامهم قد تزلزلت ، وأمكن الثأر فيهم لمن طلبه واستبشار العز لمن أراده واكتسبه .
شعر :

وقد صارت جيوشي حول صنعاء
فأصبح مَنْ بها منهم وفيها
يدير حُشاشةً لم يبق منها [م ق 152]
ألا هل في البقية من شريكٍ
وهل للخيل من أبناء عمي
إذا ما الخيلُ سامت في البوادي
ولم ننصُرهُ لِيّا من عدوّ
فما فضّل الجياد إذا أُسيمت

وكلامٌ كثيرٌ وأشعارٌ ، واختصرتُ ذكرها في هذا الكتاب .

ذكر الخبر عن طلوع مَسُور⁽¹⁾ :

قال مفرّح بن أحمد الرّبّعي أنّه لَمّا كان في شهر رمضان سنة أربع وستين

(1) اللّالي المضية م 2/ص 168 - 170 ، وأنباء الزمن م 2/ص 161 - 162 ، وغاية الأمانى 1/264 -

وأربعمئة سنة كتب السلطان المنصور بن الحسين بن المنتاب بن إبراهيم بن عبد الحميد كتابين أحدهما إلى الأمير ذي الشرفين وهو بشهارة وكتاب إلى الشريف الفاضل وهو بالجوف يعرفهما فيهما أنه عازم على طلوع مسور يوم السبت الأقرب إن شاء الله . فما كان اليوم الذي ذكر إلّا وقد وصلت البشارة بطلوع مسور . قال مفرّح بن أحمد : وكنتُ حاضراً في حضرة الشريف عندما وصل العلم في ذلك المقام فجعل يضرب بباطن يده اليمنى على ظاهر يده اليسرى مراراً وهو يقول : اليوم وقعنا في فتنة بني الصليحي وأعادها أسفاراً⁽¹⁾ . قال : وجعلت كتب السلطان المنصور بن الحسين تتابع إلى الأمير ذي الشرفين عليه السلام يحثه على الغارة ويستنهضه إلى مسور من شهارة كتاباً في إثر كتاب وخطاباً موصولاً بخطاب فلم يستحل الأمير ذو الشرفين وقوفاً بعد ذلك فنهض إليه في جماعة وافرة من شيعته وأهل طاعته ، واستخلف على شهارة الشريف الأجلّ ليث الدولة وعضدُها حميدان بن القاسم بن عبد الله فأخذ في وادي شرس⁽²⁾ حتى حطّ ثقله بالمشورة وطلع جبل ميتك⁽³⁾ فشرّد مَنْ هنالك من الدعويين وأخرب منازلهم وأخذ أموالهم .

قال : ولما صار الأمير ذو الشرفين بميتك تتابعت إليه كتب السلطان المنصور يحثه على الطلوع إلى مسور ويقول : إن كنت قاعداً فثّر ، وإن كنت ثائراً فسر ، وإن كنت سائراً فبادر العجل العجل قبل طلوع الجبل ! والمنصور عند ذلك خائفٌ يترقب من بني أخيه وقرابته وذويه ، ويخاف العشائر من صلتيه^(*) ويخاف بني الصليحي أن ينهضوا إليه .

قال : فنهض الأمير ذو الشرفين ولم يستحلّ بعد ذلك المقام وخاف إن تأخّر / [م ق 52 ب]

(*) كذا في الأصل - وليست في اللآلي .

(1) في الأصل : إسفاراً .

(2) شرس بفتح الشين المعجمة وكسر الراء واد بناحية شرس ما بين حجة وكحلان ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 125 ، ح 1 نفس الصفحة ؛ خريطة ج. ع. ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1543B3 .

(3) ميتك ويقال فيها موتك : بفتح الميم وسكون الواو ثم تاء مثناة من فوق . وهو ما يسمى اليوم عفار في الشمال الشرقي من حجة ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 126 ، ح 2 نفس الصفحة .

هلاكَ المسلمين والإسلام فلم يَعدْ إلى ثقله مع انقطاع أصحابه من القُوم ولقد بلغ بهم الجهد إلى أن أكلوا الصعتر والسنف وأشرفوا على الهكلة والتلف . فلَمَّا وصلوا إلى السلطان المنصور سُرَّ بهم أعظم السرور وانتشر الخبر بطلوع الأمير ذي الشرفين مسُور فخضع كلُّ معاند . ورتَّب الأمير ذو الشرفين عليه السَّلام على مراتب مسور وأبوابه رجالاً من أهل الثقة من أصحابه ، وأمر مَنْ كان منهم بالحرم في جنبه ، وتفقد طُرقه ومراشيه ، وأحكمه من جميع نواحيه وأقبلت عشائرُ مسُور بالسمع والطاعة ، وتكاثر الديوانُ من حمير وهمدان . وقدم عليهم السلطان عبد الباعث بن أنس ، ورتَّب العمال والولاة في مخاليف مسور ، واستمرت الأعمال ، ورُفعت الأموال ، وكثرت العساكر ، وأطاعت العشائر .

ثم كان أول من فتح الخلاف بنو شاور المغيل فإنهم قالوا : لا يُجبي حتَّى يختلط الحيَّان ! فكاتب الأمير ذو الشرفين صِنُوهُ الفاضلَ عليهما السَّلام . وقد كان الشريف الفاضل لَمَّا صار الأمير ذو الشرفين بمسور صار إلى ناحية شوابة راکزاً فيها بالخيـل والرجال متوقعاً إن خرج بنو الصُّليحي إلى ناحية مسور خالفهم بالغارة على الأثر ، والكتب تختلف بينهما .

قال : وفي هذه السنة تزوج الأمير ذو الشرفين عليه السَّلام بالحرّة الكريمة مَنى ابنة منصور بن الحسين وهي أحد السببين الذي لَقَّبَ الشريفُ الفاضلُ به أباهَا ذا الفضلين . والسبب الثاني استرجاعه وطلوعه إِيَّاه بعد حوز القرامطة له وإطلاقه إِيَّاه الأمير ذو الشرفين .

قال : فلَمَّا كان من شأن بني شاور ما كان سأل الأمير ذو الشرفين صنوه الشريف الفاضل أن يرتَّب له مخرجاً كبيراً ، ويجمع له عسكرياً كثيراً فنَهَضَ إلى الجوف فرتَّب من هنالك الخيل والرجال ورسم المخرج . واجتمعت معه فيه بطون همدان ؛ وكان ابتداء مخرجه من قرية بني الدِّعام حتَّى انتهى إلى الظهيرة⁽¹⁾ ثم أخذ

(1) الظهيرة : قرية من عزلة شميرين ناحية قفل شمر قضاء الشرفين . والظهيرة قرية من عزلة نيساء ناحية المغربية قضاء حجة . التقسيمات الإدارية لعام 1985 ؛ التوزيع السكاني التعاوني في محافظة حجة ، ص 85 ؛ خريطة ج.ع. ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1543B1 .

في وادي شرس حتى حط بالمشورة ونزل السلطان ذو الفضليتين المنصور بن الحسن فالتقى بالشريف الفاضل إلى موضعٍ يقال له : عُبر أسد . فلما التقى الجمعان وتسالم الشريف والسلطان ثم شداً على النهوض طريق أدران⁽¹⁾ فكانت محطة العسكر المنصور بقرية عيان . ثم طلع الشريف الفاضل بلد بني شاور واستقام السلطان المنصور برأس قراضة ، وتقدم الشريف الأجل بهاء الدولة وحُسامها القاسم بن إبراهيم بن سليمان إلى قلعة بني الفحيل في أسفل بني شاور⁽²⁾ . والشريف الفاضل في وسط البلاد وانتشر العسكر المنصور فقتلوا من لحقوا من الرجال / ، وأخذوا ما وجدوا من الأموال واختلط الحيان كما ذكروا فيما تقدّم ، [م ق 153] وامتزجت الحبوب بالتراب والدم . ثم انثنى الشريف الفاضل بالعسكر المنصور سالماً غانماً ، وقبض على السلطان أبي القبائل بن هاشم فاحتفظ به حتى أطلع شهارة ، وقبض حصته حقيلاً⁽³⁾ .

ذكر الخبر عن طلوع الشريف الفاضل عليه السلام مسوّر للسلام على الأمير ذي الشرفين ومعه الأمير الأجل عمدة الإسلام جعفر بن محمد بن جعفر حدث السن . قال مفرّح بن أحمد ؛ فسمعتُ الشريف الفاضل وهو نازلٌ من شهارة يقول بموضعٍ يسمّى اللّفح من ناحية أقر : هذا الأمير جعفر ! وقال : هؤلاء أمراؤنا ! ويومئذٍ إليه وينصُّ عليه . ونهض من أقر حتى حط بالمطرح⁽⁴⁾ . ثم نهض من

(1) أدران وهو ما يسمى الآن دروان : محل من قرية قدم عزلة قدم من توابع مدينة حجة . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 125 ، ح 2 نفس الصفحة ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة حجة ، ص 14 .

(2) تقع بلاد بني شاور في ناحية كحلان عفار قضاء حجة ، كما كانت تمتد إلى بلاد جنب بناحية السودة قضاء عمران . ابن الربيع : قرّة العيون ، ج 1 ص 186 ج 5 ؛ حسين فضل الله : الهمداني ، الصليحيون ، ص 35 ج 2 ؛

(3) حقيلاً : قرية من عزلة جبل عيان ناحية حجة . انظر ، مسلم اللحجي ، أخبار الأئمة ، ج 4 ص 339 ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 125 ح 2 ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة حجة ، ص 120 .

(4) المطرح اسم لموضع يقع بالقرب من الظهيرة ناحية المغربة محافظة حجة . والمطرح اسم لعدة مواضع بالمحويت وبلاد الروس وذمار والبيضاء . انظر ، يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج 1 ص 350 ، 356 ؛ الشرفي ، اللآلي المضية ، ج 2 ص 269 ؛ التوزيع السكاني في محافظة =

المطرح فأُمسى بالظهيرة . ثم نهض من الظهيرة فحطّ بنمِل⁽¹⁾ . فلما كان من الغد وردت الأعلام على الأمير ذي الشرفين عليه السّلام بقُدوم الشريف صنوه والأمير الأجلّ عمدة الإسلام ولده في حاشيتهما ومَنْ معهما من شيعتهما فاستقبلهم إلى الميدان في جملة الشرفاء والسلاطين والعساكر والدواوين . فلما فرغوا من السلام ، وتكلّم كلُّ منهم بما حضره من < > (*) ، وحميت الشمس فخرج من حضرة الأمير ذي الشرفين فازتان نُشرت إحداهما على رأسه وأمر بالأخرى لتُنشر على رأس الشريف الفاضل فتأخّر عنها وأمر بها فنُشرت على رأس الأمير الأجلّ عمدة الإسلام ، وأمره بالتقدّم بالموكب فتقدم بعد أبيه وكان الشريف الفاضل خلفه مما يليه وطلعوا بيت ريب⁽²⁾ . فلما كان من الغد أمر الشريف الفاضل عليه السّلام باجتماع الشيعة ووجوه العسكر فاجتمع الكلُّ منهم فسألهم تجديد البيعة فبايعوا ثم أخذ بيد الأمير عمدة الإسلام فأقامه وقام فقال : هذا أميرنا وأميركم وابن أميرنا وأميركم ، وهذا سلطانه ! يعني النُّفيل بن أحمد ، وهذا قائده يعني مقبل بن عبد الله السحرتي مولى سلمة بن قتّال القُشيري ! وفي ذلك الموقف يقول مفرّح بن أحمد :

<p>وثبتت إمارة جعفر في جعفر واستبشرت فرحاً شهارة وازدهت لم ينش إلا فوق صهوة سابع علقاً بأسمر أو بعضب فاصل زاكي الولادة طيب المنشأ إذا من عنصُر فيه النبيّ المصطفى ورث الرئاسة والسياسة والدرا</p>	<p>وزهابه وأنار وجه المخطر لما ازدهت بأبيه ذروة مسور عالي القرى أو فوق ذروة منبر أو خطرة أو مُصْحَفٍ أو دفتري يُنسبُ وجدت مطهراً بمطهر / أكرم بذلك عنصراً من عنصُر سة والفِراسة من أبيه شبر</p>
---	---

[م ق 53 ب]

= المَحْوِيَت ص 87 ؛ محافظة ذمار ، ص 119 ؛ محافظة البيضاء ، 5 ؛ محافظة صنعاء ، ج 2 ص 226 .

(*) ما بين الحاصرتين كلمة ساقطة من صورة المخطوطة .

(1) نمل بفتح النون وكسر الميم ، بلدة في ظاھر مسور ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 125 ، ح 2 نفس الصفحة .

(2) بيت ريب بفتح الراء وسكون الياء قرية وحصن بجبل تُخلى ناحية مسور ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 307 ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 1 ص 140 ، ص 374 .

المعتزي بالقاسمين كلاهما
رباه أشمط هاشم في حجره
لم يستمع لحن القيان ولم يقم
حكمت منابته عليه بفضله
ماضي العزيمة همّة في همّة
بلغ ابن عشر وهو في سن الألى
صافي الغريزة والخلقة ذو ذكاء
لو كانت الدنيا له لرمى بها
يسمو إلى كسب العلوم وحفظها
فات النظير فليس يُدرَك شأوه
العالمين إلى النبيّ وحيدر
ورع عن العورا عفيف المئزر
ثملاً يمد من العقار الأحمر
ولأنه من جواهر من جواهر
يسمو إلى السبب الجسيم الأكثر
بلغوا الأشد وفي إهاب الأصغر
يقظ الجنان ندي البنان لمقتير
من راحته لمعسر ولموسر
بزرجمهر دونه المستبصر
بالسعي في نظر ولا في منظر

قال مفرح بن أحمد : لقد رأيت في الأمير الأجل عمدة الإسلام من الفهم
والفطنة ما لم أر في غيره . ثم إن الشريف الفاضل رتب له في كل شهر أربعمئة دينار
جارية على الإدرار ، وأعطاه ما يحتاج من الكراع والسلاح والخدم والأعوان ،
وجعل معه رجالاً من ثقات الإخوان . فأقام الشريف الفاضل هنالك أياماً ثم استعاد إلى
شهادة .

ذكر الخبر عن مخرج الساعد الآخر الذي قُتل فيه حسين بن مفلح العامري⁽¹⁾ :
قال : وفي هذه السنة كان المخرج إلى ساعد جبيل⁽²⁾ . والذي هاج ذلك
خلاف حسين بن مفلح العامري في بني عامر⁽³⁾ وعمرهم من حجور ووثق بهم على
واليهم من قبل الأمير ذي الشرفين وهو يحيى بن محمد بن يحيى المالكي قال :
وكان الشريف الفاضل قد بنى مخرجاً يُريد به حَجور الشام . فعقد من الجوف

(1) اللّالي المضية م 2/ص 169 ، وأنباء الزمن م 2/ص 162 .

(2) يتضح من النص أن ساعد جبيل من بلاد حَجور وفي نص آخر ذكر المؤلف أن ساعد جبيل تقع ما بين
نبهان التي تقع غربي حجة بمسافة 20 كم وبين وادي عيان الذي يقع على بعد حوالي 6 كم جنوب
غرب حجة .

(3) بنو عامر من قبائل حَجور ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 2 ص 241 .

عسكراً كثير الخيل والرجال ونهض عليه السلام من قرية بني الدعام ثم صار إلى وادي صناف . ثم نهض إلى بلاد وادعة فحطّ بناحية حوث . ثم نهض حتى حطّ بأقر . ثم نهض بذلك العسكر فجعل مقدّمته الشريف الأجلّ بهاء الدولة وحسامها القاسم بن إبراهيم والأمير الأجلّ عمدة الإسلام جعفر بن محمد بن جعفر وشرح المحطة بموضعٍ يقال القادّ من أعلى وادي بينة وهو في ذلك يرتقب العلم والخبر [م ق 54] ويستطلع / الأمر من الأمير ذي الشرفين من مسور . فلما كان بعد العشاء الآخرة وردت رسل الأمير ذي الشرفين يخبره بفساد بني عامر ويأمره بالمقصد إليهم ويعرفه بتخريب الشريفين الأجلّين ناصر الدولة وعزّها الحسن بن إبراهيم وليث الدولة وعصدها حميدان بن القاسم في جماعةٍ من الشيعة إلى هنالك ويخطّئ الخطأ العظيم على ذلك . فجمع الشريف الفاضل أهل الرأي والمقدمات وأعلمهم بورود أمر الأمير ذي الشرفين وشرح عليهم المسير إلى ساعد جبيل ونهض من فوره فصلّى الفجر بالظهيرة وتقدّمت سوابق الخيل فتبطّنت وادي مور فما كان ضحى النهار إلّا وسوابقها بالساعد والعلاية⁽¹⁾ فالتقت الخيل المغيرة بالشريفين الفاضلين وعسكرهما . وحطّ الشريف الفاضل بوادي مور قريباً من ناحية حماد . فلما كان من الغد نهض الشريفان بمنّ معهما إلى أطراف تلك الناحية ووقع جماعةٌ من الشيعة على أثاث ابن مفلح وجنوده في قريةٍ في صفح الجبل فغنموه والشريفان فيمن معهما بإزاء الخيل . فبينما هم كذلك إذ هجم عليهم اللعين ابن مفلح في عدّة من فرسانه وبني عمه وأهل مكانه ، فلما رأهم الشريفان وأصحابهما حققوا عليهم الحملة ، ووقع الضرب والجلاد فجعل الله الطائلة لأوليائه والدائرة على أعدائه فقتل حسين بن مفلح اللعين وابن عمه غشّام عدوّ الله المبين وجماعةٌ ممن معهما وانهزم باقي خيلهم أقبح هزيمة فالحمد لله على تلك المنة الجسيمة .

قال : ونهض الشريف الفاضل عليه السلام من محطّته بمور فصادف وصوله العلاية فراغ الشريفين الأجلّين من قتل عدوّهما ، ولقيته بالعلاية أسلاب ابن مفلح وابن عمه ورؤوسهما . وأمسى العسكر المنصور ليلته تلك بالعلاية فحُرقت منازل

(1) العلاية : قرية من عزلة بني كعب ناحية كحلان الشرف قضاء الشرفين محافظة حجة . التقسيمات الإدارية لعام 1985 ، ناحية كحلان الشرف .

ابن مُفْلِح ونفذت البشارة إلى الأمير ذي الشرفين وبعث إلى حضرته بالرأسين فقال
الأمير ذو الشرفين في ذلك عليه السلام⁽¹⁾ :

أزال الـوَجْدَ عن قلبٍ رهين وأورت في الصدور معاً سروراً وأصبح في الفؤاد به سُلوأً قبيح القول والأفعال طُراً سلالة مُفْلِحٍ أعني حُسيناً بأيدي المقدمين على الأعادي حسامي اللذين ذخرتُ حقاً لدى الحرب العوان وفي سواها هما الحسنُ التقيُّ أبو المعالي حُميدانُ الكميِّ هما سناني وأيدي المؤمنين فهم لديها رميت ذوي العُتُوبُ بهم فأضحوا وأضحى رأسُ رأسهم لدينا وجُثَّتْهُ اللَّعينَةُ في بلادِ معاطس آل عامر شرَّخِذْنِ ولا زالوا الزمان بِشَبْرٍ حالٍ يُبْغِيهِمُ الذي أَرَدَى حُسيناً أرادوا الفتك إذ كمنوا وأنى فخَيَّبَ ذو الجلال بنا رجاهم وأصبح جمعهم بَدَدًا فأضحت أبادَ الله عزَّهم بجُندي أظنَّ الجاهلون بأنَّ حربي	وأذهب ما يُلِمُّ من الشَّجونِ مقيماً لا يزول إذا لَحِينِ هلاكُ أخي الرداوة والمُجُونِ عدوَّ الله والرجس اللعينِ عُدِيَّةٌ ذاق أسبابَ المَنُونِ وأكمل آل حيدر في الفنُونِ لكلِّ ملمةٍ وهما يميني / [م ق 54 ب] لدنيا يَصْلُحان معاً ودينِ وذو الدين الصريح وذو اليقينِ ورمحي اللذن في الحرب الزَبُونِ سهامي القاتلاتُ وهم حُصُونِي لَعَمْرُكَ في القيود وفي السجونِ بمسور معقل العِزِّ المكينِ على رغم المعاطس والعيونِ فَقُبِّحاً للعوامر من خَدينِ وداموا الدهر في ذُلٍّ وهُونِ وغشَّام الرديِّ لدى الكمينِ يقاسُ بذِي المخالب ذا القرونِ فنالوا صفقةَ الحظِّ الغَيبِ كَأَنَّكَ يا عَلايَةَ لم تكوني وأمكننا من الكبش السمينِ كحرب الغافل الوهنِ المهينِ
--	---

(1) في اللآلي المضية م 2/ ص 169 مطلع القصيدة وبيت واحد منها .

وَعَرَّهْمُ التَّغَافُلُ عَنْ خَطَاهُمْ
فَأَصْبَحَتْ الْكَوَاعِبُ مِنْ نِسَائِهِمْ
وَتَنَدَّبَ نَسْلُ مَفْلِحِهِمْ وَتَذَرِي
شِفَا غُلِّي الْعَدِيَّةِ ذَاكَ حَقًّا
وَلَا أَعْدَمْتُ مِنْ ابْنِ أَبَا كَيْلٍ
عَلَى الْخَيْلِ السَّوَابِقِ وَالْمَذَاكِي
سَوَابِقِ فِي الْفِدَافِدِ كَالسَّعَالِي
تَرَامِي الْمُقَرَّبَاتِ بِهِمْ سِرَاعًا
قَرِينِ الْمَجْدِ قَاسِمِ مَنْ إِلَيْهِ
[م ق 55] أَجَلَ بَنِي الرَّسُولِ بَنِي عَلِيٍّ
تَوَازَرَهُ الْكِرَامُ بَنُو أَبِيهِ
أَغَارُوا اللَّيْلَ مِنْ فَادٍ فَأُضْحُوا
مَغَارًا لَا يُقَاسُ بِهِ مَغَارٌ
فَأَصْبَحَتْ الْعَلَايَةُ إِذْ أَحَاطَتْ
وَأَصْبَحَ نَسْلُ مُفْلِحِهَا قَتِيلًا
بِأَهْلِ الدِّينِ إِذْ أَعْلَوْهُ حَقًّا
وَلَا قَى الْحَتَفِ غَشَّامٌ بِمُوسَى
فَأَرْدَاهُ الْكَمِيُّ أَبُو زُبَيْرٍ
أَرَادَ رِئَاسَةً وَأَرَادَ فَخْرًا
وَعِنْدَ مُحَمَّدٍ لَمَّا رَأَاهُ
أَلَّا لَيْسَ الرِّئَاسَةُ يَا حَسِينَ
إِذَا عَزَمَ الرِّئِيسَ يَكُونُ رَأْسًا

وَجَرَّاهُمْ عَلَى بَحْثِي سَكُونِي
تَجَاوَبُ فِي الْمَنَازِلِ بِالرَّنِينِ
دَمُوعًا لَا تَكْفُ مِنَ الْجَفُونِ
كَمَا يَشْفِي الصَّدَى مَاءَ الْمَعِينِ
فَوَارِسَ إِنْ دَعَوْتُهُمْ أَنْجِدُونِي
عَجَالًا مِثْلَ آسَادِ الْعَرِينِ
وَهُمْ مِنْهَا الْغَدَاةُ عَلَى الْمَتُونِ
بِرَأْيِ الطَّاهِرِ الْعَلَمِ الْمُبِينِ
لَعَمْرُكَ دُونَ كُلِّ مَلَاذٍ كُونِي
مُبَارَكِ آلِ أَحْمَدِ وَالْأَمِينِ /
كَقَاسِمِ ذِي الْبَسَالَةِ وَالْفُطِينِ
لَعَمْرُكَ بِالسَّوَابِقِ كَالْقُطِينِ
عَلَى الْخَيْلِ السَّوَابِقِ وَالْهَجِينِ
بِهَامِنَا الْعَسَاكِرُ كَالسَّافِينِ
هَنَالِكَ غَيْرِ مَقْبُورٍ دَفِينِ
هَنَالِكَ كُلِّ تَبَتَّاكٍ الْوَتِينِ
إِذَا أَقْبَلَ نَحْوَهُ بِرَحَى طَحُونِ
بِعِزْمَةِ صَادِقٍ وَبَغِيرِ لِينِ
بِحَرْبِ بَنِي الرَّسُولِ لَدَى الْقَنُونِ
بِحِصْنِ الْقِفْلِ مِنْ (1) بَعْدِ الشُّطُونِ
عِدَاوَةِ آلِ أَحْمَدِ وَالْحُجُونِ
فِي فَعْلٍ فَعْلٍ ذِي الرَّأْيِ الرُّصِينِ

(1) القفل : حصن من جبل حفاش وأعمال المحويت وهو الذي دخله الأميران وأسرا صاحبه السلطان محمد بن إبراهيم الصليحي . انظر ، يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج 1 ص 264 ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 4 ص 657 . وسيأتي تفصيل ذلك فيما بعد .
والمفروض أن يأتي هذا الشعر بعد ذكر الواقعة وليس قبلها .

أخو النجدات منصور المُرَجَّى جواد الكفّ كالغيث الهَتون
نسيب بني الرسول بني عليٍّ وأشرف مَنْ يكون من الختون
أرى الأملاك كلهم جميعاً لعمر كدون منصور ودوني
فتى لله قام على الأعادي وأبعد كل كفّار خؤون
ونزّه مسوراً عنهم فأضحى نقياً من فعالهم الدرين

قال : ونهض الشريف الفاضل عليه السلام من الغد في جملة العسكر المنصر إلى موضع يُسمّى المدهاقة⁽¹⁾ ضيعة لابن مفلح وبني عمه بني عامر كانت بها زراعة حاضرة فأباحه للعسكر المنصور وانبثت الخيل والرجال في الأودية والنجال فما كان إلا ساعة من النهار وقد رجع العسكر المنصور بالغنائم .

ووصل إليه في ذلك المقام أهل تلك النواحي وسارعوا بالطاعة من أبجر⁽²⁾ ونبهان⁽³⁾ وعشائر حفاش وملحان⁽⁴⁾ . ووصلت إليه بنو مشعل من تهامة وعرفاء الزبرة⁽⁵⁾ وبنو شابرة ونمرة⁽⁶⁾ وعلي بن أبي الهزام صاحب عمد صحار⁽⁷⁾ . ووصل إليه السلطان أسعد بن عراف بن قليد من المهجم⁽⁸⁾ فاستقبله الشريف الفاضل

(1) المدهاقة بكسر الميم وسكون الدال المهملة موضع من أعمال المحويت . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 124 ج 3 نفس الصفحة .

(2) بنو أبجر من بلاد المحويت . الحجري : مجموع بلدان اليمن ، ج 4 ص 691 .

(3) نبهان : قرية في شمال غرب ناحية الشغادرة بالقرب من وادي شهر الحكامي ، على بعد 20 كم غربي مدينة حجة . خريطة ج. ع. ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1543A4 .

(4) حفاش وملحان : جبلان بالمحويت مشرفان على تهامة . وهما ناحيتان من قضاء المحويت . انظر : الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 2 ص 277 - 278 ، ج 4 ص 718 - 719 ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة المحويت ، ص 49 - 97 .

(5) الظبرة اسم لعدد من المواقع منها قرية الظبرة من عزلة ربع هفج ناحية الطور قضاء حجة ، والظبرة قرية من عزلة العزكي بني حبش ناحية الرجم قضاء الطويلة . التقسيمات الإدارية لعام 1985 ، ناحية الطور ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة المحويت ، ص 57 ، 168 .

(6) قرية نمرة ، وقرية شرف نمرة وسلسلة جبال نمرة كلها أماكن متجاورة في شمال ناحية الخبت ، قضاء المحويت . انظر : خريطة ج. ع. ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1543A4 .

(7) صحار من أغوار المحويت . انظر ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 124 ، 134 .

(8) المهجم بفتح فسكون : من مدن تهامة الشمالية ، تقع على وادي سررد ما بين جبال ملحان ومدينة الزيدية . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 1 ص 159 ، ج 2 ص 398 ؛ إسماعيل الأكوع ، =

بالإعزاز والإكرام، وقابله بالجميل وقدم له ولعسكره القرى الجزيل ، وجرت بينهم
[م ق 55ب] الموثقة على / المناصرة والمؤازرة والطاعة للأمير ذي الشرفين . وقد كان وصل له
إلى الأمير ذي الشرفين عند مسور كتاب ثم عزز بعد ذلك بكتاب فيه شعر وخطاب ؛
وهذا شعره :

<p>أتى خادم الندب الأمير كتابه كأن معانيه تراجس فتحت فتلك السطور الدُّهُمُّ دُهُمٌ خيولُهُ فقبَّلْتُهُ لَمَّا أَتَى وَقَرَأْتُهُ مواضعه اللاتي يقرقرارها ولو فوق ذا يُحِبُّ حبونا عندنا أتانا وقد ضاقت صدور بملئها وغلَّت يدُ الإسلام حتى كأنها فلَمَّا أَتَانَا ابْنُ النَّبِيِّ وَمَنْ بِهِ فضضناه عن نشر كنشر ثنائيه فساغ شرابٌ وأستلذت مطاعمُ يخبرنا أن الأمير بمسور وإن جيوش ابن النبي تطلعت وما عجب إن طال باعك في العلا لكم كعبة الله الحرام وبيته وحيث منى والمشعران وتلك وحيث مقام للخليل ومروة فما سائر الدنيا ولا الأرض كلها ولا بعظيم أن يطيعك كل من وإن عبيد ابن الرسول جميعها</p>	<p>به مضحك للأقحوان ومنظر عيوناً كأعيان البرية تبصر وما بينها من ذلك اللفظ عسكر وظلَّت له فرحان أطوي وأنشُر لدي جبين واللحاظ ومحجر وتضميره أحشاؤنا حين تضمير كما ضاق خلخال بخود ومئزر يد البخل لا تعطي ولا هي تشكر من الله نرجو أن سيعفو ويغفر وعن در لفظ مثله الدر ينثر وأفرج مكروب وأطلق مؤسر فهني إذا أمسى بكفيه مسور ذرى ميتك والله للحق ينصر ولكن عجب أن غدا وهو يقصر وحيث يلبي وفده ويكبر ثم الجمار وتعريف الوري أو محجر سعى بينها حتى صفاها المطهر عليك كبير ذلك المجد أكبر على الأرض لما قد أطاعتك حمير لتستورد الآراء منه وتصدر</p>
---	--

= البلدان اليمانية ، ص 267 .

فكيف لها بابن النبي ونظرة
متى تراه أو صنوه وحيوله
وقد أثنى الكفار قتلاً وسامهم
هناك تطفئ كل نار توقدت
محمد يا شبه النبي محمد
به طالت العليا إذا طول الفتى
مأثركم حتى القيامة تقتري
وأنتم سادات الملا وأسودها
وأنت فمن تجبى له الأرض كلها
وإن امرأ ينوي خلافاً ومذهباً
> فإننا بكم نعلو وإننا بكم نطا
لئن لم يكن يا ابن المطهر بيننا
فأسلافنا أخدام أسلافكم كذا
وإنني دون الناس من قبل أن ترى
لترس له بل مشقص بل أناله
فلا يخف عني كل أمر طراله
سقى ربع مولانا الشريف سحائب

لها وبمن يأسو الجراح ويجبر
بصنعاء من بابي دمشق تنظر
على الرغم خسفاً والقنا يتكسر / [م ق 156]
له ويدين الظالم المتجبر
وجعفره في الهدي والسعي جعفر
وتاه به ملك ودست ومنبر
وأسلافكم أسلافكم حين تذكرو
لدى الحرب لكن العيان السنور
بأقطارها فيما نرى ونخبر
لأرائه بالنفس حقاً مغرر
وإننا بكم عند المفاخر نفخر < (*)
وبينكم قربي ولا منك معشر
لكم نحن أخدام متى ندع نحضر
كتائبها فيها الطريق المخير
قناة وهندي ودرع ومغفر
فإنني كما يرجو وينوي ويضمير
من المجد تارات تروح وتبكر

قال مفرح بن أحمد : ما رأيت الشريف الفاضل عليه السلام في مدة صحبتي
له في طول الإقامة لبس ثياباً رفيعة إلا في ذلك المقام ؛ رأيت عليه قميص ديبقي
مرتفع وعمامة شرب مثقلة بالذهب . وكذلك رأيت مرة أخرى بصعدة . وكان سائر
عمره يلبس الأقطان الخشنه ويأمر بغسلها عند فراغها من الصناعات بياضاً كانت أو
سوداً . فما زالت تلك حالته حتى استشهد رحمه الله عليه .

قال : وفي هذه الأيام وصل صاحب عمد صبحار علي بن أبي الهزام وكان
مقدماً في قومه حسن السميت جميل السيرة فتقدم إلى الشريف الفاضل إلى مضره

(*) البيت عن الهامش الأيمن من الصفحة .

فتحدّث فيما يعنيه فأسعف له الشريف سؤاله وجمل أحواله وعقد له الأمان على السمع والطاعة . فلما فرغ من حوائجه التي تعنيه سأل الشريف الفاضل في أحمد بن محمد الزوبعي صاحب الراحة⁽¹⁾ فطلب له الأمان وكان شاذاً خائفاً فأمر له الشريف الفاضل بمنشور بالأمان بالوصول إلى حضرته فوصل هو وعلي بن أبي الهزّام فقابلهما الشريف الفاضل بالمقابل الجميل والكلام الحسن النبيل ، ورسم على أحمد ابن الزوبعي هذا رسماً معروفاً في بلده ، وجعل عشائره إليه وتحت يده ثم سأل في واجب السوق سوق الراحة أن يجعل عليه في الوعد مائتي دينار فأنعم له بذلك ؛ فقال [م ق 56ب] السلطان يحيى / بن محمد المالكي - وكانت تلك البلاد مصروفةً إليه - : يا مولانا ! واجب السوق أربعمائة دينار ! فالتفت إليه الشريف الفاضل فقال : يا سبحان الله العظيم ! أتستكثرون لرجلٍ من ذوي الأخطار إن كسب معكم في سنته ألف دينار ؟ فحسنت طاعة أحمد بن محمد الزوبعي آخر الأيام ولم يزل على المحبة والنصيحة من ذلك المقام . وفي هذا المخرج يقول مفرّح بن أحمد :

بها فليخبر سائليه المخبر	مفاخرها مشهورة حين تُذكر
سلاني بها إني خير وإنها	لمشهورة كالشمس إبان تظهر
دعا الهاشمي القاسم القرم دعوة	أجابت لها همدان والحي حمير
وقاد الجياد الجرّد قباً كأنها	سعالٍ عليها دارعون وحسّر
ورجلاً كأمثال الدّبا في أكفها	مواضٍ ونبع مريض ومثمر
كتائب شهب من بكيل وحاشد	مكتبة فيها القنا والسّنور
بأولها من هاشم شيخ هاشم	وفيهما الأمير ابن الأميرين جعفر
وفيهما حسام الدولة القاسم البها	سلالة إبراهيم كالبدر يزهر
فلما أحازت صدر بينة أمها	حجور حجور الشام حين تثوروا

(1) الراحة قرية من عزلة الأحجول ناحية المحويت ؛ التوزيع السكاني التعاوني لمحافظة المحويت ، ص 16 .

والراحة : قرية من عزلة سهام ناحية الحيمة الخارجية . التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، ج 2 ص 205 .

والراحة : قرية من عزلة العتنة ناحية حرض قضاء ميدي . التعداد السكاني التعاوني لمحافظة حجة ، ص 347 .

أَتَانَا لَمَوْلَانَا الْأَمِيرَ مُحَمَّدٍ
وَيَأْمُرُنَا أَنْ نُنْهَضَ الْخَيْلَ نَحْوَهُمْ
فَأَمَسْتُ بَعْلِيَا بَيْنَهُ ثُمَّ بَرَّهْتُ
فَمَا كَانَ إِلَّا مِنْ ضَحَى الشَّمْسِ مِنْ غَدٍ
وَتَنَبَّيَ بِإِنْهَاضِ الشَّرِيفِينَ نَحْوَهُمْ
زَعِيمَا الْأَمِيرِ النَّاصِرِ الدَّوْلَةِ الَّذِي
هُمَا الْحَسَنُ الْمَقْدَامُ وَاللَيْثُ صِنُوهُ
وَفَتَيَانِ صَدَقِ تَصَدَّقَ الْكَرَّ فِي الْوَعَى
بِأَيْدِيهِمَا أَوْدَى الْحُسَيْنُ بْنُ مُفْلِحٍ
وَقَدْ ذَاقَ غَشَامَ بِمُوسَى حِمَامَهُ
طَغَوْا وَبَغَوْا وَالْبَغْيُ مُرْدٌ لِأَهْلِهِ
وَمَرُّوا هَزِيمًا كَالنَّعَامِ جَوَافِلًا
وَمَرَّتْ بِنَا الْجُرْدُ الْمَذَاكِ لِرُكْضِهَا
أَثَارَتْ كَدِيدَ الْبَقْعِ بِالنَّقْعِ شُرْعًا
رَعَالًا فَمِنْهَا مَازِنًا صُوبَ سَرْدِ
وَطِينًا صُحَارًا وَطِيَّةً فَتَزَعَزَعَتْ
بِأَرْعَنِ جَرَّارِ الْجَنَاحِينَ عَسْكَرٍ
تَعُودُنَ فِي حَافَتِهِ الشَّبْعَ وَالرَّوَى
فَدَانَتْ لَهَا لَمَّا دَنْتَ آلَ مَشْعَلٍ
وَعَادَتْ عَلَى رَسْلِ وَهَوْنٍ أَمَامِهَا
وَزَارَ ابْنُ عَرَّافٍ فَعَرَّفَنَ بَيْنَنَا
كُتَائِبَ فِيهَا الْخَيْلُ أَحْوَى وَأَدْهَمُ
وَجَاءَتْ إِلَيْنَا بِابْنِ عَدْوَانَ رَجُلَنَا

رَسُولُ بَغْدَرِ الْعَامِرِيِّينَ يُخْبِرُ
وَأَنَا لَطَوُوعُ أَمْرِهِ حِينَ نُؤَمَّرُ
وَقَدْ جَنَّهَا جُنْحٌ مِنَ اللَّيْلِ مُغْدِرُ
وَرِيعَانِهَا حَوْلَ الْعِلَالَةِ تَمَغَّرُ
وَقَدْ جَاشَ بِالْجَيْشِ الْحُسَيْنِيِّ مِسُورُ
لَهُ الْفَخْرُ وَاللَيْثُ الْهَزْبُ الْغَضَنْفَرُ
حُمِيدَانُ ذُو الْفَضْلِ الَّذِي لَيْسَ يُنْكَرُ
حُسَيْنِيَّةَ عَادَاتِهَا لَيْسَ تُنْكَرُ
وَخَاضَا غِمَارَ الْمَوْتِ وَالْمَوْتُ أَحْمَرُ
وَذُو الْبَغْيِ فِيمَا رَامَهُ لَيْسَ يُنْصَرُ
وَذُو الْبَغْيِ مَظْفُورٌ بِهِ لَا مُظَفَّرُ
وَلَوْ ثَبَتُوا لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مُخَيَّرُ [م ق 157]
صَبَابٌ يَسُدُّ الْأَفْقَ عَالٍ وَعَثِيرُ
لَهَا فِي بَسِيطِ السِّيفِ وَرْدٌ وَمَصْدَرُ
وَمِنْهَا لَصَحْرَاءُ الْمَحَالِبِ⁽¹⁾ أَصْحَرُ
زَبِيدٌ وَكَادَتْ أَنْ تَزْعَزَعَ بِرَبْرِ
عَلَى رَأْسِهِ مِنْ عَسْكَرِ الطَّيْرِ عَسْكَرُ
إِذَا لَاحَ فِيهِ الْهِنْدَوَانُ الْمَذْكُورُ
فَأُضْحَى لَهَا فِي حَضْرَةِ الطَّهْرِ مُحَضَّرُ
جَهَامٌ يَزْجِيهِ الْوَشِيحُ الْمَحْرَرُ
وَمَا بَيْنَهُ جُرْدٌ عَنَاجِيحُ ضَمَّرُ
وَأَبْيَضُ مَطْرُورُ الْبَيَاضِ وَأَشْقَرُ
أَسِيرًا وَحَازَتْ كُلُّ مَا كَانَ يَذْخَرُ

(1) المحالب : بلدة قديمة خرابة جنوبي وادي مور ، تقع ما بين المهجم والذئاب . ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ، ص 58 ؛ إسماعيل الأكوخ ، البلدان اليمانية ، ص 246 ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 1 ص 159 ، ج 4 ص 689 .

وَأَسْرَى بَقَايَا مَا أُسَارَتْ سَيُوفُهُمْ
تُسَمَّى شَهَارِيًّا وَتُسَمَّى شَهَارَةً
وَأَنَا بِنَصْرِ اللَّهِ وَالْفَتْحِ غُنْمُنَا
وَنَالَ الرِّضَى الْمَلِكُ الْأَجَلُ وَقَاسَمُ

وَمَنْ مَاتَ تَحْتَ السَّيْفِ بِالسَّيْفِ أَكْثَرُ
وَإِحْدَاهُمَا بِالْأَسْمِ وَالْحَكْمِ أَشْهَرُ
كَثِيرٌ لَنَا أَجْرٌ وَشُكْرٌ وَمَفْخَرُ
وَلَا قَى عَدُوَّ اللَّهِ مَا كَانَ يَحْذَرُ

ذكر قتل القائد مبارك الدربندي (1) :

قال : كان القائد الدربندي هذا من قواد الجِرابَة وعظمائهم . وكان قد انضمَّ إليه ناسٌ واقتعدوا للفساد والجِرابَة فأوعث في أطراف مخاليف الأمير ذي الشرفين من نواحي تهامة ، وكان لا يوجد له قرار . ثم إنَّ يحيى بن محمد المالكي بعث عليه العيون والأرصاد ، وتوقع غارته في بعض تلك البلاد ؛ فأتى العلم أنه في بعض تلك الناحية ، فركب في جماعةٍ من الشرفاء الرسيين (2) حتَّى إذا صاروا في الفرشة من ناحية الزبرة لقيه العلم بأنه قد مضى حيث لا يلحق فنزلوا من خيلهم وأمر لهم بِقِرْعَاءِ فبينما هم ينتظرون حصوله إذ ورد عليهم بعضُ عيونه بالعلم أنَّ ابن الدربندي بموضعٍ يقال له الغميرة (3) فركبوا من ساعتهم إلى هنالك وخلَّوا قِراهم ذلك . فما شعر هذا القائد وأصحابه بالخييل إلَّا وقد أحاطت بهم فلمَّا نظروا إلى ذلك طار منهم من طار [م ق 57 ب] وأمعن في الفرار ووقع القائد الدربندي في أيدي الشرفاء الرسيين / فقتلوه وجماعةً من أصحابه وأخذوا خيلهم وسلاحهم . وعاد السلطان وأصحابه فأكلوا قِراهم وراحوا سالمين غانمين .

ذكر الخبر عن دار الضرب بمسور :

قال : وفي هذه السنة أمر الأمير ذو الشرفين عليه السَّلام بدار الضرب بمسور ، واستعان من جميع الشيعة والإخوان بالفضة وسألهم إلَّا يدعوا منها شيئاً إلَّا أعانوه به

(1) اللآلي المضية م 2/ ص 170 .

(2) نسبة إلى قرية الرس . وهي الآن من الإمارات التابعة للقصيم . والرس بفتح أوله وتشديد ثانيه من وديان نجد . انظر ، الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص 37 ، 66 ؛ البكري : معجم ما استعجم ، ج 2 ص 652 ؛ فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب ، ص 76 .

(3) واضح من النص أن هذه مواقع من مغارب حجة التهامة .

على سبيل الاستسلاف . وكاتب الشريف الفاضل بمثل هذا الحال فلم يبق أحد من شيعة وأهل بيته وإخوانه وأهل طاعته وأعوانه ولا سلطان ولا عريف ولا وال في مخلاف من المخاليف قائم فضة إلا خلعه ولا فضة من سلاح مُحَلَّى إلا قلعه وكذلك حلية الحرير فاجتمع من الفضة مالٌ عظيم فأمر بذلك إلى دار الضرب فأورد بعض الأخلاص ووصل المخلصون وحصل الضرابون فروى غير واحد أن الصنّاع كانوا ثلاثين وبلغوا بعد ذلك أربعين واجتمع منه مالٌ كثير عند الأمير الأجلّ ذي الشرفين فما أدخره ولا خبأه ولا اكتنزه ولا أخفاه بل أنفقه في الجهاد في سبيل الله فلقد سمعته بعد رجوعه من يَنَاع وقد دخل بيتاً لبعض كُبراء الدولة فتمثل بقول أمير المؤمنين عليه صلواتُ ربِّ العالمين⁽¹⁾ :

هذا جنائي وخياره فيه وكلُّ جانٍّ يده إلى فيه

ذكر الخبر عن المخرج إلى القفل بحفاش من مسور⁽²⁾ :

قال : وفي هذه السنة كان مخرج القفل وكنت شاهداً للمحضر في أوله وذلك أنه لما وصل الشريف الفاضل إلى جبل مسور أجمع رأيهُ ورأيُ الأمير ذي الشرفين والسلطان المنصور بن الحسين - وقد اجتمع من الناس خلقٌ كثيرٌ وعسكرٌ كثيرٌ فأمسوا ببيت الجرابي⁽³⁾ فلما كان من طلعة الشمس من الغد ضربت الطبول ونفخت الأبواق فاجتمع العسكرُ من كلِّ ناحية وقعد الشريف الفاضل والأمير ذو الشرفين والسلطان المنصور بن الحسين على رُبوةٍ عالية . فافتتح الشريف الفاضل عليه السلام ثم أتبعه الأمير ثم تكلم السلطان المنصور بن الحسين في كلِّ ذلك يحضون ويؤنّبون العسكر المنصور ويبحثون كلاماً عنده في هذه الأمور فتكلم كلٌّ من قبائل العرب بكلامٍ من نثرٍ ونظامٍ وأجاب مقدماتُ الناس عن ألسنةٍ عشائريهم . كان آخرُ مَنْ تكلم في هذا الحال رجلٌ يقال له : الزبير بن الكرندم فاختصر في المقال فقال : يا مولانا لسنا

(1) يُنسب البيت لعمر بن عدي في قصة .

(2) اللآلي المضية م 2/ص 170 ، وأنباء الزمن م 2/ص 162 ، وغاية الأمانى 1/264 - 265 .

(3) الجرابي قرية من عزلة الملاحنة ناحية حفاش قضاء المحويت . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ،

ص 124 ، 134 ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة المحويت ، ص 51 .

[م ق 158] نُحْسِنُ مَزَاوِجَةَ الْكَلَامِ وَلَكِنَّا نَصْدُقُ وَنَضْرِبُ فِي الصَّدَامِ فَأَرَمَ بِنَا حَيْثُ شَتَّ / . فَشَكَرَ لَهُمُ الْأَمِيرُ ذُو الشَّرَفِينَ مَا كَانَ مِنْ مَقَالِهِمْ وَأَمْرِهِمْ بِالنُّهُوضِ فَنَهَضُوا عَلَى حَالِهِمْ حَتَّى أَمْسَوْا بِنَاحِيَةِ الْجَنَافِجِ فِي أَسْفَلِ وَادِي طَمَامِ⁽¹⁾ . وَاسْتَعَادَ الشَّرِيفُ الْفَاضِلُ وَالسُّلْطَانُ الْقَوِيُّ بِاللَّهِ فَلَزِمَا مَسُورَ وَتَقَدَّمَ الْعَسْكَرُ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ شَرَحَ عَلَيْهِمُ الْأَمِيرُ ذُو الشَّرَفِينَ وَعِبَّاهُمْ تَعْبَةً حَسَنَةً فَجَعَلَ عَلَى مَقَدَّمَتِهِ الشَّرِيفُ نَاصِرَ الدَّوْلَةِ وَعِزَّهَا الْحَسَنَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سُلَيْمَانَ وَالسُّلْطَانُ عَبْدَ الْبَاعِثِ بْنَ أَنْسٍ وَأَتْبَعَهُ السُّلْطَانُ أَبُو الْعَشِيرَةِ بْنُ عَبَّادٍ . وَمَضَى الْعَسْكَرُ الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ وَضَاقَ بِهِمُ الْوَادِي فَشَرَعُوا فِي نَاحِيَةِ الْجَبَلِ وَلَزِمَ الْأَمِيرُ ذُو الشَّرَفِينَ عَلَيْهِمْ حَتَّى كَانَ فِي الْعَقَبِ بِأَصْحَابِهِ وَشِيعَتِهِ فَمَا كَانَ ضَحَى النَّهَارِ إِلَّا وَقَدْ شَرَعَ الشَّرِيفُ الْأَجَلُ وَمَنْ مَعَهُ فِي جَبَلٍ حَفَاشٍ وَلَقِيَهُمْ هُنَاكَ جَمَاعَةٌ مِنْ دِيْوَانَ السُّلْطَانِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الصُّلَيْحِيِّ وَهُوَ بِحَصْنِ الْقِفْلِ فَأَقْتَتَلُوا سَاعَةً وَكَانَ فِيهِمْ مِنَ الْمَقَدَّمَاتِ وَالْعِظَمَاءِ السُّلْطَانُ عَبْدُ الْقَاهِرِ بْنِ أَبِي الْحُسَيْنِ الْهَمْدَانِي صَاحِبُ بَيْتِ رَايِبٍ بِحَفَاشٍ فَأَعْطَى اللَّهُ النَّصْرَ عَلَيْهِمْ فَقَتَلُوا وَقُتِلَ سُلْطَانُهُمْ عَبْدُ الْقَاهِرِ قَتْلَهُ رَجُلٌ مِنْ ذِيَّانٍ يُقَالُ لَهُ عَوَاضُ بْنُ وَعَلٍ وَاحْتَزَّ رَأْسَهُ وَوَصَلَ بِهِ إِلَى الْأَمِيرِ ذِي الشَّرَفِينَ . وَطَلَعَ الشَّرِيفُ وَالسُّلْطَانُ بِمَنْ مَعَهُمَا إِلَى الْحَصْنِ الْقِفْلِ فَقَبِضَ عَلَى السُّلْطَانِ أَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الصُّلَيْحِيِّ أَسِيرًا وَأَسْرَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ وَهَرَبَ السُّلْطَانُ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الصُّلَيْحِيِّ إِلَى مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ : الْجَبَلَيْنِ ، فَأَتْبَعَهُ الْأَمِيرُ ذُو الشَّرَفِينَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مَسْعُودِ الشَّهَابِيِّ فِي جَمَاعَةٍ فَتَبِعَهُ هُنَاكَ فَقَبِضَ عَلَيْهِ وَعَلَى مَنْ مَعَهُ وَوَصَلَ بِهِ إِلَى الْأَمِيرِ ذِي الشَّرَفِينَ فَأَحْتَفَظَ بِهِ وَبِأَخِيهِ وَبُوزِيرِهِ لَهُمْ كَانَ يُقَالُ لَهُ : عَبْدُ الْخَالِقِ وَوَجَدَ فِي يَلْحِيمِ^(*) مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ مَالًا كَثِيرًا زَهَاءً خَمْسَةَ آلَافٍ دِينَارًا ، وَوَجَدَ مَعَ عَبْدِ الْخَالِقِ خَمْسَمِائَةَ دِينَارًا .

قال مفرَّح : هذا المال جعله الشريفان الفاضلان عليهما السلام فيئاً . قال :

(*) كذا في الأصل ، ولم نهتد لصحة الكلمة .

(1) وادي طمام وهو وادي لاعة ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 310 . ووادي لاعة أحد فروع وادي مور يفترق عنه بالقرب من الحديدة ويتجه شرقاً نحو مدينة الطور ثم إلى الجنوب الشرقي حتى يتحول إلى عدة أودية في منطقة الرحوم . انظر ، خريطة ج.ع. ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1543B3 ، 1543A4 .

وطلع الأمير رأس حفاش فأمر بحفظ السلطانين ووزيرهما وجمع ذلك القماش وما وجد في الحصن من الأثاث والمتاع والخدمان والسلاح والكراع . وقد كان رجال ممن يعتري إلى همدان في حصن لهم يقال : قلع ، زهاء سبعة رجال قد أحاط بهم الحميريون وأولاد السلطان المنصور فتقدم إليهم السلطان عبد الباعث فأعطاهم الأمان على أنفسهم إلى أن يوصلهم إلى الأمير فنزلوا إليه ومضى بهم حتى أوقفهم بين يديه فَمَنَّ عليه السلام عليهم وعلى جميع الأسرى إلا السلطانين ووزيرهما وهدم القفل ووصل من العشائر / قري العسكر المنصور . ثم إن الحميريين انتهبوا شيئاً منه [م ق 58 ب]

فغضب الأمير ذو الشرفين عليه السلام وأمر باجتماع سائر العسكر وأبان الغضب على السلاطين وجدد على سائر العسكر البيعة . فلما رأى السلاطين ذلك أقبلوا إليه وجثوا بين يديه واعتذروا من فعال أصحابهم إلى ما لديه فقبل منهم العذر وجمل لهم الأمر ، وكأنه داخلهم شيء من الكبر ثم شرح على العسكر المسير لظاهر نبهان . ثم نهض من الغد حتى حط بساعد جبيل ، ثم أمسى بعيان ، ثم نهض من عيان فأخذ طريق حملان⁽¹⁾ حتى طلع مسور . ثم لبث الشريف الفاضل أياماً كثيرة بمسور ثم نهض بالسلطانين ابني إبراهيم الصليحي إلى شهارة فلبثا هنالك في صيانة وإجلال غير مضيق عليهما في حال . فأقاما مدة من الزمان ثم من عليهما بعد وقت وأوان .

ذكر الخبر عن وصول الشريف الفاضل بسبب فساد بني المنتاب :

قال : وفي هذه السنة كان المخرج إلى يريم⁽²⁾ وكان سبب ذلك فساد بني المنتاب⁽³⁾ وما جرى بينهم وبين الأمير ذي الشرفين من عتب وعتاب . فنهض الشريف الفاضل من الجوف حتى طلع مسور فكان أول ما أوجبه رأيه أن سأل السلطان المنصور بن الحسين الوثاق للأمير ذي الشرفين اليمين فأجاب إلى ذلك بعد

(1) حُمْلَان قرية من قري حجة . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 2 ص 281 .

(2) يريم اسم مشترك بين بلدين إحداهما يريم : قرية من عزلة غالي وربيعة ناحية الرجم قضاء الطويلة ، وهي التي يعنيها المؤلف أما يريم الأخرى فهي مدينة جنوب مدينة ذمار . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 4 ص 779 ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة المحويت ، ص 175 .

(3) آل المنتاب أولاد ذي نواس من ذرية الملوك التابعة ، وهم ملوك مسور ؛ ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص 75 .

حين وبعد أن قال له الشريف الفاضل : قد فعلتُ مثل ما دعوتُك إليه وحلفتُ لهذا الأمير وصيرت الأمر إليه لعلمي بصلاح حاله ! فحلف السلطان المنصور للأمير ذي الشرفين اليمين البالغة بالسمع والطاعة والمؤازرة والمناصرة وأنه يُوالي مَنْ يُواليه ، ويُعادي مَنْ يُعاديهِ . ثمَّ سأله الشريف بعد ذلك أن يوقع مخالفيف مسور التي كانت تعرف له في عصر أبيه من قديم الزمان ولا يعدوها إلى غيرها مما افتتحه الأمير ذو الشرفين من البلدان ، فكأنَّ ذلك شقَّ عليه وأراد أن يكون الأمر كُلُّهُ إليه ثمَّ وقع عرض مسور وما جلسه (*) ولاعتين⁽¹⁾ وحملاان وأدران وعيان⁽²⁾ وقيلاب⁽³⁾ والتهام⁽⁴⁾ . واستولى على المخاليف التي كان فيها النفع في تلك الأيام . فلم ير الشريف الفاضل إلاَّ تسكين أحواله والمسامحة له على أنْ كُلفَ مَسُور على الأمير ذي الشرفين كثيرةً مع حوائج أهل المراسي⁽⁵⁾ والأبواب والنفقات التي تلزم لهم مع كثيرٍ من الأسباب فجعل الأمير ذو الشرفين يستمدُّ بأعمال شهارة ويجذب إلى مسور المنافع منها ومما يليها . فلما رأى المنكر الظاهر ، وكثر المعين على الفساد / والمظاهر ؛ همَّ عليه السَّلام بالخروج من مسور إلى شهارة يراجع بذلك الشريف الفاضل فقال هذا حالُ يكونُ فيه هلاكُ المسلمين والإسلام فلم ير إلاَّ تسكين الأحوال والإغماض عنها

[م ق 59 أ]

(*) تكررت الكلمة في النص ولم نهتد لقراءتها على وجهها .

(1) ربما يقصد الجبلين الموجودين بلاعة وهما جبل الأحزم وجبل جراي . انظر ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 222 .

(2) وادي عيان يقع في جنوب وجنوب غرب حجة . ووادي عيان يقع جنوب غرب وادي لاعة ثم يتجه جنوباً ناحية الخبت قضاء المحويت . انظر ، خريطة ج. ع. ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1543B3 ، 1543A4 .

(3) قيلاب واد وقرية في الشمال الشرقي لقرية مسور على بعد 7 كم وتقع القرية ما بين : 58 38 15° شمالاً ، 57 42 43° شرقاً . خريطة ج. ع. ي ، 1 / 50000 ، صفحة 1543D3 .

(4) التهام بكسر التاء المثناة ، بلدة وعزلة من ناحية من مسور قضاء صنعاء . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 310 ، ج 2 نفس الصفحة ؛ التوزيع السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، ج 1 ص 160 .

(5) خراب المراسي ناحية من قضاء برط محافظة صنعاء ، وتقع في شمال وشمال وشرق حرف سفيان . التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، ج 2 ص 602 - 612 ؛ خريطة الجمهورية العربية اليمنية ، 1 : 500000 ، قطعة رقم 1 .

وفي العين قذئ وفي الحلق شجئ . وقد كان في ذلك مكاتبات وأخبار وروايات وأشعار يطول شرحها غير أنا ملنا إلى الاختصار . من ذلك شعر الأمير ذي الشرفين الذي أنفذ به من يناع يدل على كثير من الأمور وهو هذا الشعر :

أرأس بني الصوار وابن الجحاح
ويا من نماء العز من آل شمّر
وقفت على قول عجب نظمته
يقول جرى الواشون بيني وبينكم
فلا والذي أرسى حقيلاً مكانه
وما إن وشى حقاً بكم غير فعلكم
أقول مقالاً صادقاً أنت شاهد
ألم تستغث بي مرة بعد مرة
أحاطت بك الأعداء من كل جهة
فخاطرت خوفاً للأعادي عليكم
فأصبحت في عز حريز بطلعتي
تحملت عنك الكل بالله حملة
بأشباع صدق ليس حي كمثلهم
وعاديت من عاديت سراً وجهرة
ولا صنت مالا لا ولا النفس صنتها
لكل الذي يرضيك والله شاهد
دوين الذي ترضاه فرضاً مؤكداً
تقربت بالأشعار يوماً إليكم
فكفأتم الفعل الجميل أخا العلا
ولاقيت ما لاقى مجير أم عامر
إذا عيل مني الصبر فاضت مدامعي

ويانسئ أملاك كرام مراح
أمير بني قحطان حلف المدائح
إلى أسعد المفضل خدن النصائح
وأسعدت فينا كل باغ وكاشح
ومجرى النجوم الراسيات السوابح
وما كان من تلك الأمور الفوادح
على صدق ما أبدت وتخفي جوانحي
وكررت نحوي صائحاً بعد صائح
كحيات قفر أو كلاب نوابح
مشاركة مني لكم فعل ناصح
أخا غبطة فوق الوطا والمطارح
وقاسيت جهداً في الليالي الكوالح
أولو مفخر عال وللنجم ناطح
وواليت من واليت من كل صالح
وما كنت إلا قائماً بالمصالح
وأبذل نفسي > < (*)
وأوجبه أيضاً على كل صالح
وفاضت بمدحكم جميعاً قرائحي
بفعل وأيم الله للقلب جارح
وأصبحت أخشى منك إحدى الجوائح / [م ق 59 ب]
بإسبال دمع واكف السح سافح

(*) كلمتان غير مفهومتين في الأصل .

بما قد ترى العينان من كل مسخط
ومن كل مُرضٍ للأعادي ونافع
إذا رمت إنكاراً ودفعاً لمنكر
تعرضت لي قهراً وأبديت غلظة
فاغمض مني الطرف صبراً على القذى
إذ ازددت حلماء واصطباراً وعفة
تزايدت كبراً واحتقاراً وجفوة
وقربت لي الأعداء من كل جانب
وأبدى الحسين القرم أيضاً وصنوه
لعمرك من شرب وفحش ومنكر
إذا قلت مهلاً ثم مهلاً هديتم
تصور ذاك القول حقداً وبغضة
ودبر في أمرٍ عظيمٍ مرامه
وللدين والإسلام والناس مهلك
فلم أر إلا القصد كرهاً بمهجتي
بنفسي وأشياعي وأبناء والدي
سأصرف عنكم حدنا القاطع الذي
فأصبحت ذا خوفٍ شديدٍ مبرح
< . . . > (*) الفعل الجميل فصنته
فما ازدادت الشحناء إلا تجددت
ونادت بنا الأعداء من كل موضع
< . . . > (**) المكروه والحرب باغياً
كراً عز بيت زبيبه
< . . . > (***) التحقيق منا وإنه

لمبدي البروق اللامعات اللوامح
وموه لأنف الدين بالهشم كافح
وكفأ لعادٍ في فسادٍ ورائح
أفاعيل جبارٍ عن الحق طامح
وأعرض إعراض الحليم المُسامح
وعفواً وإجمالاً فعال الأباطح
إلى غلظة ما أنت عنها بنازح
وأدنيت مني كل ناءٍ ونازح
أبو الحسن القمقام كل القبائح
وأمر من الطغيان لا شك بائح
مقالة ذي نصحٍ عن الغش زائح
ودافعني دفعاً بقول المُمَارِح
فظيعٍ لقحطانٍ وعدنانٍ فاضح
مُبيدٍ ولأحكام والشرع ذابح
يريماً وأوطان العدا فعل طارح
إلى قعر بحرٍ مُغرقٍ كل سابع
به الله أردى منهم كل طامح
وأعقت من عذب زلالٍ بمالح
صيانةٍ مجبولٍ على الصبر صافح
وما زادت القرنان غير التنازح
وعدت اصطباراً كالقويد المصالح
أبو حسنٍ بغيٍ امرئٍ غير رابح
برأيٍ مُرادٍ مبرمٍ القتل ناجح
فر إبليس أمسى طابخاً أي طابخ

(*) بياض في الأصل . والبيت كله عن الهامش الأيسر من الصفحة .

(**) بياض في الأصل مقدار كلمتين .

(***) بياض في الأصل .

<...> (*) بذل تبدو الغوائل بعدها
دع اللوم والشكوى إلى الناس كلهم
<...> (**) وتشنيع علينا وقاله
<...> (***) وما الذي قال عالم
<...> (****) الأصلوح لا دردرهم
<...> (*****) الأمر من بعد فوته
على الدأب من موري الزنادين قاح
لتقير ذي قلب عن الحق صادق / [م ق 160]
وكل وعاء راشح أي راشح
وكم من فعال للقطيعة فاتح
يردون بكراً بعد شياء قارح
بخيل وأموال وبيض لوامح

رجع الحديث إلى مخرج يريم⁽¹⁾ :

قال : ولما عمل الشريف الفاضل على تسكين تلك الأحداث وتجميل الأمور وإطفاء الضغائن ، أجمع الرأي على المخرج إلى يريم . فنهض الأمير ذو الشرفين بذلك العسكر واستقام الشريف الفاضل بمسور . فلما انفصل الأمير ذو الشرفين من بيت ريب إلى بعض نواحي الجبل تأخر عنه أولاد السلطان المنصور فكأنه استوحش لبطئهم ولم يأمن غوائلهم وخطأهم . فأرسل إلى الشريف الفاضل محمد بن أنس يأمره بالحزم منهم . ثم إنهم خرجوا بعد ذلك فتبعوا الأمير عليه السلام . فنهض الأمير عليه السلام حتى وصل المكان وكان من الأمير ما قد كان واستعمل على ذلك السلطان أبا العشيرة بن عباد وصرف إليه جميع تلك البلاد .

ذكر طلوع يناع⁽²⁾ :

قال : ولما اجتمع الشريف الأجل وصنوه ذو الشرفين وصل السلطان

(*) بياض في الأصل .

(**) بياض في الأصل .

(***) بياض في الأصل .

(****) بياض في الأصل .

(*****) بياض في الأصل .

(1) اللآلي المضية م 2/ص 170 - 171 .

(2) اللآلي المضية م 2/ص 171 ، وأنباء الزمن م 1/ص 162 - 163 ، وغاية الأمان م 1/265 .

محمد بن ورقاء من بني جناح إلى حضرتيهما إلى مَسُور وذكر أن له عملاً في طلوع
يناع فاستأنياه حتى يَصِلَهُ علمُهُما فاستعاد إلى ناحية يناع فلم يلبث أن طلعه وأنزل مَنْ
كان فيه من خدام السلطان أبي الحسين بن جناح . ثم إِنَّ السلطان محمد بن ورقاء
كتب بالبشارة إلى الأمير ذي الشرفين وهو بَعْرُ شاحذ⁽¹⁾ فأنهض إليه الشريف الأجل
ليث الدولة وعُضْدُها حميدان بن القاسم فنهض حتى صار بالحَيمة ولقيهم الخبر أن
بني الصُّليحي نهضوا من صنعاء حتى حطوا بيفاعة وأنَّ محمد بن ورقاء نزل من
الحصن وصار الحصن خِلاًوا من جميع الفريقين فاستقام يستأتي الأخبار وتقدّم
الحصن جماعة من الحَضُوريين ممن كان في الديوان حتى طلَعوا رأس جبل بيت
خولان وأشعلوا فيه النيران فتوهموا بنو الصُّليحي أن الذي طلع الجبل الشريف
حميدان فأمر السلطان أبو الحسين بن المهلهل بن جناح بنقل حريمه ليلته . فلَمَّا
كان من الغد نهضوا رائجين إلى صنعاء . فلَمَّا وَلَّوا لحمهم القتال من الحَضُوريين .
فلم يزل القتال في أعقابهم حتى صاروا بيازل من صوقب ونزل عليه الحَضُوريون
الذين كانوا برأس جبل > < (*) فقتلوا منهم قتلى كثيراً . وكان فيمن قُتِلَ
السلطان أحمد بن أسعد بن يعفر / اللهابي في عِدَّةٍ من وجوه حراز ومقدمات الحجاز
[م ق 60 ب] وغنم تلك الأثقال .

ذكر بعض الرواة أن الذي أخذ منهم ستمائة جمل وستون رأساً من الخيل
والبغال مع غير ذلك والله أعلم . وانتهى الخبر بذلك إلى الشريف ليث الدولة
وعُضْدُها وهو بالحَيمة فنهض من فوره حتى طلع يَناع وانتهت البشارة إلى الأمير
ذي الشرفين .

ذكر الخبر عن طلوع ذروة وهدمها وما كان من أخبارها وعلمها⁽²⁾ :

قال : ولما انتهى علم هذا الحادث بصوف إلى عبد الله بن محمد اللهابي

(1) شاحذ : هي الشاحذية من بلاد الطويلة سميت باسم شاحذ بن حديق . . . بن جشم بن حاشد .
الحجري : مجموع بلدان اليمن ، ج 3 ص 439 .

(*) بياض في الأصل . وربما كانت : جبل بيت خولان - السالف الذكر .

(2) اللآلي الماضية م 2/ص 171 - 172 ، وأنباء الزمن م 1/ص 163 ، وغاية الأمانى 1/265 -
266 .

وكان أحد كُفاة السلطان أحمد بن مظفر وكان بذروة فلما صَحَّ ذلك خاف ونزل منها واستخلف عليها المليح بن هيصم من بيت زود وابن عمِّ لهذا السلطان في جماعة من الديوان . فلما نزل منها وشهره أهل الصيد شَبَّوا عليه الصريخ ولحمه وَمَنْ معه القتال ، فقتل منهم أنفَارٌ وخلص بنفسه وانتهى الخبر إلى الشريف سنان الدولة وركنها أحمد بن جعفر وهو بقرية ورور فنهض في جماعة من البكيلين حتى صار بناحية ذيبين والتأم إليه من الصيد والمشرق من التأم ونهض بهم حتى صار برونة الصيد ثُمَّ طلع بهم نقيلاً محاصراً حتى صار تحت الحصن من ذروة . وانتهت الأخبار إلى الوادعي والصريمي والهمداني والعامل يومئذٍ على بلاد وادعة الحسن بن واقد الظموي فحشد الكلُّ منهم من ناحيته حتى اجتمعوا إلى ذروة بحضرة الشريف سنان الدولة وركنها فحاصروهم يوماً وليلة . وتقدّم السلطان ذعفان بن يحيى اللعوي لخطاب مَنْ بالحصن على التّوَدِّي والنزول فكبرها ذلك والمليح بن هيصم هذا على الباب فشغل الشريف سنان الدولة وجهه بذلك الخطاب وشرع العسكر عليهم الحصن من كل جانب فطلع قهراً من جميع نواحيه ، وقبض على جميع مَنْ كان فيه . فأما الديوان فأمر الشريف بأخذ سلاحهم وَمَنْ عليهم بسلامة أرواحهم وسراحهم ، وأما هؤلاء المقدمات فقبض عليهم وأُطْلِعُوا شهارة حتى أُطلقوا منها بعد حين . قال : وأمر الشريف سنان الدولة بخراب الحصن فاستقصى على خرابه . قال : وكتب الشريف سنان الدولة وركنها بالبشارة إلى الشريف الفاضل بمَسُور ، وكتب الشريف إلى الأمير ذي الشرفين بذلك إلى عُرِّ شاحذ .

رجع الحديث إلى طلوع حضور⁽¹⁾ المصانع⁽²⁾ :

قال : وصل مشائخ حضور المصانع إلى الشريف الفاضل إلى مسور يسألونه أن يرسل معهم من يلزم حصن حضور المصانع فصرفهم إلى الأمير ذي الشرفين / [م ق 161]

(1) اللآلي المضية م 2/ص 172 .

(2) جبل حضور : يقع على بعد 8 كم غربي مدينة ثلا . ويطلق عليه اسم مصانع حمير . خريطة

ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1543B4 . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 1

ص 166 ؛ المقحفي ، معجم البلدان والقبائل ، ص 630 .

وعرفه بما جرى بينه وبينهم . فلما وصلوا إليه نهض معهم الشريف ناصر الدولة وعزها الحسن بن إبراهيم والسلطان عبد الباعث بن أنس فيمن معه من الهمدانين وأولاد السلطان المنصور بن الحسين في جماعة الحميريين . وتقدم الشريف ناصر الدولة بذلك العسكر المنصور حتى طلع جبل حضور . ثم تقدم الأمير ذو الشرفين إلى عر براود ثم وصله رجال من الحميريين يسألونه أن يرسل معهم من يلزم حصن بكر⁽¹⁾ فأمر معهم السلطان علي بن علي بن أبي سعيد الحدي فلزمه . ثم طلع الأمير ذو الشرفين إلى عر عستن وقد كان وصله مشائخ الأعداء فسألوه أن يرتب معهم من يلزم حصن القرائع فأمر معهم الحسن بن علي بن محمد العلوي التهامي .

قال : وأقام الحصار على يريم شهرين ثم أخذوا منه قسراً ودخل عليهم قهراً فقتل منهم جماعة وأخذ الباقون أسراً ، وهدم الحصن من جميع نواحيه . وطلع بالأسرى إلى مسور إلى حضرة الأمير ذي الشرفين فمن على ناس من الديوان واحتفظ بالمشائخ الذين كانوا أهل المكان فأقاموا في السجن مدة من الزمان ثم أوجب رأيهم أن يخرجوا من السجن والأمير ذو الشرفين في ذلك الوقت بيناع . فخرجوا في الليل غير بعيد وهم مؤثقون في الحديد فتبعهم الأحراس وجماعة معهم من الناس فقتلوا عن آخرهم إلا حريش فإنه استقام في السجن ، ثم سأل فيه السلطان أبو العشيرة بن عباد فأطلق له وأجمل في شأنه .

ذكر نزول الشريف الفاضل من مسور :

قال : لما نزل الشريف إلى بيت الجرابي أمسى هنالك . فلما كان من الغد سلك طريق المحدد حتى أمسى بقاعة⁽²⁾ وانضم إليه وجوه همدان مثل ابن الشرسي

(1) بكر : قرية وحصن من عزلة الضلاع وكوكبان ناحية شبام قضاء الطويلة ، على بعد 10 كم شمال غرب كوكبان ، ويقع ما بين : 14° 32' 15" شمالاً ، 31° 48' 43" شرقاً . التعداد السكاني التعاوني . لمحافظة المحويت ، ص 212 ؛ خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1543B4 .

(2) قاعة : قرية من عزلة عيال حاتم ناحية جبل عيال يزيد قضاء عمران . على بعد 10 كم غربي عمران . وتقع ما بين : 13° 39' 15" شمالاً ، 10° 51' 43" شرقاً .

وابني العمري ودعفان بن يحيى وابن مقيع ومنصور بن وهيب ومشايخ بني حمّاد ومقدمات أهل البون فنهض بهم إلى شوابه . ثم إنه اتّصل به رجالٌ من أهلا ثلاً⁽¹⁾ فذكروا أنّ الأمير المتسمّي بالمكرّم هاجم عليهم ، وسأله المادّة فأنهض معهم الشيخ الفاضل محمد بن كليب بن أبي سعيد الحدي فأخذ في البون حتّى طلع من طريق المعينين إلى ثلاً فلزم الحصن ولم يلبث أن وصل هذا الأمير المتسمّي بالمكرّم وأحمد بن مظفر إلى عامر الزواحي . فلما وصلوا إليه نهضوا بأجمعهم إلى ثلاً بعد أن قدّموا في ليلتهم منسراً حتّى لزم على ملح بإزاء حصن ثلاً يطمعون فيه بالخديعة ووصل العلم بذلك إلى الشيخ محمد بن كليب فلفظ جماعةً من خيار أصحابه / [م ق 61 ب] فأوقفهم على الناحية التي بإزاء الكمين . وأقبل هو فيمن معه إلى باب الحصن مقابلاً للعسكر الواصلين وقد كان عامل فيه جماعة من الثلاثين وأمر بهم فأوثقوا في السجون ولزم باب الحصن فلم يفسح لأحدٍ في طلوع . وانتهى العلم بوصول بني الصّليحي إلى ثلاً إلى الشريف الفاضل ، فأمر صنوه سنان الدولة وركنها بالتقدّم إلى صيحة⁽²⁾ من بلاد الصيد⁽³⁾ بوجوه الهمدانين وأجمع رأيهم على المادّة لأهل ثلاً فتقدّم بهم إلى أعلى البون فلما صاروا بنقيل نجر⁽⁴⁾ أنهض من أصحابه مائة وخمسين رجلاً في الليل حتّى وصلوا إلى الشيخ محمد بن كليب إلى ثلاً وانكشف عسكر بني الصّليحي خائبين مفلولين وقد قُتل منهم ستة رجال . ثم وصل الشريف الأجلّ سنان الدولة وركنها فيمن معه من وجوه الهمدانين إلى قرية ثلاً مُمدّين . وعاد بنو

= التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، ج 2 ص 306 ؛ خريطة ج. ع. ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1543B4 .

(1) ثلاً : بالضم على ارتفاع 2400 متر ، على مسافة 10 كم جنوب غرب مدينة عمران وتقع ما بين : 32° 39' 15" شمالاً ، 04° 54' 43" شرقاً .

الويسى ، اليمن الكبرى ، ص 65 ؛ خريطة ج. ع. ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1543B4 .

(2) صيحة من قرى البون الأسفل بالقرب من ريده . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 158 ، 220 .

(3) بلاد الصّيد من أعمال ريده . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 2 ص 218 .

(4) نجر : قرية من عزلة بني حجاج ناحية عيال سريح قضاء عمران ، على بعد 2 كم جنوب عمران ؛ خريطة ج. ع. ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1543B4 . التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، ج 2 ص 488 .

الصُّليحي إلى شبام وحمل أبو مسلم العمري على عامر الزواحي فطعنه طعنةً كاد أن يأتي على نفسه . وكان لمشائخ الهمدانيين في ذلك اليوم جدٌ عظيم ، وعاد الشريف وأصحابه إلى ثُلا سالمين .

ثم نهض الشريفُ الفاضلُ حتّى تمادى به السفر إلى الحنَافج ، ثمّ توجه فحطّ في سوق طمام وكتب إلى الأمير ذي الشرفين يخبره بمقدمه عليه ويقول في كتابه الذي كتب إليه : إنّي وصلتُ بمقدّمات الناس فليعتمد أدام الله سلطانه على إكرامهم في كلّ الأحوال ويجمل حضرته بما قدر عليه من الجمال . ثمّ طلع الشريفُ الفاضلُ حتّى أمسى ببيت الجرابي . فلمّا كان من الغد نهض حتّى طلع مسوّراً فاستقبله الأمير ذو الشرفين إلى الميدان في جماعته وخاصّته وشيعته في أحسن زي وصلاحٍ ، وأجمل كسوةٍ وسلاح قد ذهب الذهابُ الجميلُ ، ورَتَّب القرى الجزيل .

ذكر الخبر عن مخرج الشريف الفاضل إلى ثُلا من مدّر⁽¹⁾ :

قال : ونهض الشريفُ الفاضلُ من شِوابة إلى مشرق بلد همدان حتّى حطّ بِمدّر ووصله جماعةٌ من بني الفضيل من زجان⁽²⁾ فأمر معهم مَنْ طلع حصن دمرمر وكان فيه خَدَمُ لبني الصُّليحي فقبض على ذلك الخدم ورَتَّب فيه رجلاً من شيعته يقال له : سبأ بن شمر من جنب . ثمّ نهض من ذلك طريق ثُلا ، فلمّا صار بثُلا وأمسى ليلته تلك نزل بذلك العسكر إلى سهل شبام . وخرج عامر بن سليمان الزواحي بعسكرٍ معه من الحجاز وحمير فجرى بينهم القتالُ حتّى علا النهار وبلغ العسكرُ معهما إلى قريبٍ من الأبواب . ثمّ انكسر عسكرُ الشريف / الفاضل من بعض نواحيه وسببُ ذلك أنه كان رَتَّب محمد بن شهاب الحَدّدي وأمره ينزل بديوان حضور المصانع إلى ناحية باب العذر فتشَبَّط عمّا أمره به وتأخّر فذلك سببُ انكسار العسكر . فقتل من عسكر الشريف الفاضل رجلاً من وجوه همدان وأنفأراً قليلاً من الديوان زهاء ستة

(1) اللّالي المضية م 2/ص 172 - 173 . وأجمل يحيى بن الحسين في أنباء الزمن م 1/ص 163 ، وغاية الأمانى 1/266 ، أخبار غارات العام (465 هـ) في سطورٍ قليلة .

(2) زجان : قرية من عزلة دمرمر ناحية بني حشيش . التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، ج 2 ص 239 .

رجال ، واستعاد الشريف إلى ثلا .

ذكر الخبر عن خروج بني الصُّليحي إلى يناع⁽¹⁾ :

قال : ولما اشتدت على بني الصُّليحي الأمور ، وانتشرت عليهم الثغور اشتوروا ووقع منهم الإجماع على قصد يناع ، واستنهضوا أهل الدعوة من سلاطين حراز ، ونهضوا من صنعاء في جميع الحجاز ، وأذاعوا عند(*) المنجمين قد أطلقوا لهم الكلام بالنصر والظفر . وانتشر ذلك الخبر وحشدوا عسكرهم من حراز مع جماعة من سلاطينهم منهم أبو الجماهر بن عبد الله بن أبي الجماهر بن قليل وكديس بن تبع الصُّليحي وإبراهيم بن أبي الغارات بن علي الصُّليحي وعراف بن فلان الصُّليحي في عسكر كثير من وجوه حراز حتى صاروا بجوفل من ناحية الحيمة . ونهض الأمير المتسمي بالمكرّم وبنو الصُّليحي حتى صاروا بعُرّ ذيب ووجهوا منهم من لم بيت خولان . وكان السلطان أحمد بن خليفة بن يزيد بموضع يقال له بيت الخاصم⁽²⁾ فنهض بنو الصُّليحي إليه وفاتنوه عليه فأقام فيه يومين . فلما اشتد عليه الأمر استأخر منه إلى عُرّ بني الحسن . وتقدّم مركز الحرازيين إلى ناحية شم⁽³⁾ فنهبوه . ونهض السلطان أحمد بن خليفة ممدّاً إلى هنالك . ونهض الحسن بن يعقوب بن الدعام من يناع فالتقيا بعسكرهما إلى وادي شمّ ووقعت اللقطة بينهم وبين سلاطين بني الصُّليحي وعسكرهم الذين من حراز⁽⁴⁾ فكانت الطائلة لعسكر الأمير ذي الشرفين فانكشف الحرازيون⁽⁵⁾ وقتل منهم بشر كثير ، وغنمت خيلهم وأسلابهم . وانهزم

(*) كذا في الأصل ، وصحتها : أن .

(1) اللآلي المضية م 2/ص 173 - 174 ، وأنباء الزمن م 1/ص 164 ، وغاية الأمانى 1/266 .

(2) بيت الخاصم من بلاد حضور . يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ج 1 ص 373 .

(3) شم بضم الشين المعجمة والميم من مساقط وادي سررد بالحيمة الداخلية . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 123 ، ح 3 نفس الصفحة ، ص 133 ، 210 .

(4) حراز أحد أقضية محافظة صنعاء مركزه مدينة مناخة في رأس جبل حراز . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 2 ص 252 - 253 ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، ج 2

ص 522 - 571 .

(5) الحرازيون : ينسب المشايخ الحرازيون بني أبي المعالي إلى الشيخ أبي المعالي بن محمد بن أبي =

السلاطين بأنفسهم حتى التجأوا إلى دار في موضع المعيدي ، واستعاد السلطان أحمد بن خليفة إلى معسكره بعز بني الحسن⁽¹⁾ سالماً غانماً فنصب رؤوس القتلى وعرض الخيل التي لبني الصليحي فانكسروا من ذلك . وقد كان السلطان عبد الباعث بن أنس نزل في الليل ممداً إلى الحذب حيث كان بناحية جوفل فلما كان بالطريق لقيه الخبر بالنصر والظفر وحق له كون السلطين أبو الجماهر ومن معه على لسان رجل من أهل الحذب يقال له : محمد بن مبارك بن أبي العسكر فسار بين يديه إليهم حتى أوقعه عليهم صباحاً : ﴿ فساء صباح المُنذرين ﴾⁽²⁾ فقتلوا عن آخرهم وأخذت بغالهم وأمتعتهم ووجهه بالرؤوس إلى حضرة الأمير ذي الشرفين عليه السلام . وقال مفرح بن أحمد :

لقد نال عبد الباعث الثأر طيباً
سقاء من الكأس الذي كان قبلهم
بسعد الأمير الفاضل الأوحـد الذي
وقاد الجيوش الشهب كالدهم تعلي
كتائب شعوى مشعيات أسنة
إذا صار في الآساد من حجراتها
وفرّج كرب المسلمين الذي عرى
وقام بنصر الدين يـرجو ثوابه
بلغنا به أقصى المني من عـداتنا
ونلنا به ديناً وعزاً وإننا
هو العصمة الوثقى وذو الدين والتقى
عليه سلام الله ما ذرّ شارق

هنيأ ونال اليوم ما كان طالبا
أبوه بها من سالف الدهر شاربا
بني المجد حتى كاد يغشى الكواكبا
بتيـاره وهداً بها والمناحبا
وزعفاً وبيضاً مدمجاً وقواضبا
وريعانها الآساد صارت ثعالبا
وأعلى الموالى واستدل المناصبا
ولم يخش للعقبى لديه العواقبا
وشدنا المعالي واكتسبنا المناقبا
لنرجوبه يوم الحساب الرغائبنا
وذو العصر لما صار ذو العصر غائبنا
وما لاح نجم الجوفي الجوثاقبا

١= الفتوح ، وأصل بلدة حراز المستحرة وفيها مسكنه وأهله ؛ ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص 133 .

(1) العر : قرية من عزلة الحذب ناحية الحيمة الداخلية قضاء صنعاء . التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، ج 1 ص 112 .

(2) سورة الصافات / 177 .

قال : واستقرت بنو الصليحي في معسكرهم بسلف بيت خفير ، واطردت
رسل الشريفين الأجلين ناصر الدولة وعزها الحسن بن إبراهيم وليث الدولة وعصدها
حميدان بن القاسم إلى الشريف الأجل بالاستمداد غاية الاطراد . وكانت في ذلك
مكاتبات وأشعار وروايات وأخبار ؛ من ذلك قول الشريف ناصر الدولة وعزها
الحسن بن إبراهيم ؛ الشعر :

<p>أيا فوخ الرئاسة والمعالي يريد هداية الأنام حقاً فلا تطلب لهم أبداً رشاداً وكل طمرة وبكل نهدي وكل مهذب بر تقى يوحداً ذا الجلال بغير شك صبور في المكاره غير نكس سلي عن غضارة كل عيش مُعادي في المهيم من يعادي يفارق كل سبل لست فيها بهم يا خيرة الأخيار تشفي إذا ما إن رميت بهم قبلاً إذا ما سيروا يوماً لحى إلى كم ذا وكم ذا يا مرجى أما إننا لقد بعنا نفوساً إذا لا بد من موت فقتل فأفضل ميتة ترجى وتلقى</p>	<p>وخيرة من تخير ذو الجلال وزادتهم لعمرك في الضلال بغير شبا المثقفة العوالي ترامى في الأعنة كالسعال نجيب الأصل من عم وخال لعمرك في الصفات وفي الفعال صدوق في الفعال وفي المقال وعن خوف المهيم غير سال / [م ق 63أ] مُوال في المهيم من يُوالي وتال كل سبل أنت تالي غليلك من طغاة أولي اغتيال رميتهم وعيشك بالوبال فإن الحي يؤذن بالزوال تكون صيانة المهج العوالي وما بيع النفوس بمستقال لأن القتل اليق بالرجال فموتات الرجال لدى المجال</p>
---	---

فأجابه الأمير ذو الشرفين :

<p>أناصر دولة الحق المذال وليث الدولة الغراء حقاً</p>	<p>وخذن المكرمات أبا المعالي وأقدم من يكون لدى النزال</p>
---	---

أَتَانِي الْيَوْمَ قَوْلُكُمْ فَأَهْلًا
تَحْضَانِي الْغَدَاةُ عَلَى نَهْوضِي
وَرَأْيِي الرُّشْدَ رَأْيُكُمْ صَحِيحًا
وَرُكْنَا الدِّينَ وَالْإِسْلَامَ حَقًّا
وَسَيْفَايَ اللَّذَانِ هُمَا ادِّخَارِي
فَفِي تِلْكَ الْخُطُوبِ هُمَا يَمِينِي
إِذَا مَا صَرْتُ فِي أَمْرٍ وَغَابَا
سَأُزْجِي الْخَيْلَ مُعْلَمَةً عَلَيْهَا
وَأُشْجِي الظَّالِمِينَ بِكُلِّ فِجٍّ
وَأَدْعُو النَّاسَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا
أَشْرَ قَبِيلَةٍ عَلِمْتُ وَأَجْرِي
فَحُضًّا الْمَاسَكِينَ بِنَا وَكُونَا
بِكُلِّ فَتًى لَهُ عِزٌّ وَحِزْمٌ
فَإِنَّكُمْ السَّنَانُ لَدَى التَّلَاقِي [م ق 63 ب]
وَأَنَّكُمْ الْعَمُودُ بِلَا كَلَامٍ
مِنَالِ الْعِزِّ وَالْعَلِيَاءِ حَقًّا
وَقُومَا الْيَوْمَ قَوْمَةً هَاشِمِيًّا
بِأَعْدَاءِ الْمَهِيْمِينَ حَيْثُ كَانُوا
بِمَا فِيهِ الدَّمَارُ لِكُلِّ ضِدٍّ
لَعَمْرُكَ مَا وُلَاةُ الْحَقِّ طُرًّا
أَمْ تَرَأَوْهُمْ رَامُوا ثَلَاثًا
وَوَلَّوْهُمَا رِبِينَ مَعًا جَمِيعًا
فَفَازَ الْمَانِعُونَ لَهُمْ وَعَزَّوْا
وَأَبَ الْجَاحِدُونَ إِلَيَّ شَبَامًا
فَلَا زِلْنَا الزَّمَانَ لَهُمْ شَحَاكًا
وَصَلَّى اللَّهُ مَا طَلَعَتْ نَجُومٌ

وَسَهْلًا بِالْقَوْلِ وَبِالْمَقَالِ
لِحَرْبِ الْكَافِرِينَ أُولِي الضَّلَالِ
لَأَنَّكُمْ النِّهَايَةَ فِي الْكَمَالِ
وَعُوثٌ فِي الْمَكَارِهِ لِلْمَوَالِي
لِنَائِبَةٍ تَهْدُ قَوَى الرِّجَالِ
وَفِي تِلْكَ الْخُطُوبِ هُمَا شِمَالِي
فَمَا أَنَا فِي مَعِيبَهُمَا بِسَالِي
لَعَمْرُكَ كُلُّ مُحَمَّدٍ الْخَصَالِ
وَأَبْذُلُ مَهْجَتِي فِيهِمْ وَمَالِي
لِحَرْبِ ذَوِي التَّزْنُدُقِ وَالْمَحَالِ
جَرِيٍّ فِي الشَّنِيعِ مِنَ الْمَقَالِ
عَلَى حَيْنِ التَّأَهُبِ لِلْقِتَالِ
وَبِالْبَيْضِ الْجِدَادِ وَبِالْعَوَالِي
وَصَحْبُكُمْ السَّهَامَ لَدَى النُّضَالِ /
وَأَنَّكُمْ السَّبِيلُ إِلَى الْمَنَالِ
وَأَطْوَعُ مَنْ يَكُونُ لَدَى الْجَلَالِ
حُسَيْنِي الْمَذَاهِبِ لَا يُبَالِي
فَأَمْرِي وَارِدٌ إِحْدَى اللَّيَالِي
وَمَا فِيهِ الْعُلُوكُ لِكُلِّ وَالِي
بَسْهَلِ الْأَرْضِ أَوْ مَنْ بِالْجِبَالِ
فَخَيَّبَ ظَنَّهُمْ مُبْدِي الْهَلَالِ
عَلَى خَيْلٍ تُبَادِرُ كَالسَّعَالِي
وَأُضْحِي فَخَرُّهُمْ سَامَ وَعَالِ
عَلَى حَالِ الْمَذَلَّةِ وَالنَّكَالِ
وَدَامُوا الدَّهْرَ فِي شَرِّ الْوِبَالِ
عَلَى خَيْرِ الْأَنَامِ وَخَيْرِ آلِ

ذكر الخبر عن نهوض الأمير ذي الشرفين إلى يناع من مسور⁽¹⁾ :

قال : فكاتب الشريف الفاضل وسأله جمع العسكر الكثيف وجند السلاطين والعرفاء من جميع المخاليف . فجمع الشريف الفاضل عسكراً كثيراً ، وقدم عليه السلام في عسكر زهى في أحسن عُدّة وزى . قال : ونزل الأمير ذو الشرفين من مسور إلى بيت الجرابي في القوة القوية في جماعة وافرة من الشيعة الحسينية ، والتقى هو والشريف الفاضل وتكاثفت العشائر والمواكب . فلقد حالوا بينهما من السلام حتى وصل أحدهما إلى صاحبه في ذلك المقام . فلما كان من تحت الليل أمر الشريف الفاضل إلى الأمير ذي الشرفين عليهما السلام فسأله الإذن للقدوم عليه إلى المضرب ويسأله أن يُخلي له المكان حتى لا يحضرهما أحد . فرجع إليه الرسول بالإذن ، فسار من حيث لا يعلم أحد بمسيره . فلما اجتمعوا في المضرب تراجعاً في الحديث وكثرت بينهما المحاورّة والمشاورّة بما علم الله ، إلّا أنه ظهر من رأي الشريف الفاضل شيء بعد حين وكان يكره خروج الأمير ذي الشرفين إلى يناع . فقال : أرى - يا جُعَلْتُ فداك - أحد أمرين ولا أحبُّ لك ثالثهما إمّا أن تُخرج من هذه العساكر / مع الشرفاء والسلاطين والعرفاء إلى يناع من يكفيك ما هنالك وتعود إلى مسور . وأمّا الوجه الثاني نهضنا بجميع هذا العسكر وقصدنا به إلى شبام ففتحناها إن شاء الله ، ورددت وجوه بني الصليحي وكفأك الله مؤونتهم . وأمّا الثالث الذي أكرهه لك فالخروج إلى يناع والرأي بعد ذلك لمولانا الأمير ونحن له وبين يديه ! فلم ير الأمير ذو الشرفين إلّا التقدّم إلى يناع . فلما كان من الغد وذلك في شهر رجب سنة ست وستين وأربعمائة سنة عزم على النهوض فاستعمل على مقدمته السلطان نشوان بن نشوان فنهض على جانب من الليل وتتابع العسكر الأول فالأول . وكان الأمير ذو الشرفين في العقب في الشيعة والوادعيين والمقدمات من الهمدانين والبكيلين فنهض بعد طلوع الشمس من بيت الجرابي وكانت المحطة سهل الباقر⁽²⁾ . ثم نهض العسكر المنصور على تعبته وشرح الأمير ذو الشرفين المحطة

(1) اللآلي المضية م 2 / ص 173 - 174 ، وأنباء الزمن م 1 / ص 164 .

(2) الباقر بالباء الموحدة ، هو اليوم خراب وكان به حصن يقع في بني العباس من بلد كوكبان ، والباقر هو =

بالحكمة ولقيه السلطان عبد الباّحث بالقرى الجزيل للعسكر المنصور . فلمّا كان من الغد نهض الأمير ذو الشرفين حتّى طلع يناع فاستقبله الشريفان الأجلّان ناصر الدولة وعزّها الحسن بن إبراهيم وليّث الدولة وعصدها حميدان بن القاسم فيمن معهما من الشرفاء والسلاطين والعرفاء في مواكب حسنة وحضرة متمكّنة ، واجتمعت عساكر ضاق بها الفجّاج وسطع لمسيرها العجاج . أخبرني غير واحد أنّ أصحاب الريح اعترضوا ذلك اليوم نيفاً وسبعين ريحاً فطلع الأمير ذو الشرفين فحطّ بالدار بيناع ومعسكر بني الصّليحي بيت حفير وصبّح لهم الخبر ورأت العين العين وعظم عليهم الأمر وخشوا أن تلزم عليهم يفاع فلا يجدوا إلى الخلوّص طريقاً فأنهضوا مدافع ابن الحسن بن يوسف الجنبي فيمن معه من الجنبيين حتّى لزم لهم رأس يفاع ، ونهض باقي عسكرهم منهزمين إلى عرّديب من آخر ساعة ولحقهم سرعان العسكر المنصور فأنهزم المدافع من يفاع وقاتلوا أناساً من أعقابهم وأخذوا شيئاً من أسلابهم . ثمّ أنزل الله على عسكر بني الصّليحي لصباً من البرد وكاد أن يأتي عليهم ثمّ انهزموا إلى جبل بيت خولان .

رجع الحديث إلى كون الشريف الفاضل بمسور :

قال : وأقام الشريف الفاضل عليه السّلام بمسور مدة أيام فأحكم أموره غاية الإحكام واستخلف على الجبل صنوه الشريف الأجل سنان الدولة وركنها أحمد ابن جعفر/ بعد رجوعه من بيت بوس⁽¹⁾ وقرن عتتر⁽²⁾ ونهض إلى ثلاثي خيل ضخمة من الشيعة والهمدانيين والبكيليين ثمّ نهض أمام صنعاء⁽³⁾ حتّى إذا صارت خيله

= غور سراة المصانع . الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص 123 ، ح 1 ص 124 .
(*) في الأصل فوق السطر : رأس .

(1) بيت بوس : قرية من قرى ناحية سنحان على بعد 7 كم جنوب صنعاء وتقع ما بين : 23° 16' 15" شمالاً ، 11° 12' 44" شرقاً . خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1544C1 .

(2) قرن عتتر : حصن من حصون بني شهاب بالقرب من صنعاء . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 1 ص 122 .

(3) اللّالي المضية م 2/ ص 174 ، وأنباء الزمن م 1/ ص 164 ، وغاية الأمان 1/ 266 - 267 .

بسُهل علمان⁽¹⁾ شَنَّ الغارة من ذلك المكان فأخذت الخيل أمامها يميناً وشمالاً حتى بلغت جراف المعر ووصلت مزارع شعوب وغُلقت الأبواب من صنعاء ووقعت فيها الهائعة وغنمت الخيل ما لحقت وانثنى الشريف الفاضل من آخر عشيته حتى بات بطرف من الخشب ثم استعاد إلى ثلا وكان غرضه عليه السلام نشر مراكز بني الصُّليحي من جبل حضور فكان كما تأمله .

ذكر الخبر عن تخريج الشريف الفاضل إلى ذمرمر :

قال : خرج الشريف الفاضل من شوابه في شهر رمضان سنة ست وستين وكان قصده إلى ناحية أكانط⁽²⁾ ، وجهَّز حمولةً عظيمةً من الحَبِّ والزبيب إلى قلعة ذمرمر ، وسيرَ مع الحمولة ناساً من العسكر مع صنوه سنان الدولة وركنها أحمد بن جعفر فأوصلوا الحمولة إلى ذمرمر وباتوا بالسر ليلةً ، وأغاروا يوم الثاني حتى بلغوا أبواب صنعاء وكان يومئذٍ بقلعة ذمرمر سبأ بن شمر . فلما حصلت الحمولة إلى القلعة استعاد الشريف الفاضل إلى ثلا .

ذكر الخبر عن الخروج إلى دوبيع :

قال : والذي هاج ذلك أنَّ رُسلًا للشريف الفاضل كان وجههم إلى ناحية السوق⁽³⁾ وجنابه وكانوا من شيعته وأحبابه لقبض مالٍ من عامله على تلك البلدان .

(1) علمان بضم العين : قرية من عزلة سدس القرية ناحية بني الحارث في أسفل وادي ظهر على بعد 12 كم غربي صنعاء ، وتقع ما بين : 46° 27' 15" شمالاً ، 43° 08' 44" شرقاً . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 3 ص 610 ؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، ج 2 ص 233 .

(2) أكانط هو كَانَط قرية من عزلة خميس القابض (كانط) ناحية خاراف قضاء خمر . على بعد 14 كم شرقي مدينة ريدة وتقع ما بين : 40° 49' 15" شمالاً ، 42° 10' 44" شرقاً . التقسيمات الإدارية لعام 1985 ؛ خريطة ج.ع.ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1544A1 .

(3) السوق من بلاد الأهنوم . وكانت سوق لهمدان تقام كل يوم خميس . انظر ، مسلم اللحجي ، كتاب فيه شيء من أخبار الزيدية ، ص 44 ب .

فلما صاروا < . . . > (*) وثب عليهم أهل المكان فقتلوا منهم ثلاثة رجال
 < > (**) رجلان وأخذ ذلك المال . قال : ولبت الشريف الفاضل يتوقع
 لهم الغيرة وكان عنده لهم طلائع < . . . > (***) فلم يظهر إلا أنه قد اشتغل عنهم
 وهو في ذلك < . . . > (****) منهم فرتب مخرجاً كثير الخيل ثم رفع من ثلث
 < . . . > (*****) وأخذ في البون حتى حط برأس عجيب . ووصل الشريف
 الحسين بن إبراهيم في جماعة من البكيلين فلقيه < . . . > (*****) بن واقد في
 جماعة من الوادعين .

فلما كان من الغد رفع حتى حط بوعار⁽¹⁾ من بلاد ظليمة وقد قدّم رسولاً إلى
 شهارة فلقيه من أهلها جماعة من المسلمين من أهل الحقائق والدين فأمرهم أن
 يكونوا مقدّمة العسكر . فلما فرغ هو وأصحابه من صلاة العشاء رفع طريق مدر بينة .
 فما كان ضحى النهار إلا وقد شنّ بدوبع المغار وتقدّمت رجال الشيعة مع أفراس من
 سوابق الخيل فلحقوا جماعة من المُحدّثين فقتلوهم وتتابع العسكر المنصور إلى
 المكان ولبت هنالك مدّة أيام ثم رفع من هنالك إلى موضع / في جانب البلد يقال
 له الحول فأقام هنالك مدّة أيّام ووصل من وصل إليه بالطاعة من حَجُور الشام
 استوفى مدافع أهل الطاعة من أهل تلك البلدان وقفل الشريف الفاضل بذلك
 العسكر حتى صار بأقروسلّم إليهم أرزاقهم وأجمل في أمورهم وحَبّاهم وكساهم وأمر
 لمقدّماتهم بكسوة حريمهم وأولادهم فراجع بعض أصحابه ولم يذّر ما غرضه ؛
 فقال : يا مولانا الشريف ! ما المُوجبُ لكسوة امرأة (*****) لا تخرج ؟ فقال له :

(*) بياض في الأصل .

(**) بياض في الأصل .

(***) بياض في الأصل .

(****) بياض في الأصل .

(*****) بياض في الأصل .

(*****) بياض في الأصل .

(*****) في الأصل : مرة ، والتصحيح فوق السطر .

(1) وعار : قرية من عزلة سيران الشرقي ناحية شهارة . التعداد السكاني التعاوني لمحافظة حجة ،

ص 381 .

يا أبا فلان ! إذ اراح إليها جميل الحال وراح بكسوة الزوجة والعيال كنت إذا أرسلت إليه للخروج حثته على ذلك ، وإذا راح إليها بغير منفوع قالت له : ضيقت مالك وطرحت أهلك وتبطلته عن الخروج ! فهذا الحال الذي حملني على كسوة الحریم ! وفي هذا المخرج ما يقول مفرح بن أحمد :

< . . . > (*) وصف غزوتنا الأعادي
ونور الشمس في فرجات خيل
ترامى (**) من ظليمة في وعار
ربطنا من عليهن المخالي
وقاية صدر بينة وهي تشكو
صبحنا الحي من نهم صباحاً
صدمنا جمعهم بدم حلال
لقد قربت مسافتنا إليهم
سقوا من غب ما اجترموا ودارت
ولكن أمعنوا هرباً وفرّوا
وقد أخذت بضعف الثأر منهم
ودانت حيث كانت من حجور
ووافت بالخراج على وفاة
وقد دلفت إلى عبل وزافت
وراح العسكر المنصور منه

ومخرجنا لدوبع من شبام
مقبلة النجباء إلى ديام
سواهم كالقذاح من السهام
وعشنا باليسير من الطعام
إلى ركبائها غسق الظلام
أشاب وليدها قبل الفطام
بظلمهم بسفك دم حرام
وزرناهم بشيء من حمام
بساحتهم رجا الموت الزؤام
من أسباب الحمام إلى الحمام
سيوف بوادر الجيش اللّهام
حجور في اليمان وفي الشام
لشيخ الطالبين الهمام
كتائبنا فراحت في السوام
بسعد الجد والنعم الجسمام

قال مفرح بن أحمد : رأيت للأمر ذا الشرفين كتاباً إلى صنوه الشريف الفاضل يقول فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . الأمر الذي حمل عليه مملوك الشريف الفاضل
الأجل / مولانا نفسه أمرٌ عظيم وخطبٌ هائل جسيم فيه إمّا هلاك الإسلام والمسلمين [م ق 65 ب]
وإمّا اجتثاث أصل الكفرة الظالمين وذلك أني لما صرت بيناع وصار بنو الصليحي

(*) بياض في الأصل . وهناك تصحيح بخط مختلف : تحموا .

(**) في الأصل بخط مختلف .

بجبل حضور ورأيتُ أن أفتح عليهم الفتنة من ناحية ابن أبي الفتوح وكاتبته وثورته للفتنة فصرفوا وجوههم إليه ، وقاموا بالفتنة عليه وعلمتُ أني إن لم أشغل وجوههم عنه أخذوه وانتظم لهم بأخذه أخذي من يناع . فكاتبْتُ بني شهاب⁽¹⁾ وفتحتُ عليه الفتنة من ذلك الجنب وقلتُ إليهم الأشعار وقاسيتها بنفسي في الليل والنهار ودخلتُ لهم تحت الكُلف الكبار . ثم مضى في كتابه إلى ما أراد من مشورة الشريف الفاضل وخطابه وسأله المادّة والمنافع من ناحيته وجنابه فحمل الشريف الفاضل إليه إلى يناع كثيراً من الزبيب والطعام وأمدّه بالقوم والدرهم والدينار وكان زمان غالي الأسعار قليل الأمطار منقطع الثمار بلغت فيه الصغيرة عمّا ذكروا - والله أعلم - ديناراً - والله أعلم - فحمل كُلف الكبار منهم والصغار ورسم للمقدمات منهم لكل رجلٍ في الشهر مائة دينار مع النفقة والعطية على الإدرار والحوائج المطلوبة والمواهب الموهوبة . وكان مما قاله الأمير ذو الشرفين من الأشعار إلى بني شهاب :

<p>إذا ما زرتُ أخوالاً كراماً ولا زالوا معاً أبداً سناماً لزيدٍ لا رأيتُ له حِمَاماً ويأمرهم بأن يذروا القياما وأن تضحى النساء إذا أيامي لما كشف الإله بنا الظلاما تُحييت الذلّ ما داموا وداما بها قد كان ملُكُهُم استقاما ولا قهر^(*) الحلال به الحراما ولا انتصر الضعيفُ فلن يُضاماً ولا هجر المعازف والمُداما رئيسُ نسل شيخٍ كان حامياً</p>	<p>ألا أبلغُ هُديتَ لنا السلاما شهاباً لا عدمتُهُمُ جميعاً وقلْ لَهُمُ وقفتُ على مقالٍ يحضُّهُمْ على سلم الأعادي وحذرهم خرابَ الأرض طُراً ولو ترك الجهاد لخوف هذا وما برح القبائلُ من يمانٍ وما انقطع القرامطُ من بلادٍ ولا انتفت الفواحشُ من بلادٍ ولا انتعش التقيُّ فصار حياً ولا امتنع الظلومُ من التعدي [م ق 166] وأنى اليوم يقنع بالتواني</p>
--	--

(1) بنو شهاب بن العاقل ، تقع بلادهم في ناحية بني مطر ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 135 ؛
الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 1 ص 119 .

(*) قبل : « ولا قهر » في الأصل : والمعاصي ! .

على الأصل الصريح فلن يبالى
على سلم القرامط حيث حلّوا
ألستم رأس كندة حيث حلّت
وما فضل الرجال على الغواني
ولم يك منهم نفع وضرر
وما فضل الحسام على عصاة (**)
وما تغني السهام إذا أقامت
ولم ينك العدو بهنّ يوماً
وربّ كريهة كرهت وفيها
إذا فخر الكرام بنو عليّ
تماماً للمفاخر والمعالي
كذا الدنيا لعمركم كلام
ولا تذروا القيام على الأعادي
فإن الله يقلعهم قريباً
وفي الله العظيم لكم وفينا
وإن قطعوا الكروم وإن أبادوا
وما لكم الغداة بنا اعتياض
ولا سنحان أو نهذاً أخاه
وعاراً لا عدمتكم مقيماً
وليس اليوم مثلكم براض
وكلّ الناس باين ذا الأعادي
ولا ترضوا لأنفسكم بهذا
ودوموا الدهر في عزّ عزيز
وصلّى الله ما طلعت نجوم

بأرض لا ولا رضي المقام
ليل (*) غرباً تغرب ثم شاماً
فحتّى ما الخمول كذا إلى ما
إذا لزموا المنازل والخياما
ولم يشجّوا القرامطة اللثاما
إذا ما أنت أغمدت الحساما
ببطن كنانة ملئت سيها
لتذكرة الجبان بها الصداما
رشاد للعواقب لن تلاما
بأقوال فخرت بكم تماماً
فلا نصحوا على العليا نياماً
فكونوا اليوم أطيها كلاماً
فتضحوا بعد فعلكم نداماً
ويثقم الطغاة بنا انتقاماً
عواض إن هم صرموا الطعاماً
بلاداً سوف تنتظم انتظاماً
فخافوا الله لا جنباً وياماً
فسلم القوم يكسبهم أثاماً
ونقصاً في البرية وانثلاماً
لدين الله أولكم اهتضاماً
سواكم فانظروا ساماً وحاماً
ونار الحرب تضطرم اضطراماً
من الرحمن ما أنشا الغماماً
على من كان منتجباً إماماً

(*) كذا في الأصل - ولم نهتد لقراءتها .

(**) في الأصل : عصا .

[م ق 66ب] وعترته الكرام ذوي الأيادي به وبهم هدى الله الأناما/

رجع الحديث إلى مكاتبة بني شهاب⁽¹⁾ :

قال : ثم إنَّ الأمير ذا الشرفين كاتب بني شهاب وواطأهم على ما ذكرنا من جميع الأسباب ورسم عليهم وصول رهائن تكون عنده ، فبعثوا إليه من سلاطينهم بستة رجالٍ فأقاموا عنده على أحسن حال . ثمَّ قدم السلطان عبد الباعث إلى حصن أَرهم^(*) وخرج إلى بلد بني شهاب تخرجاً فيه عظماء الدولة ورؤساؤها وخيارها فقصدوا إلى بيت يرام⁽²⁾ وذلك في شهر شعبان سنة ست وستين وأربعمائة . وأجمع رأيهم على أن يقصدوا قرن عنتر ووقف فريقٌ منهم في بيت يرام وجماعة في قيفان . وتقدّم الشريف سنان الدولة إلى بيت بوس ثم أرسل أمير بني الصُّليحي المتسمي بالمكرّم مَنْ كان من سلاطينه أن يقدموا ، فلما حصلوا مجتمعين بصنعاء خرجوا إلى حارة بني شهاب فنهبوا الزروع وأكثروا الخراب ثمَّ تقدّموا إلى قرن عنتر فأحاطوا به وعزموا على أخذ مَنْ فيه . فلما رأى ذلك مَنْ به من الشرفاء والمقدمات والسلاطين والعرفاء ؛ وكان اللواء والأمر لبهاء الدولة وحسامها الحسن بن إبراهيم بن سليمان فعباً العسكر المنصور أثلاثاً فجعل الشريف ناصر الدولة وعزّها في ثلث وصيّ الشريف ليث الدولة وعضدها في ثلث ، وصيّ نفسه في ثلث . وعباً الأمير المكرّم عسكره على ثلاثة ألوية ، ولزم أهل قرن عنتر كلّ تعبته قاعداً حتّى ابتدأهم بنو الصُّليحي بالحملة ثم فاروا عليهم فجعل الله الطائلة لأوليائه والنصر على أعدائه فقتل من عسكر بني الصُّليحي مَنْ قُتل من الرجال وأخذت منهم خيلٌ وبغالٌ واستقام القتال إلى بعض النهار ثمَّ انصرفوا راثحين فتبعهم سرعانُ العسكر المنصور بنقل حدة⁽³⁾ فقتل منهم ناسٌ وأقامت الفتنة في الحازة يغدون على القتال ويروحون وأغار خيل

(*) أَرهم أو أدهم .

(1) اللّالي المضية م 2/ص 174 - 175 ، وأنباء الزمن م 1/ص 164 .

(2) بيت يرام : قرية من عزلة شهاب الأعلى ناحية بني مطر . التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، ج 2 ص 254 ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، ج 1 ص 78 .

(3) حدة : قرية من ناحية سنحان على بعد 5 كم جنوب غرب صنعاء . خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1544C1 .

الأمير ذي الشرفين التي كانت في بلد بني شهاب حتى وصلت الغيل ، غيل البرمكي⁽¹⁾ ، ووقع الحصار الشديد على صنعاء حتى صار الحبُّ عندهم على أغلى سعرٍ من ربع المدِّ ومن ثمنٍ بدینار ، وصار لا يخرج لهم سرخ ولا مالٌ إلا أخذ ولا رسولٌ إلا قبض أو قتل وجاعوا جوعاً شديداً كما قال بعض شعرائهم⁽²⁾ :

أمالولا الحسين أتى سريعاً لكان خروجنا منها سريعاً
فكم من سيّدٍ بطلٍ هُمامٍ على باب المدينة مات جوعاً

في شعرٍ له طويل لم يأت الحفظ على كله . قال : ولما اشتدَّ عليهم الأمر أجمع رأيهم بعد أيامٍ أن خرجوا مجتمعين إلى المعلل⁽³⁾ من بلد بني شهاب لزرع كان فيه حتى حطّوا في بعض / نواحيه . فلما علم الأمير ذو الشرفين بنهوضهم أمداً [م ق 67] أصحابه بعسكرٍ كثيرٍ عليهم السلطان أبو العشيرة ابن عباد فلزم بيت يرام وجرى بينهم قتالٌ كانت الطائفة فيه لعسكر ذي الشرفين . فلما رأوا ذلك راحوا خائبين : ﴿ وقيل بُعداً للقوم الظالمين ﴾⁽⁴⁾ .

رجع الحديث إلى كون الأمير ذي الشرفين بيناع⁽⁵⁾ :

قال : ووصل الأمير ذو الشرفين إلى حصن يناع في شهر رجب سنة ستٍ وستين وأربعمائة فأقام به ستة أشهر ، وخرج في الشهر السابع وهو المحرم أول شهور سنة سبعٍ وستين . وكان سبب خروجه وانتشار ونزول السلاطين والمقدمات من الحصون فساد العشائر . فأما عشائر المغرب فكان فسادهم بسبب العمّال واستلحاق الأموال وسوء السياسة والغفلة عن الأصل الذي ينبني عليه ، ومالت بهم الدنيا فلما

(1) غيل البرمكي من غيول صنعاء ، يسقى مزارع بيت معياد جنوبي صنعاء ومنابعه من بلاد سحان . الحجري : مجموع بلدان اليمن ، ج 1 ص 117 .

(2) نقلها صاحب اللآلي المضية م 2/ ص 175 .

(3) المعلل بفتح الميم وسكون العين المهملة ثم لامين أولهما مفتوحة بأعلى جبل حضور (النبي شعيب) وهي من روافد وادي الخارد الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 157 ، 211 .

(4) سورة هود/ 44 .

(5) اللآلي المضية م 2/ ص 175 - 176 ، وأنباء الزمن م 1/ ص 164 - 165 .

صاروا إليه فقد صرنا في شَغْبٍ وهم . قال : ولما كان الأمر كذلك تراسل العشائر وتوأمروا وتعاونوا على الفساد في جميع تلك البلاد . قال : وأما فساد أهل المشرق فاستمالهم بنو الصُّليحي بالطمع وزخرفت لهم الخدع ، وتمسّ على عوامهم وطغاهم بذلك الشريف حسين بن أبي الفتح وأعانه بنو الصُّليحي بدفع الأموال . فلما قَضَوْا وطراً أهانوه وأذالوه (*) وقطعوا عنه ما كانوا أنالوه وكان عاقبة أمره خُسرًا . قال : ثم إنَّ الشريف الفاضل أعمل الرأي في خروج الأمير ذي الشرفين فكتب إليه رَقْعاً ملطفاً مع رجلٍ عمري ثم أدرجه في شعر رأس الرسول وحثه على سرعة الوصول . فلما وصل إلى الأمير ذي الشرفين عمل على الخروج لأن يقع الإجماعُ على مكاسرة حيث استقروا فبينما هو على ذلك إذ عزز الشريف الفاضل إليه بوصول الشريف ناصر الدولة وعزها الحسن بن إبراهيم والسلطان نشوان بن نشوان وعلاء بن أبي الخير بن مكرم . فلما وصلوا بالأمير ذي الشرفين ألقوا إليه ما أودعهم الشريف وتجهّز الأمير ذو الشرفين للخروج واستخلف على يناح ليث الدولة وعضدها حميدان بن القاسم والسلطان محمد بن ورقاء بن الدِّعام . وخرج لأيام مضت من شهر المحرم سنة سبعٍ وستين فأخذ طريق سهمان⁽¹⁾ حتى صَلَّى صلاة الفجر بحاز ولقيه الشريف الفاضل من قرية حضور المصانع إلى ثلا ، وأمسى الشريف الفاضل والأمير ذو الشرفين بقرية ثلا فأرسل للمقدّمات وأهل الرأي . ووقع الإجماعُ من الكلّ على قصد بني الصُّليحي بالجنّات⁽²⁾ ومكاسرتهم . فلما كان في الليل / أتى الشريف الفاضل رجلاً من أهل عرض مَسُور من مشايخهم فقالوا يا مولانا قد خالف أهل حملان وفسد جميع أهل تلك البلدان ، ونحن نريد أن تبدأ بطلوع مسور وتطأ تلك البلاد بهذا العسكر فكأنّه أصغى إلى كلامهما فأصبح وقد خلف عن

(*) كذا أيضاً في اللآلي المضية م 2/ص 175 .

(1) سهمان : حقل واسع ناحية البستان (بني مطر) . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 3 ص 437 .

(2) الجنّات : قرية من عزلة عمران قضاء عمران محافظة صنعاء ، على بعد 3 كم شمال مدينة عمران وتقع ما بين : 05° 41' 15" شمالاً ، 32° 56' 43" شرقاً . التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، ج 2 ص 318 ؛ خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1543B4 .

مكاسرة بني الصُّليحي⁽¹⁾ . فلمّا كان من الغد أمر باجتماع العسكر ثمّ قال اعلموا أنه قد أصبح لنا عدوّان وأحدهما أقوى من الآخر وهم العشائر وبني الصُّليحي ؛ ونحن نبدأ بمن خالف علينا ثم نعود لبني الصُّليحي . فكأنّ نفوس العسكر انكسرت لذلك لأنّ محبوبهم قصد بني الصُّليحي ونهض بهم الشريف والأمير على كُرهِ منهم .

رواية عن الأمير ذي الشرفين رواها غير واحد

قال : كان يقول ما آسى إلّا على اثنتين إذا ذكرتهما شرد عني المنام وغصّني الماء والطعام ! أحدهما أن أكون قصدتُ بني الصُّليحي إلى الجنّات ، والأخرى أن لا أكون ربّتُ لهم ترتيباً يوم وصولهم إلى أقر .

ذكر خروج الشريف الفاضل من مسور وما كان في يوم شرس⁽²⁾

قال : ولما عمل الشريف الفاضل على الخروج من مسور شاور السلطان الحسين بن المنصور على ذلك . ووافق بين بني المنتاب وبين شيعته المتخلفين على المحارس والأبواب إنّ أمرهم لَوَاحِدٌ وأنه لا يصل إلى الشيعة مكروه من أحدٍ من قريب ولا بعيد . ثمّ أنهض آخر يوم الثلاثاء فخرج باب الشروح متوجّهاً إلى قِلاب⁽³⁾ ومعه كثيرٌ من أصحابه وشيعته قد خرجوا بما خَفَّ من أموالهم وخلفوا ما كان بمسور من حريمهم كَنَّةً على العقد والذمام ومتابعةً لأمر الشريف الفاضل عليه السّلام فلمّا صاروا في بعض النّقل أخذت لهم هنالك آبالٌ وأثقالٌ ثمّ يمموا على صوبهم حتى أصبح لهم بالموشرة يوم الربوع ربوع لا يدور وهو يوم المحاق من الشهر . فشبّ أهل المكان الصريخ وتلاحم القتال بين العسكر وبين أهل تلك الناحية ثمّ امتدّ الصريخُ في جميع ذلك الجناح وأخذ الشريف في الوادي وجعل القتال يلحمهم بين الجبلين والغواير تتبعهم من كلا الجانبين حتى انتهوا إلى

(1) في اللّالي المضية م 2/ص 175 : فأصبح وقد حال (عن) الرأي الأول .

(2) اللّالي المضية م 2/ص 176 - 177 .

(3) قِلاب : على وادي قِلاب ، وتقع على بعد 7 كم شمال شرق مسور ؛ خريطة ج . ع . ي ،

1 : 50000 ، صفحة 1543B3 .

الظهيرة⁽¹⁾ وقد استشهد منهم جماعة فيهم الشريف أبو هجري سليمان بن داود الرستي ومحمد بن زيد الترحي ومحمد بن أبي الخير المالكي ويحيى بن أبي الخير الصريمي ومنصور بن الحسن الحبشي وزيد بن أبي العشيرة النعامي في جماعة من المسلمين رحمة الله عليهم أجمعين ؛ فكان وصولهم الظهيرة نصف النهار وكانوا عاملين على أن أهل الظهيرة لا يهيجون لهم / بقتال ولا يعرضون لهم بحال لما كانوا عليه من الصيانة والرعاية من الشريف الفاضل فقدم إليهم رجال من أصحابه فواثقوهم وأعطوهم الأحفاد وعاهدوهم والشريف الفاضل مدل بالجميل الذي يتفضل به عليهم فلم يلبثوا أن وقعوا في أصحابه وأخذوا شيئاً من ثقله ودوابه وأخذوا خيل الرجال الذين كانوا تقدموا إليهم وغدروا أشر غدرٍ وختروا أقبح ختر فقتل من أصحاب الشريف الفاضل هنالك رجالٌ ولم يخلص منهم بمن بقي من أصحابه إلا بعد القتال الشديد وحمل عليهم أصحابه فقتلوا رجلين وخلصوا منهم قهراً فخلص الشريف بأصحابه إلى وادٍ يقال له وادي الغير فحط نهاره هنالك ووصله إلى ذلك المكان رسول السلطان أبي الفتوح بن عليان يخبره باحتشار البلاد وما قد جرى فيها من الفساد فتحقق الشريف أن الطريق قد لُزمت عليه وأنه لم يبق له مجازٌ فيما بين يديه . فلما جنَّ الليل أمر بإيقاد النيار ثم رفع من ساعته راجعاً على إثره حتى سلك في وادي مور ثم أخذ طريق قاوية⁽²⁾ فأوقع فيهم أهل تلك الناحية فقتل من أصحابه رجالٌ وأخذ منهم رجالٌ ثم مضى من فوره فيمن بقي من أصحابه بعد جهدٍ قد ناله وكلالٍ من دوابه . فأمر بالمحطة في موضعٍ يقال له المرفق من أعلى وادي بينة وقد رتب له هنالك قرى وأجزار والله أعلم بصحة الأخبار أنهم أرادوا يشاغلوه إلى أن يُحكّموا فيه وفي أصحابه الرأي فرفع فيمن بقي معه من أصحابه وأمر الخدم فانتهبوا ذلك القرى ونهض حتى خلص إلى أقر كان لم يخلص ! ومن الله بسلامته إلى حين .

(1) الظهيرة : قرية من عزلة نيساء ناحية المغربية قضاء حجة ، ما بين وادي الحجرة ووادي أخرف شرقي وادي مور ، وتقع بين : 25° 53' 15" شمالاً ، 44° 35' 43" شرقاً . التقسيمات الإدارية لعام 1985 ؛ خريطة ج. ع. ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1543B1 .

(2) قاوية : قرية من عزلة الحمارين ناحية الجميمة قضاء حجة . التعداد السكاني التعاوني لمحافظة حجة ، ص 92 .

ذكر الخبر عن غارة البون⁽¹⁾

قال : ثم إنَّ الشريف الفاضل والأمير ذا الشرفين أجمع رأيهما على غارة في البون فنهضا حتى صارا بسهل بهمان ولقيهما من كان من أصحابهما إلى ذلك المكان . فنهضا ساريين حتى أصبح عليهما بناحية عجيب . وكان الشريف الفاضل لم يرد لأهل البون سوءاً لمكان ذعفان بن يحيى ومعمار بن العمري (*) لأنهما كانا من جملة فوقف إلى أن أنار النهار ثم نهض إلى ناحية قريب من ريدة ولقيه ذعفان بن يحيى ومعمار ابن المعمري من عثار⁽²⁾ ثم برز الأمير والشريف كل ناحية . وقال الشريف الفاضل لأصحاب الخيل : من كان مُعِدّاً فليبرز إلى الأمير ومن كان حاسراً فليبرز إليّ ! فبرز إلى الأمير الأكثر . فلما عرف كُلاً مكانه تقدّم الأمير فركض بأصحابه مغيراً وتبعه الشريف الفاضل غير بعيد فركضت الخيل حتى بلغت إلى ضبر الغيل / وأحاطت الخيل بصليّ⁽³⁾ فكان غرضهم لزم أبي مسلم العمري وقبض [م ق 68 ب] خدم كانوا لأبي الحسين بن أبي الفتح عنده لأنَّ البون كان مصروفاً إليه في تلك الأيام فانهزم أبو مسلم فاراً على فرسه وعادت الخيل إلى بركة صليت فوقفوا هنالك ساعة من النهار ما دخلوا داراً ولا كشفوا محرماً ولا لحق أحداً من أهل القرية بأس .

رجع الحديث إلى ذكر مخرج شظب الآخر وشهران⁽⁴⁾

قال : ثم إنَّ أهل شظب لما خافوا سطوة الأمير ذي الشرفين خاطبوه على الطاعة وأن يأمر معهم والياً فخشي الخديعة فقال لهم : لست بفاعلٍ . ما سألتهم حتى تجعلوا عندي رهائن منكم إلى ما أطأ البلاد وأوطىء فيها أهل الفساد ففعلوا ذلك وجعلوا عنده الرهائن برأس شهارة وكاتب بذلك الشريف الفاضل وهو بالجوف

(*) في اللآلي المضية : العمري .

(1) اللآلي المضية م 2 / ص 176 - 177 .

(2) عثار : قرية من عزلة ثلث ضحيان ناحية خاراف قضاء خمر . التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، ج 2 ص 415 .

(3) صليت بكسر الصاد المهملة وكسر اللام ، بلدة خربة في حقل البون . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 220 ، 303 ج 3 .

(4) شهران : قرية من عزلة عيال يحيى ناحية جبل عيال يزيد قضاء عمران ؛ التقسيمات الإدارية لعام 1985 ؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، ج 2 ص 308 .

فنهض من هنالك في خيلٍ ورجالٍ ونهض الأمير ذو الشرفين من شهارة حتى انتهى إلى رحابة من وطن السبيع⁽¹⁾ ورتباً من هنالك قسمة العسكر . فتقدم الشريف ناصر الدولة وعزّها الحسن بن إبراهيم بمن معه فباتوا ليلتهم تلك سارين حتى طلّوا من شرقيّ الجبل من ناحية ذبيل ، وتقدم الشريف الفاضل والأمير ذو الشرفين حتى حطّا في بلاد بني صريم . فلما أصبح تقدّما إلى درب شهران من بلد الأقهوم⁽²⁾ فأمرّا بخرابه بعد تخليته من أهله . وسبب ذلك كون أبي حاشد بن أبي الجبل في جملة بني الصليحي بالعرفاة والخدمة فخشيّا أن يلزم هذا الحصن الذي هو شهران . ثم وصل العلم بأن أهل شظب والجبر وعشائر المغرب وثبوا على ناسٍ من أصحاب الشريف ناصر الدولة فقتلوهم في قرية تحت ذروة الجبل . وكان الشريف في عسكره في رأس الجبل فنهض الأمير ذو الشرفين في عصابة من الشيعة وافرة وجماعة من بني صريم مُمدّاً لهم حتى طلع إليهم فلم يلحق من تلك العشائر أحد وانهزموا إلى بلد الجبر . فلما رآهم أصحاب الأمير في مصنعة بني حبشي رأي العين وانحدروا إليهم انحدار السيل فولّوا منهزمين لا يلوي أولهم على آخرهم . فأمر عليه السلام بمصنعة بني حبشي فخربت ثم استعاد إلى رأس شظب فأمر الشريف ناصر الدولة وعزّها بالوقوف بالناحية واستعاد فأمر بتراب من بلد بني عبد⁽³⁾ ثم التقى هو والشريف الفاضل إلى القصر الأسود ثم طلعا ذروة فأمرّا إليها برفع الجبوب ورتباً فيها الشريف ليث الدولة وعضدها ، ثم استعاد كلّ إلى ناحيته .

ذكر الخبر عن قصة عمران⁽⁴⁾

[م ق 169]

قال : ولما كان سنة ثمانٍ / وستين وأربعمئة سنة وتخلّي من الحصون الشرفاء والسلّاطين وصاروا إلى مستقرّ عزّهم بشهارة رأى الشريف الفاضل عليه السلام

(1) السبيع : بفتح السين وكسر الباء : قبيلة من حاشد من ولد السبيع بن السبيع . . . ابن مالك بن جشم بن حاشد . والسبيع من فرى عزلة بني قيس ناحية خمر ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 3 ص 415 - 416 ؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، ج 1 ص 66 .

(2) الأقهوم وهي الأكهوم : عزلة من ناحية جبل عيال يزيد قضاء عمران ؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، ج 2 ص 302 - 303 .

(3) بني عبد : عزلة من ناحية عيال سريح قضاء عمران ؛ التوزيع السكاني لمحافظة صنعاء ، ج 2 ص 485 .

(4) اللّالي المضية م 2 / ص 177 - 178 ، وأنباء الزمن م 1 / ص 166 ، وغاية الأمان 1 / 268 .

الإقامة بخيله وحريمه في وادي بني الدعام والهجرة منه بناحية عمران وعلى أنه يعين فيها زراعة ويجلب منها للمسلمين والإسلام نفاعاً ، ويرد غيل الخارد على قديمه وتشاور والأمير الأجل ذا الشرفين على ذلك فأجابه إلى ما رام ولم يكن يرى مخالفته في فعل ولا كلام ؛ ثم جمع جميع العمال ، ومن طمع بمعونته بشيء من المال فارتسم كل منهم من المعونة واحتمل كل ما يقدر عليه < من > المؤونة وعقدوا له في ذلك عقوداً وأعطوه على ذلك خطوطاً وعهوداً ثم أرسل لمقدمات نهم وبني الدعام فلقبوه إلى الثلوث وقد صار أولاده بناحية حوث فعاهدتهم على المحل والجوار وأخذ منهم العقود والأخفار مع الأيمان المؤكدة والعقود المشددة ونزلوا به مجتمعين حتى صاروا بالباطنة فجمع عليه السلام السلاطين الدعاميين ومشائخ النهميين ، فأقبض النهميين خطام الجمل الذي عليه الحريم تأكيداً للجيار وتغليظاً للذمة والأخفار . وأقبض السلاطين الدعاميين خطام الجمل الذي عليه حريم ولده الشريف محمد بن القاسم . فمضى كل منهم بجاره إلى داره فلبث أياماً ثم شاورهم على مزرعة عمران والقيام بذلك المكان وكان قديم هذه المزرعة فيما ذكروا - والله أعلم - لقوم يقال لهم : بنو نشق ؛ كان الدعام قد زرعها في أيامه وزرعت أيضاً في أيام الناصر عليه السلام وأحضرت في ذلك شيم قديمة . قال : ثم نهض عليه السلام فقسم المزرعة ثلاثة أقسام فجعل لنهم ثلثاً وثلثاً لبني نشق وبني الدعام وجعل له ولصنوه الأمير ذي الشرفين ثلثاً وأعطى كلاً من شيعته وأصحابه مواضع إلى ناحيته . قال : وأمسى هنالك وقد كره بعض من لا يؤبه له من نهم ذلك فأوقدوا على ناحية من الجبال ناراً وجعلوا ذلك للفساد شعاراً . قال ؛ فلما صلى العشاء الآخرة أرسل لبني الدعام ثم قال لهم : أنا أشتهي أعلم ما عندكم لي وما معي منكم ! فقالوا : نحن عندك وبين يديك ! قال : قد أبنت وجهي في هذا المكان ولست بمفارقة آخر الزمان وقد عملت فيه على المحل والإقامة فإن جرى عليّ حال لم آو لآل القاسم أن يطلبوا بدمي إلى يوم القيامة ! ثم صار بحريمه عليه السلام إلى عمران وانتقل معه من له من الشيعة والجيران⁽¹⁾ ، وحلّ بحلولة رجال من النهميين من جميع بلادهم

(1) كذا في الأصل . وفي اللآلي المضية م 2 / ص 177 : وانتقل معه من كان معه من الشيعة وحلّ . الخ .

[م ق 69ب] بأهاليهم وأموالهم واستقبل عليه السّلام عمارة الساقية والدرب فتمّ عمل الساقية وبلغ في الدرب إلى أن استقلت / فيه الأبنية وبوّب الباب ، وتمّت عمارة دار فيه فأخذ فيها أولاده . وكان هذا الصرم الذي معه يجري عليهم النفقات ويدّر لهم الكفايات فيقرون صيفانهم من عنده يُعدّ إليهم⁽¹⁾ الدقيق ويؤثّرهم على الصاحب والرفيق ويدفع من عنده ثمن الذبائح ، ويُجري لهم جميع المصالح ، وكانت لعمّر الله أفعالهم فيهم جميلة . ثمّ استقبل عمل الودين فجمع فيه بقر الجوف مع بقر المزرعة وبقر خيوان أرسل لها الشريف الأجل بهاء الدولة وحسامها فعملت فيه أياماً حتى كاد الماء أن يطلع وهو من الدرب على زهاء ميلٍ أو أقلّ منه بقليل .

قال مفرّح بن أحمد ؛ قلتُ له يوماً : يا مولانا ! لو أشرفت على أولادك فإنهم مرضى لا غنى لهم عن افتقارك ! فقال : إنّي قد آليت على نفسي أني لا أفارق هذا الموضع حتى يطلع هذا الماء ! قال : فلمّا كان من النصف من شهر صفر سنة ثمانٍ وستين تحدّثتُ معه عليه السّلام في بعض شأنني وقلتُ له : يا مولانا ! إنني لم أقف معك في هذا الموضع رغبةً في زراعةٍ إلّا طلباً لسرورك واتباعاً لك في جميع أمورك ! فقال : يا أبا فلان ! إنّ صاحبي إذا زهد فيما رغبْتُ فيه عتبتُ عليه فأول ما تفعل فتجعلني بحلٍّ في الغفلة والنسيان وتعلم أني أرى الناس لصحبة الصاحب وأعرّفهم بما يكون له من الحق الواجب إلّا أني ربما أدلّيتُ عليه فلم أؤدّ في بعض الأوقات ما يجب له إليه ؛ ورطتُ في هذا المكان ووعدني جماعة من الإخوان فأخلفوا بما وعدوه ولم يتمّوا لي بما عقدوه إلّا ما كان من مولانا الأمير فإنّه يُحبُّ متابعتي في جميع الأمور ولقد بلغني من بعضهم كتابٌ فيه جفوةٌ وخطابٌ ما ينبغي أن يكون من أهل المروءة ؛ فكيف يا أهل الدين والأخوة؟! فهممتُ أن أدبّجه إلى مولانا الأمير فخشيتُ أن يجري بعض ما أكرهه من الأمور ! قال مفرّح بن أحمد : فأبشّني كثيراً من أسرارهِ وأخبرني بعجيب من أخبارهم وأخباره وعملتُ في ذلك شعراً على لسانه فلمّا أنشدته قبضه وطواه وقال إذا اجتمعنا يوماً من الزمان أنشدته لي / <أمام> (*) جميع الشرفاء والإخوان ؛ وهو هذا الشعر :

(*) زيادة من المحققين .

(1) في اللآلي المضية م 2 / ص 178 : يعدّ لهم .

أسادات الملا من آل رس
 أستم تعلمون سعاي فيما
 وصبري في حوائجكم وبذلي
 وإيثاري على ولدي ونفسي
 ولم أدخر سوى سيفٍ ورمحٍ
 لقد ناديتكم فخذلتموني
 دعوتكم إلى شرفٍ ومجدٍ
 ومعكم منعةٍ ورباطٍ خيلٍ
 فكم من باخلٍ عني بمالٍ
 ومضطغنٍ عليّ على عتوبٍ
 وقد أكسبته مالا وعزا
 ومرتفقاً لدى أهلٍ ومالٍ
 وذو عيشٍ خفيضٍ واغتماضٍ
 ولو غمضت عن الأعداء عيني
 وذاق العيش مرّاً بعد حلوٍ
 ستفقدني القبائل من معدٍ
 ويعلم أقرب الثقلين مني
 مكاني حين يقبض من تولى
 إذا ما لم يسدّ مكان سدي
 ألا لله دمّ الشيخ هاني
 > أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا <⁽²⁾
 فإن لم يرع حقّي فأحفظوني

وشيعتنا بأقطار البلاد
 يعزّكم بجدي واجتهادي
 لكم دوني جميع المستفاد
 لأهل محبّتي وذوي ودادي / [م ق ١٧٥]
 وسابغةٍ ومفتّرعٍ جوادٍ
 ولم أك خاذلاً منكم مُنادي
 ومهتَجِرٍ ومحتَضِرٍ وبادي
 وعُمِرٍ فيضٍ وقرارٍ وادي
 لديه من طريفٍ أو بلادٍ
 تجنّاهما لدى النوب الشداد
 أثيلاً في الحواضر والبوادي
 وأمناً عن مُعاولة الأعداي
 ليل التّم أجمع في المهاد
 تمنّي بعدها طعم الرُقَاد
 وعاین بعد موتي ما أصادي
 وتعرف حين تفتقد افتقادي
 ومن عاشرت من أهل البعاد
 مكان يدي على خرط القتاد
 له غيري سواي من العباد
 بيت الشعر في سلفي مُراد⁽¹⁾
 فتّى فتحٍ لشغري أو سداد
 ليوم فيه وجه الشرّ بادي

(1) ربما أراد بيت عمرو بن معدي كرب :

أريد حياته ويريد موتي

(2) تضمين من بيت للشاعر العرجي :

أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا

عذيرك من خيلك من مُراد

ليوم كريهة وسداد ثغر

إلى خِلٍّ يُكاتبُني فيُوري بِغِلْظَتِه الزِنَادَ على الزِنَادِ
يُغاطِيني سواداً في بياضٍ يروِّيني البياض على السوادِ
حسب الكلِّ هذا الله فيما تولَّى من فعّالٍ واعتقادِ

قال : ولَمَّا كان في ليلة الثلاثاء صبيحة الواقعة جمع أصحابه وقال :
يا أصحابنا ! لم أر مثل ما نحن فيه من الغفلة ! لقد أرسلنا أيدينا بالأشياء كلّها جملةً
لا حراسة ولا عساسة فإذا كان من الغد إن شاء الله لم يغب أحدٌ منا من مجلسه ؛
وكان شاداً بسلاحه على فرسه ؛ فلَمَّا أصبح مضى كلٌّ منهم في نية وأصبح قد نسي
[م ق ٢٥٠] تلك الوصية ونالته / عليه السّلام جناية(*) .

فلما أشرقت الشمس سار معه بعض أصحابه إلى جانب الوادي فاغتسل وأمر
بغسل ثيابه ولبس ثياب صلاته وأتى له بثوبٍ لطيف من أدواته فبينا هو بين يديه إذ
أشرف الغدرة والفجرة الكفرة عليه فردّوا عليه السّلام فرحّب بهم وقام وتحاموه في
تلك الساعة فلم يُقدِّم عليه أحدٌ حتّى ضربه رجلٌ يقال له جابر بن عزيز لعنه الله
بعضاً كانت في يده ؛ وقال : إضربوا شريفكم يا بيض الأعناق ! فضربوه لعنهم الله
وأخزاهم ، ما كان أكفرهم وأرداهم ! وقاتل دونه رجلٌ ترفى(**) يقال له محمد بن
الحسين حتّى قُتل رحمة الله عليه ، وأصيب دونه أبو القاسم بن محمد المالكي
بضرباتٍ ، وقُتل الشريف القاسم بن إبراهيم في ناحية غير بعيدٍ رحمة الله عليهما
جميعاً ، وثبتوا للدرب فنهبوه وللحرّيم فسلبوه ، وانتهبوا الخيل والسلاح والسيوف
والرماح . وكان الشريف الطاهر العفيف محمد بن القاسم في الدرب وكره أن يولّي
ويخلّي الحرّيم فلم يزالوا يخذعونه ويبذلون له ولحرّيمه الصيانة وفي أنفسهم - لعنهم
الله - الغدر والخيانة حتّى آستمسكوا منه وأخذوا فرسه وسلاحه ومضّوا به وبحريمه
إلى أهاليهم فأمسّوا عندهم ليلتهم تلك على أسوأ حال وتبعهم في تلك الليلة
الجحّاف بن منيع ونباتة بن ربيع الدّعامين فأخذوا منهم الشريف وحرّيمه إلى قرية
عرق . قال : وكانت مواد بني الدّعام وصلت إلى الواديين فحملوا الشريفين

(*) كذا في الأصل .

(**) كذا في الأصل ، وليست في اللآلي المضية .

عليهما السلام حتى قُبرا في حرث(*) الحسن بن الدعام . قال : فلما اتصل بالأمير
ذي الشرفين عليه السلام قتل الشريفين كتب كتاباً إلى كافة العشائر من وادعة وسفيان
وإلى من كان من أهل محبته من جميع البلدان وفرقه نسخاً ؛ وهذه نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم . كتابي إليكم يا إخوتي وصادتي الأعزاء لدي أطال
الله بقاءكم وتابع نعماءكم وحصن حماكم وكفاكم ووقاكم ولا أراني ما ساءكم عند
وصول الخبر المهيل والخطب العظيم الجليل والأمر الفظيع والنازل المؤلم الفجيع
الباهظ المذهل الشنيع ما كان من غدر الكفرة الفجرة الأرجاس الأنجاس الملاعين
الغدرة بتلك الشبهة التقية الطاهرة المطهرة فأحسن يا إخوتي وصادتي عزاكم بالسيد
الفاضل البرّ الكريم الواصل الزكي الطاهر الكامل مولانا ومالكنا . كان القاسم بن
جعفر بن الإمام القاسم بن علي رضي الله عنهم ، كهف الأنام وعمود الدين
والإسلام وغيث ذوي الإعدام وأبو الأيتام وواصل الأرحام ، ووليّ ذي الجلال
والإكرام ، وناصر الدين ومجاهد المعتدين / وقدوة المهتدين وأنصح قرين [م ق 171]
وخدين . فلقد جلّ وعظم مُصابه وفجع وأوجع ذهابه فخلف الله علينا وعليكم
بأحسن الخلف ، وعلى العادين به والواقفين فيه بالهلاك والتلف ، وإلى الله
جلّ وعلا وإليكم يا إخوتي وصادتي أشكو فعل هؤلاء الأنجاس الغدرة الفجرة
الأرجاس أشّر وأخبث من علمت من جميع الناس ؛ نهم لعن الله نهماً ، وأنزل عليهم
النقمة العظمى ، وسفك بسيف انتقامه منهم الدماء ، وأباح بقدرته ما يحوطونه من
الحمى فلقد أسخطوا الله وأهل السماء بهذا الفعل الشانع والغدر الصريح الشائع
والاجترأ العظيم الفاجع ؛ وهو قدّس الله روحه ونور ضريحه إليهم آمن وإليهم في
حاله واكن ، وبينهم بنفسه وأهله وولده ساكن . قد جعلهم ذخيرة ، واختارهم على
كلّ العشيرة ، وآثرهم بالعطايا الجزيلة ، وحمل عنهم من الأثقال كلّ صغيرة
وكبيرة . يراهم له أهلاً ولا يحترز منهم ليلاً ولا نهاراً أصلاً ، ولا يسمع من قائل فيهم
قولاً . أعطوه على النصيحة الموثيق والأيمان المؤكدة ، والعهود اللوازم المشددة .
فلما اشتدّ أمانه وعظم إليهم أركانه وبعدت منهم أنصاره وأعوانه ، وأصبح في

(*) في اللآلي المضية : حرف !

وسطهم وظهرا نبيهم مكبانه ، غدروا به أقبح غدْرٍ ، وختروا في أمره أقبح خَتْرٍ ،
وأتوا فيه أشنع أمرٍ ؛ فيا للعرب الكرام ، وأهل الوفاء والتمام ويا لكافة أهل الإسلام :
أُفْعَلُ مثلُ هذا الفعل العظيم ، ويحدثُ مثل هذا الحادث الجسيم على سيّد بني
هاشم وشيخ أولاد إمامكم القاسم ، والمُحامي عليكم والمجاهد القائم ، والدافع
بمهجته عنكم جميع العظائم ، ولا يكون منكم أنفة ولا حمية ولا نكف ؟! ما أظنكم
تفعلون ولا بذلك ترضون . أما والله لئن لم يغضب العرب في هذا الطاهر التقى
الذي قد ذهب ليحلنّ بهم من الله السخط والغضب ، وليصبنّ عليهم النقم ،
وليزيلنّ عنهم النعم ، وليستظهرنّ عليهم الأعداء ، وليفعلنّ بهم الردى ، وليقصدنّ
بالمصائب والنوائب قصداً . ألا إنّه كان لأهل اليمن أماناً وبركة من الله وإحساناً ،
وضياءً لهم ونوراً وبرهاناً ، وستراً صواناً ؛ فقتله الأشرار ظلماً وعدواناً ، وجرأة على
الله ومبارزة له وعصياناً وأشراً وبطراً وطغياناً . فبالله جلّت قدرته وبالعرب الكرام أوتاد
البلاد وسراة العباد أستعين وإليه وإليهم أنادي وأشير وبه وبهم أستعين عند هذا الناجم
الكبير . ولستم تجهلون يا كافة وادعة ما بيننا وبينكم من الأمور في القديم والحديث
[م ق 71 ب] من الدهور وما قد تضمنته منا ومنكم الصدور من الوداد الأكيد / والعهد الشديد مع
قديم الجيار والمشاركة في النافع والضار ، واختلاط الكبار منا ومنكم والصغار .
وإنكم بالحقيقة لنا أعوان وأنصار ولا نذكر منكم إلا جميلاً ولا أوليتم الأول والآخِر منا
إلا نبياً . وقد نجم هذا الناجم وجرت هذه العظيمة التي هي من أعظم العظائم التي
تُعقب مَنْ فعلها ورضي بها عاراً وناراً وهلاكاً كبيراً ودماراً ، وشرّاً وتنكيداً وغياراً !
فرأيتُ عند ذلك اعتهاذكم ، وأخذ ما عندكم في هذا وافتقادكم والعزاء لكم لعلي
بمشاركتكم فيما حلا ومرّ ونفع وضرّ وظني بكم فجميلٌ وأنا عليكم كثير التعويل
فكونوا عند الظنّ بكم وجدّدوا فعلكم المستحسن بالمسارعة إلى نصري والمؤازرة
لي في أمري . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وصلى الله على محمدٍ وأهله
وسلم تسليمًا .

من قصة أبي النار بن عليان الدعامي لعنه الله

ومما كان الشريف الفاضل ينيله من الجميل ويفعله معه من الفعال النبيل يعطيه
الخيّل والأموال ، ويكسي له الحريم والعيال وكذلك جميع مَنْ سعى في قتله على

هذا المثال فاختاروا النار والعار وغضب الجبار على العطايا السنية وطيب الجوار
فعلتهم لعنة الله ولعنة اللاعنين ولعنة الملائكة والناس أجمعين . قال مفرح بن أحمد
يرثيه عليه السلام :

أقول لعيني أبكيا إن بكيتما
وبلاً الثرى إن كان في بلك الشفا
وقولا له ضاع الحمى بعدما ثوى
وذقنا هناة الذل والضمير بعده
وقد كان مخشناً عزيزاً جواره
أصابت به الإسلام صمء صيلم
وضاعف وجدي حين غيل ولم يمت
ولم تعترك خيل بخيل ولم تعد
ولم تخضب البيض المواضي له دماً
مداعيس طعانون في حومة الوغى
يعز على أنصاره وحماته
وذو الشرفين الملك الأوحديله
ولو وردت من دونه شرع القنا
وخاضوا غمار الموت من دون حتفه
ولكن فما هذا^(*) من الغدر خطة
<ولكن تجبر عليه^(***) الغادرون وأقذعوا
عليه لهم يوم عبوس عصبص
وإن يمدد الجرد المذاكي إليهم

دماً لا دموعاً وأسقيا قبر قاسم
وهل يشتفي ولهان شاج بساجم
وأفطر في أصحابه كل صائم
وجاء إلينا بعده كل ظالم
يحمي ولا يغضي على ترك لازم
وسدت به سبل العلا والمكارم
بسمر القنا في المأقط المتلاحم
سواهم مذمة الكلى من سواهم
ولم تحضر السادات من آل قاسم
كبار الحيا فيها كبار العمائم / [م ق 172]
بمصرع جنب الشيخ من آل هاشم
قيام على أطوالها في المعالم
إذا كان < . . . >^(*) مسلم غير سالم
بسمر القنا والمرهفات الصوارم
ووافي إلينا في ثياب المسالم
والامبابان^(****) قد حاربوا غير نائم
يدوم بمحذور من الشر قائم
معيناً ترامي شرعاً في الشكائم

وله أيضاً من مرثية في يوم الفطر في رمضان :

(*) بياض في الأصل .

(**) كذا في الأصل بخط مختلف .

(***) ما بين الحاصرتين في الأصل بخط مختلف .

(****) كذا في الأصل ، ولم نستطع قراءتها .

ر القبرين يوم الفطر واذكُرْ
 وقُمْ فاستعرض النّسّاسَ جمعاً
 غفولاً من معادِهِمْ غفولاً
 تجد في النّاس أكثرهم شريكاً
 بعين الله ما فعلتَهُ نَهمُ
 وما باعت من الحظّ المُوفّى
 بعين الله شَيْبَتُهُ وجلّت
 لقد لحص ابن ثعلب سدّ ثغري
 وأشجى أغيناً سرت وقرّت
 أبعد أبي محمّد المُرَجّي
 أبو الحرب التي عرّفته بكراً
 وصاحبها عواناً حيث شابت
 وقطب مدار كلّكها المشبّي
 وأيّ مثير شيعته شنون
 وأيّ ثمال معتصم رهيقي
 وأيّ مفرّق لصدور مالٍ
 أيا يوم الودين ويوم بانّت
 > ويا يوم الودين بَعُدّت كم ذا
 أضارب ذي العصا شلّت وبانت
 وأشقى من قُدار في ثمود
 مددت يداً يد الماضي عليها
 فجلّح ثجّج الغيث الهتون

[م ف 2 ب]

وله أيضاً من مراثيه في شهر رمضان :

بيوم الفطر يومك بالودين
 تجد لا أهل لا دنيا ودين
 عن النكبات في قتل الأمين
 براضٍ أو خذولٍ أو مُعين
 بسيدّها ومعقلها الحصين
 المُوفّر منه بالحظّ الغبين
 تخضبها العدا بدم الجبين
 أقربه سخيّنات العيون
 بدولته المُزيلة للمجون
 لجَدوى أو لدنيا أو لدين
 يروق شهيد غصّ الجبين
 وأعرض دونها جَمْعُ البنين
 ذؤابتة وطاحون الطحين
 على الأعدا ومحراب الفتون
 يلوث يديه بالحبل المتين
 وأيّ مجمّعٍ لعدى عرينٍ /
 من اليمّن الشمال مع اليمين
 يفور عليك من قلب حزين < (*)
 يمينك حين تضرب باليمين
 وألعن جيش إبليس اللعين
 وهان عليك أمرٌ من غير هونٍ
 وغَيّضَ فيض الماء المعين

يذكّرني بمن سلف الصيام وشجوي كُلماً سرّ الأنام

(*) لخص : كذا في الأصل .

أشهر الصوم أنت على رجالٍ
فليس لهم وإن صلّوا صلاةً
غفولاً عن عقوبة ما اجتنبوه
وللنكبات بينهم عيونٌ
تلاحظ معشراً غدروا وخانوا
وجاءوا بالنكير وما ثنتهم
أذى الملكوت جلّمك عن مُسيءٍ
ونحن لعجزنا نشكو قلوباً
ألسنت تبارك اسمك في ثمودٍ
نصرت وصالح فيها عليها
فما أجلتها إلا ثلاثاً
وذا ابن نبيك الطهر المصفى
فصبتهم بدعوته وأفنى
أسيّد هاشم حُرّت المرازى
أتسمع إن شكوت إليك بثي
وتذكر يوم بير الدرب منّا
ظلمنا بعد موتك وآهتضمنّا
وكنّت فكان جارك مستقراً
بعيد الغور مجتنب المُحامي

وله أيضاً من مراثيه عليه السّلام :

يوم الودين لقد تركت الدّينا
وتركتني بتجرّع الغصص التي
لا(*) دَرّ دَرّك من نهارٍ كالحِ
غدر الطُّغاة بقاسمٍ وبقاسمٍ

(*) في الأصل : يادر - والتصحيح فوق السطر .

حلال الخير فيك لهم حرامٌ
وليس لهم وإن صاموا صيامٌ
نيامٌ عن عيونٍ لا تننام
تراهم كلّما دامت وداموا
بجار حلالهم وطغوا ولا موا
مطالبة البيوت ولا الذمام
لعلّمك أن قوتك لا يُرام
لها من ظلم ظالمها اضطرام
على عجمادعتك لها ثغام
على أن سامها القوم الطغام
وصبّحها عذاب وانتقام
وهذي ذاقه عجماً سوام
بأيديهم بقيّة الحسام
ونابتنا بك النوب العظام
فتبلّغني عوائدك الجسام
ويوم جرى لعمران الكلام
وقدماً كان جارك لا يُضام
على كيدٍ منيعٍ لا يُرام / [م ق 73 أ]
نسوم الخسف فيه ولا نسام

واهي العماد فلا سُقيت وديننا
سقيتني طول الزمان حزيننا
غادرت حظّ المسلمين غيننا
والغدر كان به الغدور قمينا

سَامِي وَجَاوَرَهُمْ وَأَجْزَلَ فِي الْعَطَا
كَفَرُوا أَيَادِيهِ الْجَسَامِ وَأَنْعَمَاءُ
بَسَطُوا إِلَى رَأْسٍ لَوْ أَنَّ مَقْبَلًا
قَتَلُوا بِمَقْتَلِهِ الْمَكَارِمَ وَالْعُلَا
قَتَلُوهُ وَاحِدَ عَصْرِهِ وَبَقَتْلَهُ
صَلَّى الْإِلَٰهَ عَلَى قَتِيلٍ صَارِبَالِ
وَسَقَاهُمْ بَعْدَ الْيَمِينِ يَمِينًا
بِيضًا أَمْتَنَ حَيَاتِهِمْ وَحَيِينَا
حَيَّاهُ تَقْبِيلًا لَكَانَ مَكِينَا
وَالْجُودَ وَالْدُنْيَا مَعًا وَالْدِينَا
قَتَلُوا الْوَفَا جَمَّةً وَمَثِينَا
حَصَنَ الْمُقَدَّسِ فِي التُّرَابِ دَفِينَا

قال^(١) : وَلَمَّا كَانَ فِي النِّصْفِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ شَهْرِ سَنَةِ تِسْعٍ وَسْتِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ رَسَمَ الْأَمِيرُ الْأَجَلُّ ذُو الشَّرَفَيْنِ مَخْرَجًا ، وَأَنْهَضَ الشَّرَفَاءَ وَالسَّلَاطِينَ وَالْعُرَفَاءَ لَجَمْعِ الدِّيَوَانِ فَجَمَعُوا عَسْكَرًا كَثِيرًا . وَكَانَ بَادِيءُ أَمْرِ الْمَشُورَةِ فِيهِ أَنَّهُ مَخْرُجٌ إِلَى الشَّرَفِ وَنَوَاحِيهِ . فَلَمَّا رَأَوْا كَثْرَةَ الْعَسْكَرِ أَجْمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ يَسْأَلُوا الْأَمِيرَ النِّزُولَ إِلَيْهِمْ لِيُخْرِجَ بِهِمْ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَضُمُّ الْعَسْكَرَ الْكَثِيرَةَ وَلَا يَجْمَعُهُمْ لِكَثْرَتِهِمْ إِلَّا أَمْرُهُ فَانْهَضُوا إِلَيْهِ لَيْثُ الدَّوْلَةِ وَعَضُدُهَا حُمَيْدَانُ بْنُ الْقَاسِمِ وَنَهَضَ مَعَهُ < الْحَسَنُ >^(*) بَنُ وَاقِدٍ وَالحُسَيْنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَعْقُوبَ فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ وَحَقَّقُوا الْأَمْرَ لَهُ فَأَجْمَعَ رَأْيُهُ عَلَى النِّزُولِ فَنَزَلَ إِلَى أَقْرَفَلَمَّا فَرَّغَ الْعَسْكَرُ الْمَنْصُورُ مِنَ السَّلَامِ جَمَعَ الشَّرَفَاءَ وَالْمَقْدِمَاتِ فَشَاوَرَهُمْ عَلَى الْمَخْرَجِ أَيْنَ يَكُونُ فَأَجْمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى الْخُرُوجِ إِلَى الشَّرَفِ وَكَانَ قَدْ عَقَدَ عَلَى نَفْسِهِ أَوْ حَلَفَ أَنَّهُ لَا يَخْرُجُ مَخْرَجًا حَتَّى يَخْرُجَ إِلَى الْجَوْفِ الْأَسْفَلِ وَلَمْ يَكُنْ عَلِمَ أَحَدٌ مِنَ الْجَمَاعَةِ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْجَوْفِ إِلَّا الشَّرِيفُ الْأَجَلُّ سَنَانُ الدَّوْلَةِ وَالسَّلْطَانُ الْحُسَيْنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ . فَلَمَّا رَأَى الْأَمِيرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَهْوَةَ الْجَمَاعَةِ لَخُرُوجِ الشَّرَفِ قَالَ لَهُمْ : إِذَا كَانَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ شَرَحْتُ عَلَى النَّاسِ وَقَدِمْتُ أَنْتُمْ وَهُمْ ، وَعَزَمَ عَلَى الْوُقُوفِ . فَالْتَقَى مِنَ الشَّرَفَاءَ وَالْمَقْدِمَاتِ رِجَالٌ [م ق ٧٣ ب] فَقَالُوا / : إِنْ مَوْلَانَا لَيْسَ غَرَضُهُ إِلَّا الْجَوْفَ فَشَاوَرُوا الشَّرِيفَ نَاصِرَ الدَّوْلَةِ فَقَالَ : إِذَا كَانَ إِرَادَةُ مَوْلَانَا ذَلِكَ فَأَنَا أَحْتُ النَّاسَ إِلَى مَا هُنَالِكَ ! فَتَقَدَّمُوا إِلَى الْأَمِيرِ بِخَبَرِ الشَّرِيفِ فَأَجْمَعَ رَأْيُ الْكُلِّ عَلَى الْخُرُوجِ إِلَى الْجَوْفِ .

قال : وَلَمَّا عَزَمَ الْأَمِيرُ ذُو الشَّرَفَيْنِ عَلَى الْخُرُوجِ إِلَى الْجَوْفِ مَخْرَجَهُ الْأَوَّلِ

(١) اللَّالِي الْمَضِيَّة م ٢ / ص ١٧٩ - ١٨٠ .

(*) بِيَاضُ فِي الْأَصْلِ . وَالْإِضَافَةُ اسْتِنَادًا إِلَى مَا سَبَقَ مِنْ ذِكْرِ لِلرَّجُلِ بِاسْمِهِ الْكَامِلِ .

الذي حمل فيه الشريفين كتب كتاباً بخط يده المباركة وجعله في بعض مخازنه . فلما توفّي وصار الأمر إلى الأمير عمدة الإسلام وأمر بتأليف السيرة ؛ استخرجت هذه الوصية المذكورة في شهر رجب سنة خمس وثمانين وأربعمائة ؛ فأثبت صدوراً منها مما لا غنى عن إثباته ، وأغفل ما كان يختص به هو في ذاته . وهذه نسختها :

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله كثيراً ، كتب محمد بن جعفر بن الإمام القاسم بن علي هذا الكتاب يوم الجمعة لخمس عشرة مضت من جمادى الأولى من شهر سنة ثمان وستين وأربعمائة .

وهو يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبدٍ مقرٍّ بربوبيته معتقٍ لإلهيته ، ويشهد أن محمداً عبده ورسوله ورضيه وصفوته من بريته شهادة من صدق بنبوته و < تقرب > (*) إلى الله بمحبته ، وأشهد أن وعد الله ووعيده حق وقوله سبحانه صدق ، وأنه عدل في حكمه رءوفٌ بجميع خلقه ، ويشهد أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه كان خير البرية بعد نبيها صلى الله عليه وعلى آله ، وأولاهم بمقام الرسول وأبرعهم علماً وأكثرهم حِلماً وأطوعهم لربه وأبذلهم في سبيل الله لنفسه وأكملهم في جميع صفاته . ويشهد بإمامة ولديه السبطين الإمامين الكريمين الحسن والحسين ابني الرسول وسليتي البتول وأن الإمامة من بعدهما فيمن طاب من ذريتهما وأحتذى بحذوهما ، وكان في جميع صفاته كهما . ويشهد أن الحسين بن القاسم بن علي المهدي لدين الله الذي بشر به على لسان رسوله الذي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً ، وأنه الغائب المنتظر الذي أتى فيه عن الرسول الخبر ، وأنه صادق فيما ادعى من جميع الأشياء إذ لا ينطق عن الهوى ولا يقول إلا ما يحب الله ويرضى . على ذلك أموت وأحيا وألقى الله به يوم ألقى . وأشهد الله وملائكته أنني التائب إليه من كل ذنب وخطيئة ، وأني لا أعصيه أبداً متعمداً . اللهم أشهد علي بذلك ، وتب علي وتقبل مني إنك أنت التواب الرحيم . ثم أقول من بعد ذلك : إني لما عزمْتُ على النهوض للطلب بدم الشريف الفاضل / [م ق 174] كان مولانا القاسم بن جعفر رحمة الله ورضوانه عليه والأخذ بثأره لم آمن مصادفةً ما

(*) بياض في الأصل - والزيادة من المحققين .

لا بُدَّ للمخلوقين منه ولا منصرف لهم عنه من الموت الذي هو حَتْمٌ عليهم وواصلٌ بغير شكٍّ إليهم إمّا شهادةً بأيدي الظالمين وإمّا أمرٌ من رب العالمين فرأيتُ إثبات وصيةٍ أبينُّ فيها ما يحتاج من أخلف إلى إثباته . ثم مضى عليه السّلام . بعدما فرغ من هذا الكلام إلى شرح ما هو له وعليه وتبيين ما كان من الأشياء على يديه فلم يدع من ذلك دقيقاً ولا جليلاً ولا كثيراً ولا قليلاً حتى بيّنه وفسّره . ثم ذكر في آخر كتابه أنه أضرب عن المخرج لتعذر بعض أسبابه . ثم إنه زال ما كان من معاذيره فتم على المخرج بعون الله وتيسيره .

رجع الحديث إلى ذكر خروجه عليه السّلام :

ثم نهض بمن معه من العساكر المنصورة ، واستعمل على مقدمته الشريفين ناصر الدولة وعزّها الحسن بن إبراهيم وليث الدولة وعصدها حميدان بن القاسم . وكان في القلب . وجعل السلاطين عقباً : وكان قد بلغ الأمير أن أهل الجوف راكزون بقرية عرق⁽¹⁾ بدوهم وقرارهم وأراد أن يحط بالباطنة⁽²⁾ ويرتب من هنالك ترتيب الفتنة فلم يرقب أول العسكر آخره حتى انتهوا إلى موضع يقال له الحشرة⁽³⁾ . قال : ولما وصلت بنو بجير إلى الباطنة كان معهم نبأته بن ربيع الدعامي فالتمس الوصول إلى الأمير ذي الشرفين يطلب التودّي والأمان فلم يقدر عليه وواجهه في المقدمة الشريف ليث الدولة وعصدها حميدان بن القاسم فقال له : لولا أنك مع هؤلاء المشائخ لضربتُ عنقك فانهزم إلى أصحابه فقال لهم : النجا النجا ولا نجا لكم ! قد جاء لكم ما لا كفا لكم به ! فهربوا لا يلوي أولهم على

(1) العرق : قرية من عزلة رجوزة ناحية رجوزة قضاء برط . التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، ج 2 ص 592 .

(2) الباطنة : قرية من عزلة وادي سفيان ناحية حرف سفيان ، وهي على وادي سريرة على 18 كم جنوب شرق سوق دعام ، وتقع ما بين : 15° 17' 16" شمالاً ، 49° 17' 44" شرقاً . التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، ج 2 ص 467 ؛ خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1544C2 .

(3) الحشرة : قرية من عزلة البلة والعيبد ناحية برط العنان قضاء برط . التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، ج 2 ص 582 .

آخرهم . قال : ولما انتهى الأمير ذو الشرفين إلى الحشرة ولزم أول العسكر على آخره وصار يموج بعضهم في بعض من الكثرة فقال السلطان محمد بن ورقاء : خرجت مخرج بني الصليحي فكان أكبر مخرج خرجوه مخرج الشحر⁽¹⁾ فهذا العسكر أكثر منه . قال : وأراد الأمير عليه السلام الشرح عليهم فلم ينتظم له لكثرتهم ومسابقتهم لدخول القرية وعجلتهم . فأمر من يتقدم من أصحاب الخيل الأول للزمهم ، وجعل أصحاب الخيل معه ولبس كل منهم سلاحه وأخذ أهبطه . فلما انتهى إلى ناحية من السهل واجتمع العسكر المنصور تكلم معهم عليه السلام بكلام فكان من كلامه أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد صلى الله عليه وذكروا ما كان من خروج أهل اليمن إلى جده القاسم بن علي رضي الله عنه واختلافهم إليه / مراراً [ب ق 74 ب] وأسفاراً حتى تابعهم إلى مرادهم وصار معهم إلى بلادهم ونقل حريمه وأولاده فجعله بين حريمهم وأولادهم واختار السكنى بين وادعة(*) وبكيل . ثم ذكرهم بقيام الشريف الفاضل عليه السلام ومقابلته لبني الصليحي بالهراة وغيرها . ثم خروجه إلى الشام . ثم رجوعه منه بعد عظيم المحنة . ثم قيامه مع أهل اليمن بالفتنة والمجاهدة لبني الصليحي والذب عن أموالهم وبلادهم . ثم ذكر وصول من وصل إليه من مشايخ بني بحير ونهم وبني الدعام عند وصوله إلى عيان وما أعطوه من الموائيق والأيمان فنزل إليهم فجعل عندهم قراره ، وجعل مكانهم مستقره وداره . ثم ذكر وصول نهم وبني الدعام إلى شهارة وإنزالهم له ولحريمه وأولاده واختياره لجوارهم وبلادهم على مستقر عزه وبلاده . ثم قص ما كان من غدرهم وقتلهم للشريفيين وكشفهم للحريم وأخذهم لإخمار الشريفة من فوق رأسها وهذا لعمر الله المنكر العظيم وتكلم بكلام واسع مسموع ما بقي من العسكر أحد حتى ذرفت عيناه بالدموع . ثم عبأ عسكره أثلاثاً فجعل الشريفين ناصر الدولة الحسن بن إبراهيم وليث الدولة وعضدها حميدان بن القاسم والسلطانين عبد الباعث ونشوان على ميمنته واستعمل الشريف سنان الدولة وسائر الأشراف على ميسرته . وكان في القلب في جماعة خاصته وشيعته . فسارت الميمنة إلى درب بني أرحب وسارت الميسرة

(*) في الأصل : واد - والتصحيح من المحققين .

(1) الشحر : ناحية من ساحل حضرموت . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 3 ص 447 .

إلى درب بني أحمد ، وقصد عليه السلام إلى درب نعمة . ثم خرج والشرفاء
والسلاطين بجانب من العسكر إلى ناحية خيل دهمه⁽¹⁾ لأنه أخبر أن بني الدعام
هنالك فغوى العسكر القوم حيث هم وبلغهم النذير فانهزموا إلى أقصى جبال دهمه .
قال : وخرج الأمير في خيل بقيت معه إلى دار عطية فأخرب ما كان فيها لينهم من
المنازل . قال : وتقدم إلى ناحية القرى وقد أشار عليه بعض من يعرف الموضع من
أصحابه أن لا يفعل فقال : لو لم يكن غيري لسرت وحدي ! فلما أشرفوا على القرى
إذا بنهم على خيولهم ، فلما ضرب الريح انهزموا إلى موضع يقال له : القاع .
فسمعت من جابر بن سالم يقول : إن لم يصل القاع ونحن به عدواً ذلك جُبناً منا !
فتم الأمير على حاله إلى القاع فأمر بالقرية فخربت ولحق منهم رجل فقتل . فلما
توجه الأمير للمراح تبعوا على خيلهم وإذا أقبلت خيل الأمير ولوا وإذا ولت خيله تبعوا
حتى انتهت إلى قريب من دار عطية وتخلف ناس من الرجال يشربون فحملت خيل
القوم عليهم . فلما رأهم الأمير عطف رأس فرسه وحمل / عليهم هو ومن كان معه
فولوا منهزمين بعد أن سلب منهم رماح . وانقطع لجام فرس الأمير فوقف وعاد إليه
أصحابه فقال : كنت أريد الحملة عليهم إلى القرى ولعل في هذا خيرة من الله !
فرجع إلى معسكره في القرية . قال : ولما كان يوم الجمعة أمر فنودي بالصلاة جامعة
فصلى بالناس ثم رتب منسراً إلى القاع يكون كميناً أسفل من القاع فلما نهضوا إليهم
ورأتهم خيل القوم ولوا مذبزين وطردتهم خيل الأمير فبينما هم كذلك إذ خرج الكمين
عليهم فقتلوا منهم قتلى كثيرة ، وقطعت رؤوسهم ، وحملت إلى قرية عرق ، وأقام
الأمير بها ستة عشر يوماً يخرب المنازل ويرعى الطعام فهي خراب إلى يومنا هذا .

قال : ثم أمر بالقبرين فنبشا وأخرج الشريفان عليهما السلام فجعلهما في
تابوتين .

قال مفرح بن أحمد ، سمعته عليه السلام يروي أنه وجد في وصية يوسف
الصديق عليه السلام يأمر في تحويله من مصر ودفنه في غيرها وكأنه - والله أعلم -
قال : إذا وليها فلان ! وذكر أن هذا مستخرج من جزء من تفسير التوراة فسرّه

(1) دهمه : من قبائل بكيل ، وقبائل دهمه هم ذو غيلان أهل برط والجوف ، ولهم مواطن في صعدة
ومارب . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 2 ص 336 .

المهدي عليه السلام . قال : ولما توجه للمراح وصار بالغتير⁽¹⁾ لقيه الخبرُ بقُدوم أهل صعدة والربيعه متوردين إلى عيان ومخاطبين في جعفر بن القاسم بن الشمري ، فلما وصل إلى عيان وقف بإزائها حتى تكامل العسكر فشرح عليهم أن لا يدخلوا منزلاً ولا يضرّوا من القرية أحداً . ثم أمر بعراضة العسكر فعرض كل من الشرفاء والمقدمات عسكره . وقد كان وقعت بين العشائر منازعة في قبري الشريفين فأنصرم الحال بينهم على أن قبر الشريف القاسم بن إبراهيم عليه السلام بعيان⁽²⁾ ، وقبر الشريف الفاضل عليه السلام بالحضن⁽³⁾ .

قال : ووصلت بنو مالك من البطنة في الحقل والعسكر في تلك العراضة ، وأجمع أهل الحقل الربيعي والمالكي والصعدي فبذلوا الطاعة ولزموا الجماعة وعاتبهم الأمير وأوسع معهم في الكلام وقال لهم : قد كان من فعالكم ما قد علمتم مع هذين الشريفين الماضيين رحمة الله عليهما ، وكانت أموركم مصروفةً إليهما وأنتم لنا رعية وأصحابٌ وبلدكم لنا بلدٌ وجنابٌ ، ولسنا بتاركيها رسلاً ولا ندع رعيّتها هملاً . فلما فرغ من هذا الكلام أجابه محمد بن علي الضراب فقال : يا مولانا ! علينا الطاعة فيما بقي ومنك العفو فيما مضى ! ثم قال : هذا شريفكم وصاحب بلدكم ناصر الدولة وعزّها الحسن بن إبراهيم فاسمعوا له وأطيعوا . فقالوا : سمعنا وأطعنا ورضينا وقنعنا . وأمر الأمير ذو الشرفين بالشيخ جعفر بن الحسن الشمري فأنزل من شهارة / فوصل إلى بلده وأصحابه بعيان ، وكانت إقامته بشهارة ست سنين [م ق 75 ب] إلا شهرين ومدفوعه ثلاثة آلاف دينار . واستعاد الأمير ذو الشرفين إلى الحضن لقبران الشريف الفاضل عليه السلام . وفي ذلك يقول مفرّح بن أحمد :

(1) الغتير : قرية من عزلة المرانة ناحية خراب المراشي قضاء برط . التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، ج 2 ص 610 .

(2) عيان : قرية من عزلة دبكة ذو مقبل ناحية حرف سفيان قضاء خمر . وهي على وادي عيان على بعد 8 كم شمال مدينة الحرف . التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، ج 2 ص 469 ، خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1644C1 .

(3) الحضن : ما يحمل اسم الحضن كثير خاصة في محافظة حجة . أما الحضن الذي دفن فيه الشريف القاسم فموقع من بلد وادعة الظاهر (قضاء خمر) ؛ انظر : يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ج 1 ص 268 .

سقى قبراً بأرض بني عُبيدٍ
مشاهد للإمام بحيث أضحى
أشيخ بني عليٍّ حيث كانت
حَبَاكَ الله عَنَّا كُلَّ يومٍ
على الشيب المزمّل في دِمَاهُ
على مَنْ في الملاء الأعلى وطافت
صلاة الله ما دامت صلاةٌ
وسعد يرتبطه وسعد عَيْنٍ
أما إنَّ المنام يَشُوقُ قلبي
أبضعة رحمة في الحُضن حَلَّتْ
تحلّت بعد أنعمها ببؤسٍ
وأعداها الأسيودُ من جُذامٍ
بهم قطعوا وأنعمهم أزالوا
أزالوا نعمةً كانت عليهم
وإنَّ عَمَّ المُصابُ به البرايا
وليس لهم بمن قُتلوا بديلاً
ومن أيام ذي الشرفين حَرْبٌ

بصحن الحُضن رجّاش الغمامِ
الأمير ابن الأمير ابن الإمامِ
وعليها بذي يَمَنٍ وشامِ
بأضعاف التحية والسلامِ
على الأشلاء من تلك العظامِ
به أيدي الملائكة الكرامِ
وما ناحت مطوّقة الحمامِ
رأته يوم يُبْعَثُ بعد عامِ
لرجوي أن أراه في المنامِ
عقبتها بأرض بني دِعامِ
وبعد جميل قالتها بِذامِ
به وبرهطه داء الجُذامِ
وأنفسهم رَمَوْا دون الأنامِ
مجلّلة من النعم الجسامِ
فقد جُبروا بعترته الكرامِ
ولا وَزَرَ إلى غير الحمامِ
يشيب لهولها رأس الغلامِ

قال : فلما رُفِعَ الشريف الفاضل عليه السّلام إلى قبره قام مفرّجُ بنُ أحمد
رحمةُ الله عليه خطيباً فتكلّم بكلامٍ أولُهُ : بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله
حمداً يوجبُ مزيده وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةٌ تُوجبُ توحيده ،
وأشهد أن محمداً صلّى الله عليه ورسوله وحُجَّتُهُ ودليله بعثه واختاره من جميع
الخلْق واصطفاه بالرسالة إلى الغرب والشرق ، صلواتُ الله العظيم على ذلك الروح
الكريم ، / وأشهد أن عليّ بن أبي طالب أخوه ووليّه والخليفة بعده ووصيه وأنَّ
الإمامة بعده في ولديه السبطين الطاهرين الحسن والحسين فيمن كان من نسلهما
كمثلهما ، واحتذى بقولهما وفعلهما . أيّها الناس ! هذا الشريفُ الفاضلُ الأجلُّ
الكامل المبارك الأمير ، مفرّج كرب المسلمين ، والساعي في مصالح الدين الذي

حبس نفسه في الجهاد ، وقشع الظلمة عن العباد عاش أكثر زمانه عليه السلام لا تَجْنُهُ دَارٌ وَلَا يَقَرُّ بِهِ قَرَارٌ ، يأكل اليسير من المعاش ، ويلبس الخشن من اللباس ، محتسباً لنفسه في سبيل الله ، باذلاً لها في جهاد أعداء الله ، ثَغَرَ عليهم الثغور ، ونثر عليهم الأمور ، أهون سيره في ذلك الحثيث ، ملأ البلاد مساجداً ومشاهداً فله على كل نجد مشهد وبكل ناحية مسجد . ليله في ذلك كنهاره وشخصه أكثر من قراره . لم تزل تلك حاله عليه السلام حتى أكرمه الله بالسعادة وختم له بالشهادة بأيدي أشقى من عاقر ناقة ثمود ، وأعظم جُرمًا عند الله من النصارى واليهود ، وقد أسبغ وضوءه ، ولبس لحاف صلاته ، وتأهب للقيام بين يدي الله لمناجاته فضرّجت من دمه شيبته ، وتخضّبت بعد الجلال هيئته وأتوا بالمنكر فيه غدروا به وبابن أخيه ورؤع حريمه وأطفاله وانتهب ثقله وأمواله بعد أن أكّد معهم الجيار ، وأخذ منهم الموائيق والأخفار وجعل بينهم الدار وأعطى العطايا الكبار . ولقد اختار الله له داراً أفضل من دارهم ، ونقله إلى جواره من جوارهم ؛ يقول الله سبحانه : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ﴾⁽¹⁾ . ذلك سبيل آبائه الطاهرين ، وسلفه المنتجبين الأئمة الطيبين . قتلهم الأموية بما كان في أيام الشرك ، وقتلتهم العباسية على الخلافة والمُلْك . لقد جهدوا في قطع هذه الذرية النبوية الذين تسلم بهم الأديان ، وتسقى بهم الوديان . وهم يزدادون علوّاً وسُمُوّاً ونمواً . الثقل الثقيل ودعوة إبراهيم الخليل عليه صلوات الله الجليل . يقول الله عزّ من قائل⁽²⁾ : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي وللمؤمنين والحمد لله ربّ العالمين .

قال⁽³⁾ : وشمل الفساد كثيراً من العشائر والبلاد وتواطأوا على الخلاف والفساد ، وتحالف الكل من بني صريم ونهم وبني الدعام وصناف ، وكاتبوا بني الصليحي وكان لهم لقاء واجتماع بلغوا فيه إلى ناحية المدحك وما يليه فأنهض الأمير

(1) سورة آل عمران/ 169 - 170 .

(2) سورة الصافات/ ٧٧ .

(3) اللآلي المضية م 2/ ص 180 .

ذو الشرفين عليه السّلام الشريف الأجل ناصر الدولة وعزّها الحسن بن إبراهيم في
 [م ق 76 ب] جماعة / من الشيعة وافرة إلى بلد بني شرحبيل وكانوا مستقيمين على الطاعة .
 قال : فهِمّوا بالهجمة على المفسدين فرهبوا الوقوع في عشائهم الوادعيين . فلما
 أصبح ولّى أهل الفساد منهزمين . وفي ذلك يقول مفرّح بن أحمد على لسان الأمير
 ذي الشرفين :

<p>وَيُغْفَرُ ذَنْبُ شَانِيهِ الْعَظِيمُ أَذَلَّ رِقَابَهَا الْجَوْرُ الْقَدِيمُ حَمَى الْأَمْوَالِ وَانْتَهَكَ الْحَرِيمُ فَكَلَّ الْخَلْقُ مَكْرُوبٌ كَظِيمُ عَنِ النَّاسِ الْكَآبَةُ وَالْغُمُومُ وَلَيْسَ كَذَاكَ يَفْتَعِلُ الْكَرِيمُ دَعَا وَاللَّهُ بِالْدَعْوَى عَلِيمُ عَلَيْهِ صَارَ أَكْثَرُهُمْ يَخِيمُ وَكَيْفَ يُطَاعُ طَالَوْتُ الْعَدِيمُ تَرِيشٌ مُحَقَّلٌ وَنَشَايَتِيمُ وَعَدْنَانُ الْمِيَامُنُ وَالْمُشِيمُ قَدِيمًا حِينَ يَقْعُدُ مَنْ يَقُومُ أَقَالَ أَنْالَ زَالَ بِهِ الظُّلُومُ لَهْنٌ بِكُلِّ نَاجِيَةٍ رَسِيمُ لِأَنَّهُمُ الْعَشِيرَةُ وَالْحَمِيمُ وَصَحْبُ الْجَنْبِ وَالْجَارُ الزَلِيمُ وَإِنْ كُنَّا كَمَا قَالَ الْحَكِيمُ كِدَابِغَةٍ وَقَدْ نَغَلَّ الْأَدِيمُ < وَوَالِي الْحَقِّ بَيْنَكُمْ مُقِيمُ وَتُبْذِلُ لِي الْعَطَايَا وَالرَّسُومُ كَفَافًا مَا تُسَامُ وَلَا تُسِيمُ</p>	<p>أَيُّكَفَرُ حَقَّ ذِي الشَّرَفَيْنِ ظَلَمًا وَيُنْسَى عَتَقَهُ لِرِقَابِ قَوْمٍ وَقَدْ قُتِلَ الْجَحَاجِحُ وَاسْتَبِيحَتْ وَقَالَ النَّاسُ مِنْ دَاعٍ لَوَاعٍ فَلَمَّا أَنَّ بَدَا الدَّاعِي وَزَالَتْ جُزُوهَ كَفَاءَ نِعَمَتِهِ عَقُوقًا وَكَانُوا كَالْمَلَا مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَمَا أَنْ أَتَاهُمْ مَا تَمَنُّوا وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ مِنْهُ مَالًا أَنْكَفَرُ حَقَّ ذِي الشَّرَفَيْنِ لَمَّا وَقَدْ عَلِمْتَ بَنُو قَحْطَانَ جَمْعًا مَقَامَ الْمَلِكِ ذِي الشَّرَفَيْنِ فِيهِمْ أَصَانُ أَعَانَ فَرَجَ حَاظَ جَلِّي أَلَا يَا رَاكِبًا يُزْجِي الْمَطَايَا أَنْخَ بِحَلَالٍ وَادْعَةَ بَنِ عَمْرِو وَأَدْنَى النَّاسِ دُونَ النَّاسِ دَارًا وَأَبْلَغُهُمْ بِأَجْمَعِهِمْ مَقَالِي > فَإِنَّكَ وَالْكِتَابَ إِلَى عَلِيٍّ أَلَيْسَ لَكُمْ غَضِبْتُ وَقَمْتُ فِيكُمْ تَعَرَّضَ لِي الْمَوْدَةُ وَالتَّصَافِي جَعَلْنَاكُمْ وَإِخْوَتَكُمْ بِكَيْلًا</p>
---	--

وناضلنا عليكم والغواشي
فكان جزاؤنا ما قد علمتم
أُيقتل قاسمٌ ظلماً ويُمحي
ويعتذر المشائخُ من بكيَلٍ
فكيف الفرق أو يلحى سفيه
لقد غدرت بأجمعها بكيَلٍ
فقل لي للذي لم يَجُنِ عيباً
وقل لسراةٍ وادعةٍ بنِ عمرو
أنيبوا يا عشيرتنا وتوبوا
ولا تبغوا عليّ بغير جرمٍ
وبالله استعيذوا إن دعاكم
على ما تعرضون لقاتلينا
دُعوا للصالح يوم غدٍ مكاناً
فإني والبنية والمصلّى
لأكره أن أعود إذا التقينا
ولمّا كفني عنكم رجائي
تطاولتم إلى أطواد ركنٍ
وأدنيتم عداي فمن حذاري
إذا صافى صديقك من يعادي
عليّ بأن أقيم لها رواها
لأنّي قد حبستُ لذاك نفسي
لأطلب ثأر شيخ بني عليّ
وأدعو مَنْ له حَسَبٌ شريفٌ
فإن أسلم أشبّ لهم عواناً
وإن أهلك فقد أوصيتُ بعدي

غواشي الجور فوقكم نجومٌ / [م ق ١٧٧]
بما في القاسمين أتى اللثيمُ
بمقتله الصراط المستقيمُ
بما فعل السفية لمن يلومُ
على سَفِهٍ وقد رضي الحلِيمُ
بداعي الحق إلا مَنْ يقومُ
أنيقاً من يحاوره الدَّغِيمُ
وَمَنْ لهم المحبّة والقديمُ
فإن الله تَوَّابٌ رَحِيمُ
ولا سببٍ فإنّ البَغْيَ شُومُ
بصوت البغي شيطانٌ رجيمُ
وكلُّ من رفيقته سَلِيمُ
إذا ما رام صلحاً مَنْ يرومُ
بحيثُ مِنّي وزمزمُ والحَطيّمُ
وقد كُُلُّ لصاحبه غريمُ
عسى أن يستليم المُستليمُ
مَنيعٌ دون مبلغه النجومُ
وقوعي في البريء نجا السقيمُ
فذنّبُ صديقك الذنبُ الجسيمُ
ولاءُ منا أنا من لا نقيمُ
وما لي كلّما هبّ النسِيمُ
فترُكُ الثأر منقصةً ولُومُ
وأدعو مَنْ له دينٌ صميمُ
لها من كلّ ناحيةٍ جَحِيمُ
بها من لا ينام ولا يُنيمُ

قال⁽¹⁾ : ولما كان في ذي القعدة من شهور سنة تسع وستين وأربعمائة

[م ق ٢٧ ب] اجتمع / الشرفاء والسلاطين والمقدمات بحضرة الأمير الأجل ذي الشرفين بشهارة

فاشتوروا وأجمع رأيهم على المخرج إلى الشرف والذي هاج ذلك ظهور الخارجي

الخطيط⁽²⁾ بن عبد المجيد الأباضي وأدعى الإمامة ودعا إليها ، والتأم إليه جميع أهل

الشرف وغيرهم من أهل البغي والسرف . والإمامة في اعتقادهم جائزة في جميع

الناس ، وكان غرضه الذي دعا فيه مناصبة الأمير الأجل ذي الشرفين والخروج

عليه . فلما أجمع رأيهم عليه السلام على المخرج أنهض الشريف الأجل ناصر الدولة

وعزّها الحسن بن إبراهيم والسلطان يحيى بن محمد المالكي إلى صعدة ونواحي

بلد خولان . وأنهض السلطان عبد الباعث ونشوان إلى ناحية البون والمشرق من بلد

همدان . وأنهض رجالاً من شيعته إلى بلد وادعة مع الشريف الأجل ليث الدولة

وعضدها حميدان بن القاسم . وأنهض الشريف الأجل سنان الدولة وركنها أحمد بن

جعفر والسلطان الحسين بن إبراهيم إلى بلد بكيل وجعل لكل ميعاداً لعشرة أيام

تمضي من ذي القعدة سنة تسع وستين . فلما كان ذلك اليوم وصلوا للميعاد من

جميع البلاد ونزل الأمير ذو الشرفين إلى خموس الأهنوم⁽³⁾ فاستقبله من بها من

العساكر الكثيرة والجيوش المنصورة ، وأمسى تلك الليلة بالخموس وشرح المحطة

بمور والثاني بالحوّل من بلد نهم وكان آخر النهار ووصلت قبيلة من جحور يقال لها

عاهم⁽⁴⁾ وهم أهل محبة وطاعة فوصلوا في زي الحرب فلما رأهم العسكر المنصور

بتلك الصفة استنكروهم فهش عليهم سرعان العسكر فقتلوا منهم رجلاً . وركب

الشرفاء والسلاطين والمقدمات فردوهم وعرفوهم أنهم طاعة فغضب الأمير الأجل

على العسكر ودخل مضربه فلم يصل إليه أحد فأحاطوا بالمضرب وطمعوا أن يخرج

إليهم الصباح فلم يصل إليه خاص ولا عام حتى كان من الغد ودخل الشرفاء

(1) أنباء الزمن م 1/ص 167 . وجعل صاحب اللآلي المضية م 2/ص 181 - 182 خبر هذا الخروج بعد وقعة الصابة من بلاد الجبر .

(2) في أنباء الزمن : الخطيط . وفي نشرة غاية الأمانى 269/1 : الخطيط .

(3) الخموس : بلد في شمال بلاد الأهنوم مما يلي بلاد عذر؛ مسلم اللحجي ، كتاب فيه شيء من أخبار الزيدية ، ص 44 ب .

(4) عاهم من قبائل حجور الشام . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 2 ص 240 .

والسلاطين والمقدمات عليه وجثوا بين يديه وسألوه الرضا عن عسكره وبذلوا له النصف فيما جرى واعتذروا إليه ولم يُعلم مَنْ أصاب الرجل فخرج الأمير إلى العسكر فاستحلفهم ما علموا من قاتل هذا الرجل وألزمهم ديته فدفعها المقدمات إلى بني عم المقتول ونهض العسكر حتى صاروا ببلد بني أفلح وهم أهل طاعة وكانت بينهم وبين أهل الشرف عداوة . ثم نهض الأمير ذو الشرفين بالعسكر إلى تعبئته حتى حط بموضع يقال له طهنة⁽¹⁾ بالقرب من حصن الأذن . وقد كان الخارجي الملعون ندب من أصحابه عسكراً كثيراً إلى جبل بالقرب منه اسمه المَحْطُور قال : فأمر العسكر المنصور على حاله وأوقد أهل المغرب النيار على جميع جباله قال : [م ق 178] فسمعتُ الأمير ذا الشرفين يقول : إني لأرجو أن يظفي الله هذه النيار غداً إن شاء الله . قال : فلما أصبح أمر بالأبواق فنُفِخت وبالطبول فُضربت وبالألوية فُعُقدت . وعبأ العسكر المنصور أثلاثاً فكان هو بنفسه في ثلث فيه الخيل والشيعة وعُذِرَ وبعض الأهنوم بإزاء حصن الأذن مقاتلاً للحطيط لعنه الله . وجعل الشريف ناصر الدولة وعزّها الحسن بن إبراهيم والسلاطين عبد الباعث بن أنس ونشوان ابن نشوان وأبو الفتوح بن عليان والنفيل بن أحمد ومن معهم . وجعل الشريف سنان الدولة وركنها أحمد بن جعفر والسلطانين الحسين بن إبراهيم ومحمد بن أنس في بكيل ووادة فتوجّه الشريفان وَمَنْ معهما للمحطور وَمَنْ فيه فشرع كُلُّ منهما في ناحية وكان جبلاً صعباً شامخاً منيعاً . فالتقى القوم واشتد القتال وتنازلت الأبطال فقتل من العسكر المنصور ثلاثة رجالٍ رجلٌ صعيدي ورجلٌ من بني أفلح ورجلٌ من ظليمة فاشتد أهل الجبل بقتلهم وسلبهم وتأسّدوا في قتالهم وحربهم حتى أصيب الشريف ناصر الدولة بسهمٍ وحجار . قال : وشرع الشريف سنان الدولة حتى ركب الجبل من فوقه وانحطّوا على القوم فالزموهم السيوف قتلاً وسلباً فرامت الخوارج مخرجاً أو مهرباً فما وجدوا طريقاً في أي الجانبين والتقى عليهم جميع العسكرين فقتلوا وسلبوا وقتل رئيسهم الحربي بن شرحبيل . فلما رأى أهل الإذن رايات العسكر المنصور قد علت وكتائبهم المخدولة قد قُتلت انفَضّوا من حصنهم هاربين لا يلوي أولُهم على آخرهم .

(1) هذه الأماكن كما يتضح بعد ذلك من النص موجودة بناحية الشرف .

وتقدّم الأمير ذو الشرفين فطلع حصن الأذن وأمر بالرؤوس فقطعت وحملت إلى أقر فضُلبت .

وكان الشريف ليث الدولة وعضدها حميدان بن القاسم بذروة فنهض سليمان بن عامر الزواحي في جماعة الحجاز إلى ناحية البون وغرضهم ذروة ومن فيها . فلما وصلهم علم ما فتح الله على الأمير الأجل بالشرف من الظفر ووصلت رؤوس القتلى إلى أقر استعداد كل منهم إلى موضعه . قال : وأقام الأمير ذو الشرفين وأمر بمنازل شرحبيل بن الحربي فخرّبت . وأرسل إليهم السلطان أبا الفتوح بن عليان ورسمت عليهم المدافيع ووصل السلطان الحسن بن أبي الخياط من الجريب⁽¹⁾ فأنهض معه الأمير الأجل شكر بن علي إلى هنالك والياً . ووصل أحمد بن محمد الزوبعي من ناحية الراحة فأنهض معه السلطان يحيى بن محمد المالكي إلى هنالك والياً . وأقبلت عشائر المغرب من حَجُور وغيرهم بالسمع [م ق 78 ب] والطاعة / والمدفوع . واستعمل السلطان نشوان بن نشوان على الشرف وأمره بالإقامة في حصن الأذن ونزل عليه السلام إلى طهنة فعيّد بها عيد الأضحى ثم نهض قافلاً إلى مستقرّ عزّه شهارة . وفي ذلك يقول الأمير ذو الشرفين :

أيأشبه الغزاة في الرياضِ	فؤادي من هوائٍ على ارتماضِ
كما ارتمض الخوارجُ عند قصدي	إليهم حيث صاروا في ارتماضِ
أقام الناكثون لهم إماماً	حطيناً عند كفي وانقباضي
وظنّوا أنّ كفي كان عنهم	لعجزٍ كان عن شرفِ البياضِ
فناديتُ الكرامَ بني عليٍّ	وأشيعَ الحسين وكلّ ماضِ
من الأنجاد همدان بن زيد	وحمير مثل آساد الغياضِ
قصّدتُنا نحوهم ورداً إليهم	كما قصد الع طاشُ إلى الحياضِ
فذاقوا غبّ ما اجترموا وأمسى	بهم من كان كالغضبان راضي
فنعماً للموالى والمصافي	وبُعداً للغواة بني أباضِ

(1) الجريب بفتح الجيم وكسر الراء ، كانت عاصمة بلد حجور ، وتقع في عزلة بني جل أو في جبل قلحاح من مخلاف الشرف بلواء حجة ، وهي اليوم أطلال وخرائب ؛ انظر ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 127 ؛ عمارة : تاريخ اليمن ، ح 2 ص 250 - 251 .

قال مفرح بن أحمد : سألت السلطان نشوان بن نشوان عن خراج الشرف أيام ولايته فقال : كان الراتب ألفي دينار في كل شهر على الإدرا وألفي دينار في الأسواق وألف دينار في أشياء سوى ذلك ، فذلك خمسة آلاف دينار في كل شهر حسب قانون البلد في السنة فكان مائة ألف دينار وعروض الثمرة⁽¹⁾ ، وشرب الأنعام وجميع المسائل .

رجع الحديث إلى غارة أقر

قال : فلما انصرف بنو الصليحي من غارة أقر راثحين إلى اليمن وكان قد وصل إلى الأمير عليه السلام من ذكرت وصوله من بني حسن نهض بهم إلى بلد عُذر⁽²⁾ ولحقه إلى هنالك شرفاء من تهامة من بني حسن فصار عسكراً كثير الخيل والرجال فنهض عليه السلام من هنالك طريق الفقمين ثم حط على مخترعة مذاب . ثم نهض من ليلته فلما كان صبيحة يوم الثلاثاء عبأ العسكر أثلاثاً فجعل الشريف ناصر الدولة وعزها في ثلث العسكر وجعل الشريف سنان الدولة وركنها في الثلث الثاني وكان هو عليه السلام في الثلث الثالث فما كان إسفار النهار إلا وقد سطع الغبار ووقعت الخيل في المغار وألّمت بهم الداهية من كل ناحية وكثرت الغنائم مع العسكر ومن الله تعالى بالنصر والظفر / فضرب الأمير مضاربه ببطن الوادي وأتى بالسلطان همدان بن ربيع الدعامي أسيراً وقتل أنفاراً من الناس وانهزم الباقون . قال : وجعلت سوابق من خيلهم تطالع العسكر وهم يومئذ بنواحي الغيل⁽³⁾ . فلما كان بعد يوم شدّ العسكر المنصور على اليحاوية^(*) والخيل ونهض الأمير ذو الشرفين إليهم وجعل دليله طلائعهم عليهم حتى لحقهم بموضع يقال له كمنا⁽⁴⁾ وأطردت سوابق الخيل من

(*) كذا في الأصل ، ولم نهتد لقراءتها .

(1) مكررة في الأصل .

(2) اللآلي المضية م 2 / ص 180 .

(3) غيل مراد : نهر من أنهار الجوف سمي باسم قبيلة مراد التي تسكن في مناطق كثيرة من اليمن .

وقرية الغيل من ناحية الغيل بالجوف على بعد 18 كم شمال غرب براقش ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 4 ص 703 ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة الجوف ، ص 26 ؛ خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، قطعة رقم 1 .

(4) كمنا : محلة من قرية المقاشب عزلة همدان ناحية حزم الجوف . الهمداني ، الإكليل ، ج 8

ص 175 ؛ التقسيمات الإدارية لعام 1985 .

الفريقين . فلما تراءى الجمعان ووقع الطعان هتف الهاتف يا آل علي يا آل علي وتارة يا آل الحسن يا آل الحسين ! اعتكر العجاج وأظلمت الفجاج وولّى القوم تدبيرين وخلّوا الظُّعن والأموال والنساء . وقُتل السلطان منيع بن الربيع الدعامي وجماعةٌ منهم ، وأسروا أبو الحسين بن نعمة الدعامي وغنمت تلك الأموال وصار النعم كالجهام العظيم ولحق الظعن فلم يُكشف حريمٌ وكان فعل الشرفاء فيمن وليوه مشكوراً واستعاد الأمير ذو الشرفين⁽¹⁾ الفتح والغنم العظيم متوجهين إلى ناحية⁽²⁾ وقد كان العطف بن بدر أرسل أنه واصل مأرب فوصل بعد نهض الأمير حتى حط بالفجرة⁽³⁾ من وادي مذاب وأحاطت به القومان من نهم ودهمة من كل جناب ولحق الصريخ إلى الأمير ذي الشرفين إلى عيان فنهض من فوره عصراً حتى أصبح في قرية بني الدعام⁽⁴⁾ ثم استعادت اليحاوية والخيّل لصرم ذكر لهم بالخارد من نهم خرج لهم منسراً فيه الشريف سنان الدولة وركنها حتى لحقوهم بالمناحي⁽⁵⁾ فوقعوا في الأموال من الإبل والغنم والأثقال فغنموا وسلموا وانقلبوا بالخيّل الكثير إلى المعسكر المنصور ورفع الأمير ذو الشرفين إلى معسكره بعيان فتبعه إلى هنالك آل الدعام متسلمين على أيدي مقدمات العشائر طالبين في أساراهم فأوجب الأمير ذو الشرفين وشرط عليهم شرائط فكان من كلامه أن قال : يا سلاطين لسنا ندري بما نتثق به منكم جاورنا الجوار وسامينا وأعطينا العطايا واستحلفنا الأيمان فلم يتم لنا منكم شيءٌ بأي

(1) في الأصل بعد هذا كلمتان بخط مختلف غير مفهومين .

(2) في الأصل بعد هذا كلمة غير مفهومة .

(3) الفجرة : قرية من ناحية الحميدات قضاء الجوف ، على بعد 8 كم جنوب الحميدات ، وتقع ما بين : 47°24'16" شمالاً ، 32°26'44" شرقاً . التعداد السكاني التعاوني لمحافظة الجوف ، ص 24 ؛ خريطة ج. ع. ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1544C2 .

(4) قرية بني الدعام هي سوق دعام : قرية من عزلة الزاهر قضاء الجوف على بعد 3 كم شمال غرب الزاهر وتقع ما بين : 44°19'16" شمالاً ، 03°28'44" شرقاً . التقسيمات الإدارية لعام 1985 ؛ النتائج الأولية لتعداد 1986 ؛ خريطة ج. ع. ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1644C2 .

التقسيمات الإدارية لعام 1985 ؛ النتائج الأولية لتعداد 1986 ؛ خريطة ج. ع. ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1644C2 .

(5) المناحي : من خارف على نهر الخارد . الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص 159 ، ج 6 نفس الصفحة ، ص 283 .

ذلك ولسنا ندري بما يُستوثق به منكم وأنتم تَهَاونون باليمين ونحن نثق بالله الحق المبين ونستحلفكم والله الناصر عليكم والمعين ! ثم قَدَّمهم على أعيان العسكر فاستحلفهم مائة يمين وأمر من يعدّها بالحصا فزادت على المائة عشرين واستحلفهم بالطلاق والعتاق والتسبيل وصيام عشر سنين والحجّ إلى بيت الله الحرام عشر سنين مُشاةً حُفاةً ثم حَبَّاهم بعد ذلك وكساهم ومَنَّ عليهم بإطلاق أسراهم . ثم نهض إلى الخموس من بلد الأهنوم فأوفى جميع عسكره أرزاقهم وبذل الأموال الكثيرة وأعطى العطايا / الغزيرة . وفي ذلك يقول مفرّح بن أحمد :

[م ق 79 ب]

<p>الآن الآن فارقني السقام وزال الهم وانفرحت صدور بنفسي طلعة كشفت ظلاماً وريات لأهل الحق بيض وندوة معشر وشعار قوم دعا ذو المجد والشرفين صوتاً ولبته بنو حسن وقامت يقود الخيل من حرّض تراها لحاق الأطل سامية الهوادي عليها من بني حسن رجال مغاويث لداع مستغيث على أكتافها الأسل الضوامي ونار أوقدت لطفة نهم أريد بها العدو فما احتيالي يعز عليّ بذلهم ولكن وكانوا من أعز الناس قدراً بعثت إليهم مني نصيحاً وكم من نادم في ردّ نصحي وكتابت القبائل مستعينا</p>	<p>ولذ لمقلة العين المنام وآب مسرة ونجا اغتنام وطلعتها على غيري ظلام تحفّ بها الملائكة الكرام أغيرواها هنا قتل الإمام أنا الحسناني فانقطع السام إليه حين آن له القيام كأن رعال بهمتها البغام يحفّ بها المخزومة النعام مزاحيم إذا وقع الزحام يعزّز بها وفيها المستضام كأن سيول شر عليها الغمام لها من كل ناحية ضرام إذا اشتفعت صليتها دعاء هم بذلوا وعقّونا ولاموا لدينا لو أطاعوا واستقاموا لأن أخا النصيحة لا يلام ولكن ليس ينفعه الندام عليهم بالذي علم الأنام</p>
--	--

وأشهدت القبائل من بكيل
عرضت عليهم إحدى ثلاث
يميلوا عن عداي ويتركوني
وإما أن يبينوا كان عندي
[م ق 80] وإلا فاليقين بأن قصدي
فأوجب رأيهم قصدي وقيدت
وجروا لي العدو وأسعدتهم
وورخ في حميدان فأنجني
وساموني بها خسفاً ومثلي
وابن الحرب رباني أبوها
وترضعني بثديها لباناً
أنا ابن محمد وأبي علي
وفي في بني حسن قوي
يهاض بها جناح هاشمي
دعوتهم فلبوني وقالوا
سنزجي الخيل من كفي شهر
وأغميت العيون فما أحسوا
ففاض عليهم الوادي بسيل
وهاضت نحوهم من كل أوب
بوادي الأثل (*) في خلع ثلاث
ألا لم تعلموا مني بأني
ففروا بالذخائر والمواشي
بهذا العام يومهم الثلاثا
بغوا فأعان بغيتهم عليهم
وسيف البغي للرحمن سيف
وكتبنا الكتاب بعد يوم

وها هي ذي بحضرتنا قيام
وليس عليّ بعد لهم كلام
وإياهم وينعقد الذمام
لهم في ذلك النعم الجسم
إليهم لا سواهم والسلام
إلى حصني الجماهير العظام
بها جنب وسنحان ويام
وسيق إلى سليمان الحمام
إذا ما سيم غيري لا يسام
صغيراً ما دنا مني احتلام
فمنها اللحم مني والعظام
وجدتي قاسم وأبي الإمام
وليس أخو بني حسن يضام
وريش مضرحي لا لوام
إمامك حيث شئت لنا إمام
ولي بالله ذي العرش اعتصام
بها لولا كذاها والقتام
له برق بعيد لا يشام
فضاق بسيله الوادي سنام
عواذب دهممة الجيش اللهم
إذا حاربت قوماً لا أنام
وولوا مدبرين معاً وخاموا
وذا عام وذاك العام عام
وحل بهم من الله انتقام
على من سله ذكر حسام
إليهم حين قيل لنا أقاموا

بأيدينا الصفائح والعوالي
وشدّوا بالظعائن والتقينا
وقلنا مثل ما قالت علك (*)
وشدّوا شدّة العادي وراموا
وأظلم بالكديد الجوّ حتّى
ونادى بعضنا بالاسم بعضاً
أيا لعلي يا لعلي هذا
فناديننا بها فيهم مراراً
فولّوا مُدْبِرِينَ ونحن فيهم
فما أنجاهم إلا هُرات
وحزنا الظعن عن عَرْضٍ ورُحنا
ولولا الخوفُ خوفُ الله فيما
وقولي القتل إلا في عدوّ
لما برحت بصحن الجوف فيهم
لقد شَفِيتُ بناديهما نفوسُ
وَجَرَّ لأهله الجاني جناها
وألقح في الودين بها ضبوعاً
ألا ياراكباً يطوي الفيافي
بقلبٍ كالمرأوح ليس فيها
إذا وقع الذبابُ عليه وشى
يقيم على طبائعه ذميلاً
يشارك منحني هاديه قوساً
أسرة أو تنيخ به ويُلقى
ليهن بها الأمير أخا المعالي

تهزُّ وفوقها للظعن لأم
جِباة الخيل والنعم السوام
وقالوا مثل ما قالت جذام
بها كسر الجماعة حين راموا / [م ق 80 ب]
على عَطَنِ الجميع له عيام
وصاح الكهل منا والغلام
طِلابُكُمْ وثارُكُمْ اللئام
وبعضُ شعارنا الحسن النظام
سيوفُ الحق وانقطع الكلام
وقد هربوا وسليام وحام
تُجْهَجُهُ حُمْرُهَا النِّعَمُ الجِهامُ
يُخافُ وَيُتَّقِي منه الأثامُ
عليكم يا بني عمّي - حرامُ
عظامُ في الفضاضِ بيضُ رِمَامُ
كثيرٌ ما لأكثرِها اجترامُ
كما جَرَّتْ لأهلِها عصامُ
فأنتجها لواءِ كِنَمِنا التَّمَامُ
بجأوياء يزيّنه السنّامُ
عصامُ بين أربعةٍ < ... > (*)
عمامة رأس راكبه < قُمَامُ > (***)
وَيُمْسِكُهُ عن العَدُوِّ الحَرَامُ
من النُّشَابِ أوترها الزُّمَامُ
على باب ابن وهّاس الخطامُ
وأسرته بنو حسن الكرامُ

(*) في الأصل كلمة غير مفهومة بخط مختلف .

(**) بياض في الأصل ، وكلمة غير مفهومة بخط مختلف .

وأبْلِغْ مَنْ بَمَكَّةَ مِنْ لَوْيٍّ
وبالصفرا وينبع إنَّ فيها
وأبْلِغْ بالمدينة لي قبوراً
بما أعطى الإله على الأعادي
[م ق 81^أ] فياليت القبور ترى جدائاً
ويُنشَرُ مَنْ مَضَى مِنْ سَالِفِينَا
سلامُ الله كلَّ صباح يوم
ويا عينُ انعمي لُقِّيتُ نِعْمًا

بحيث مِنِّي وزمزمُ والمقامُ
لنا قومٌ لهم فيها مقامُ
عليها لي من الله السَّلامُ
كذلك يكون ما دُئنا وداموا
وما ذاقنا بأيدينا الطغَامُ/
وشيخُ الطالبين . الهُمَامُ
عليهم كلَّما غنَّيَ الحَمَامُ
ولو أرغمن أنافاً رَغَامُ

ذكر الخبر عن المخرج إلى بلد عُذْر (١) :

قال : ولما قُتِلَ الشريفان عليهما السَّلام بعمران كَثُرَ الفساد في عشائر المغرب
ونواحيه وارتفع مَنْ كان من العُمَال . ثم إنَّ الأمير ذو الشرفين رَتَّبَ مخرجاً إلى بلد
حَجُور إلى ناحية بينة وسخدا⁽²⁾ وبلد قحطان⁽³⁾ فيه جميع الشرفاء والسلاطين
والعرفاء . فلَمَّا صار العسكر المنصور بأقر ظهر الخلافُ من عُذْر فصرف العسكر
حتى حطَّوا بشعب بارزا من القرية فلَمَّا صاروا هنالك تألَّبت عُذْر وكثرت إليهم
الغور ، وجعلوا يرمون في نواحي العسكر ، وزربت على العسكر عُذْر طريق
بلادهم . ثم أجمع الكلُّ من عُذْر وتكاثرت إليهم جُلُّ عشائر المغرب الغور فلَمَّا رأى
العسكر ذلك اقتسم الشرفاء والسلاطين والعرفاء أثلاثاً فكان مع الشريف الأجل ناصر
الدولة وعزَّها الحسن بن إبراهيم ثلث ، ومع الشريف الأجل سنان الدولة ثلث ،
ومع الشريف الطاهر العفيف محمد بن القاسم ثلث فلَمَّا تراءى الجمعان واقتتل
الفريقان حمل الشريفان ناصر الدولة وعزَّها وسنان الدولة ورُكَّنها بِمَنْ معهما على مَنْ
يليه فأوقعوا فيهم السيوف ، > . . . < (*) بهم الحتوف ؛ والشريف الطاهر

(*) في الأصل كلمة غير مفهومة بخط مختلف .

(1) اللآلي المضية م 2/ ص 180 .

(2) سخدا : جبل في منطقة شهارة . أبو فراس ، السيرة المنصورية ، ج 2 ص 327 .

(3) قحطان : عزلة من ناحية الحميمة قضاء حجة . والقحطانة عزلة من ناحية وضرة قضاء حجة . التعداد

السكاني التعاوني لمحافظة حجة ، ص 85 ، 167 - 168 .

العفيف محمد بن القاسم > في القوم <(*) الجبهة الأخرى فيمن كان معه .
 فبيناهم كذلك إذ جاءهم الخبر بقتل القوم فحقّقوا الحملة على مَنْ في
 <الوادي . . . >(**)، ولحم أعداء الله السيف فكانوا في ذروة منيعةٍ فقطع عليهم
 الشريف بمن معه ، فلم يزل فيهم القتلُ حتّى أجّتهم الليل . قال : وأمر بقطع
 الرؤوس فقطع منها اثنان وستون رأساً ، وأنفذ الرؤوس إلى حضرة الأمير ذي الشرفين
 بشهارة فأمر بالرؤوس > أن تُحمل . . . <(***) فحمل منها ثلاثون رأساً إلى سوق
 الجراف > وما تبقى <****) إلى سوق أقر فصلبت .

ذكر ما جرى بين الأمير ذي الشرفين وصنوه سنان الدولة وركنها من عتوب
 وأسباب لا يحتملها لصغر حالها الكتاب⁽¹⁾ .

قال : فلمّا سمع بذلك أهل الفساد من أهل صعدة وما يليها من البلاد كاتبوا
 الشريف سنان الدولة على أن يصل إليهم فنهض من عيان حتّى وصل إلى الحقل
 وصار في درب يرسم⁽²⁾ فخرج علاء بن أبي الخير بن مكرم من القرية حتّى صار ببلد
 الربيعة وافترق أهل / الحقل نصفان بل الأكثر صار في جملة الشريف أحمد بن [م ق 81 ب]
 جعفر . فنهض الشريفان الحسن بن إبراهيم وحמידان بن القاسم في جماعة من
 الشيعة حتّى صاروا بالحقل ولزموا موضعاً يقال له : تلمص⁽³⁾ . ثم إن الذين في

(*) في الأصل ثلاث كلمات بخطّ مختلف .

(**) في الأصل كلمتان بخطّ مختلف .

(***) في الأصل ثلاث كلمات بخطّ مختلف . وفي اللآلي المضية : فقطع منها اثنين وستين رأساً وأنفذ

بها إلى حضرة الأمير ذي الشرفين بشهارة حرسها الله . وأمر منها بثلاثين رأساً إلى سوق الجراف .
 وأمر بباقيها إلى سوق أقر فصلبت .

(****) في الأصل بخطّ مختلف .

(1) اللآلي المضية م 2/ ص 180 - 181 .

(2) يُرسم من قبائل صعدة وهم من الكلاع . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 224 ، 237 ،
 368 ؛ الحجري : مجموع بلدان اليمن ، ج 3 ص 469 .

(3) تلمص : حصن في الجنوب الغربي من مدينة صعدة ؛ إسماعيل الأكوع : البلدان اليمانية ،
 ص 57 ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، ج 1 ص 155 ؛ المقحفي ، معجم البلدان
 والقبائل ، ص 109 - 110 .

حزب الشريف ناصر الدولة وعزّها من أهل القرية عاملوا على دخولها وكان الأكثر من أهلها في جملة الشريف سنان الدولة وركنها فنهض الشريف ليث الدولة وعصدها حميدان بن القاسم في جماعة من أصحابه ، فلما دخلوا القرية لحمهم القتال وأجمع عليهم أهل الأسواق فالتجّوا إلى دار ابن الوراق . فلما اشتدّ عليهم الأمر فتحو الباب وخرجوا للقتال من ذلك الجناح فقتل من الشيعة رجالان وأصيب الشريف ليث الدولة وعصدها بنبل لم يصل إليه منها بأس وأصيب علي بن أبي الخير بنبل فمات منها من ساعته . ثم < إن نفراً من > (*) أهل القرية وصل إلى الشريف سنان الدولة يبشّره بقتل من قتل فغضب وكاد أن يسيء عليه وقال : تبشّروني بقتل شيعة الأمير ؟ ثم تقدّم إلى < . . . > (**) من كان هنالك وعظم عليه ما جرى من ذلك < . . . > (***) ليث الدولة فخرج إليه فترجّل له وسلّم عليه < . . . > (****) ونهض بهم مجمعين إلى مستقرّه وحسنت الأحوال . وقد كان قبل ذلك لمفرّح بن أحمد كلامٌ تكلم به بين يدي الأمير ذي الشرفين عليه السلام وإلى كل واحد من الشريفين كلامٌ من نثرٍ ونظام ويحضّهم على صلاح ذات البين فكان ذلك والحمد لله . وهذه نسخة الشعر :

<p>أذا الشريفين أكفف يد الغضب التي وزع فوران الغيظ بالصبر إنّه وصل رحماً تشكو إلى الله قولها وراقب بنيك الأكرمين فإنّهم وقولهما ياعم لا تنأ عن أبي إذا ما العصا انشقت فمن يرأب الذي ومن يصل المقطوع أم من لهفوة إذا أنت لم ترج لشعث ووصله</p>	<p>لها في التجافي < . . . > (*****) لأنجد من صرم الشقيق وأمجد تجاذب حبلي أحمد ومحمد بصلحكما من سائر الناس أسعد ويا أبتالا يذخر العم أحمد تشقق من صلبانها ويؤيد يضم إليها نشرها ويردد فمن يرتجي الشمل الشتيت المبدد</p>
---	--

(*) عن الهامش الأيسر من الصفحة .

(**) بياض في الأصل .

(***) بياض في الأصل .

(****) بياض في الأصل .

(*****) بياض في الأصل مقدار كلمتين .

وإن ساء بالمعتوب يوم فإنّه
أبا جعفر لا تعدم الفضل إنّها
تجاوز تفضل واكظم الغيظ عن أخ
فإن شفاء الغيظ والغل من أخ
إذا ما يد همت بسوء لها يد
وكل يد كانت ولا كان بينها
أعيذك أن يكفى سنان مذلق
وصنه ليوم تبدي أين مسعد
كيوم رמיד والمحطور أو ثلا
وشعب وفي أبواب صنعا ومثلها
< > (*) مروم يستفاد ويوجد
أقله أنله خصة أدنيه أرجه
فما مال إلا طائع القلب عارفاً
ويعلم أن الميل عنك ضلالة
< . . . > (**) في المصدر الحالة التي
< . . . > (***) البعد صبراً وإنه
< . . . > (****) القلب أبيض
< . . . > (*****) على التي
وقد غصه من ناصر الدولة الحيا
وهل يختشي من ناصر الدولة الذي
ففي حلمه في فضله في اقتداره

يسرك بالإعتاب من بعده غد
سجيتك الحسنى التي لا تقيد / [م ق 82]
فما ساد إلا بالكمال المسود
لأعبي وإن الكظم عنه لأرشد
فأدناهما للخير عن تلك أبعد
بها أختها أحنى وأعنى وأوجد
ويهدم من عليك ركن مشيد
إذا لم يكن يلقي على الموت مسعد
وذروة فيها كان للركن مشهد
كثير كثير عدها لو تعدد
وأن أخوا من بعده ليس يولد
فإن الرجا في أحمد منك أحمد
بحقك من ناشر ليس يجحد
وإنك في المفروض فرض مؤكد
< . . . > (****) مستقبلاً حين يورد
لأعظمها شوقاً إليك وأفقد
وقلب الرضى منه إلى الغير أسود
يؤكد لها حق الإخا ويشدد
وملك وأكدها الذمام المعقد
له دونه الرأي الرصين المسدد
وإيفائه ما لم تنل من يد يد

(*) بياض في الأصل .

(**) بياض في الأصل .

(***) بياض في الأصل .

(****) بياض في الأصل مقدار ثلاث كلمات .

(*****) بياض في الأصل مقدار أربع كلمات .

(*****) بياض في الأصل مقدار خمس كلمات .

كان ذلك في شهارة في شهر ذي القعدة من شهور سنة < > (*)
وسبعين وأربعمائة . وله أيضاً إلى الشريف ناصر الدولة وعزّها الحسن بن إبراهيم بن
سليمان :

أناصر دولة الملك المسمّى
وسيفاً لا يُقاسُ إليه سيفُ
وأفتحها لوجه الرأي باباً
[م ق 82 ب] وأرجحها وأمنحها يميناً
وهل أدعوبأعلى فيك مما
تعدّ العتب منك على ابن عمّ
نصيرك في الملمات البوادي
يجيبك حين تشتجر العوالي
أبان العتب فاختلفت إليه
ولو دبّ الوشاة إلى رواسي الج
دعا الهجران فالدنيا ظلال
ولو حصلت إلى أخوين ملكاً
لما عدلت بصرم أخ أخاه
تجاذبني محبتك تراعاً
وصار الشوق للواشين حام
ومولانا الأمير فليس يذري
فدبر في الصلاح أبا المعالي
[م ق 83 أ] وصل رَجماً حباثلها شباك

بذي الشرفين مشهور الكمال
إذا انتضي المهنة للنزال
إذا انغلق الصواب على الرجال
وأسمحها بنفس أو بمال /
دعاك به الأمير أبا المعالي
شقيق في الأخوة والفعال
شريكك في المرائر والحوالي
فيطعن حين تشتجر العوالي
رواة الزور بالقول المحال
بال لزلزلوا قنن الجبال
تميل ونحن منها في ضلال
بما ملك الأواخر والأوالي
ولا اعتاضا القطيعة بالوصال
إلى مندوحة خطرت ببالي
بما جلبوه من قيل وقال
بمئيل عن يمين أو شمال
بكل طريقة وبكل حال
وعند الله أطراف الجبال /

وللأمير عمدة الإسلام إلى عمّه سنان الدولة ؛ وقيل : إنه على لسان صنوه
القاسم بن محمد :

لعمرك يا خِذَن المكارم والفخر
لقد ضاق مما ضقت ذرعاً به صدري

١(*) بياض في الأصل مقدار كلمة .

وإني عظيمُ الغمِّ مما لقيتُ من الأمـ
وما كان حقك اليوم ذا العلى
ولكن جرى ما قد جرى فتلقه
وسلّم لأمر المالك الكلّ إنه
وأهل بأن ترضى بحالات أمره
لتحرز ما تبقى من الذكر والشا
أما إنه لو قال لي البحر فأرمه
بذاك أما والله يُكتسب العلى
وليس اتّباع الأمر منه بناقصٍ
لبل ذاك والقرآن إرغامك العدا
فلا تعدّلنّ دون الذي قلتَ معدلاً
وصِلْ من قريبٍ فاعتذر في الذي جرى
وهيت فمولانا قريبٌ من الذي
وأنت بحمد الله أحظى مكانةً
وأنت لعمري نسل والده الذي
وما زال بين الصنوّ والصنودائماً
وقد أخذ الهجران يوماً بحظه
فلم تلف يوماً للجاجة حامداً
فأخلف نيار الحقْد (***) غير معلّمٍ
فليس بمولانا بديلٌ من السورى
ولا تعتبن مولاي إني ناصحٌ

ر مشغولٌ به دائماً فكري
ولا كنت أهلاً للقطيعة والهجر
بكظمٍ وصبرٍ نعم عاقبة الصبر
حقيقٌ بأن تجري له تحت ما يجري
ولوأنّه إذ ذاك من أصعب الأمور
وتبلغ ما ترجوه من دائم الأجر
بنفسك لم أعدل بنفسي عن البحر
ويُدرّك مأمولٌ من العزّ والفخر
لك ابن الأصول الزاكيّات من القَدْرِ (*) / [م ق 83 ب]
وكبتك للشاني البعيد ذوي الغدر
وعجّل به يا ابن السمادة الغرّ
فلا بأس عند الأخ < > (**) العذر
تحبّ سريعٌ نحو ذلك لو تدري
لديه وأولى بالكرامة والبرّ
يراك لصرف الدهر من أنفـس الذُخـر
عتابٌ وما في ذاك وضمٌ لذي حجرٍ
فمهلاً من الهجران إليها من الكبر
ولا عائباً حسن التلطف في الحرّ
وأدرّك ذراعاً قبل تُفضي إلى عَشـرٍ
ولو ظفرت يُمناك بالشمس والبدر
مُدِلُّ أقيـك اليوم من نائب الدهر

(*) على ق 83 أ بخط مختلفٍ مسألةٌ فقهيةٌ في « شأن الجمع بين المرأة وعمتها من الرضاعة » . وقارن
بالمقدمة في وصف المخطوطة .
(**) في الأصل كلمةٌ غير مفهومة بخط مختلف .
(***) فوق السطر في الأصل : الغِلّ .

ذكر الخبر عن وقعة الصاية(*) من بلد الجبر⁽¹⁾ :

قال : وكان حدث في مخلاف السلطان أبي الفتوح بن عليان فرقة بين عشيرته الحجوريين ببينة في سنة خمس وسبعين وأربعمائة فقتل بينهم رجلان ؛ من كل فئة رجل . فنهض إليهم زهاء مائة رجل فأصلح بينهم وعاقب أهل الحطام⁽²⁾ ثم قدم إلى الصاية فلما صار بها طلب أهلها الصريخ في بلد الجبر فما كان أقرب الأوقات إلا وقد أحاطت بهم العشائر من جميع الجهات فقاتل هو وأصحابه قتالاً شديداً فما خلصهم مع الله تعالى إلا ما في أيديهم من السلاح ، وقتل منهم أربعة رجالٍ وقتلوا من العشيرة رجلين ، ونهب ثقل السلطان وكثرت القالة منهم وهم مع ذلك مستعدون للهرب عند الطلب والأمير ذو الشرفين يمادي لهم في المهلة ويتوقع منهم الغفلة مع أنه قد رتب عليهم الفتنة ؛ وظنوا أنها فتنة كفتنة العشائر وأن الأمير ذا الشرفين عليهم غير قادر . فلما كان في رأس الحول رتب عليه السلام مخرجاً أنهض فيه ولده الأمير عمدة الإسلام الأجل الأوحـد جعفر بن محمد في عـدة من الشرفاء والسلاطين والشيعة والعرفاء والدياوين فنزل الأمير عمدة الإسلام إلى أقر فعقد هنالك العسكر وتوجه بهم إلى بلد عُذروقد كان جرى هنالك / أبعث < . . . > (***) باديتهم فتأدوا إليه [م ق 184] وتسلموا واحتملوا بالعقوبة وارتسموا فأقام هنالك حتى استوفى جميع ذلك . وقد كان الأمير ذو الشرفين أتبعهم إلى الأمير عمدة الإسلام بأحمالٍ من الزاد يؤهمهم أنه يريد أقاصي البلاد فقسم ذلك بين العسكر ورفع في بعض النهار طريق صعدة غير بعيد حتى يرجع العلم بذلك إلى أهل الصاية من عيونهم . ثم استعاد حتى حط بالعسكر بعد العشاء الآخرة بوادي وعار وحرّم على العسكر قيد النيار . وكتب إلى أبيه في غسقي من الظلام يعرفه بمكانه وما قد عزم عليه (***) في شأنه فما أخطأ في كتابة شيئاً من المراد إلا لطفة على حرفٍ واحدٍ من المداد فلما كان في أعقاب الليل أمر بالشد

(*) الصاية : قرية من عزلة الجبر الأعلى ناحية المفتاح قضاء الشرفين ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة حجة ، ص 289 .

(**) بياض في الأصل .

(***) من ، فوق السطر في الأصل .

(1) اللآلي المضية م 2/ص 181 . وقارن بأبناء الزمن م 1/ص 167 - 168 ، وغاية الأمانى 1/270 .

(2) واضح من النص أن الحطام من بلاد وادي بينة .

على الركاب والخيول وشرح عليهم وعرفهم أن قصده الصاية من بلد الجبر وجعل على مقدّمته السلطان أبا الفتوح بن عليان فيمن معه من الشيعة والديوان ونهض في بقية العسكر فما كان طلعة الفجر إلّا وقد صبحهم الرجال بعد أن أعطوه جهدهم في القتال حتّى وصل الأمير عمدة الإسلام في جملة العسكر وقد اتّصلت بهم موادّ الجبر . فلما وصل الأمير عمدة الإسلام وتقدّمت الراية إلى باب درب الصاية وانهزمت المواد . ولقد كان في هذه القرية من المنكر والفساد ما لم يكن في غيرها من سائر البلاد من شرب خمورٍ وارتكاب شرورٍ وفواسد كثيرة ومنكر كبير . قال : وحملهم البطر والأشر على أن سمّوا هؤلاء الفواسد لعنهم الله بكبار الشرفاء ومقدّمات السلاطين والعرفاء وعملوا فيهم الرجز والغناء ، من قولهم لعنهم الله :

نحامي على الصاية بالسيوف ويلحق الأشراف بالحصوف
ونرجم الشيعة بالحتوف وندفع واجبنا لدوف

< فاسدة > (*) أكرم الله السامع والقارئ ؛ قال : فلما تقدّمت الراية إلى باب درب الصاية غشيهم العسكر فقتل منهم الكثير وفلت اليسير وأسر منها أنفار فأطلقوا شهارة حتّى يفادوا أنفسهم بالأموال الثقيلة ، وأخذت الغنائم الكثيرة .

ذكر الخبر عن وفاة الشريف الأمير ذي الشرفين محمّد بن جعفر بن الإمام القاسم بن علي صلوات الله عليهم :

قال مفرّح بن أحمد⁽¹⁾ ؛ سألت الأمير عمدة الإسلام جعفر بن محمد بن جعفر عن خبر وفاة حي والده الأمير ذي الشرفين فقال : سألت يا أخي / أطال الله مدّتكَ [م ق 84 ب] وأدام نعمتك عن قصة وفاة حي مولانا قدّس الله روحه ونور ضريحه ! والأصل في ذلك أنه كان كما تعلم في صحّة وقوة الجسد واعتدال الطبائع والمزاج فلم يكن يعتني بشيء من الطبّ من غير جهلٍ به ولا قلة معرفة . وكان صلوات الله عليه كثير

(*) كذا في الأصل ، وربما كانت هناك كلمات ناقصة . وفي اللآلي المضية : وهي فاسدة لعنهم الله .

(1) اللآلي المضية م 2/ص 184 - 186 .

الاشتغال بدراسة كتاب الله تعالى وكتب أسلافه عليهم السلام والنظر في الآثار والسير والأحكام في الحلال والحرام وفنون العلم حرصاً منه على النظر في السلامة في الدين والتخلص مما وقع فيه من أمور المسلمين ، والنهي والأمر لأهل الإسلام بعد ذهاب الشريف الفاضل كان صنوه القاسم بن جعفر حتى أنه كان موجب أجرى فيه شيئاً من الكلام فقال : والله ما يخلو يومٌ من الأيام حتى أقف فيه على أثرٍ من الأحكام ! وعليه مع ذلك من الكُلف والقيام بأمر المسلمين وقضاء حوائج المحتاجين ما لم يكن ليقوم به سواه حتى حدث معه بسبب غفلته عن معاناة نفسه امتلاءً وغفل عنه حتى حدث معه منه في سنة ثلاثٍ وسبعين وجَع دَبٌّ في أظفار يده الشمال ثم صار في الأصابع على سبيل الخَدَر والفالج . ثم انتبه من تلك الغفلة وأخذ في قراءة كتب الطب والاستفراغ والفصد والحجامة على سبيل الفرع(*) من ذلك حتى أفرط فيما يفعل ولحقه من الفصد غَشْو . ثم شرب شربةً قويةً . فلما أكمل الدواء وأحده مال إلى حوضٍ في جانب الدار مملوءاً ماءً بارداً فشرب منه فوق ما يجب أن يشربه ثم تقيّاه لعمري على المكان وقد أثر معه ، غير أنه قد أحسن معاناة ذلك فخلص منه . ثم خطب امرأةً برحبة فدخل بها في آخر سنة سبعٍ وسبعين ولم يلبث عندها إلا خمسة أيامٍ في عافية أصبحنا وغدونا إليه للصباح فلم يظهر إلينا وكلما سألنا عنه قيل هونائمه فطال علينا ذلك حتى مضى عامّة ذلك اليوم فقلنا ليس هذا بنومٍ ولكن لعله مشغول ! فما زلنا ننتظر الإذن لحوائج نشتهي مشافهته فيها حتى وقت العصر . ثم إذا أنّ الصوت قد ارتفع في جانب الدار على حين غفلةٍ من الناس فلم يبق أحدٌ يُسمع له بأذنٍ من صياح الحريم والجواري والصبيان ! وجرى شيءٌ بخلاف العادة لأنه لم يكن صوتٌ يرتفع أبداً في صغيرٍ من المرزية ولا كبير . قد قُتل القاسمان وهو من أكبر خطبٍ وشانٍ فلم يكن شيءٌ من ذلك أصلاً . فهرج الناس من تلك الهائعة والصياح وأغار الكلّ من أهل الحصن بالسلاح وعظم الأمر ، وكاد الناس أن يقع بعضهم في بعض فحينئذٍ دخلت الدار فقلت : ما القصة ؟ فقل : مات الأمير ! فقلت في نفسي : لم يمُت وهو مَغْشِيٌّ عليه لسرعة الأمر الذي صار إليه فما زلت حتى ميزت الحريم / - وكان من عادته عليه السلام أن يحجب حريمه من كبار أولاده فضلاً عن

[م ق 85]

(*) كذا في الأصل ، وربما كانت صحتها : الفرع أو الفراغ .

الخاص والعام - فدخلت عليه وأدخلت خواصاً من أصحابه إليه ، فنظرنا إليه ، وإذا
إنه حيٌّ إلا أنه لا يدري بمن دخل ولا يعقل من أمره بشيء ، ولا يجري فيه النسم
بالكلية إلا فوفاً بعد فواق ؛ فخرجت إلى الناس فعرفتُهم أنه متوجّع من غير بأس فما
كادت أنفسهم تسكن حتى أدخلت بعضهم عليه ، ثم انصرفوا وقمنا عنده عشيتنا في
ليلتنا حتى أصبح وعوفي حتى من الله بعافيته فكلم وتكلم وفهم وأفهم من غير أن
يفارقه الوجع وكان هذا في أيام من شهر ذي القعدة إلى شهر ذي الحجة والمُحرّم ؛
يمرض حيناً ويصح حيناً . فلما خشي ما لا بُدَّ منه ولا مَحِيص عنه من هجوم أمر
الله تعالى عليه أرسل إليّ ذات ليلة فوصلت إليه فقال لي : يا بني ! إن عمك كان
عليه السلام كما علمت من الحرص في أمور هذه الهجرة والقيام وآلت الأمور إلى
ما آلت إليه بعد رجوعنا من حصون اليمن فلم يستحل أن يقف في هذا الجبل خوف
ضرر يلحقه أو خلل . وقد علمت سبب ذلك ولم يغب عنك ما هنالك فطرح بنفسه بين
الأعداء وهذا من أعظم الأشياء ، وإلا فلو سكن في حصنه واستقرّ في موضعه وأمنه
حتى يأتيه أمر الله لَسَلِمَ مما وقع فيه ، فاستهان تَلَفَ نفسه بسبب هذه الهجرة ومن
أجلها وطلباً لمصلحة هذه القلعة وأهلها ؛ وذلك رأيي من بعده ولو أردت نشر أمور
هذا الجبل لكان بكلمة واحدة إلا أنني لم أستحل ذلك في الدين ولا أرى فيه صلاحاً
للمسلمين ، ولست أوصيك إلا بما رأيته لنفسي وما رآه عمك لنفسه . فأحذر أن
تلقى الله لأهلها بخذل ولا تشرك في تعطيلها بقول ولا فعل . وأعلم أن معك فيها
رجالاً إن استنصحتهم نصّحوك ، وإن استعنت بهم أعانوك ؛ أهل خبرة بالأمور وأهل
دين وورع وتقى . ولما كان بعد ذلك في مرّة ثانية قال لي : يا بني ! قال جدك
القاسم صلوات الله عليه لبعض ولده : يا بُني وألجِ ظَهْرَكَ في الأمور كلّها إلى الله
فإنك تلجئها إلى حرزٍ حريزٍ ومانعٍ من الضيم عزيز . فأنا أوصيك بتقوى الله
والالتجاء إليه . وأعلم أن أهل هذه الهجرة لم يؤتوا أبداً إلا من قبل أنفسهم .
الحصن منيع والطعام كثير ، والمناهل معمورة والحرم للحطب محرم ؛ في جنس
من هذا الكلام . ثم دعا بكتاب كتبه إلى المهدي لدين الله عليه السلام فطلبه أشدّ
طلبه وهم أن يودعني إياه فلم يجده . فلما توفّي رضي الله عنه وجدته بعده فاحتفظت
به . قال : واشتدّت عليه ، ودار يوماً كلاماً فدعونا الله أن يطيل في عمره فقال : الله

أكبر أنتم في شيء وأنا في شيء أنا أودُّ خِفَّةَ ساعةٍ أُمِيزُ ما لي فيها مما عليّ ؛ فأما أمرُ [م ق 85 ب] الله فكائنٌ عليّ / كلُّ حال ! فأحسنَّا له الدعاء والابتهاال ولم يمكنه كثيرٌ مما كان يريدُه إلا أنه قال : ما ترك شيئاً يستطيعه من وصاياهِ . وقد كان لَمَّا حضر عيدُ الأضحى أمرُ بالصلاة في المسجد الجامع وأمرني فصلَّيتُ بالجماعة وخرج علينا بعد الفراغ من الصلاة بساعةٍ فصَبَّحَهُ النَّاسُ وهم في المسجد بالصعيد وصلَّى هنالك صلاة العيد ومضى إلى السلطان محمد بن أنس في ذلك اليوم فزاره وكان وَجِعاً ثم آتَنِي من عنده فلم يلبث أن أَشْتَدَّتْ به العِلَّةُ فأقام آخر شهر ذي الحجة والمُحَرَّم على حالةٍ مختلَّة . فلَمَّا كان قبل موته بثلاثة أيام أو قريباً منها رفع رأسه عليه السَّلام في بعضٍ من الليل وأنا جالسٌ عند رأسه عليه السَّلام فقال : يا بني ! إنك مستقبلٌ أموراً صعبةً وهذا الشهر يفتح عليك أبواب المرض وربما قطعت عن الغرض والسهر يدعوك إلى الأسقام فقدَّم في حفظ الله واعمل على المنام فأصحابنا ها هنا عندي ، وإنْ بدت حاجةٌ وصلك رسولي . فلم أُحِبَّ مخالفتَه فلَمَّا أصبح غدوتُ لصباحه مبكراً فوجدته مجهوداً غير ما كنتُ أعرفُ فشكى إليَّ أنه لَمَّا كان في بعض الليل أَشْتَدَّ به التعب فلم أزل عنده حتَّى ورد رسول الشريفين الحسن بن إبراهيم ومحمد بن القاسم يستأذنان عليه للصباح والزيارة ففتح لهما على تَعَبٍ عظيمٍ وخرجا من عنده في الحين . فقال لنا : ما ترون في أمارات الموت ؟ فقلنا : يبقيك الله يا مولانا ! وَعَظُمَ علينا كلامُهُ ، وأمرنا أن نُجْلِسَهُ فَأَجْلَسْنَاهُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ فختم أعماله كُلَّهَا بالاستغفار والتوبة إليه والرغبة فيما عنده ولديه . وأقيم لقضاء حاجةٍ فكاد أن يموت في طريقه على قربها وَرَدَّ إلى البيت فلم تكد نفسه ترجع إليه . فلَمَّا سكن بعد ساعةٍ طويلةٍ التفت إليَّ ثم قال : شدَّ . ثم ثنى فقال : شد في رفع الصوت وكن فيما أنت كائنٌ فإنِّي لِمَا بي من الموت ! فمات رضي الله عنه في نصف النهار في ذلك اليوم رحمةً الله عليه ورضوان وبركاته وإحسانه .

قال : وقد كان قبل موته بالشيء اليسير استأذناه للقيام إلى الصلاة نريد لتتفرَّغ لنُصْبِي عنده لما قدر رأينا فيه من التعب فقال : افعلوا وحُثُّوا فإنَّ الأمر قد اقترب ! فكنتُ فيمن قام فعمدْتُ في سرعةٍ إلى الطهور ، فما أكملتُ حتَّى قد بلغني الرسولُ بعلم موته فصلَّيتُ كما يعلمُ الله ووصلتُ وقد فرَّغ الأمر . فاسترجعتُ واستغفرتُ الله

واستعصمت به وأرسلت بالأمر إلى الشريفين الأجلين محمد بن القاسم والحسن بن إبراهيم ومقدمات الجماعة ووقفت عنده وكتبتنا أمره / عن الحرير والصغير والكبير [م ق 86أ] فما علم به أحد غير من ذكرت . واشتور الشريفان والمقدمات فرأوا إقامة العزاء بأقر وأرسلوا إلي برأيهم في ذلك فرأيتهم أصوب ما يكون فكتبنا الكتب إلى كافة العشائر . فلما فرغنا من الكتب أنهضنا بها الشيخ ليث بن يحيى إلى بلد وادعة والسلطان الحسين بن إبراهيم إلى بلاد بكيل فنهضنا وفرقاها في جميع النواحي .

فلما كان في ضحوة النهار من الغد يوم الأربعاء أمرت بجميع الناس فاجتمعوا فقال لي بعض من حضر ، لما خرج الأمير أبو عبد الله أجرى مع الناس كلاماً واسعاً وخاطبهم خطاباً جامعاً فكان من قوله أن قال : قد علمتم أمر هذه الهجرة الطاهرة حرسها الله وقد صار أميركم عليلاً عن مشافهة الجماعة منكم ثقيلاً والواجب على الجماعة إتقان الحراسة وإثبات أمور العساسة وقلة الغفلة في الليل والنهار والإعلان والإسرار فإن جرى على أميركم حال كتمت غير مفترطين فهو ممن يموت وبالله نستعين . وعليكم بالحزم والعزم وقلة الفرع والجزع والصبر فإنه أعظم الأجر . وحاموا على حریمكم ودينكم واللّه أسأله أن يكون يعينكم . فأجابه الكافة من الجماعة بالسمع والطاعة والاتباع لأمره والازدجار عن زجره . فعندها قرأ الآية من كتاب الله سبحانه حيث يقول (1) : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم . ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ﴾ ثم عزى لهم في الأمير ذي الشرفين عند فراغه من هذا الكلام فلم تر إلا عيناً قاطرة أو باكياً أو مسترجعاً أو منتحباً ، وارتج الجبل بالبكاء من غير صوت مرفوع ولا صياح مسموع . ثم قال للجماعة : قوموا في جهاز أميركم رحمكم الله ! فقاموا في الجهاز وشمروا لإبرازه . وحفر له في موضع كان قد أوصى أن يُقبر فيه لأنه اشتراه من صميم ماله وطيب حلاله فلما حمل إليه وصلى الشريف الطاهر العفيف محمد بن القاسم بالجماعة عليه ودلى في قبره وفرغ من جهازه وأمره ، برز الجماعة من الشيعة فاشتوروا ورجعوا يعرضون من أنفسهم البيعة فأمر

(1) سورة آل عمران / 144 .

الكل منهم بالإقبال على شأنه والعودة إلى مكانه حتى يكون من الغد ويُقبلوا إليه .
فلما كان من الغد وصلوا مُجفلين فبايعوا له سامعين طائعين وذلك يوم الخميس
الخامس وعشرين من شهر المحرم من شهور سنة ثمانٍ وسبعين وأربعمائة . قال :
فلما فرغ من البيعة للشيعة أقبل على ترتيب الجبل وتفقد نواحيه وإحكام محارسه
ومراشيه / . وأمر بترتيب العزاء إلى أقر فضربت هنالك المضارب وحُمل القرى من
[م ق 86 ب] كل جانب . فلما كان يوم الأحد الثامن وعشرين من المحرم نزل بنفسه في جماعة من
أهل بيته وإخوته والكافة من أهل بيعته وشيعته في أحسن زيٍّ وترتيبٍ ولقيه إلى هنالك
في يومه ذلك عمه سنان الدولة وركنها أحمد بن جعفر .

قال : وأستخلف على الحصن صنوه الشريف الأجل الحسين بن محمد بن
جعفر في جماعة مُرتبين على الحراسة والعساسة . قال : وأقبلت العشائر من
مخالف شهارة بالطاعة والاستمرار والمعونة والإجرا فرتب القرى أثلاثاً ، وقدم فيه
الشرفاء والسلاطين ومع كل منهم من يُحتاج إليه من مستخدمٍ أو مُعين . فكان هو
وشيعته في ثلث ، والشريف ناصر الدولة وعزها الحسن بن إبراهيم والسلاطين
الهمدانيون في ثلث ، وجعل الشريف سنان الدولة وركنها أحمد بن جعفر
ومحمد بن القاسم بن جعفر والسلطان أبو الفتوح بن عليان في ثلث . وأمر بالقرى
الجزيل وقوبل الناس بالمقال الجميل ، وقرت الأمور على أحسن مجاريها ،
وتكاملت عشائر شهارة من جميع نواحيها فحلفوا له على السمع والطاعة . قال :
ولما وصلت كتب الأمير عمدة الإسلام إلى بلاد بني صريم وقرى عليهم الكتاب يوم
السبت في سوق الجراف اشتوروا على العزاء والإجفال في الخيل والسلاح والرجال
وتعاطوا على ذلك الأخفار ودار بينهم كلامٌ فقالوا : لا يتخلف أحدٌ بفرس ولا سلاحٍ
ولا عُدّةٍ ولا صلاح ، وننزل فنعزي لأمرنا بأمرنا فإن وجدنا ناجماً قد نجم وخطباً قد
ألم كنا على الاستعداد وبلغنا معه إلى ما يحب من المُراد وعلى ذلك بنى الكل من
وادة وحاشد وبكيل فأجمعوا على ذلك بلسانٍ واحدٍ ولا مواصلة ولا مكاتبة ولا
مراسلة . فكان أول مَنْ عَزَى بعد أهل المغرب وادة السفلى من عبيدي وضموي
وشرحبيلي ومالكي وعبيدي وهرثمي ومعمري فوصلوا في العدد والسلاح فعزوا يوم
الاثنين التاسع وعشرين من المحرم وحلفوا للأمير عمدة الإسلام بالسمع والطاعة

والكون في جملة الجماعة . ثم وصلت بنو ضريم قاصيها ودانيها وجميع روادها ونواحيها في خيل كثير وعُدِد مشهورة فعزّوا يوم الثلاثاء آخِر يومٍ من شهر المحرم ثم حلفوا للأمير عمدة الإسلام على السمع والطاعة . ثم وصلت قبائل بكيل في الخيل والرجال والسلاح والكمال فعزّوا أول يومٍ من شهر صفر وحلفوا للأمير عمدة الإسلام على السمع والطاعة / . ثم وصلت سلاطين بني الزواحي ، ووصل بعدهم سلاطين بني المنتاب من مَسُور في جماعةٍ من وجوه حمير . ثم وصل ذعفان بن يحيى في جماعةٍ من همدان . ثم وصل أهل الحقل من صعديّ وربيعيّ ومالكيّ وغيرهم من خولان . وكل من وصل أعطى الأمير عمدة الإسلام بيعته ، فاجتمع هنالك خلقٌ كثير . فلما كملت التعزية على عظيم المرزية طلع الأمير عمدة الإسلام إلى مستقرّ عزّه شهارة .

رجع الحديث إلى ذكر وصايا الأمير ذي الشرفين عليه السّلام :

فكان من وصاياه عليه السّلام إلى ولده ما كتبه بخط يده . بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على رسوله سيدنا محمّدٍ وأهله وسلّم تسليمًا . عبد الله وابن عبديه وإمامه محمد بن جعفر يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون . ويشهد أنّ الله عدلٌ في جميع أفعاله ، صادقٌ في جميع أقواله . وأنّ وعده ووعيده حقٌّ صادق لا خلف لشيءٍ من ذلك . وأنّ الساعة آتيةٌ لا ريب فيها وأنّ الله يبعثُ مَنْ في القبور . وأنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب خليفة رسول الله ووصيّيه والقائم مقامه والإمام من بعده حجّة الله على خلقه . وأنّ الحسن والحسين أبناء رسول الله صلى الله عليه وعلى أهله وأقرب قرابته وأحقّهم بنسبه وولادته . وأنهما الإمامان وحجّة الله على العباد بعد أبويهما والقائماني في الأمة مقامهما . وأنّ الإمامة من بعدهما فيمن طاب من ذريتهما واحتذى بحذوهما وكان في جميع صفاته كهما . لا إمام يكون أبداً إلاّ من نسلهما وعقبهما . وأنّ الحسين بن القاسم المهدي لدين الله الذي بَشَّرَ الله به على لسان رسوله الذي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً ، وأنه صادق فيما دعا بريء من الكذب والافتراء لقول الله جل وعلا : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (1) .

(1) سورة فاطر/ 28 .

اللهم إن هذه شهادتي الحق أشهد بها ولحُجَجِكَ من خلقتك أريد بذلك رضاك
فاكْتُبْنِي مع الشاهدين ، وأغفر لي ولوالديَّ وللمؤمنين بحَقِّكَ العظيم يا ربَّ
العالمين .

وبعد يا ولديَّ محمد بن القاسم بن جعفر وجعفر بن محمد بن جعفر فقد لم
أذكر(*) أحداً من القرابة أصرف خطابي إليه غيركما إذ قد صرتما كبيرَي هذه الذرية
التي لحَيَّ مولانا الشريف رضي الله عنه ولي . وأنا أوصيكما وجميع إخوتكما بطاعة
الله بدياً وإيثار رضاه وتصحيح ما بينكم وبينه وتحقيق تقواه فإن : ﴿ الله مع الذين
اتَّقَوْا ﴾ [م ق 87 ب] والذين هم محسنون ﴿⁽¹⁾ وكفى العبد أن يكون الله معه . ثم بَضَمَ هذه
الذُرِّيَّة والقيام عليهم ولفَّ شملهم وحياطتهم وحفظهم ولا تضييعهم فيضيعوا ولا
تهملاهم فيُهمَلوا وكذلك أهل هذه الهجرة : لَفَّا شعَثهم وحُوطا عزَّهم وحذَّراهم
التفرُّق والاختلاف فإنَّ في ذلك للإلقاء باليد إلى التهلكة ولتكن الكلمة واحدة والرأي
رأياً متفقاً والعزم متجدداً فيما يجعل الله للجميع مخرجاً وبعد هذا فأنا مبينٌ لكما أسباباً
لا غنى عن بيانها . وإن كان كتابي هذا في وقت عَجَلَةٍ وشغلٍ من أجل العلة ؛ كلَّ
سلاحٍ بيدي أو بيدي كثيرٍ من أهل الهجرة فإنه مكتسبٌ من هذه الأسباب الراجعة إلى
بيت مال المسلمين يُنتفع فيها بسبيل الله لجهاد أعداء الله حتَّى يكونَ لمولانا المهدي
لدين الله صلواتُ الله عليه النظر فيها . كذلك كُلُّ كتابٍ نسخته بعد قيامنا بهذه الأمور
موقوفٌ لمصالح الإسلام إلى ظهور مولانا المهدي عليه السَّلام .

ثم مضى في فصلٍ يتعلَّقُ بخاصته وتفسير أشياء من تركته إلى أن أتى في
فصلٍ من الكلام يقول فيه :

وأما كُلُّ شربةٍ شربتها بعد ذهاب مولانا الشريف في عِيان أو بلد حَجُور فراجعةٌ
إلى بيت مال المسلمين ، موقوفةٌ لنظر مولانا المهدي للدين عليه صلواتُ ربِّ
العالمين .

ثم كان آخر وصيته في تبيان ما خَلَّفَ من تركته ، وهذه النسخةُ مما وجدتهُ
بخطِّ يده :

(*) في الأصل : اذكر .

(1) سورة النحل / 128 .

فصل في الاستخارة والاستشارة لربّه والمناجاة له . وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم . أستعين بالله يا إلهي وسيدي ما الذي ترى لي وما تشير به عليّ إلهي وسيدي أنا مستقيم بين خوفٍ ورجاء ، وبين إرسال وإمساك ، وبين قرارٍ وفرارٍ ، إلهي وسيدي فأغفر لي وأختر لي بخيرتك . وتولّ عوني بحولك العظيم . إلهي وسيدي قد رأيتُ أن أتأني وأقلب الآراء وأجريها شيئاً فوِّقني وسدّدني وأصّب بي الأرشد من أمري . أول ما أعملُ عليه الصبر على ما أنا فيه وإني أقومُ به وأقاسيه خشيةً أن يكون انتشارُهُ بأسبابي وأشرك في هلاك أهل الدين وأنا في خلال ذلك أستخيرُ الله .

ثم أتى بكلامٍ كأنه رآه في المنام فقال : اعمل الآن على مُدارة مَنْ أنت معه والصبر على ما تكره منهم والتلطف في جميع الأمور . وأعمل في ذلك عقلك وكذلك مَنْ تحت يدك ؛ عِظْهُمْ وتلطف بهم ، وحاسبك مع الكلّ حسابَ أسيرٍ في أيدي قادرين . وإذا غضبتَ فاذكر قولَ الله⁽¹⁾ / : ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ ، [م ق 88] ﴿ وَالكَاضِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾⁽²⁾ . واذكر قُرب الأجل وحُدوث العِلَل ، ومفارقة مَنْ فارقت من أخٍ وقريبٍ ومُخطيءٍ ومُصيبٍ وشبابٍ وشيب ، فأنت تكونُ كَهمٍ عن قريب .

ومما روي من كلامه عليه السّلام أنه قال : مَنْ رام كشف هذه الهجرة فليدافع أو قال يمانع . ومما روي عنه أنه قال : بنينا أمورنا على صِحّةٍ فمن أرادنا بسوءٍ كشفهُ الله .

ومن كلامه ومناجاته لله سبحانه > في خلواته < (*) ما وجدته بخطّ يده بعد وفاته : بسم الله الرحمن الرحيم . العقود سبعةٌ وجوهٌ : أولها : مقاطعةُ بني الصُّليحي وأتباعهم وأعاونهم . والثاني : إشار رضا الله سبحانه على رضا المخلوقين ، ولزم شهارة وترك مفارقتها إلا لقضاء حاجة . والثالث : لا أنتفعُ مما يقبض بسبب الأمر والنهي بشيءٍ أصلاً إلا من ضرورةٍ يُخاف منها الهلاك . والرابع :

(*) عن الهامش الأيمن من الصفحة .

(1) سورة الشورى/37 . وفي الأصل : والذين إذا غضبوا .

(2) سورة آل عمران/134 .

العدل بين النساء . والخامس : الذل لأولياء الله وحسن الخلق لهم والصبر على تعبهم وإلانة الجانب لهم ، وترك الغلظة عليهم ، والإحسان بقدر الطاقة إليهم إمّا بكلامٍ لِينٍ سَمَحٍ وإمّا بقضاء حاجة ما يسهل من حوائجهم . والسادس : الصلاة على أوقاتها . والسابع : الحرص والاجتهاد في الورع والصدق في الحديث وإلّا فالإمساك ، ولا تخف إلا الله ولا ترج غيره فكل شيء زائل فإن ذاهب ، والله عوض بكل فائت وكفى .

وهذا لعمر الله من محاسن الكلام .

ومن كلام له عليه السلام : قسر النفس على طاعة الله وإلزامها المكروه في مرضاته ، والذل لأولياء الله ، ولزوم الصبر الشديد عند رؤية ما أكره من أحدهم ، والمعرفة بحق الفاضل منهم ، وترك الحق عليهم ، والحرص في صلة الرحم ، واحتمال أذى من يؤذي منهم ، ولا أخرج أحداً منهم قط إلى مكروه بل أكون الدليل له إلا في سبب أعلم أنه رضا الله ، والنظر في مواصلة من تجهش (*) النفس إلى مواصلته ؛ فإن كانت مواصلته لله فأجتهد فيها وإن كانت مُداراةً فأصبر عليها ؛ وإن كانت هوىً فأرفضها ، ومقاطعة أعداء الله إلا لحال ضرورة ، والصبر على الحال التي أكون فيها كيف كان ضيقها حتى يجعل الله فرجاً ومخرجاً أو أموت ، ولزوم الصمت إلا بذكر الله سبحانه والحديث بسرور أولياء الله إذا كان السكوت جفاءً أو الحديث مع بعض أعداء الله لموجب إمّا ردّ جوابٍ أو قضاء حاجة إن كانت ، أو مداراة ، أو الحديث في العلم والتعليم ، والإكثار من ذلك رضا لله سبحانه ، ولا تطلق كلاماً عاد فيه شك ، والزم الصمت على كل حال ، والاستعداد لجهاد أعداء الله ولا تستقل من آلات الجهاد شيئاً ، وترك اليمين بالله لا باراً ولا آثماً إلا ناسياً أو مضطراً مضرةً يُخشى منها التلف .

ومن كلامه عليه السلام : بسم الله الرحمن الرحيم : توطن النفس على أن المؤمن يمتحن في هذه الدنيا حيناً بالسقم ، وحيناً بتأخير النصر وعلو يد العدو عليه وما شاكل هذا مما هو كرية إلى النفس ، ومما يكون به شماتة العدو وغم الصديق .

(*) في الأصل : تشهج

والفرج في خلال ذلك ينتظر في الليل والنهار . والموت كذلك أحد اليومين وقد فوجيء به الإنسان فلا يستطيع إقالة ولا له نظرة . من كان يتحقق هذا وجب عليه أن لا يغفل كل هذه الغفلة وقد للناس إليك حوائج فاجعل لهم نصيباً ، ولما لا غنى عنه نصيباً . انتبه في أوان المهلة قبل أن تؤخذ بالكظم ولا ينفع الندم ؛ شهادة أشهد الله بها لأحرص على ذلك لله وفي الله تسمية الذي أنا أخاف فيه ومن قبله المآثم . اللهم يا مولاي أنت عالم بقصدي ونيتي وغرضي وهمتي فأعني على طاعتك واجتناب معصيتك ، ووفقني وسدّ ذني برحمتك يا أرحم الراحمين . اللهم إنك تعلم بحقيقة أنّ أثر الأشياء اليوم عندي رضاك ولو علمت منك أنك تريد مني أن أتخلّى مما أنا فيه لفعلت ذلك معجلاً ولكنك تعلم أنّ الذي نحن فيه مرغّم لأعدائك ، مُعزّ لأوليائك ، مُخرج لنا من تحت أحكامهم . وقد نظرت بعقلي فبلغ غاية نظره أنّ الذي أنا فيه لك رضا ومن غيره في طاعتك أَرْضَى فأنا صابرٌ في ذلك لرجاء فرجك وثوابك ولثقة بعفوك وتوفيقك وتسديدك لأنك لو خلّيتني هلكت وافتضحت وتدمرت . إلهي وسندي وقد علمت بقدر مبلغ علمي فلا تكلني إلى نظري ولا إلى شيء من أمري ولا إلى أحد من المخلوقين ولا تخلّ بيني وبينهم يا ربّ العالمين . فالكل من الخلق إلّا القليل لي مُضادّ ؛ إمّا عدوّ جاهد أو مُعين له مُعاضد ، وإمّا قريب أو غير قريب حاسد ، وإمّا ساخط لم آت رضاه فقد اشتدّت لك بغضاه ، وإمّا مُسيء بي الظنّ . هذا ما ذكرت منهم وأنت أعلم مني بهم . اللهم وقد خرجت من خيار المخلوقين بالكلية إلى خيارك ، ورميت بنفسي إليك وتوكّلت في كلّ أموري عليك ولم أصبح أرجو أحداً غيرك ولا أخاف سواك . اللهم فلا تسلّبني ولا تخذلني ولا تتركني ولا تكلني إلى غيرك وأرحمني وآرزقني وسهّل عليّ أسباب حياتي ووفقني لسبيل نجاتي . اللهم / إنّ حاجتي من الدنيا القوت الذي يُعِينني على طاعتك فسهّل لي من حلال رزقك . وقضاء الدين فسبّب لي قضاءه والخلاص منه بقدرتك ، وعلى التوبة من الإغراق في الديون وتجنبها بجهدٍ من الآن وتحت يدي مؤونة يا مولاي ليس عادتني أحد منهم بُدّاً(*) فسهّل لي الرزق من أين شئت وكيف شئت فأنت العالم بما يحتاجون والقادر عليه يا ربّ العالمين . وقدرتي قليلة وأنا كما تعلم ضعيف الحيلة

[م ق ١٨٩]

(*) كذا في الأصل . وربما كان المعنى المقصود : لا أجد عن الأخذ منها بُدّاً .

فلا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي وَلَا إِلَى النَّاسِ . يَا اللَّهُ يَا عَظِيمَ . وَسَبِّ لِي أَسْبَابَ النِّجَاةِ ،
وَوَفَّقْنِي يَا سَيِّدَاهُ وَأَعِنِّي عَلَى حَسَنِ الْإِسْتِعْدَادِ يَا رَبَّاهُ . وَخَفَّفْ عَلَيَّ سَكْرَاتِ الْمَوْتِ
بِحَقِّكَ ، وَاجْعَلْ ذَلِكَ شَهَادَةً بَيْنَ يَدَيِ الْمَهْدِيِّ لَدِينِكَ ، وَوَفَّقْنِي لِلَّذِي تُحِبُّ
وَتَرْضَى ، وَآكُفْنِي شَرَّ نَفْسِي خَاصَّةً . وَأَنَا أَسْتَعِينُ بِكَ عَلَيْهَا وَعَلَى غَوَالِبِ الْأُمُورِ .
وَلَا تَوَاجِذْنِي بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا . وَلَا تُشْمِتْ بِنَا عَدُوًّا . وَعَجِّلْ بظهور مولانا
المهدي لَدِينِكَ أَوْ أَمْرٍ مِنْهُ أَوْ مُوَاجَهَةٍ بِحَقِّكَ الْعَظِيمِ .

وله عليه السَّلام من هذا الكلام موعظةٌ لأَهْلِهِ وَحَرِيمِهِ وَحَاشِيَتِهِ وَخِدْمَةِ خَاصَّةٍ
وَلِغَيْرِهِمْ عَامَّةً :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . بِاللَّهِ أَسْتَعِينُ وَصَلَوَاتِهِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَهْلِهِ وَسَلَامٌ
تَسْلِيمًا . لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ الْخَلْقَ لِغَيْرِ مَعْنَى ، وَلَا تَرَكَهُمْ هَمَلًا رِسَالًا بَلْ خَلَقَهُمْ لِعِبَادَتِهِ
وَأَوْجَدَهُمْ لِإِظْهَارِ حِكْمَتِهِ . وَأَظْهَرَ حِكْمَتَهُ فِيهِمْ لِنِعْمَتِهِ وَأَرَادَ فِيهِمُ الْخَيْرَ كُلَّهُ
بِرَحْمَتِهِ . ثُمَّ جَعَلَهُمْ أَصْنَافًا ذُكُورًا وَإِنَاثًا وَأَحْرَارًا وَعَبِيدًا ، وَأَمَرَ الْجَمِيعَ وَنَهَاهُمْ ،
وَدَلَّهُمْ عَلَى هُدَاهُمْ ، وَحَذَّرَهُمُ الْعِقَابَ إِنْ عَصَوْهُ ، وَبَشَّرَهُمُ بِالْثَوَابِ إِنْ أَطَاعُوهُ .
وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ تَرْكِيبِ الْعُقُولِ وَإِنْزَالِ الْكِتَابِ وَإِرْسَالِ الرَّسُولِ وَإِقَامَةِ الْحُجَجِ
عُذْرًا يَعْتَذِرُونَ بِهِ وَلَا حُجَّةَ تَدْفَعُ عَنْهُمْ عَذَابَهُ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَهُ . وَنَصَحَهُمْ نَصْحًا بَيِّنًا
وَلَمْ يَشْغِهِمْ وَلَمْ يَخَفْ مَا يُرَادُونَ بِهِ عَنْهُمْ ؛ فَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ يَمُوتُونَ ثُمَّ بَعْدَ الْمَوْتِ
يُبْعَثُونَ ، ثُمَّ بَعْدَ الْبَعْثِ يُحَاسَبُونَ وَعَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ مِنْ أُمُورِهِمْ وَقَوْلِهِمْ
وَفِعْلِهِمْ يَوْقِفُونَ ثُمَّ بَعْدَ التَّوْقِيفِ وَالْمَحَاسَبَةِ يُصْرَفُونَ إِمَّا إِلَى جَنَّةٍ ذَاتِ نَعِيمٍ عَظِيمٍ ،
وَإِمَّا إِلَى نَارٍ ذَاتِ جَحِيمٍ وَحَمِيمٍ . ثُمَّ بَعْدَ مَصِيرِهِمْ إِلَى الدَّارَيْنِ خُلُودٌ أَبِيدٌ وَدَوَامٌ
عَتِيدٌ لَا انْقِطَاعَ لَهُ أَبَدًا وَلَا بَدَاءَ وَلَا غَايَةَ لَهُ وَلَا حَدًّا بَلْ كُلُّ مُقِيمٍ حَيْثُ قَدْ صَارَ إِمَّا فِي جَنَّةٍ
وَإِمَّا فِي نَارٍ . هَذَا الَّذِي ذَكَرْتُ حَقُّ كَمَا أَنْكُمْ تَنْظُرُونَ . ثُمَّ قَدْ أَرَدْتُ خَلْعَ الْحُجَّةِ مِنْ
رَقَبَتِي إِلَى رِقَابِكُمْ وَأَشْهَدُ اللَّهَ فِي ذَلِكَ عَلَى مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ بِأَنْ أَمَرَكُمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ
وَأَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ فَمَنْ قَبِلَ سَلِمَ وَمَنْ لَمْ يَقْبَلْ نَدِمَ . أَطِيعُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ وَخَافُوا
[م ق 89 ب] خَالِقَكُمْ وَرَاقِبُوا إِلَهَكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَصَوَّرَكُمْ / وَأَحْيَاكُمْ وَرَزَقَكُمْ وَأَرَاكُمْ آيَاتِهِ وَأَبَانَ
صَنْعَهُ فِي أَنْفُسِكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . اسْتَدَلُّوا عَلَيْهِ بِصَنْعِهِ ،
وَوَحْدُوهُ حَقٌّ تَوْحِيدُهُ . لَا تَشَبَّهُوهُ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ ، وَقُولُوا بَعْدْلَهُ فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ ،

ونزّهوه من ظلم عباده ، وأيقنوا بصحة وعده ووعيده ، وآمنوا بجميع رسله وبما جاءوا به وخاتم النبيين خيرهم وسيدهم محمد صلى الله عليه وعلى آله . ثم اعتقدوا إمامة أهل بيته وإنهم حُجَجُ الله في أرضه وهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والحسن والحسين ابنا فاطمة البتول سيدة نساء العالمين ، وجميع مَنْ كان من نسل هؤلاء مثلهم وإن الأرض لا تخلو من حُجَّةٍ لله منهم . وحُجَّةُ هذا العصر المهدي لدين الله الحسين بن القاسم بن علي ، وأنه حيٌّ سويٌّ حتى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، وأنه الصادق في جميع ما ادّعى وقال : واعتقد ، وأولياؤه أولياء الله وأعداؤه أعداء الله . وأقيموا الصلاة في أوقاتها ، وتعلموا طهارتها وحدودها وجميع معانيها فإنها عمود الدين والفرض الدائم على جميع المتعبدين ، ولا تؤخروا أداءها في أول أوقاتها إلا لعذر ، ولا تعفروا وأنتم تجدون إلى الماء سبيلاً ؛ فإن ذلك لا يحل ولا تُقبلُ معه صلاة ، وَمَنْ قطعها فعظوه وأنهوه فإن لم يقبل فلا تكتموه ليجري عليه الأدب مع ما عند الله من السخط عليه والغضب . ومن وجبت عليه زكاة فليؤدّها فإن الله لا يقبل صلاةً ممن لا يؤدي الزكاة . واعتقدوا صوم رمضان ولا يصح لأحدٍ صيامٌ إلا باجتنب ما أسخط الله من الفعل والكلام . واعتقدوا تأدية الحج إذا قدرتم عليه ووجدتم السبيل إليه ؛ والسبيلُ الزادُ والراحلةُ وأمانُ الطريق . والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . أول ما يأمر الإنسان نفسه فيقول لها كلّ يومٍ طلعت شمسُهُ وكلّ ليلةٍ يا نفس اتقي الله الذي إليه مصيرك وأطيعيه ، واجتنب معاصيه واعلمي بما يُرضيه تفوزي بثوابه الجسيم ، وتسلمي من عذابه العظيم . اذكري الموت والقبور والبعث والنشور وما عادك برين (*) من الأمور المألّفة بهولها للصدور عند الموت وعند النفخ في الصور . فإذا أمر نفسه ونهاها وانقادت له وأطاعته ثم أمر بعد ذلك غيره ونهاه فهذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر > < (**) إلى أن ينفع الله به صاحبه . ومن كان له والدٌ أو والدان فيبرهما بكل وجهٍ يقدر عليه . ومن كان له قرابةٌ وصلهم فوالى الولي منهم ووعظ العدو الذي يعصي وعظاً حسناً جميلاً يستدني به قلبه إلى طاعة ربّه . ويكره الإنسان للناس ما يكره لنفسه . ولا تتركوا بعد معرفة

(*) كذا في الأصل .

(**) بياض في الأصل مقدار كلمتين .

[م ق 190] ما ذكرتُ واعتقاده والقول به والتفقه في الدين / وعمارة هذه الأصول بالتعليم والتنبيه عليها وإليها دائماً . ذلك ما بقيتم . واجتهدوا في طلب العلم ما حييتُم فإنَّ الجهل أعظم المهالك والرضا به والإقامة عليه مُسَخِّطُ الله العظيم المالك . ولا تريدوا بشيءٍ من أعمالكم رياءً ولا سمعةً ولا جاهاً عند أحدٍ ، ولا رفعةً ولا حاجةً من حوائج الدنيا ولا منفعةً . واجعلوا الأعمال خالصةً لله زائدةً عنده لا ناقصة ، ولا تجعلوا مجالسكم لغواً ولا حديثكم لهواً ولا تغتابوا أحداً ؛ فإنَّ الغيبة تُحبطُ العمل ، ولا تستهزئوا بأحدٍ فإنَّ ذلك مُحَرَّمٌ . ولا يخرج من فم أحدٍ منكم كذبةٌ فإنَّ الكذب مُسَخِّطٌ للرحمن ، مُوجِبٌ للنيران ، مُسَقِّطٌ لاسم الإيمان . ولا تكثرُوا الحديث فيما لا يعني فإنه يُقَسِّي القلب ويُسَخِّطُ الرب ، ولا تنظروا إلى ما لا يحل ، ولا تسمعوا ما لا يجوز ، ولا ترفعوا الأصوات ولا تظهروا لمن لا يجوز لكم الظهور إليه من القربات غير ما يحلُّ الظهارة لهم وهو الوجه والكفان والقدمان والثياب التي على الأبدان وما سوى ذلك فمحَرَّمٌ إظهارُهُ فاحترسوا منه . وإذا نزلت بأحدٍ منكم نازلةٌ أو هجمت عليه نائبةٌ وأصابه من مصائب الدهر مصيبةٌ أو لحقه من المَحَنِّ محنةٌ تمسَّك بالصبر ولم يتعدَّ حدودَ الأمر الذي أمره الله به ووعدَه عليه الأجر ، ولا يسيء بالله ظنه ، ولا يسخط فعله بل يسلم لأمر ربه ويحمده على كلِّ ما فعل به من مكروهٍ أو محبوبٍ إذ هو عزَّ وجلَّ علَّام الغيوب الناظر لخلقه الرحيم بعباده العلَّام لما لا يعلمون ، الحكيم الغني العدل الذي لا يظلم ولا يجور ولا يفعل إلَّا الصواب في جميع الأسباب . ولا تخونوا أحداً من خلق الله قليلاً ولا كثيراً ولا دقيقاً ولا جليلاً فإنَّ الخيانة تُوجِبُ العقاب وتعود إلى العذاب ولا يغفرها لفاعلها ربُّ الأرباب إلَّا بعد التوبة الصحيحة والتخلُّص من تلك الجناية وآدابها بالنصيحة ، ولا تشاتموا ولا تفتاتوا ولا تلاعنوا ولا يؤذي بعضُكم بعضاً . كونوا متوادين متبارين متواخين على طاعة الله متعاونين متحابين في ذات الله صابرين على حسن العشرة لله ورجاء ثوابه وخوف عقابه . فكلُّ الذي ذكرت واجبٌ لبعضكم على بعض ، وفرضٌ يجب تأديته مع كلِّ فرضٍ . ولا تحلفوا بالله ولا تجعلوه عُرضَةً لأيمانكم في جدٍّ ولا هزلٍ ولا في حال رضا ولا في حال غضب فاحترزوا من ذلك فإنَّ كثرة الأيمان بالله وقلة الاحتراز منها يؤدِّي إلى الزلل والخلل وإبطال العمل ف ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ ⁽¹⁾ . وكذلك

(1) سورة آل عمران / 123 .

سائر الأيمان التي توجب الكفارات مثل الصيام اجتنبوها واحترزوا منها . وأنتن يا من تخرج من الجواري وتجيء / وتذهب فأعلمن أن الحاجة إلى خدمتكن أوجبت [م ق 90 ب] خروجكن وإلا فهو مما لا يحل لنا ولا لكن إلا من أجل الضرورة التي ذكرت فأعملن بما أقول الآن وأمركن به ولا تعدن ذاك إلى غيره . استرن وجوهكن وجميع أجسادكن عن أبصار من لا يتقي الله . فأما من يتقيه فليس يستحل النظر إليكن ، ولا تظهرن زينة إلا في البيوت ، ولا تنظرن إلى أحد من الرجال واتقين الله ذا الجلال فليس يخفى عليه قول ولا فعال ولا نية ولا ضمير ولا عمل من الأعمال . فأغضضن أبصاركن واحفظن أنفسكن ولا تكلمن أحداً من الأشرار ولا الأخيار العبيد منهم والأحرار . وخفن الله ، واحذرن النار ، فلا يلحقن أحداً منكن ضرر . فالشاكي يشكو مثل هذا فاجتنبنه وأعرضن عنه بالكلية واحذرنه . ولا تخرجن من هذه المنازل ختراً ، ولا تدخلن ختراً ولا أجد لكن في جميع ما أكره أثراً . اللهم أشهد أنني أبلغت واجتهدت وأمرت ونهيت ونصحت .

ثم قيد هذه الموعظة بشيء من كتاب الله فيه ترغيب وترهيب .

توفي الأمير ذو الشرفين عليه السلام ساعة الزوال يوم الثلاثاء الثالث وعشرون في شهر المحرم سنة ثمان وسبعين وأربعمائة . وكان ميلاده عليه السلام في شهر رجب من شهور سنة ثلاثين وأربعمائة يكون عمره ثمان وأربعون سنة . جاهد هو وصنوه عليه السلام جمعاً عشر سنين وتفرد بالأمر من بعد قتل الشريف الفاضل تسع سنين . فذلك تسع عشرة سنة . والمتقدم من عمره كان مع صنوه مدة إقامتهما باليمن وفي مخرجهما إلى الشام .

رجع الحديث إلى رواية مشهورة عن المهدي لدين الله الحسين بن القاسم صلوات الله عليه :

وقيل إنها موجودة بخطه نسختها بسم الله الرحمن الرحيم . قال حسين بن القاسم : روي - والله أعلم وأحكم - أن قبل قيامي إماماً من آل محمد تكون دولته أقل من خمس عشرة سنة بمديدة يسيرة . فإن يكن عالماً بالكتاب والسنة فهو إمام هدى . وهذا فما لا بد من كونه وبعده يكون حق عظيم وعدل جسيم . والله أعلم وأحكم .

قال مفرّح : حسبّت ولاية الأمير ذي الشرفين من يوم حلف له الشريف الفاضل واستحلف له شيعته وأصحابه وأشار إليه ونصّ عليه فكان أول ذلك في ثلاث وستين . وتوفي الأمير ذو الشرفين في سنة ثمانٍ وسبعين وأربعمائة لثلاثة وعشرين يوماً خالية عن شهر المحرم وحسبت ذلك فإذا هو خمس عشرة سنة إلا مُديدة يسيرة بمقياس شهرين والله أعلم وأحكم .

روى لي الشيخ موسى بن الذؤيب وكذلك رواها لي الشيخ ليث بن يحيى أنه قيل / للأمير ذي الشرفين وهو بيناع : لو جعلت من هذه الأموال التي تُجبي قسطاً يُحمل إلى شهارة فيكون بها ذخيرةً وعُدّة لحاجة ! فقال عليه السّلام : لم نأخذ أموال الناس لتكثيرها ولكن أنفق أموال الله في سبيل الله ولم نُؤمّر بأخذ أموالهم إلا للذب عنهم والمدافعة عنهم .

فصل في حال الأمير ذي الشرفين عليه السّلام :

كان حسن السياسة لئن الجانب مشهور الرئاسة ، كثير الدراسة معلوم الفراسة ، كثير الوفاء شديد الغلظة على أعداء الله ، رؤوفاً رحيماً بأولياء الله شهيراً بالبسالة في سبيل الله ، متورعاً متخشعاً يحذف الصلاة بأصحابه والله أعلم بصلواته في محرابه إلا أنه كان يُضحى نائماً فيدلّ ذلك على أنه بات قائماً . وكان لا يأكل شيئاً من الجبايات ولا ينتفع منها في خاصّته بشيءٍ في وقتٍ من الأوقات إلا أن يكون كُراعاً أو سلاحاً أو عُدّة أو صلاحاً . وكان حسن النظر جيّد التمييز مُحْكماً للتدبير في طلب الحلال ، كثير التصرف فيما يجوز له من الأحوال .

وأما صورة شخصه عليه السّلام فكان شديد البنية أبيض اللون إلى حمرة معتدل القامة كثّ اللحية أبلغ العينين عبل الساعدين تأخذه عينٌ مَنْ رآه فلا يعدل به أحداً سواه فهذه صورة شخصه . وروى لي الشيخ موسى بن الذؤيب أنّ حيّ مولانا الأمير ذا الشرفين عليه السّلام وهو في عنفوان الأمر بيناع قال : إذا قلع الله بني الصُّليحي بأيدينا إنّ شاء الله وزالت هذه القرمطة عن المسلمين عملت على أحد وجهين والله سبحانه المعين على سيرة العدل وأخذ الأعشار التي < . . . > (*) الله

(*) بياض في الأصل مقدار كلمة ربما كانت : فرضها .

سبحانه وصرفها في سبيل الله ، وطرح المكوس من الأسواق والجبايات والمحارس والغرامات . ونسخنا هذه الشريعة التي سرنا بها نريد بها لهذه القرمطة القليعة ، وعُدنا إلى العمل بالسنة والكتاب . أو الوجه الثاني جمعنا الناس وتكلمنا معهم وقلنا لهم لم يكن أخذنا لما أخذنا ولا قيامنا إذ قمنا لرغبة منا في شيء من الدنيا بل احتساباً عن الإسلام وسعيًا في مصالح الدين وقد أعان الله ونصر وكل منهم فيلحق بموضعه وبلده كل أولى بشأنه والعامل بما يرى في مكانه ، وكل منا لصاحبه عُدّة وذخيرة . من احتاج إلى صاحبه وهو يعرف .

قال مفرّح بن أحمد ؛ سمعتُ الأمير ذا الشرفين عليه السّلام يوم قُبران الشريف الفاضل عليه السّلام بالحَضْن وقد جمع الناس وتكلم معهم فكان من كلامه أن قال : تعلمون يا معاشر الناس أنه لولا خوف هذه اليد الطائلة التي لم يؤمن شرّها ولا يتقطع / ضرّها عن الإسلام والمسلمين وما يُخاف منهم في فساد الدنيا والدين [ام ق 91 ب] قتلاً وظلماً وكفراً وطغياناً لما زدت تعلّقت من هذه الأمور بشيءٍ ولكنني أخاف الله في تخليتها مع كلامٍ كثير .

روى لي الشيخ الحسن بن واقد قال : سمعتُ الأمير ذا الشرفين يوماً وقد حضر مجلسه جماعة من أصحابه وأهل مودّته وخاصّته ومحبّاه فقال : إني لأهتم بتخلية هذه الأشياء التي نحن فيها فأجد لذلك راحةً وسُلوّاً ثم أرجع إلى نفسي وأذكر انتشار هذه الأمور بيدي وما يلحق الإسلام والمسلمين وما يقع من الضرر في الدنيا والدين فأرى التمسك بما نحن فيه أصلح للإسلام والمسلمين ، وأعلم أن في تخليته معصيةً لربّ العالمين ، وأصبر على ما أنا فيه وإن كان شاقاً عليّ كريهاً إليّ . والحمد لله وحده .

فصل فيه ذكر الاحتجاج على القيام بما قام فيه الشريف الفاضل والأمير ذو الشرفين عليهما السّلام :

قال مفرّح بن أحمد : قد كنتُ قدّمتُ في الجزء الأول من كتاب السيرة احتجاجاً من الآثار وروايات من صحيح الأخبار ورأيتُ أن أجعل في آخر الكتاب فصلاً فيه ذكر الاحتجاج على جواز هذه الأسباب مما آثره الشريف الفاضل والأمير ذو الشرفين ليقف على ذلك مَنْ أراد الوقوف عليه من خاصٍّ أو عام . قال ، قال

مفرح بن أحمد : سألت الأمير الأجل ذا الشرفين بعد ذهاب الشريف الفاضل عن الحجة في جواز هذه الجبايات فقال : ما كنت أظن أن أحداً يسألني عن هذه المسألة كأنه - والله أعلم - يومئذ إلى قلة حرص الناس على البحث عن هذه الحال ، وإغفال ما لا يجب إغفاله في ذلك من السؤال ؛ فقال عليه السلام : الأصل في هذا أن أمورنا كانت منوطة بحي الشريف الفاضل عليه السلام ثم نظرت بعد ذهابه فيما يعود صلاح المسلمين والإسلام ، وراجعت نفسي في تخلية هذه الأشياء والقيام بها فإذا تخليتها لا يبقني على الإسلام والمسلمين بقية ، ويأتي على هلاك الدنيا والدين بالكلية ؛ فرأيت التمسك بما نحن فيه أرجأ إلى ما يتيح الله فرجاً . وليس كثير من أهل العلم يجهل ما للمرتضى عليه السلام من الأخبار الصحيحة والآثار المشروحة في تعظيم مقام صنوه الناصر لدين الله أحمد بن الهادي عليه السلام في القيام لحرب القرامطة في أيامه وما كان من تعظيمه لقيامه في مقامه وذلك مشهور وجلي وبين غير خفي .

وهذا كتاب كتبه الإمام المرتضى لدين الله محمد بن الهادي إلى الحق صلوات [م ق 192] الله عليه إلى الريان الهمداني جواباً عن كتاب / كتبه إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم فهمت - أكرمك الله - ما ذكرت من أمر هذه الأمة وغمك وتتابع أسفك على أمير المؤمنين صلوات الله عليه وكيف لا يوجد على من أحيا الإسلام وجاهد على دين نبيه عليه وعلى أهله السلام وأظهر أحكام الكتاب والسنة وأمات الباطل والبدعة ؟! فقد كان صلوات الله عليه أنصح لهذه الأمة من نفوسهم وأشد شفقة عليهم . ما وهن في أمر الله سبحانه ولا وني . والموت حكم الله سبحانه على جميع خلقه لم يفر منه ملكاً ولا نبياً ، وآسى فيه بين بريته ، وحكم به على جميع عباده حتى يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . ما لمؤمن في هذه الدنيا فرح ولا سرور ولا غبطة ولا حبور لما يعاين فيها من شر أهلهما وبعدهم من الله عز وجل بقبيح أعمالهم مع تقربهم إلى الشيطان فيما هو سبب هلكتهم . فالدنيا حبس المؤمن وبلاؤه وجنة الفاسق ورجاؤه فنسأل الله حسن الاستعداد لما يرضيه ويقرب من الأمور إليه .

ذكرت انقطاع الكتب بيننا وبينك عن غير قلبي منك لنا ولا تقصير في حقنا ولعمري إنك كما وصفت من نفسك لا نشكك في ديانتك وإن انقطعت كتبك عنا

لمشغلة تشدهك فما يسبق في قلوبنا قبْحُ ظنِّ بك ولا تقصير عندك . ونحن - أكرم الله وجهك عن النار - لك عاذرون وبالحمد ذاكرون ، نقبل عذرك ونشكر فعلك فليتقرر ذلك عندك والقوة بالله وله . ذكُرتَ أطال الله بقاءك ما لم تزلْ عليه من جهاد هؤلاء الكفرة الزنادقة المعطّلة عليهم لعنةُ الله ولعنةُ اللاعنين وقد تناهى إلينا ما ذكُرتَ من تقيتك ويتصل بنا ما شرحتَ من قيامك . ومثلك أكرمك الله بكرامته جاهد أعداء الله ونصب نفسه لهم وحرص في نكايتهم وتقرب إلى الله سبحانه في جهادهم فما بعد جهادهم من جهادٍ لمن كان يرجو الله واليوم الآخر . وإنا لنعلم أنك غير مقصّر في ذلك لأنه لا يقصّر في حربهم رجلٌ له دينٌ ولا حُرِّيَّةٌ . وبالله ما يخالطهم ويقرّ في جماعتهم مخالط فزالت تلك عليه وضمّةُ عند الله وعند المسلمين . فأما ما يكذبه عليك من لا ينصفك ويتكلم فيك من لا يصدق في قوله عليك فليس نلتفت إلى قوله ولا يصدّقه أحدٌ له معرفةٌ لأنك والحمد لله ممن لا يصبو إلى أهل المعاصي ولا يسير في طريقهم فكيف يتوهم أحدٌ عليك أنك تصبو إلى الزنادقة والمجوس من حزب الشيطان ، وخصماً الرحمن فلا يستبق إلى نفسك من كلام جاهلٍ شيءٌ فلست / [م ق 92 ب]

عند أهل المعرفة والأديان إلّا في المحلّ الذي يسُرُّك والمنزلة التي تعظم قدرك فيثبّ بذلك وأعمل عليه . والحوّل والقوة بالله وله . فقد والله يا أخي طاب الجهاد لمن أراد الله والدار الآخرة وأيقن بوعده ووعيده إذا أصبح زنديقٌ مرتدٌّ عن الإسلام يُخلِقُ الدين ويمحو سُننَ محمد خاتم النبيين مع تعطيله الكتاب وجحدانه الأصوب الصواب لعنة الله ولعنة الملائكة ولعنة اللاعنين والناس أجمعين عليه وعلى أتباعه من جميع المخلوقين . فما التبس عليهم أمرهم ولا دخلوا إلّا طائعين محبين لردتهم والكفر الذي أدركوا به ما أمّلوا من لذّتهم عَجّلَ الله هلاكهم وكفى المؤمنين مؤونتهم . ثم كان آخر أمره أن ادّعى النبوة وجحد الله سبحانه وأنكح الأمهات أبناءهن والإخوة إخوتهن والبنات آباءهن ! فيا لها من عزيمةٍ ما أجلّها تقطّع قلوب المؤمنين وتنفي رقادهم وتواصل أشجانهم . لا عذر والله لأحدٍ في التخلّف منهم والمجاهدة لهم على أيسر ما جاءوا به من شيعتهم فكيف على عظيم ما ارتكبهوه(*) من ردتهم ولا جهاد والله بعد جهادهم ولا سبيل إلى الله يُتقَرَّبُ به مثل قتالهم فبالله أقسم لو وجَدْتُ على ما

(*) مصوبة : (أظهره) .

أَوَّلُ من حربهم أعواناً مؤمنين وفيما عند الله راغبين لما فترت وقتاً عنهم ولا نيتُ ساعة من قتالهم فهم الأذلون وحزبُ الله هم الغالبون ؛ لكن اشتغل الخلقُ بكدِّ دنياهم ، وتركوا ما أعدَّ لهم من النعيم المقيم والخلد الكريم ، وأعرضوا عن الله العظيم وآتلى بعضهم ببعضٍ فلا منتبه في أمر الله سبحانه أغفلوا القيام في طاعته فخذلهم . فنحن كلَّ يومٍ ندعوهم إلى الله فلا يجيبون ، ونستنهضهم فلا ينهضون ونذكرهم بالله سبحانه فلا يذكرون . قد رضوا بالذلِّ والصَّغار والقلة والهوان تُسبى حرمهم وتبدل أديانهم وتؤخذ أموالهم مع سفك دمائهم فلا يزدادون مع ذلك إلا زهداً في الحقِّ ومن الله سبحانه بُعداً . فقدرين على قلوبهم والتبست عليهم أمورهم فهم كما قال الله سبحانه⁽¹⁾ : ﴿ إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ . وقد كان باليمن وغيره قومٌ يَتَمَنُّونَ الجهاد ويطلبونه ويخرجون لهم بزعمهم ويبغونه فلما قرب منهم وأدْفَ بهم وأناخ بساحتهم وضرب بكلِّكـله في أفنيتهـم جهادٌ لا يبلغه جهادٌ وكُفِّرَ لم يسبق إليه أحدٌ من الأمم ؛ فلما ظهر لمن كان يتمنى الجهاد ويطلبه نكصوا على أعقابهم فنعوذ بالله من الخذلان والترك لطاعة الرحمن ؛ وجب على كلِّ مؤمنٍ عرف الله سبحانه النهوض / إلى أعداء الله فأمرهم يسير وخطرهم حقيرٌ وما يُرجى بحول الله من إزالتهم قريب⁽²⁾ : ﴿ إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ فليس آفة المسلمين إلا افتراق كلمتهم وتخاذلهم فيطمع عند ذلك فيهم عدوهم ويجد السبيل إلى الظهور عليهم . فاللَّهُ الْعَبَادَ اللَّهُ ! في الحذر والاجتهاد والنصيحة لله سبحانه والأجداد فقد زكَت الأعمال بجهادهم وفتحت الجنان لمن تَقَرَّبَ إلى الله سبحانه بمحاربتهم وقد تَرَوْنَ ما المسلمون فيه وما يُمَسُّون ويُصْبِحُونَ عليه من ظهور الفسق والفاسقين وخمول الحقِّ والمُحِقِّين وما قد جوهر فيه ربُّ العالمين من جحدانه والنفي لما أمر به والإبطال لأنبيائه مع ما نالوا به حُرْمَ إخوانكم المسلمين من هتك حريمهم وسبِّي نسائهم . فحُرْمَ إخوانكم في الآفاق ، ويُنادى عليهن في الأسواق مكشَّفات الشعور مهتكات الستور مَغْشِيَّات بالفجور قد نيل منهنَّ أقبح الأمور ! كيف العذر عند الله في ذلك والاعتذار ، لا كيف ! والله سبحانه يقول⁽³⁾ : ﴿ هَذَا يَوْمٌ لَا

(1) سورة الفرقان/ 44 .

(2) سورة محمد/ 47 .

(3) سورة المرسلات/ 36 .

ينطقون ولا يؤذَنُ لهم فيعتذرون ﴿١﴾ . والله ما هو إلا يوم جهاد القرامطة والصبر في الأموال والأنفس في السَّعة والشَّدة أو الشرك بذِي الجلال والإكرام والخروج من دين محمد عليه السَّلام ثم لا يكونُ الخَلْقُ عند ذلك إلا خدماً لا يُحمدون وأعواناً لا يرجون بالذلة والصغار والاستكانة والهون تُذَبِّحُ أبنائهم فلا يمتنعون ، وتؤخذ نساؤهم فلا ينتصرون . قد خسروا الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين . قد كرهوا الجهاد على دينهم وتركوا المحاماة على أرضهم خوفاً لعدوٍّ هو أضعفُ منهم فطلبوا الحياة بالموت وظنوا أنَّ ذلك ينجيهم عمَّا منه حاذروا فأصبحوا يقتلون أنفسهم بين يدي أشرِّ خَلْقِ الله وأبعدهم من رب العالمين فلا ما عنه حاذروا نجوا منه ، ولا ما تميل لهم من أموالهم نالوه وقد كرهوا الجهاد على دينهم وتركوا المحاماة على حريمهم فاستعملوا الفرار ورضيوا بالصغار عن غير قهرٍ وهم الأفشلاء من قلوبهم والضعفاء في نياتهم عن المجاهدة لعدو الله وعدوهم أمَّا إنهم لو اعتصموا بالله وغضبوا لكان عدوهم أضعف منهم قوةً وأقلَّ عدداً . وهل يقاتِلُهُم إلا أوباشُ مجتمعون لا قبيلة مجتمععة ولا عشيرة ممتنعة لا تجمعهم حَمِيَّةٌ ولا يلقَهم حَسَبٌ ، من كلِّ بلدٍ واحدٌ أو اثنان . أشرار أهل بلدٍ وأسخفهم عندهم خرجوا للنهب والسرقة وارتكاب المعاصي ، ليس معهم نصيبٌ ! ولولا ما قد امتحن الله به خلقه إذن لقد أزال مدتهم وأفنى جماعتهم . / ولن يضروا الله شيئاً وإن الله ليجزي خلقه على [م ق 93 ب]

فعلهم ويكافئهم على عملهم . قال رسول الله صلوات الله عليه : لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهئنَّ عن المنكر أو ليسلطنَّ الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب ثم يدعو خياركم فلا يُستجاب لهم حتى إذا بلغ الكتاب أجله كان الله المنتصر لنفسه يقول ما منعكم إذ رأيتموني أعصى أن لا تغضبوا لي ؟ أما والله لو غضب بعضُ الله عزَّ وجلَّ ثم كان مع القرمطيَّ عدد الحصى لأزاله سريعاً بعون الله سبحانه . وذلك قوله سبحانه وقوله الحقُّ ووَعْدُهُ الصِّدْقُ : ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) ولكن ليس يلقاهم إلا شارب خمرٍ أو ضارب طنبورٍ أو معتكفٌ على معصية ، وقد برىء الله منه وأسلمه لعمله . فإنَّما مثله ومثْلُ القرمطيَّ نارٌ تَلْقَى النارَ فيُقَوِّي بعضها بعضاً ، ويُضْرِمُ بعضها بعضاً فيغلب أصرُّهُما ويولِّي الله بعضَ الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون . فأما

(١) سورة الروم / 47 .

يا أخي - أكرم الله عن النار وجهك - لو لقيهم عسكرٌ قد غضبوا لله سبحانه وقدموا أمره عز وجل على أمورهم وأخلصوا النية على طاعة الله خالقهم يشيرون إليه بالمعرفة لله عز وجل والديانة والقرآن والتكبير والتهليل قد نفوا المعاصي من عسكرهم وأقاموا الحدود على أشرارهم مقيمون لصلواتهم مؤتون لذكواتهم مسلمون لحكم ربهم قد عرفوا وعد الله سبحانه ووعيده ، ونظروا إلى الدنيا بعين القلة سادوا في طاعة الله عز وجل ، قد وضعوا الجنة بين أعينهم والنار وراء ظهورهم فهم من النار هاربون وللجنة طالبون يضربون أعداء الله قداماً ؛ إذاً لكانت هذه الردة قد حملت ، وجماعتها قد افترقت بعون الله ولطفه وما وعد به أوليائه من نصره قال الله عز وجل⁽¹⁾ : ﴿ وَلِيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ فهؤلاء القوم الذين وصفنا تسبق هيبتهم في قلوب عدوهم من قبل مقابلتهم إياهم ، وتنزل ملائكة الله في عسكرهم وتحف جيوشهم بها . ولا نطلب النصر إلا من الرحمن ، ونطلب منه النجاة من أليم النيران . فأما نحن - أكرمك الله بكرامته - فلسنا ندع حص الناس على جهاد هؤلاء الكفرة ، واستنهاضهم وتبصيرهم لما أوجب الله سبحانه من ذلك . وما زلنا نحض على جهاد الكفرة وندعو الناس إلى قتالهم ونبين عوارهم ونشهر شهرتهم . وكلما نهضنا لحربهم اعترضنا دونهم حلفاء المعصية فحالوا بيننا وبينهم وشغلونا فيما نؤمله من جهادهم فإذا انصرفنا لم يقوموا لحربهم ولم يكن فيهم طاقة لجهادهم وذلك لبُعدهم من الله ، وفسادهم(*) واشتغالهم بمعاصي ربهم فلا يلبثوا إلا يسيراً حتى يكونوا سبباً لقوة الكفرة / على المسلمين فلا هم ينصحون للقتال ولا هم يدفعون عن رعية ولا حريم عند ساعة النزال . وهؤلاء المجوس الزنادقة فنيتهم في الإسلام وأهله شرّ نية وقدرتهم أقبح مقدرة قد أظهروا من بدعهم ما قد بان للجُهاال به خبرهم . ولم يبق أحد في شك ولعمري ما كان في بدء أمرهم شك إلا لجاهلٍ مُتعامٍ يخدع نفسه ويغشها . ثم الآن قد تبين في أموره .

أقسم بالله <أن> أظهروا وبلغوا شيئاً مما أملوا - وأرجو أن لا يُبلغهم الله ذلك - ليدعينج كبيرهم الربوبية وليعيدنهم لعبادة النيران . فاتقوا الله عباد الله وجدّوا في جهاده

(*) في الأصل : وفساد .

(1) سورة الحج / 40 .

وأجمعوا الكلمة في قتاله ولا يتقين بعضكم ببعض فليس ينفع مداراته ولا تحول بينه وبين ما يكره إلا ذبابة سيف أو سنان رمح . فالموت على طاعة الله خير من الحياة على ما لا يرضي الله . وأنا أدعوكم إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، ونحاكمهم إلى الله عز وجل وتنهض في حربهم غضباً لله سبحانه وأنفة لما بدّل من أحكامه وغير من كتابه فقد قتل الإسلام الكافرون ، وحق لمن عرف الله والدار الآخرة أن يقل سروره ويكثر غمه وتسخن عينه ويدوم حزنه على ما هذه الأمة عليه ويعلمهم معلناً ويناديهم مجتهداً إلى ما فيه نجاتهم وعند الله سبحانه سلامتهم فاستثقلوا الحق وملّوه ، واشتدّت عليهم أحكام الله عز وجل فحاربوه فاتبعوا الهوى وسعوا إلى ميدان الباطل والبلاء فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين . فلما قامت حجة الله عليهم في ابن نبيه صلوات الله عليه استحقوا من الله سبحانه البلاء وإزالة النعماء وضربهم الله سبحانه بما قد ترى : ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾⁽¹⁾ فاستوجبوا ذلك بفعلهم واستدعوه من الله عز وجل بمخالفتهم وردّهم للحجج البينة والبراهين النيرة : ﴿ فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إنّ في ذلك لآية لقوم يعلمون ﴾⁽²⁾ . فلما نظر الله سبحانه إليهم بعين المقت أضلّاهم أشر الخلق وولّى بعضهم بعضاً . واختار تبارك وتعالى لابن نبيه ما اختار لنبيه صلى الله عليه ، ونقله إلى دار الرضا ومحلّ الثواب ، وأراحه من صُحبتههم والمُقاساة لهم ، وألحقه بآبائه وأجداده الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين . فقد كان رحمة الله ورضوانه عليه لهم ناصحاً وهو عليهم مُشفِئاً وهم للحق الذي جاء به كارهون ولما ينجيهم عند الله سبحانه قالون ، فإلى الله نرغب في إعزاز دينه وإظهار حُكم كتابه وأن يلحقنا بإمامنا صلوات الله عليه سائرین بسيرته حتى يوصلنا بذلك إلى [م ق 94 ب] ما يوصله إليه من ثوابه وحسن مآبه فأجزل الله ثوابك في دعائك وشكر سعيك وأحسن على طاعته عونك ؛ فما كانت المصيبة به - صلوات الله عليه - بخاصة بل كانت عامّة لجميع الأمة ويقول على فادح النازلة وعظيم الرزية إنا لله وإنا إليه راجعون ثم إنا لله وإنا إليه منقلبون . خطب ونازلة جلّت ومصيبة عمّت رضينا فيها بقضاء الله

(1) سورة فصلت/ 46 .

(2) سورة النمل/ 52 .

وسلّمنا فيها لحكمه فهو أحكم بما نعانیه من موت الإسلام وقَتْل الأيتام وإظهار الآثام وإطفاء ما جاء به محمّد عليه السّلام . أيطمع النّاس بفرارهم ومُداناتهم الزنادقة الملاعین بحياة ؟! هیهات هیهات ما النّاس إلّا أحد رجلین رجلٌ غَضِبَ اللهُ سبحانه وأنفَ على حَسَبه وحامى على حريمه فدفع عن نفسه وأهان عدوّاً لله وعدوّه فنال فخر الدنیا وثواب الآخرة وأصبح في دنياه من المسرورین وعند الله عزّ وجلّ من المأجورین أو رجلٌ جَبَنَ عن ذلك ورجا السلامة والخَفَضَ فأصبح بين أيديهم يسوقونه قد أخذوا حرمة واصطلموا ماله ثم أصبح صاغراً يقاتل على الزندقة ويسفك دمه على غير المِلّة فإذا به قد وقع فيما كره من الجهاد وأصبح يُقاتل على معاصي الله ويسفك دمه بين يدي أشرّ الخلق وأبعدهم من الله فيكون مآبه أشرّ مآبٍ وداره أشرّ دارٍ جهنّم يصلونها وبئس القرار .

قال مفرّح بن أحمد رضي الله عنه : إذا كان هذا كلام الإمام المرتضى لدين الله عليه السّلام لرجلٍ من العوامّ وحثّه له على الجهاد فما يقول مَنْ أنكر ذلك على الذرية الزكية والعترّة الطاهرة الحسينية والحجة الظاهرة الجليلة ؟!

قال السيد أبو الحسين ابن هارون الحسيني عليه وعلى آبائه السلام في التجريد والبلغة⁽¹⁾ : الجهاد جهادان جهادٌ يَلْزَمُ كافّة المسلمين كان فيهم إمامٌ أو لم يكن فيهم إمامٌ ، وجهادٌ لا يجب بل لا يجوز إلّا مع إمامٍ تجب طاعته أو من يقوم مقامه بأمره . فالأول هو أن يحلّ العدو دار الإسلام فإن كان ذلك وجب على مَنْ أمكنه من المسلمين مجاهدتهم ودفعهم . والثاني : هو الغزو إلى أرض العدو ولا يجب ولا يجوز إلّا مع إمام .

ومن ذلك للقاسم بن إبراهيم عليه السّلام في كتاب القتل والقتال⁽²⁾ ، قال الله سبحانه فيما أذن فيه من المعتدين بأعدائهم وبسط به أيدي المؤمنين للعدوان من

(1) وردت نصوصٌ بهذا المعنى مع اختلاف في الألفاظ في شرح التجريد لأبي الحسن المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني (- 411 هـ) ، ، نشر صنعاء 1985 ، م 5/ ص 260 - 261 .
(2) كتاب القتل والقتال ؛ ضمن مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم ، مخطوطة بملك آل زيد بصنعاء ، نسخ العام 1065 هـ ، ص 324 (بترقيم حديث) .

سفك دمائهم : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ﴾⁽¹⁾ ، ﴿ ولا تُلْقُوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا ﴾⁽²⁾ . فأمرهم لسبب العدوان / لا لغيره بقتالهم وأمرهم بالإئفاق في جهادهم وأخبر أنهم إن [م ق 195] لم يفعلوا فقد ألقوا بأيديهم إلى التهلكة لأهل العدوان وصدق الله العزيز الحكيم⁽³⁾ ، وأيُّ هُلكٍ أهلك لهم من استسلامهم لمن يريد قتلهم .

وقال زيد بن علي عليه السلام : ولو أن رجلاً اجتمعت إليه طائفة فبايعته فسار بالعدل واجتهد بالنصيحة وأدى إليهم الأمانة وأدى إليهم ما يؤدي الإمام المُقْسِط وكان في ذلك لنا وده وإلينا يُرَدُّ أمره لكانت هذه دعوة إلينا راجعةً وبنا قائمة ؛ إن ظهر الإمام العَدْلُ منا ودَّى إليه الطاعة ، وأقرَّ له بالمنزلة كَمُلَ له دينه ، وإن هو لم ير منا إماماً محقاً يدعو إلى الحق فلا يعرف له دعوة فمات على ذلك فهو مبعوثٌ في زمرتنا وتحت رايتنا . هذا قول زيد بن علي عليه السلام .

وقال في كتاب الدعامة⁽⁴⁾ عن السيد الإمام أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني الحسيني عليه السلام انتزعه الأمير ذو الشرفين وكتبه بخط يده ؛ قال رضي الله عنه⁽⁵⁾ : إنَّ الدعاء إلى القتال قد يقع ممن ليس بإمامٍ كما يقع ممن هو إمامٌ . وقد تكون إجابة الداعي إلى القتال واجبةً . وإن لم يكن إماماً في بعض الأحوال لأنَّ المسلمين لو خشوا بواد الكفار أو⁽⁶⁾ البُغاة متى لم يبادروا إلى قتالهم وانتصب أحدُهم بالدعاء⁽⁷⁾ إلى ذلك وغلب على الظن أنه إن لم يجب لحق الإسلام

(1) سورة البقرة/ 194 .

(2) سورة البقرة/ 197 .

(3) في القتل والقتال بعد هذا : الأعلى الذي لا يرضى لأوليائه أن يكونوا أذلاء ، والذي لم يزل سبحانه يحوط العزَّ لهم حوط العليم الخبير ، وينصرهم عند القيام بأمره نصر العزيز القدير ، وأي هلكة . . . الخ .

(4) طبع الدكتور ناجي حسن كتاب الدعامة للسيد أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني (- 424 هـ) مرتين ، وسمَّاه « نصرة مذاهب الزيدية » ، ونسبه للصاحب بن عباد .

(5) يبدأ النص على الصفحة 55 من نشرة ناجي حسن .

(6) في الأصل : و- والتصحيح عن الدعامة ص 55 .

(7) في الدعامة : للدعاء .

ضررٌ عظيمٌ لكانت إجابته واجبةً وإن لم يكن إماماً ولا كان ممن يصلح للإمامة لأنه من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يصلح له كلُّ أحدٍ إذا دعا إلى ذلك على شرائط مخصوصة . وقال عليه السلام⁽¹⁾ : إنَّ مهادنة الأعداء⁽²⁾ واجبةٌ متى خشي الضرر العظيم في تركها وأملَ الصلاح في فعلها عقلاً وشرعاً . ويدلُّ على ذلك ما حكينا عن مهادنة النبي صلى الله عليه وعلى أهله عام الحديبية على الوجه الذي هادنهم عليه وهذا مع توفير أصحابهم وشدة بصائرهم وقوة نياتهم وكراهيتهم للصلح حتى بدا من أكثرهم من الإنكار لكرهه ذلك ما هو مذكورٌ في كتاب المغازي ؛ وكان من عُمر مخصوصاً في ذلك الباب ما تُغني شهرته عن ذكره . وقال عليه السلام⁽³⁾ : ألا ترى أنَّ مناظرة المخالفين وإيراد الأدلة عليهم وحلَّ شبههم ما غلب الظنُّ أنهم ينتفعون بذلك ونقطع على أنَّ ذلك تركه معصيةٌ عظيمةٌ مع التمكن منه . وقال عليه السلام⁽⁴⁾ : فكان طلب التحكيم منهم معصية ، يعني أصحاب أمير المؤمنين [م ق 95 ب] علي بن أبي طالب عليه السلام إلا أنَّ إجابته / إياهم إليها والحال في جوف الفتنة العظيمة وانتشار الكلمة عند كفِّ أصحابه عن القتال وحثِّهم إياه عليه السلام على الإجابة على ما بيَّناه وحكيناه كانت طاعةً لله عزَّ وجلَّ لا يجوزُ خلافها لأنَّ أحوال الضرورة تحسُّنُ ويجب فيها ما لا يحسُّنُ مع سلامة الأحوال . والذي⁽⁵⁾ يجب أن يُعتمد في هذا الباب أنَّ قتال البُغاة من أهل القبلة كان أمراً حادثاً في أيامه عليه السلام ، ومزيد تكليفٍ عظيمٍ لله به ثوابه وامتنح عليه السلام بذلك دون جميع الصحابة . وانضاف ثوابه عليه السلام على تحمُّل تلك المشقة العظيمة التي لا يصبر

(1) نصرة مذاهب الزيدية (= الدعامة) ص 60 .

(2) في الدعامة ص 60 : إنَّ الإمام متى خشي وقوع الفتنة . . . فله أن يفعل ما يؤدي إلى زوال هذه الأحوال . . . ولهذا العلة وردت الشريعة بمهادنة الكفار متى غلب ظن الإمام أن ذلك يفضي إلى المصلحة . ولهذا هادن رسول الله ﷺ . . . الخ ، وعلى الصفحة 61 كلامٌ للهاروني أشبه بما ورد هنا .

(3) نصرة مذاهب الزيدية (= الدعامة) ص 62 .

(4) الدعامة ، ص 62 س 17 وما بعده .

(5) في نصرة مذاهب الزيدية (= الدعامة) ص 62 : والأصل الذي يجب أن يُعتمد في هذا الباب . . . الخ .

عليها إلا مَنْ هو على مثل حاله في قوة البصيرة وإيثار الدين في جميع أحواله وأطراح الدنيا وقلة الفكر فيها إلى سائر ثوابه الذي صار به أفضل الأئمة وأزكى الصحابة . فلما كان أمراً حادثاً لم يعهده القوم ولم يألوه كان أدنى عارضٍ يعرض < يؤثر > (1) في قلوبهم إلا أهل البصائر القوية من أعيان المهاجرين والأنصار الذين كانوا قد علموا ما سبق من النبي صلى الله عليه وعلى آله من أمره بقتالهم وحثه عليه وتعريفه ما له من الثواب العظيم على تحمّله وحث أصحابه على معاونته وتحذيرهم مخالفته حين يقول صلى الله عليه وعلى آله : ستقاتل بعدي القاسطين والناكثين والمارقين وسيلحقك كذا ويلحقك كذا . فيقول عليه السلام : في سلامةٍ من ديني يا رسول الله ؟ فيقول : في سلامةٍ من دينك ! فيقول : لا أبالي ! وحين يقول لعمّار : تقتلك الفئة الباغية وآخِرُ زادك من الدنيا ضياعٌ من لبن . وحين يقول للزبير : لتقاتلنَّه وأنت له ظالم ! وقال : إذا رأيتم معاوية على منبري هذا فاقتلوه . وبشره عليه السلام بقتل ذي النُدَيَّة فلما قتل عليه السلام الخوارج يوم النهروان أمر بطلبه وقد كان أخبر أصحابه بما عرفه النبي صلى الله عليه وآله من أمره فلما أجدوا في طلبه وظهر له من بعض أصحابه الشك في ذلك والتحير قبل استخراجِه أخذ عليه السلام يقول : اطلبوه ، فوالله ما كذبت ولا كُذِّبت ! جارياً على طريقته في قوة بصيرته إلى أن استخرج الرجل من بين القتلى كما وصفه فكبر وكبر المسلمون . وقال عليه السلام (2) : ولو أن الإمام لو قال خلعت نفسي لم يوجب هذا انخلاعه . وقال عليه السلام لما استشهد أعيان المهاجرين والأنصار بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام في صفين كعمّار وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله : [م ق 196] عمّار جلدة ما بين عيني ! وقال : ستقتلك الفئة الباغية . هذا مع ظهور فضائله وكثرة سوابقه واختصاصه برسول الله صلى الله عليه وآله وعلى آله وقد كان شوهده منه الحرص على القتال والرغبة في القتال ما شوهده حتى كأنه لما رأى راية عمرو بن العاص بين الصفين . قال : هذه راية قاتلت رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى آله مرتين وما هذه بأهدأهن ! وروى في بعض الأخبار أنه قال : قاتلت هذه الراية مع رسول الله

(1) نصره مذاهب الزيدية (= الدعامة) ص 63 .

(2) نصره مذاهب الزيدية (= الدعامة) ص 67 .

صَلَّى الله عليه وآله دفعتين وهذه الثالثة أَحَبُّهُنَّ إِلَيَّ ! وَرُوي أنه في اليوم الذي اسْتُشْهِد فيه رَحْمَةُ اللهِ عليه كان يغسل رأسه بالخطمي فسمع منادي أمير المؤمنين عليه السَّلام يدعو إلى القتال فلم يغسل رأسه وركب . قال الراوي : فكأنني به والخطمي في رأسه وهو يضرب خاصرتي الفرس ويقول : إِنِّي لأشْمُ رائحة الجنة أو قال : إِنِّي لأشْمُ رائحة الشهادة ! وكان آخِرَ العهد به . واستُشْهِد <أبو> الهيثم بن التَّيْهَان وهو أحدُ نِقباء رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وَمَنْ مَحَلُّه المحلُّ المعروف . واستُشْهِد خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ على ظهور حاله وفضله وسابقته ؛ إلى غيرهم ممن لم ينكُرْهم خشيةً من إطالة الفصل وقويت بصائرُ أصحاب أمير المؤمنين عليه السَّلام وعلموا أنَّ لهم بهؤلاء المتقدمين من المهاجرين والأنصار أحسن أسوة حتى ظهرت أمارَةُ الغلبة وأحسنُ القوم بالعجز والضعف حتى رُوي أنَّ مالك الأشتر كان قد قارب فُسطاط معاوية فالتجأ القوم عند هذه الحالة إلى المكيدة التي التجأوا إليها بُراي عمرو ابن العاص من شِدَّةِ المصاحف على الرماح وإظهار الرضا بحكم الكتاب توصلاً إلى ما توصلوا إليه من إيقاع الخلاف بين أصحاب أمير المؤمنين عليه السَّلام وكفَّ أكثرهم عن القتال للمكيدة التي أظهروها والشبهة التي التجأوا إليها ، واضطرب أصحابُهُ عند ذلك وكفَّ أكثرهم عن القتال وقالوا : لا نُقاتِلْ مَنْ يدعو إلى حكم الكتاب وقد أنصفنا قومنا وسبيلُهم أن يجابوا إلى ما التمسوا ! فخطبهم أمير المؤمنين ووعظهم وبيَّن ما عليه من التماس إجابة القوم إلى ما أرادوه أنه خطأ وأن الواجب هو الاستمرار على مجاهدتهم لأنَّ الذي أظهروه هو مكيدة معاوية وعمرو بن العاص . وقال لهم : أولسنا(*) نحن على كتاب الله ومتمسكون به ؟ والقوم قد نبذوه وراء ظهورهم ؟ فامضوا على أموركم ! فلم يقبلوا منه ولم يُصْغُوا إليه حتى سمع من ورائه بعضهم < يقول > : إن أجبتهم وإلا قتلناك كما قتلنا عثمان ! وقال بعضهم : فعلى ماذا ذبحنا الثور الأعفر ؟ وقرأ بعضهم : ﴿ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾⁽¹⁾ تعريضاً به عليه السَّلام ومخالفة له .

(*) تعليق في الهامش الأيمن : (أولسنا نحن على كتاب الله . . .) لعل به وهماً من الناسخ فتحقق إن شاء الله .

(1) سورة آل عمران/ 23 .

ثم خرج السيد الإمام أبو طالب عليه السلام في كلامه إلى الاحتجاج على النواصب والخوارج في فصلٍ طويل⁽¹⁾ . ثم قال عليه السلام⁽²⁾ : في الأخبار المُجمَّع عليها وتجويز الشك في ذلك يؤدي إلى تجويز الشك في الضرورات ولولا ذلك لبطل الأكثر من أمور الدين والدنيا لأننا قد عرفنا أنَّ العوامَّ مأمورون بالرجوع عند الحوادث والمشكلات إلى أهل الورع والأمانة من العلماء ولو لم يكن سبيلٌ إلى معرفتهم من الوجه الذي بيناه لبطل هذا التعبدُ فقد علمنا أيضاً أنَّ الناس يحتاجون إلى معرفة الحُذَّاق في الصناعات وأهل الأمانة منهم ولو لم يكونوا متمكِّنين في معرفتهم لبطل أكثر أحوالهم وهذا بينٌ لا لبس فيه . ثم مضى عليه السلام في كلامه إلى ترجيح الحُجَّة لأمر المؤمنين صلوات الله عليه في أمر التحكيم واضطراره إليه في فصلٍ طويلٍ⁽³⁾ . ثم قال عليه السلام في الدلالة على حاجة الناس إلى الإمام⁽⁴⁾ : ما يدلُّ على ذلك ما قد علمنا من إطباق الصحابة على أنه لا بُدَّ بعد الرسول صلى الله عليه في كلِّ وقتٍ من إمامٍ يُقيمُ الحدود ويُسدُّ الثغور ويحفظُ البيضة ، ويقسم الغنيمة ، ويمنع من التظالم ، ويوليُّ الأمراء والحكام . ألا ترى أنهم مع اختلافهم في أعيان الأئمة لم يختلفوا في الحاجة إلى إمامٍ ولذلك فزع أهل الاختيار عند وفاة النبي صلى الله عليه إلى الاختيار لمن اختاروه والعقد له وأظهروا أنَّ ذلك مما لا يسوغ تأخيرَه . وفزع أصحابُ النصِّ إلى أمير المؤمنين عليه السلام والتمسوا منه المبادرة إلى القيام حتَّى أظهر من المعاذير التي اقتضت قعوده على ذلك ما بيناه فيما تقدَّم . ثم مضى السيد أبو طالب عليه السلام في النحو الذي نحاه مؤكداً للحُجَّة في حاجة الرعية إلى القائم بأمورها . ثم قال عليه السلام في بعض ما ذكر من التقسيم : والقسم الثاني ؛ يجوزُ لجماعة المسلمين القيامُ به وإن لم يوجد الإمام وهذا كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على شرائط مخصوصة لأنَّ ظواهر القرآن دلَّت على وجوب ذلك ولم تشترط فيه وجوب الإمام . فأما الجهادُ وقسمةُ الغنيمة وما يتعلَّقُ

(1) نصره مذهب الزيدية (= الدعامة) ص 69 - 72 .

(2) الدعامة ، ص 72 .

(3) ربما كان المقصود ما سبق أن ذكره ، لأن النصَّ في نصره مذهب الزيدية (= الدعامة) في هذا الموضع قصير .

(4) نصره مذهب الزيدية (= الدعامة) ص 113 وما بعدها .

بذلك فعند كثير من الناس يجوز أن يتولاه المسلمون وإن لم يوجد الإمام . ثم مضى في كلامه عليه السلام الذي نحاه حتى قال : وإذا كانت الأمور التي لا يقوم بها الأئمة تتعلق بها أُلطاف دينية على وجه فلا بُدَّ أن يفعل الله تعالى ما يقوم مقامها في باب اللطف إذا لم يوجد الإمام . ثم خرج عليه السلام إلى فصل فيه ذكرُ إمامة زيد بن علي عليه السلام ونصر الزيدية / بالحُجَجِ القاطعة بشرحٍ طويلٍ حتى قال في آخر الكتاب⁽¹⁾ : وقد أوردنا في نُصرة مذاهب الزيدية⁽²⁾ جملةً كافية لمن نصح نفسه ونظر لدينه ، ونحن نسأل الله تعالى أن يجعل ما نقوله ونفعله خالصاً لوجهه إنه سميعٌ مُجيب .

كتابُ كتبه الأمير ذو الشرفين إلى مولانا المهدي لدين الله الحسين بن القاسم صلواتُ الله عليه :

بسم الله الرحمن الرحيم . حسبي الله وكفى . يقول عبد الله محمد بن جعفر بن الإمام القاسم بن علي : لما قتل صنوه الشريف الفاضل كان القاسم بن جعفر رضي الله عنه كثر أعداؤه وخذله أولياؤه إلا القليل منهم وقصده أهلُ البغي ومن كان استقام معه بكيدهم وغوائلهم . وبلغوا في ذلك غاية جهدهم ، وأشاح له كلُّ عدوٍّ وعتيدٍ من قريبٍ وبعيدٍ ، وبثوا الغوائل وفسد عليه جميعُ القبائل وصاروا بين مُباينٍ مُقاتلٍ ومتربصٍ ومُخادعٍ خاتلٍ ومتسمِّرٍ بالتشيع ناكلٍ ناكصٍ على عَقبيه مُحايِلٍ وعدمت الديانة وكثرت الخيانة وذهبت الصيانة فنظر حينئذٍ في الأمور وأعمل فكره في التدبير وهو يومئذٍ بشهارة فلم يذكر ملجأً يلجأُ إليه ولا أحد من الخلق يعتمد عليه ، ولا علم ذلك بحيلةٍ من الحِيلِ في سهلٍ من الأرض ولا جبلٍ غير هذا المكان وغير من ألزم معه من الإخوان . فرأى أن الصبر والاستقامة سببُ النجاة عند الله والسلامة وأن لا يُلقي بيده إلى التهلكة ولا يتخلَّى من معقل العز والبركة الذي جعله الله لأوليائه معرجاً ومهاجراً وحرزاً وملجأً . فأعتمد كُلُّ الاعتماد على ذلك وعلم أنه أقربُ

(1) نصرة مذاهب الزيدية (= الدعامة) ص 179 .

(2) كانت هذه العبارة سبب توهم ناجي حسن ناشر الدعامة (. . في نصرة مذاهب الزيدية) أن اسم الكتاب : نصرة مذاهب الزيدية ! .

المسالك . ثُمَّ حَمَلَتْهُ الضَّرُورَاتُ وَالْأُمُورُ الْمُلْجِئَاتُ وَالْأَحْوَالُ الْمُتَعَبَاتُ وَالنَّوَائِبُ الْمُعْضِلَاتُ ، وَكَثْرَةُ غَوَائِلِ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَالْعِدَاوَاتُ وَتَخَلِّي النَّاسِ مِنَ الْمَعُونَاتِ وَخُرُوجُهُمْ مِنَ الْأَدْيَانِ وَالْمَرْوَعَاتِ عَلَى تَنَاوُلٍ مَا قَدَّرَ عَلَيْهِ مِنْ مَالٍ ، وَمَا كَانَ قَبْلَ وَقْعِهِ فِي الضَّرُورَةِ يَرَاهُ غَيْرَ حَلَالٍ فَأَخَذَ مَا أَخَذَ بِسَبَبِ الضُّيْقِ وَالْإِقْلَالِ وَلَمَّا أَلَمَّ بِهِ مِنْ جَمِيعِ الْأَحْوَالِ الَّتِي لَا مَنَدَفِعَ لَهَا مِنْهَا وَلَا بُدَّ لَهَا مِنْهَا وَإِنَّهُ لَا اسْتِقَامَةَ لِمَكَانِهِ وَلَمْ يَنْصَرِفْ مِنْ أَعْوَانِهِ إِلَّا بِمَا يُقِيمُهُمْ مِنَ الْأَقْوَاتِ وَمَا يُعِينُهُمْ عَلَى جِهَادِ الْبُغَاةِ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُ فَرَجًا . فَرَأَى إِثْبَاتَ هَذَا الْكِتَابِ لِيُوقَعَ فِيهِ جَمِيعُ الْأَسْبَابِ الَّتِي قَبَضَهَا مِنْ بَعْضِ النَّاسِ وَفِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْإِلْتِبَاسِ لِحَالِ مَا أَلَمَّ بِهِ مِنَ الضَّرُورَةِ وَالْأُمُورِ الْمَعْرُوفَةِ الْمَخْبُورَةِ وَالنَّوَائِبِ / الْعَظِيمَةِ الْمَشْهُورَةِ فَإِنْ تَرَاخَتْ بِهِ الْأَيَّامُ وَانْجَلَتْ عَنْهُ الْمَحَنُ الْجَسَامُ وَلَمْ يَعْجَلْ عَلَيْهِ الْجَمَامُ وَاتَّسَعَ بِهِ مَا ضَاقَ وَسَهَّلَ اللَّهُ الْأَرْزَاقَ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا شَكٌّ وَلَا هِيَ لِأَحَدٍ مِلْكٌ . عَمِلَ مَعَ هَؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ أَوْ مَعَ وَرَثَتِهِمْ عَمَلًا وَاسْتَحَاطَ بِذَلِكَ لَوَجْهَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا ، وَحَرَصَ وَاجْتَهَدَ فِي الْحَلَالِ وَالْخِلَالِ مِنَ الْأَدْنَى مِنْهُمْ وَالْقَاصِي . وَاللَّهُ أَسْأَلُهُ الْبَلَغَ وَالتَّوَسُّيعَ وَالْإِسْبَاغَ وَالتَّفَضُّلَ بِالْعَفْوِ وَالْمَغْفِرَةِ وَالسَّلَامَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَهُوَ الْعَالِمُ بِجَمِيعِ أُمُورِي وَالْمُطَّلِعُ عَلَى ظَاهِرِي وَمُسْتَوْرِي وَإِنِّي مَا أَعْصِيهِ اعْتِمَادًا ، وَلَا أَقْصِدُ لَهُ عِنَادًا ، وَلَا أُرِيدُ عُلوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا بَلْ أَنَا مُضْطَرٌّ مُصَابِرٌ مُتَوَقِّعٌ نَازِلٌ . فَيَا خَالِقَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَفِيهِمَا مِنَ الْآيَاتِ وَيَا مُمِيتَ الْأَحْيَاءِ وَمُحْيِي الْأَمْوَاتِ اجْعَلْنِي عِنْدَكَ مِنَ الْمَعْذُورِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنَ الْمُسْتَوْرِينَ السَّالِمِينَ مِنْ سَخَطِكَ ، الْمَاجُورِينَ الدَّاخِلِينَ جَنَّتِكَ الْمَبْرُورِينَ النَّاجِينَ بِمَنِّكَ عَلَيْهِمُ الْمَحْبُورِينَ وَلَا تَجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ الْجَحِيمِ وَثَبِّتْنِي عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ بِحَقِّكَ الْعَظِيمِ يَا عَظِيمَ وَحَقِّ كُلِّ ذِي حَقٍّ جَعَلْتَ لَهُ حَقًّا يَا رَحْمَنَ يَا رَحِيمَ .

يقول محمد بن جعفر : وَإِنْ انْقَطَعَ الْأَجَلُ وَفَاتَهُ الْأَمَلُ وَدُعِيَ فَأَجَابَ وَتَوَفَّاهُ رَبُّ الْأَرْبَابِ > وَمَالِكُ الرِّقَابِ فَصَارَ إِلَى التَّرَابِ مُنْتَظَرًا لِلنَّشُورِ وَالْإِيَابِ < (*) وَالْبَعْثُ وَالْحِسَابُ فَلْيَحْفَظْ لَهُ هَذَا الْكِتَابَ بَعْضُ الْمُوثُوقِ بِهِمْ مِنَ الْقَرَابَاتِ وَالْأَصْحَابِ وَلِيَتَقَرَّبَ بِذَلِكَ إِلَى الرَّحْمَنِ فَحَقُّ الْأَخِ فِي اللَّهِ وَاجِبٌ عَلَى الْإِخْوَانِ حَتَّى يَسَلِّمُوهُ إِلَى

(*) عَنْ الْهَامِشِ الْأَيْسَرِ مِنَ الصَّفْحَةِ .

الطاهر الأمين المهدي للدين مولانا أبي عبد الله أمير الغضب وقائد العُصْب الحسين بن الإمام القاسم بن علي صلوات الله عليه . ألا ثم ليكن منك يا مولانا الإمام عليك وعلى آبائك أفضل التحية والسلام ؛ التقرب إلى العليم السميع بالنظر إلى هذا التوقيع فأنت المأمول لتخليص الجميع من كلِّ أَمْرٍ مُؤْلَمٍ وجيعٍ فما كان جائزاً جَوَزْتَهُ وزَكَيْتَهُ مما ترى من الدعاء وباركته وما كان غيرَ جائزٍ تَحَمَّلْتَهُ ونفرت منه المملوك القِنَّ لك وخلَّصته وسألت الله له المغفرة واستغفرته وشفعت له (*) إلى من اصطفاك واختارك واستوهبته يا مولانا المهدي صلواتُ الله عليك وافعل ما سألتُك بحقِّ الله عزَّ وجلَّ وألحَّ في المسألة للرحمن جلَّ وعلا عن مُشابهة الإنسان وغير الإنسان أن يجنَّبني من العذاب والهوان والخلود بين أطباق النيران وأن تتفضل عليَّ بالثواب والجنان ومُجاورة أهل البقاء والإيمان في دار السلامة والخلود والأمان فلم أكن من المُصِرِّين / ولا الراكنين إلى ما يرذل المغترين بل كنتُ من الملجئين المضطرين وأنا مع ذلك فكثير الذنوب والجهل والخطايا والعيوب التي لا تكاد تنجو منها الجوارح والقلوب ؛ فأستغفر الله الغفور الرحيم ، وأتوب إليه التَّوَابَ الكريم وأعوذُ وألوذُ بالله العظيم . وقد وقَعْتُ من ذلك ما ذكرت وفرضت في إثباته وجهدتُ وما غاب عني ذكره فمصرفٌ إلى الله وإلى مولانا المهدي أمره والله ولوليه النظر في خلاصي . فما صرفتُ قليلاً مما أخذتُ ولا كثيراً في شيءٍ من المعاصي ولا تناولتُ ذلك أشراً ولا بطراً وكذلك ما صار إليَّ أنا في خاصَّتي من هذه الأسباب قليلاً ولا كثيراً إلا ما أذكرُهُ ومُثَبِّتُهُ في هذا الكتاب بل كنتُ مجنباً من يُغنيني حاله ويلزمني فرضٌ له جميع هذه الأسباب ومجتهداً في الطلب لهم من فضل ربِّ الأرباب وحريصاً في التحيل والاضطراب كلُّ ذلك خوفاً للعذاب ؛ وتعرضاً للرحمة من الله والثواب .

وأما ما كان قبل ذهاب الشريف الفاضل فلم أُحِطْ به علماً ولا أدركته قيماً ، ولا جعلتُ توقيعه لي همّاً لصحيح ما بنينا عليه في ذلك من الاعتقاد وما قصدنا من المدافعة والجهاد ، ونفْي القرامطة من البلاد ، وإزالة ما قدرنا على إزالته من الفساد . فلعمري لقد عمَّ نفعُ ذلك كثيراً من العباد ، وتخلَّصوا من القرامطة بسبب

(*) في الأصل : فيه - فوق السطر .

ذلك القيام منّا والاجتهاد . وحمى أكثر الناس بلده ونزع من طاعتهم يده وأراح منهم نفسه وجسده . والناس مع هذه المنة وبعد خروجهم من المحنة لله ولنا غير شاكرين ولا عن العداوة فاترين ولا مُقصرين . فلا يُبلغ الله أعداءه أملاً ، ولا يضيع لنا برحمته عملاً . ثم ذكر عليه السلام بعد فراغه من هذا الكلام أسباباً قد أثبتت في غير هذا الكتاب .

ذكر الصلح والهدنة

[م ق 98 ب]

أول من سعى في ذلك عبد الله بن محمد اللهاني ودلهام بن عبد الله الحرازي وكان رسم الحدود على بلد بكيل ومن مساقط غولة عجيب وقد قيل : إنه كان الرسم من بضعة بوسط البون مشاهباً(*) لحدود الناصر عليه السلام لبني حوال فلم يتم من ذلك شيء ووقعت الفتنة . ثم سعى في الصلح الشريف إبراهيم بن سليمان ابن القاسم بحال لم تتم . ثم سعى في الصلح أحمد بن المجاهر السنحاني بحال لم يتم . ثم سعى في الصلح عبيد بن محمد والعطاف بن أسعد البحيريان في حال الحصار على شهارة - قد تقدّم ذكره - بحال لم يتم ، ثم سعى في الصلح يحيى بن الصباح بحال لم يتم . ثم جرت الفتنة / على حالها وقامت الفتنة على ساقٍ إلى أن استشهد الشريف الفاضل عليه السلام بعمران . ثم سعى في الصلح والهدنة دعفران بن يحيى بن حوشب اللعوي ومحمد بن علي الطامي ووقعت المراسمة بين الأمير ذي الشرفين عليه السلام وبين السلطان أحمد بن مظفر على الهدنة على بلد الصيد ؛ صيد همدان وبل بكيل وكار(**) من مساقط غولة عجيب وما وراءها من البلدان مع قرى استثنيت وهي بيت شعيب وبيت سود وجامن وحمدة فتم ذلك إلى أن مات السلطان أحمد بن مظفر . ثم حدث نقض الهدنة من قبليهم واجترأوا على ما كان من عقودهم فخرج سليمان بن عامر الزواحي إلى مخلاف شرف البياض من مخاليف شهارة ، وما كان من خروج أميرهم المتسمي بالمكرّم إلى شهارة حتى بلغوا أقر وكان فيها من الحوادث ما قد تقدّم ذكره ؛ ولم يبلغوا إلى غير ذلك من الحال

(*) ربما كانت صحتها : مشابهاً .

(**) كذا في الأصل وربما كانت : حاز .

فانتقض عليهم ما يليهم من الأعمال . روى يحيى بن الصَّبَّاح⁽¹⁾ أنه يوم توجَّه من عند الشريف الفاضل عليه السَّلام إلى السلطان أحمد بن مظفر ساعياً في الهدنة سأل الشريف الفاضل فقال : يا مولانا أين أجِدُكَ إذا رجعتُ ؟ فقال له : سل عني السلطان أحمد بن مظفر ! فلَمَّا وصل إلى أحمد بن مظفر خبره بما وصل فيه من الخطاب واستوفى من السلطان أحمد بن مظفر ما ألقى إليه من الجواب ؛ فلَمَّا عزم على الانصراف قال للسلطان : أين أجِدُ الشريف الأجلَّ وإلى أيِّ موضعٍ أقصده ؟ فقال له : لِمَ تسألني عن هذا أنت الذي وصلت من عنده أم أنا ؟ فقال له : قد كنتُ سألتُهُ إلى أيِّ موضعٍ أعود إليه وأين أجِدُهُ فقال لي : سل عني السلطان أحمد بن مظفر فعنده الخبر وصحة العلم بموضعي ! وإنما قال الشريف الفاضل ذلك لعلمه أنَّ عيونهم معه في الليل والنهار وأنه لا يغيب عليهم مع كثرة العيون ما عنده من الأخبار ؛ ومع أنه عليه السَّلام لا يقر به قرارٌ ولا يعرف له إقامة في دار . فلَمَّا قالها للسلطان أحمد بن مظفر ضحك وعَجِبَ من قوله ثم قال له أقالها لك ؟ قال : إي والله قالها ! قال : فإنك تجده في الموضع الفلاني فاقصده إليه . فلَمَّا خرج من عنده وودَّعه وصار إلى ناحية السوق من صنعاء أتبعه رسولاً فردَّه ؛ فقال له : وصلني الساعة عينٌ لي كان عند الشريف فذكر لي أنه نهض من حيث ذكرتُ لك ساعة كذا من يوم كذا وصار إلى الموضع الفلاني فامض إليه تجده هنالك ! قال يحيى بن الصَّبَّاح : فمضيتُ إلى الشريف الفاضل فوجدته حيث ذكر السلطان فقصصتُ عليه القصة فعجِبَ منها وما زاده ذلك إلَّا جَرُصاً .

[م ق 199]

وهذه نسخة الكتاب الذي وقعت المراسمة في الحدود عليه / بخط الأمير ذي الشرفين عليه السَّلام . بسم الله الرحمن الرحيم . حرس الله عزَّ السلطان الأجلَّ مولاي وأدام علوه وتابع سموه وكبت حاسده وعدوه . أصدر عبده هذه الأحرف البرَّة عليه مسلماً ولأحواله مستعليماً ومطلعاً ومفتقداً لا خلوتُ عنه أبداً ولا عدمته سرمداً . وقد لا شكَّ تحقق السلطان الأجلَّ مولاي حرس الله أيامه وسرمد أنعامه ما أوضح خادمه في الكتاب الذي إلى الشيخ محمد بن علي ووصل إلى حضرته عمَّرها الله

(1) نقل مسلَّم هذه القصة عن السيرة ؛ قارن بالملحق الأول ، الفقرة رقم 4 ، ص 265 .

بطول أيامه فاكتفى بذلك عن إعادته في هذا الكتاب ورجع من جواب السلطان الأجل كَبَتَ الله حَسَدَتَهُ وطولَ مُدَّتِهِ ما سكنت إليه النفوس وزال به العبوس فأوجب ذلك الانبساط إليه والإدلال عليه والثقة بما لديه فليكن في سعة خلائقه ومحمود شيمه وطرائقه الاحتمال وإسعاف السؤال ويحتمل الحال فقد أصبحنا منه وإليه ومعتمدين بعد الله تعالى عليه وجعلناه بغيره من الناس عَوْضاً، وصَيَّرناه لنا بَدَلاً ممن مضى فما كان بأيدينا من معقلٍ أو بلدٍ فهو بيده وسبيل ذلك سبيل معاقله وبلده وكذلك نحن له ولسيدنا ولده ما بقينا وبقي الأبد ودام منا ومنهم أحد . وقد توجَّه خدمُ السلطان الأجل مولاي أدام الله عزَّه الولد جعفر بن محمد موالي الأشراف والأجلاء لمواجهة السلطان الأجل أسعد بن أحمد والسلطان عبد الله بن محمد والمؤاتقة لهما وفصل الحال معهما والمسؤول من السلطان الأجل مولاي أن يكون عقده على الأمير وكافة بني الصُّليحي وعلى السلطان الأجل عامر بن سليمان وكافة بني الزواحي وجميع مَنْ هو منهم وإليهم ويكون صُلَحَ خِلَاطِهِ نَصْلُهُمْ وَيَصِلُونَا ونأمنهم ويأمنونا ولا يقول أحدٌ منا صاحبه في نفسٍ ولا مالٍ ولا معقلٍ ولا حالٍ من الأحوال . وقد قطع خادم السلطان الأجل مولاي حرسه الله تعالى قطعاً أدلَّ فيه على كرمه ومحمود شيمه بأن ذَرَّوه على حالها بأيدينا وما يليها من البلاد كبلد بكيلى قاصيها ودانيها والصيد وبني صريم وما يليهم من عبدي وشاكري وظاهري وشظبي وحبري ووادعي وحمدة لا غيرها من البون ، وإطلاق أموال من هو معنا من شيعتنا مجاز(*) وغيرها من البلاد وما ذكر خادمه هذه المواضع لنقع يلحقنا منها ولكن لأموارٍ غيره جهلها . أمّا ذروة فهي لنا عونٌ على مَنْ جرى منه ما جرى في سيدنا ومولانا وشيخنا ومكبرتنا(**) من الغدر وسفك دمه ودم ابن أخيه على غير جرمٍ ولا حالٍ أوجب ذلك . وأمّا بلد بكيلى فلنا بها تَبَلٌ لا نزال نطلبه ونرجو أن ندركه ببركة السلطان الأجل . وأمّا بلد وادعة الصريمي منهم / [م ق 99 ب]

والآخر فأكثرهم شيعتنا ومحابنا وبينهم المنازل والأموال وأكثرنا عندهم من قديمٍ وحديثٍ حال ، وكذلك حمده . وأمّا شظب وبلد الجبر فمتّصلات بشهارة فلو كانا

(*) كذا في الأصل ، وربما كانت : بحاز .

(**) كذا في الأصل ، وربما كانت : وكبيرنا .

إلى غيرنا ما زالت الشكية قائمةً والمجافاة متصلة دائمة ولا يؤمنُ مع ذلك توغر الصدور وحرصُ أهل الشرور في تغيير الأمور . ومن بعد هذا كله فإذا صح الائتلاف والاختلاط وجرى بيننا الوداد والانبساط فنحن خدمه والبلد بلده ما أحب أتيناه وما أومأ إليه أنفذناه ولو دعنا حاجةً إلى ما في يده وإلى ناحية بلده لطلبنا منه ولما احترسنا في ذلك عنه إذ قد صار الأمر منا واحداً وأصبح كلُّ منا لصاحبه مساعداً . وهذه المواضع التي ذكرت فلم يكن يرى مولانا السلطان الأجل أن يستخدم فيهنَّ بعض من يرى فيحسب أنا بعض مستخدميه وولاته في البلاد ومقدميه فقد اخترنا مواصلته وكرهنا مقاطعته فليكن عند الظنَّ أدام الله سعادته في كلِّ فنٍّ ! والله تعالى يقيه ويبقيه ويحميه ويكفيه ولا يُرينا سوءاً فيه . ولخادمه بكتابه أنس وسرور وجذل وحبور فلا يُخلِّه منه ماناً بذلك عند الإمكان ولا بُدَّ خادمه بعد سكون الأحوال واشتهار الألفة بيننا والاتصال من اللقاء له حرس الله سلطانه وكبت أقرانه والمواجهة والمواصلة والمشافهة إن رأى ذلك أراه الله المحبوب صواباً وأعاد بتصويبه جواباً . وعلى حضرة السلطان الأجل مولاي أفضل التحية والسلام .

فلما تمَّ البقاء وانصرمت الأشياء ولم يبق إلا تسليم هذا الكتاب المنشأ كان للسلطان ذعفان بن يحيى بن حوشب اللعوي غرضٌ في تخليف الكتاب وعلى يديه كان ابتداء هذا الخطاب والغرض الذي كان في خلده ألا تخرج حمدة من يده فأبطن مع الشريف ناصر الدولة وعزَّها الحسن بن إبراهيم كتمان الكتاب وأوهمه في إظهاره بعض الأسباب فأجمعاً على إغفاله ووافقهما على ذلك القاضي محمد بن علي الطامي وهو أيضاً ممن كان الخطاب على يديه وكان يركن في كثيرٍ من الأسباب إليه . وكان من يشتهي إظهار الكتاب من الجماعة يظنون أنه قد أنفذ به ولم يعلموا بقصته وسببه . فلما افترق العسكران وراح كل منهم إلى بلد ومكان بحثوا عن الكتاب فوجد مع بعض الأصحاب فضاقت من ذلك صدورهم . ولما رجعوا إلى الأمير ذي الشرفين عليه السلام وعرفوه بإغفال الكتاب عتب ذلك ولا مهم فيما هنالك . وبهذا السبب خرجت هذه المواضع من يد الأمير ذي الشرفين عليه السلام ولو ظهر الكتاب ما كان فيها مراجعة ولا كلامٌ لشهوة أحمد بن مظفر للصالح والالتزام .

رجع الحديث / إلى ذكر فصلٍ تأخر وكان موضعه عند ذكر الغارة إلى أقر . [م ق 100]

قال : ولما فسدت العشائر أظهرت بنو الدعام على الشريف سنان الدولة وركنها الخلاف واستدنوا أهل الفساد من نهم ودبة وصناف خرج من عندهم الشريف الأجل سنان الدولة وركنها بعد أن كان منهم ما كان بنفسه وحريمه إلى ناحية عيان . ثم استدعوا بني الصليحي فلما صاروا بالظاهر وأجمعت معهم العشائر أقبلوا إلى ذروة وبها السلطان الحسين بن إبراهيم فطلعوها من ناحية القبلة ونزل السلطان وأصحابه من ناحية مجزر⁽¹⁾ فصار إلى قرية أكانط ثم تم بنو الصليحي على مخرجهم حتى حطوا بحوث ثم نهضوا إلى المغرب فحط أميرهم بالغازية⁽²⁾ فيمن ثقل من العسكر وتقدمت خيله فأغارت بأقر فاستشهد ذلك اليوم الشريف سليمان بن إبراهيم رحمة الله عليه ، وجرح الشريف ليث الدولة وعضدها حميدان بن القاسم بجراحات كثيرة ، ومن الله بسلامته وقطعت يد رجل من الشيعة يقال له : حمير بن أبي الصيد . واستعادوا من فورهم . قال : وكان الأمير ذو الشرفين قد كاتب الشرفاء بني حسن بتهامة ؛ فاستنهضهم وكان قد عنده منهم خيل عظيمة وكان قد هم بالهجمة على ذلك العسكر فسبقوا بالغارة إلى أقر فلما ولّوا رائجين استعاد السلطان الحسين بن إبراهيم والتأم إليه من التأم من المشرق والصيد فطلعوا ذروة فأنزلوا من كان فيها من الديوان وسلبوهم وكرهوا قتلهم لأن أكثرهم من همدان وأخربوها فهي خراب إلى هذا الزمان .

قال مفرح بن أحمد : كنت قد وصلت إلى حضرة الأمير ذي الشرفين قبل هذه الحوادث بأيام فقال لي : يا أبا فلان ! أنا أشتهي أن تواجه لي ذينك السلطانين وتعرض عليهما مني أحد ثلاث خصال إما أن يقاسوا معي ويشهروا أنفسهم بحال يفعلونه في عدوي ففعلت لهم ما يحبون وأسعفت لهم ما يطلبون ولم اختر عليهم

(1) مجزر : قرية في الجوف من بلاد نهم . الحجري : مجموع بلدان اليمن ، ج 4 ص 689 .
(2) العادية : قرية من قرى ظليمة . الجرמוزي ، النبذة المشيرة ، ص 21 . وغازية : قرية من ناحية صوير بعد 12 كم جنوب غرب شهارة وتقع ما بين : 58° 06' 16" شمالاً ، 25° 37' 43" شرقاً .
خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1643D3 .

أحداً من الناس وأعقد لهم ما كان يمكن عقده . أو الثانية إن لم يفعلوا هذه الأولة كانوا يميلون مني ولا يبينون مع عدوي ولا يشبروني ولا أشبرهم فإن كرهوا هاتين الخصلتين فيعلموا أن الثالثة قصدي إليهم دون العشائر ودون آل الصليحي . وأقسم عليه السلام : ما أخشى إلا أن يُسار فيهم بغير ما أشتهي بما ظهر على أفواه الناس من الكلام ؛ وقد استعنت عليهم بمشايع سفيان وكاتبت بذلك أيضاً صناف وذيبيان وأشهدتُ الله عليهم وكفى بالله شهيداً . قال : فصادف وصولي إليهم خروج بني الصليحي وقد أبلغت الكلام إلى نُبّاة بن ربيع الدُعامي فتحدّث به مع مقدمات آل الدُعام < > (*) الصليحي قد وعدوهم ببناء درب ومادة شيء من المال !!

* * * *

تمّ المختصر من كتاب السيرة بمنّ الله وعونه .
والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلّم تسليماً .
في شهر ذي الحجة آخر شهور سنة 1026 هـ .

(*) بياض في الأصل .

الملاحق

نصوص من تاريخ مسلم الحجى

نصّان من كتابين للمتوكل على الله أحمد بن سليمان

كتاب « بيان الإشكال » لحميدان بن يحيى

الملحق الأول

نصوص من « تاريخ » مسلم اللحجي

عن أشرف آل القاسم والشيعة الحسينية

- 1 -

.. وقد⁽¹⁾ ذكر مفرح بن أحمد الربيعي في كتاب سيرة آل القاسم الحسينيين⁽²⁾ بشهارة أن وقعة حاز هذه من آخر وقعة كانت بين الصليحي وهمدان . وفيها قُتل آخر من بقي من فرسانهم ورجالهم المنظور إليهم نحو علي بن ذعفان الحمادي وقيس بن وهيب ؛ وذلك في سنة ثمان وأربعين وأربعمائة .

قال⁽³⁾ : وفيها حصر الصليحي القاسم بن جعفر بن القاسم بن علي الرستي وأهل بيته بهراة من بلاد وادعة فأسرهم ومن عليهم . فطفئت جمرة الحروب عنه ولم يبق عليه معترض ففعل ما شاء .

- 2 -

قصة حصار عرد

قال⁽⁴⁾ : كان الصليحي قد أسر ملوك اليمن فكانوا حول ركابه لا يفارقونه خوفاً من الخلاف منهم عليه . واستصحب من رؤساء الناس وأجلاهم من لا بال <له>

(1) تاريخ مسلم م 4/ص 19 - 20 . في ترجمة القاضي تبع بن المسلم « القاضي بحوث من البون ، وعلامة همدان في عصره ، وأحد شيوخ الزيدية المشهورين بالعلم والعمل وكثير من الفضائل » . وقارن عنه طبقات الزيدية ليحيى بن الحسين ، ص 77 ، ومطلع البدور لابن أبي الرجال م 1/ص 261 - 262 .

(2) نص مفرح في السيرة ، ق 13 أ - 13 ب .

(3) اختصر مسلم اللحجي هنا نص مفرح الطويل في السيرة ، ق 13 ب وما بعدها .

(4) تاريخ مسلم ، م 4/ص 177 - 178 ، أثناء ترجمة الشيخ إبراهيم بن علي الضامي (- 516 هـ) ؛ وقارن عنه بيحيى بن الحسين : طبقات الزيدية ، ص 75 . والحديث عن إخضاع الصليحي لآل =

ممن وراءه من قومه . وكان أمر عدد همدان وعنس والأبناء وبلحارث وبني شهاب وفراساتهم ورجلتهم مهمة ومُشجّية فلم يُبقِ أحداً يُهمُّه من أغيار الناس ورجالهم إلاّ حملهم على الخروج معه في سفره ذلك . وكان ذلك من مكائده لرجال اليمن وتعمُّله في استئصال شأفة الأماثل منهم . وذلك أنّ السواء - وهي القلعة التي لجأ إليها الكرنديون - وكذلك السمدان من حصونهم أيضاً وقلاعهم بين أودية مُحَمّة المياه والأهوية ممغنة لا يُشكُّ في أنها تأتي على أهل البلاد النجدية من اليمن كصنعاء وصعدة وذمار وما يُواليها منها وتُهلكُهم فكذاك على أهل الجبال العالية .

قال : فخرج معه نقاوة الناس وخيارهم فلم ينقلب من سفره ذلك بأحدٍ يَكْبُرُ عليه أمرُهُ بل مرضوا وماتوا . وأحسبُهُ ذكر أنّ منهم مَنْ مات هناك ، ومنهم مَنْ مات في بلده . وكان الصُّليحي لا يكثرُ للبلاد الوبيّة والمياه والمحَمّة لأنه نشأ في بلدٍ من ناحية الأخرى من أعمال حَراز كأخبث ما يكون في ذلك .

وأخبرني مالك وغيره أنّ الصُّليحي خرج يومئذٍ فيمن خرج به معه من الملوك الأمير الشريف جعفر بن القاسم بن علي بن عبد الله بن محمد بن القاسم بن إبراهيم الحسني الرّسّي فغدر به في الأمان الذي عقده للكرنديين على يده وبوساطته فعظم عليه ما ركبه من ذلك وأخذته الحسرة فيقالُ إنه مات في مُنصرَفه أسفاً بصنعاء . وأحسبُ هذا مما ذكره مفرّح بن أحمد الربيعي في سِيرِهِ لآل القاسم بشهارة أيام دولتهم بعد ذلك⁽¹⁾ . وذكر أنه كان ذلك سنة خمسين وأربعمائة . وهي الوسطى فيما أرى من سنيّ المجاعة المعروفة بسنيّ دَحْنان < . . . > .

وهذا مع ما ذكر في الأخبار من إعظام الصُّليحي لجعفر بن القاسم وأنه في مقامه عنده ما سبقه إلى صباحٍ قطّ بل يسبقه الصُّليحي فيُصَبِّحه قبل⁽²⁾

- 3 -

قال [أبو الخير أحمد بن عبد السلام بن أبي يحيى] : كان الأشراف من آل

= الكرندي ؛ وقارن بحسين بن فيض الله الهمداني : الصليحيون ، ص 85 .

(1) هذا الخبر ليس في مختصر السيرة الذي بين أيدينا . وخبر موت جعفر بن القاسم في السيرة ، ق 21 ب .

(2) هذا الخبر ليس في مختصر السيرة .

القاسم قد حصروا بني الصُّليحي والزواحي وأعوانهم بصنعاء وشبام⁽¹⁾ فأخبرني غير واحدٍ منهم مالك بن عبد الله ويوسف بن الذؤيب المعروف بمسعود - وكان من عباد أهل الظاهر وأعفاء الحسينية وأهل الورع وَمَنْ يُمَالُ إلى تصديق خبره في هذا ومثله - أَنَّ الأشراف أخذوا على أهل الدعوة الصليحية أقطار البلاد يومئذٍ ؛ فكان بعضهم في قلعة ثُلا يحصُرُ مَنْ بكوكبان وشبام ، وبعضهم بيناع وحضور ، وبعضهم بالمعلل ثم بقرن عتتر يحصُرُ بيت بوس وصنعاء وَمَنْ بها ، وبعضهم بمشارك صنعاء يحصرونها . فكان منهم مَنْ هو بالمقطوع من جبل كَيْن . ومنهم مَنْ هو بيقج من جبال التناغم ونواحي السَّرَّ والمشرق⁽²⁾ وإنَّ الأشراف طمعوا بالفتح فضايقوهم في الحصار حتَّى لم يكن يوجد إلى الطعام سبيل ولا وجه⁽³⁾ . واعتقدوا أَنَّ هلاكهم يُستباح معه كُلُّ محظور فضايقوا أيضاً مَنْ تحت أيديهم وفي مملكتهم من القبائل في الجباء حتَّى أمروا بأخذ تسعة⁽⁴⁾ أعشار أموالهم ! وقد ذكر العلة في ذلك وإباحته مفرَّح بن أحمد الربيعي في كتاب سيرة آل القاسم وأخبار دولتهم بشهارة مفصَّلاً⁽⁵⁾ .

فأخبرني القاضي أحمد بن عبد السلام بن أبي يحيى : لم يزل ذلك كذلك حتَّى نظر الشريفان القاسم ومحمد ابنا جعفر بن القاسم بن علي في ديوان دَخَلهما وخرَجهما فوجدا ما يدخل سو من سبعين ألفاً وما يخرج نحو من مائة ألف وأربعين ألفاً أو أكثر ! فأيقنا بتعذُّر الأمر واختلال الحال . فانصرف مَنْ بسنحان منهما < و > بمسور إلى شهارة ، وكتب إلى أهل حضور والقلاع والعُمال في البلاد بالانصراف < فانصرفوا > معاً في ليلةٍ واحدةٍ .

(1) تاريخ مسلَّم ، م 4/ص 190 - 192 . ويأتي هذا النصُّ في ثانيا ترجمة مسلَّم للشيخ إبراهيم بن علي الضامي (- 516 هـ) . وقد نقل عنه هذه الترجمة مختصرة يحيى بن الحسين في طبقات الزيدية ، ص 75 .

(2) النص أيضاً في لواحق الحقائق الوردية ص 179 . وهو ليس في مختصر السيرة فربما نقله مسلَّم عن السيرة ، وليس عن مختصرها .

(3) قارن بالسيرة ، ق 66 ب - 67 أ .

(4) في لواحق الحقائق ، ص 179 ، وأنباء الزمن م 1/ص 165 : سبعة أعشار .

(5) ذكر مفرَّح في السيرة ، ق 10 أ فتوى عن المهدي الحسين بن القاسم في جواز ذلك عند الضرورة ، لكنه لم يذكر أَنَّ الشريفين فعلاً ذلك .

ذكر مفرح بن أحمد الربيعي في « السيرة » : أنهم انصرفوا من ثلاثين حصناً⁽¹⁾ . فلهذا عُرِفَت هذه المجاعة بمجاعة عنتر . وقرن عنتر أكمة معروفة بأرض بني شهاب في شرقيّ المعلل عالية مُطَلَّة على قلعة بيت بوس وقاع صنعاء > وتُسمَّى الآن بظفار < . قال القاضي أحمد بن عبد السلام : فأخبرتني الحرة الملكة السيدة بنت أحمد الصليحية أنهم حين استرخى الخناق بهم لانقضاء الحصار ؛ وقسم المكرم الملك الصليحي - وهو بعُلاًها - البلاد بين الحجاز من جنده فرضاً من جراياهم ووظائفهم فرحوا بالانفكاك > عن صنعاء < إلى دواخل اليمن فقصدوا مخلاف جعفر ونزلوا مدينة ذي جبلة . قال ؛ فقالت : يا قاضي ! ما خرجت يومئذ صليحية وفي أذنها خرص إلا الصُفر لشدة ما احتاجوا إليه من النفقة ، وعظيم ما نزل بهم من الفاقة في تلك المُدة (*) !

قال الشيخ مسلم بن محمد رحمه الله : أظنُّ أنا أن إبراهيم رحمه الله أخبرني بما يدلُّ على أن قدومه البلدَ عندنا أول مرة كان قبل ذلك لأنَّ في أخباره ما يدلُّ على أن طلوع الأشراف مع الأمير محمد بن القاسم بن جعفر جبل شَظَب المرة الأولى وقتلهم لأهل رأس الجبل كان وقد صار في البلد مَنْ يتشيع لأنهم إنما جذبوهم إلى جبلهم هذا طلباً لطرد عمال الصليحيين عنه . وذلك أن في خبر إبراهيم رحمه الله وفيما سُورِدُ منه أن أول معرفته من أهل جبل شَظَب كان بالدرهمي بن جعفر رحمه الله ، وأنه ورد عليه وهو إباضيُّ الاعتقاد فتاب عليه . وأخبرني مَنْ أثقُّ به أن الدرهمي حين سمع بقدوم الأمير محمد بن جعفر - وكان جيشُهُ أتى البلدَ من طريق وادي الثاجة - أقبل حتَّى أشرف من حذاء الماجل المعروف بالجاهليّ غربيّ قري (*) الظهر أو من رأس الجبل ؛ فلما رأى الراية فرح ومد يديه يقول : مرحباً وأهلاً بك يا ابن رسول الله ! فلما صار الجيش إلى أعلى الجبل وضعوا في الناس السيفَ فقتلوا مَنْ قتلوا منهم !

(1) الخبر عن الانسحاب موجز جداً في مختصر السيرة ، ق 68 ب - 69 أ . فربما نقل مسلم عن السيرة الأصلية .

(*) الكلمة غير واضحة في الأصل ، وربما كانت : قرن .

الشريفان القاسم بن جعفر وحمزة بن أبي هاشم^(١)

هما القاسم بن جعفر بن القاسم بن علي بن عبد الله بن محمد بن القاسم بن إبراهيم ، وحمزة بن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم . لم يكن في زمانهما من آل رسول الله صلى الله عليه وآله عليه أحد أقوم منها بعبادة الله تعالى فيما بلغني ولا أشد غضباً لله على أهل المعاصي . وكان القاسم أعلاهما عند الناس درجةً في ذلك . ولولا ما كان ينفر عنه العامة من أشياء كانت منه نحو اعتقاده حياة الحسين بن القاسم بعد اعتقاده لقتله ، وزعارة خلقي في مواضع قدّر بما < > (*) فيها طاعة لله ويأتي الأمر بخلاف ذلك . ومساعدته في أخذ الأموال أيام حربه الصليحيين والقيام عليهم حتى ضجّ منه الناس وندموا على < > (**) الأصلوح ، وعدم الأعوان الصالحين ، هذا ونحوه لما عدل به ولا < > (***) عنه ؛ وإن كان وحيداً في قرنه وأقرانه ورجاله وزمانه معدوم المثل < على > كل حال .

فأما ما نفر عنه من خلقه فنحو ما أخبرني به بعض شيوخ الزيديين عن عبد الأعلى بن عبيد الله قال (****) : أقبل الشريف القاسم بن جعفر في سنة قرن عتريريد حصر بني الصليحي بصنعاء فتلقياه الناس إلى عجيب ، وكنت من أشد من علمت فرحاً به وسروراً بمقدمه < > (*****) وإخلاصاً في حبه وحُب آبائه وأهل بيته . فحملني ذلك على كلام < > (*****) حين رأيته لا لطمع ولا رياء ؛ فقلت : فعل الله لك وصنع - ودعوت من الخير بما عرفت . ثم

(١) تاريخ مسلم م 4/ص 208 - 213 .

(*) كلمة غير مقروءة .

(**) كلمتان غير مقروءتين .

(***) كلمة غير مقروءة .

(****) في الأصل : قال قال .

(*****) كلمتان غير مفهومتين في الأصل بسبب سوء التصوير .

(*****) كلمة غير مفهومة .

قلت : أصيبتَ الإيمان ، وأطعتَ الرحمن ، وعصيتَ الشيطان ، وأقمتَ القرآن !
فقبض قبضةً من ترابٍ وحصيً فضرب بها وجهي فوقعت في عيني فما علمتُ أين أنا
ولا أحسنتُ إلى الرجوع من مكاني سبيلاً ! وقال ، قال النبي صلى الله عليه : أحثوا
في وجوه المدّاحين التراب ! فانصرفْتُ سيء الظنّ متغيّر القلب .

وأما اعتقاده حياة الحسين بعد الاعتقاد < بموته > (*) فهو ما أخبرني به
بعض أصحابه المخلصين بعد الاعتقاد في محبته على وجه القول بذلك والحجة
على صحته ، وهو يوسف بن الذؤيب المعروف < بالمسعود > (**) وقد ذكرتُ
صفته وهذا الحديث فيما تقدّم⁽¹⁾ . قال : كنتُ أرى أنّ < الحسين > بن القاسم
قد قُتل حتّى صحبتُ الشريف القاسم بن جعفر ؛ وكان مستحقاً للإمامة > لكنه
لم < يدعُ إلى بيعة ! فذكرتُ ذلك له فقال : يا جُعِلْتُ فداك ! قد كنتُ أرى
> هذا < وأعتقده حتّى جاءت الشهادة العادلة فأزاحت الشهادة الباطلة أو قال
> < الباطلة ؛ حلف مدرك بن إسماعيل سبعين يميناً ، وذبح سبعين كبشاً
أنه مرّ به منصرفاً من وقعة ذي عرار⁽²⁾ حياً سويّاً . فذكر الخبر الذي تتداوله الحسينية
إلى الآن في حياته .

وأما المساعدة في أخذ الأموال فهو ما قد اشتهر في هذا الحصار في سنة قرن
عنتر ، وما قد احتجّ على إباحته مفرّح < بن أحمد > في سيرة آل القاسم أيام
دوامهم بشهارة ، وأنه يجوز أخذ تسعة < أعشار > أموال الناس عند خروج
القرامطة . وهذا قد سطره في هذه < السيرة > فلا وجه للإطالة في نسّخه
ها هنا⁽³⁾ .

وأما عدم الأعوان فأقلّ ما في < > مع ما أدركنا في باقي دولتهم ما

(*) كلمة ممحوة في التصوير .

(**) كلمة ممحوة في التصوير .

(1) ذكره مسلم من قبل ؛ قارن بالنص رقم 3 . كما ذكره في م 4/ص 15 وقال : إنه من ظاهر بين
خريم بن وادعة ، « وكان ممن صحبت الشريف القاسم بن جعفر بن القاسم بن علي الرسي » .

(2) يرد اسم المكان هكذا في المصادر التي بين أيدينا . فيراجع ضبط الأستاذ مادلونج السابق بوصفه :
ذو عرر (?) .

(3) قارن بما سبق .

أخبرني به العطافي بن الموحم (?) شيخ من أهل (?) (*) بشطب ، وكان ممن يوثق بصدقه ؛ قال : بُعثنا في أصحاب الشريفين < القاسم > ابني جعفر أيام سلطانهما علينا إلى غزير أود من بلد حمير < فكنت > (**) في رفقة قوم يروغني صبرهم على الصلاة والوضوء لها في تلك الأرض < . . . > ذلك الوقت من شدة البرد . لقد كنت أراهم يُصَبِّحون يتوضَّؤون بماءٍ يحرق إحراق النار (?) فتتشقق أطرافهم وهم يصبرون وهي جامدة ، فإذا طلعت الشمس سالت بالدم ! قال : فانتبهنا إلى موضعٍ من تلك المواضع فوضعوا أيديهم في النهب والسلب . فأشهد لقد رأيتُ منهم من يأتي إلى المرأة فيُدْخِلُ يده تحت ثيابها فيجلبها في صدرها ورقبتها وحيث أحب < . . . > (***) الحلي وما يكون على بدنِها وما تخبُّهُ تحت ثيابها من نحو ذلك ؛ وهو غاضٌ بصره عنها أو مُلتفتٌ إلى خلف لا يستحلُّ النظر إليها !

فهذا مما جاء في أهل الديانة منهم فضلاً ممن كان فيهم من المؤلفة والفسقة والمجاهرين بالمعصية ! إلا أن أهل اليمن لما أوقع الصليحي بهمدان في صوف ، وقتل أبا حاشد يحيى بن أبي حاشد بن الضحَّاك وأصحابه فرعوا إلى آل رسول الله صلى الله عليه فلم يُصيبوا أفضل من القاسم بن جعفر ، وحمزة بن أبي هاشم . ذكر ذلك مفرَّح بن أحمد الربيعي في السيرة⁽¹⁾ .

ومما يُعرف به القاسم بن جعفر من الغضب لله مع قيامه على الصليحيين مرةً بعد أخرى أنهم لما صاروا إلى شهارة في شهر رمضان سنة ستين وأربعمائة ، وذلك بعد قتل علي بن محمد الصليحي وعجز المكرم ابنه وسائر ملوك الدعوة الصليحية عن الظفر بهم وقتلهم حاشد بن كديس و < جولة > (****) بن محمد - وهما من سلاطينهم - بالرحبة من نجد الحبلة تحت شهارة ، وهزمهم هزيمةً بعد أخرى لبثوا

(*) كلمة غير مقروءة بالأصل .

(**) كلمة غير مقروءة في الأصل .

(***) كلمة غير مقروءة ربما كانت : يأخذ .

(****) كلمة غير مفهومة بالأصل . وفي السيرة ق 42 : حولة بن محمد .

(1) ذكر مفرَّح ذلك في السيرة ، ق 6 ب - 7 أ .

إلى سنة ثلاثٍ وستين ، ودعا جعفر بن الحسن الشَّمَّري^(١) وخطب للصليحيين على منبر الهادي إلى الحقِّ يحيى بن الحسين عليهما السَّلام ؛ فقبض على الشَّمَّري ورجع به إلى شهارة فلبث في سجنها إلى سنة سبعين وأربعمائة(*) . وأظهر النكرة < > فيما صنع حتى مُدح بذلك . وقد قيل فيه الشعر . قال مفرَّح بن أحمد الربعي^(٢) :

قُدْنَا من الجبل المنيع جِيادنا	أُرُنَّ الأَعِنَّة كالصخور صِلادنا
فمضين شعثاً كالعشار بَوادنا	وسلكن شُرْقاً كالظباء سَوَاهِما
يتبعن أشمط هاشمٍ وهُمَامَها	نجل الأئمة ذا المهابة قاسما
الماجد الورعَ التقيَّ الزاهد	البرَّ الكميَّ البرهميَّ العالِما ^(٣)
يقصدن ^(٤) هجرة جدُّنا الهادي به ^(٥)	أكرم بهاديه إليها قادمَا
< وتحوط ساكنها فلماً > ^(٦) استعملت	سَكَّان صعدة رأيتها المتفاقما
ودعا المغلغ ^(٧) فوق منبر جدُّنا	قُدْنَا إليها المأقَطَ المتلاحما
فرجعن بالأسرى وكنَّ مُرادنا	دُون الغنائم والإياب غنائما

ذكره مفرَّح في السيرة^(٨) .

وأخبرني القاضي أبو الحسين أحمد بن عبد السلام بن أبي يحيى بصنعاء قال : كان سبب جرأة الأشراف بشهارة على الصليحيين < > (***) صاروا

(*) فوق السطر تسع وستين .

(**) كلمة غير مفهومة في الأصل .

(١) الخبر عند مفرَّح في السيرة ، ق 48 ب - 50 أ .

(٢) السيرة ، ق 48 ب - 50 أ .

(٣) في السيرة : الزاهد الورع التقي الفاضل البر الزكي البرهمي العالم .

(٤) في السيرة : فدخلن .

(٥) في السيرة : بنا .

(٦) ما بين القوسين ساقط في الأصل ، عن السيرة .

(٧) في السيرة : المملغ .

(٨) السيرة ، ق 48 ب - 50 أ .

بشهارة بعد قتل علي بن محمد الصليحي بالمهجم ، وظفر ابنه < المكرم > (*)
أحمد بن < علي > على الحبشة ؛ قصدوا⁽⁸⁾ إلى شهارة مع المكرم في ملوك
الدعوة الصليحية وهو بشظب (?) فأقبل حتى نزل بموضع تحت شهارة يقال له
أوي . ونزل أحمد بن المظفر بجبل يقال له أبو الجبجب^(**) (?) . ونزل عامر ابن
سليمان الزواحي ناحية أخرى . وقيل : نزل حاشد بن كديس وجولة بن محمد
الصليحيان بنجد الحبل بموضع يقال له : الرخبة فأحاطوا بجبلي شهارة من كل
جهة . فقسم الأمير جعفر بن القاسم الرسي الأشراف والشيعة ثلاثة أقسام مائة
مائة ، وأصبح كل فرقة^(***) (?) من دفوف وطبل وغيره < >^(****) كل
طائفة منهم طائفة من الصليحيين وجيوشهم فقتل حاشد وجولة وكثيرين من جيشيهما
وانهزم باقيهم فانهزم سائر الملوك والعساكر أقبح هزيمة ، وقتل من لحق منهم . فلما
كانت لذلك سنة أو نحوها جهز المكرم جيشاً آخر وقصد شهارة فانتهى إلى موضع
تحتها يقال له أقر . ثم لم يلبث أن انصرف . وفي السنة الثالثة أقبل كذلك فانتهى
إلى ظاهر بني صريم من وادعة .

ثم حاد الأشراف فكان حده وحد أهل دعوته من أسفل < . . . >^(*****)
من ناحية ريذة من البون الأسفل فيمناً . وحد الأشراف وشيعتهم من أعلى عجيب
فشاماً⁽¹⁾ .

وأخبرني القاضي أحمد بن عبد السلام بن أبي يحيى ، قال الشريف

(*) عن الهامش الأيسر .

(**) في الأصل : أبو الحنجف .

(***) كلمة غير مفهومة في الأصل .

(****) كلمة ممحوة في الأصل .

(*****) كلمة ممحوة ربما كانت : عجيب .

(1) خبر حصار شهارة في السيرة ، ق 37 وما بعدها .

(2) ذكر صاحب مختصر السيرة ، ق 98 وما بعدها أخبار مصالحات الأشراف مع الصليحيين مجموعة .

وفي الهامش الأيسر هنا في الأصل : وقد صالح الناصر عليه (السلام) بني حوال على هذه الحدود ،

ذكره مفرح . وقارن بسيرة مفرح ، ق 98 .

جعفر بن القاسم : أما إنني سأفقرُ بني الصُّليحي فأما القتل لهم فلا أُصلُ إليه ! فتحرك لذلك بعد أن استقرَّ الأشراف وشيعتهم بشهارة فصادفت حركته مجاعةً شديدةً أتت على صنعاء وأعمالها خاصّةً وعلى اليمن عامّةً فسَلَّمت إليه أعمال صنعاء ما في أيديها من الجبال والحصون وبقي بيت بوس بأيدي الصليحيين فلزم أصحاب القاسم بن جعفر جبلاً فوقه يُعرفُ بقرن عتتر ، وحصرهم من ثَمَّ ومن مقطوع < . . . > . وكانت في طاعته < > الفتوح وخولان العالية . وعسكر بعض أصحابه بجبل تنعمة والسرّ والمشرق كلّهُ . وبعضهم عسكر بناحية ثُلا < > الزواحين بشبام وكوكبان . وبني ابن عمّه الحسن بن إبراهيم بن سليمان بن القاسم بن علي جبل ثُلا ؛ وهو أولُ مَنْ بناه ؛ فضايقوهم بصنعاء وشبام حتّى آذاهم ذلك بعد أن نال منهم الحصار إلى الهروب عن صنعاء إلى ذي جبلة ؛ وقد صار في آذان نساء الصليحيين أخراص الصُّفر ، وبيعت الآلات والنيات والمراكب وحُلِيّ الأسلحة وغير ذلك⁽¹⁾ .

وكان من سبب ذلك أيضاً أنّ قبائل مشرق همدان من عُذر وذبيان ونحوها كانت قد أقبلت إلى المكرّم فحلفت على السمع والطاعة وحرب الأشراف ، ولم يكن في خزانته ما يُعطِيهم إِيَّاه فضرب لهم قدر صُفرٍ دنانير واحتيل على تلوينها صبغةً < > (*) ، وكان العطاء أربعةً أربعةً . فأخذوا عطاءهم ورجعوا على طاعته حتّى أتوا سوق حدفان من الرحبة فتقدّم بعضُ مشايخهم بدينارٍ مما معه < > (**) صوفٍ استرخصه فأعطاه البيع فردّه ثم أعطاه آخر فردّه ثم ثالثاً فردّه حتّى ردّ ما معه ! فقال : كيف تردّ دينار مولانا ؟! فأدنوه من أنفه فشَمَّ رائحة الصُّفر ! فالتفت إلى أصحابه فأخبرهم فجعل كلٌّ ينظر فيما معه من تلك الدنانير ويرمي به . ثم انصرفوا غَضاباً على المكرّم وكانوا بعدُ من أشدّ أعوان القاسم عليه .

قال⁽²⁾ : وإنّ القاسم ومحمداً ابني جعفر نظرا في أمر البلاد والحصون التي

(*) كلمة غير مقروءة .

(**) كلمة غير مقروءة .

(1) قارن ذلك بإيجاز في السيرة ، ق 66 ب - ق 67 أ .

(2) قارن بالسيرة ، ق 67 ب - 68 أ .

بأيديهما - وكانت نحواً من ثلاثين قلعة - ومما يدخل عليهما من جبايات البلاد ؛ وكان ما يؤخذ من أكثر الناس نحواً من ثلاثة أرباع أموالهم إلى ما يوجد من الأعشار وما يُصطفى من الصوافي - فوجدا النفقة في كل يوم سبعين ألف دينار ، وما يحصل من جبايات البلاد وما يُجبي من سائر الأموال سبعين ألف دينار في السنة ! فسقط في أيديهما وأيقنا بالهلاك لمن معهما فأخفيا الأمر وكتبوا في ليلة واحدة إلى جميع النواحي يأمران أصحابهما بالتخلي عن المراكز والعساكر والقلاع ، والتخلص بالحيلة إليهما . وكان بمسور المتتاب فقلدا أمر البلد المنصور بن الحسين بن المتتاب ، وأودعاه الحريم وانسلّا حتى هبطا بطن شرس ؛ وأدرك من علم بهزيمتهم من أصحابهما فنهبا نفر وقتل آخرون . فصارا إلى جبل شهارة فأقاما به ولحق بهما أصحابهما . فكانت مدة كرتهما هذه ثلاثين شهراً .

وأخبرني القاضي أحمد بن عبد السلام بن أبي يحيى أن القاسم بن جعفر كتب إلى أحمد بن المظفر الصليحي وهم بصنعاء في أيام المكرّم بها ، وبعث بالمكاتبة رسولاً ؛ وكان ذلك في أيام حركته في بلاد همدان الشمالية وما يُواليها يطلب القيام إلى الأصلوح . فقال له الرسول : أين أجدكم عند رجوعي ؟ قال : إسأل أحمد بن المظفر عني ! وكان كبير القوم ومجرّبهم للأمور ، وأخبر بالناس منهم . فلما < وصل > الرسول صنعاء وأخذ الردّ < وأراد > الرجوع ، قال لأحمد بن المظفر : أين أجد الشريف القاسم ؟ قال : ولم تسألني عنه ؟ قال : أمرني بذلك ! فضحك وقال : إنه شيطان ! ثم قال : أتاني الثقة بأنه تغذى أمس ببني فلان ، وأمسى البارحة بمكان كذا ، وهو اليوم بناحية كذا ، وتجده غداً إن شاء الله عند بني فلان بمكان كذا ! فانصرف فأصابه حيث قال ! وهذا يدل على دهاء الرجلين ، وعلى قلة أمانة أهل العصر ، وقلة حبّهم للدين ، وتقربهم إلى الملوك للطمع .

فأخبرني مالك بن عبد الله بن الكناس المطعمي - وأحسب أنني سمعت ذلك

(1) القصة في مختصر السيرة ، ق 99 . وقارن باللواحق للحدائق الوردية ، ص 181 .

من يوسف بن الذؤيب مسعود عندنا وغيرهما ، ولعلّه في السيرة < لمفرّح > ⁽¹⁾ ،
أنّ أحمد بن المظفر الصليحي وأصحابه منّوا النهميين حيث هبط القاسم بن جعفر
الجوف الأسفل لعمارة غيل عمران ؛ وكانوا كارهين لذلك ؛ على قتله شيئاً . فلما
قتلوه جاءوا إليه للثوب فأنكر عليهم وقال : تقتلون ولد رسول الله صلى الله عليه ،
وتطلبون منا عليه المكافأة ؟ ! اذهبوا ! فذهبوا وقد ندموا .

— 5 —

< من ترجمة جُشيم بن عبد الله البَحيري > ⁽²⁾

. . . وبلغني عنه أنه كان يرى رأي الزيدية . وكان قد اتخذ كثيراً من مخالفيهم
مساخر ومطاعن في دين من ينتسبون إليه . وكان يُولّع بجهال الحسينية الذين
يعتقدون حياة الحسين وأنه لا يموت حتّى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ،
ويكون هو المهدي المبشّر به .

. . . وأخبرني غير واحدٍ من الثقات منهم أسعد بن عبد الفاضل العبيدي
رحمه الله - وقد ذكرتُ فضله في الديانة والأمانة - عن مشايخه رحمهم الله أن رجلاً
بالجوف الأعلى كان يُعدُّ آلة الصلاة ويستجيدُها ؛ فيُعدُّ القناع الأبيض الجيد ودُّرَاعَةً
بيضاء جيدة للصلاة وكرّاً (?) حسناً ومشعلاً جيداً حتّى يروقَ منظره ذلك منه
الناظرين . ولم يكن يُسمَعُ منه بعدُ ما يُعرفُ به علمُهُ أو جهلُهُ ولا مقدار عقله . ثم إنَّ
جُشيماً جعله من باله ؛ وقد رأى شمائله وتفرّس فيه الجهل حتّى أصابَ فرصةً في
سؤاله فسأله عن النبي صلى الله عليه أحسنُ أم حُسيني ؟ ! فقال : بل حَسَنِي ! لأنه
من عشيرة أمّهدي ! يريد المهدي ، ويعني به الحسين بن القاسم !

قال . فلما رأى جُشيم ذلك قال . فأخبرني : الله أقديمُ أم عليّ بن أبي طالب ؟

(1) هذا الخبر ليس في مختصر السيرة . وهو عن مسلم في لواحق الحقائق الوردية ، ص 181 ، واللائي
المضية م 2/ص 178 ، ولاحظ الشرفي أنّ مفرّحاً لم يورده في السيرة . وفي غاية الأمانى 1/268 :
ويقال : إن المعامل على قتله هو المكرم أحمد بن علي الصليحي ، والله أعلم .

(2) تاريخ مسلم ، م 4/ص 39 - 42 . في ترجمة جُشيم بن عبد الله البَحيري « وبحير بن صناف بن
سفيان بن أرحب . . . وكان رجلاً شاعراً له نوادر قوية المعاني » .

قال : بل الله وإن تنظر فمن يذكر زمان صفين ! فكأنه شك بعد لهذا السبب .
وقالوا : فعند ذلك قال جُشيم قصيدةً فيها من جيد شعره أولها :
الدين ثوبٌ نفيسٌ ليس يُبتذلُ
ثم قال :

مالي أرى < معشراً > بيضاً ثيابهم ومن قلوبهم بالميل يُكتحلُ
مخلاتُهُ من لحاف الصوف مفعمةً وقلْبُهُ من معاني دينه عطلُ
وأخبرني أسعد أيضاً عن مشايخه قال : أصابت الناس مجاعةً ولبني
< بحير > مولى له عيالٌ وبه فقرٌ وحاجة . فغلب على ظنه أنه يعيش بالحيلة على
ذلك الرجل الذي ذكرتُ خبره مع جُشيم ها هنا ، وذكرتُ قوله < إن > النبيَّ
حَسَنِي ! لأنه من عشيرة أمّ هدي ! أو قال : من قرابته ، وهو آخر مثله إلا أن الأقوى
في ظني أنه هو . فأتى ذلك المولى جُشيماً فأخبره بغيرضه ذلك ، ونلتة (?) فيه وسأله
عارية ثيابٍ يخدمُهُ بها فأعاره ذلك ، وأعاره سيفاً ودرقةً . وكان منزل ذلك الرجل
منتحياً عن مسجد القرية أو موضع مصلى له ، وبينه وبين موضع مصلاه موضع يكمن
فيه الرجل . فلبس المولى الثياب والسلاح - وأحسبُهُ قال : أخذ في يده مشعلاً ،
وقعد في ذلك الموضع . فلما انصرف الرجل من صلاة العشاء مرَّ به فقام في وجهه
وسلم عليه ولم يدن منه وقال : أنا رسولُ المهدي لدين الله الحسين بن القاسم
صلواتُ الله عليه إليك وهو بموضع شُعْب كبل (?) ومعه طائفةٌ من أصحابه منهم
عيسى بن مريم عليه السلام والخضر . ثم أخذ في خدعه بما يكون كالأمارة وإيهام
علم الغيب أو أخبره بأسماء أهله أو بشيءٍ في منزله ونحو هذا < كيما > يرى من
أجله أنه صادقٌ فيما ادّعى . ثم قال : وقد أمرني أن آخذ من بيتك لهم عشاءً وخصك
بهذه الفضيلة لما أنت أهلكه أو نحو هذا الكلام . فانخدع الرجل وبادر حتى ذبح من
غنمه ذبيحةً وأمر بطعامٍ فصنع فكانت منه جفنةٌ جيدةٌ وخرج بها حتى أتى بها
الموضع . فاحتملها المولى وتوجّه بها حيث يُوهمُهُ أنه ليس من أهل البلد فلما وثق
أنه لا يلقاه صار به إلى أهله فأكلوه ، وأصبحت الصُّحفَةُ في صحن دار الرجل .
وأحسبُهُ قد قيل : إنه وجد فيها رائحة طيبٍ عبقّة فقوي تصديقُهُ للأمر . فلما كانت
الليلة المقبلة عاد المولى لمثل ذلك ، وعاد الرجل إلى عمل جفنةٍ أخرى فكان هذا

دأبه حتى جاء الله بالفرج ، وانجلت تلك الشدة .

— 6 —

> محمد بن إبراهيم الصبري : حسيني منه حمس < (١)

... وكان > لمحمد بن إبراهيم بن رقاد < أخ يقال له : إبراهيم كان إلى الضعف عن طبقته . فرأت منه الزيدية نحو ذلك فكرهت جواره . وقد كان لأهل السبق على المكان بوقش شروط معروفة مشهورة على من يجاورهم وذمم من القبائل التي حولهم من بني شهاب وبني مطر وحرثان وغيرهم على النصرة لهم على من يتغلب عليهم في دارهم ممن يكرهون جواره . فكان قد أخرجوا أنصاراً عن جوارهم منهم إبراهيم هذا فصار إلى موضع أعلى من وقش في رأس شعبها يسكنه بنو قيس من بني مطر يقال له : بني عزين . قال محمد : فأقبلنا راجعين أنا وأخي ذات يوم من سوق لدان إلى وقش وقد صحبنا محمد بن إبراهيم الصبري إليها وأحمد وحمزة ابنا الغمر بن أبي الهيثم بن أبي الدعيس بن محمد بن سلمة الشهابيين ؛ وكانا يريدان الإقامة بوقش للتعلم والاسترشاد . فكانا قد استصحبا ما يحتاج إليه للطهور والصلاة والتوقي من البرد والحر وغير ذلك ؛ وفيما معهما زربونان يحملانهما . قال ؛ فقال أخي لأحدهما : ما تريدان بالزربونين يا سلطان ؟ قالا : للتوقي من البرد والتشقق على أقدامنا ! فقال مازحاً معرضاً بابن الصبري : أجبا الحسين بن القاسم تأمنا من ذلك ! قال : فأصغى إليه ابن الصبري كالمعجب بقوله - وكان منخدعاً لهذه الأقوال ونحوها ! قال محمد : فخشيت أن يحفظ ابن الصبري الكلمة ويرجف بها ، ويجعلها من عدته لمذهبه ويزداد بها شراً فقلت لأخي مُسمِعاً لابن الصبري : لو كان هذا يصح لما كانت رجلا محمد - يعني ابن الصبري - على ما ترى من الشقاق ! وقد كان برجليه شيء من التشقق منكر ! فكأنه ارغوى . فكان هذا ورعاً من محمد ابن إبراهيم بن رقاد رحمة الله عليه وحراسة لذلك الموطن من اللعب ، وللدين من أن يُدْغَلَ فيه بدغل > . . . < ، ومن أن يكون بحيث يسمع دخول ظن أو وهم مكروه في قلب جاهل يمكننا إخراجه منه أو دفعه عنه .

(١) تاريخ مسلم ، م ٤ / ص ٢٥٦ - ٢٥٨ . في ترجمة / محمد بن إبراهيم بن رقاد (- ٥١٤ هـ) .

ولعلّ قائلًا يقول : وهل كان مثل هذا القدر من الكلام مما يُخافُ قبوله من ابن الصبري - على أنه من أبناء رجال الدين ، وممن نشأ على الديانة والأدب والفحص والنظر . فعلى هذا نحتاج أن نُوردَ من حكاياته في الانخداع وقلة التحرُّز ، وضعف الحراسة للنفس ، وحكايات مَنْ يحضُّرنا ذكرُّه من أهل مذهبه الذي أظهره من الحسينية ما يدلُّ على صحّة ما قلناه ها هنا عن محمد بن إبراهيم بن رفاد رحمه الله .

أخبرني سعد بن أبي السعود بن أبي ثور الأبهري - وكان من أبناء شيوخ الزيدية وأهل التربية في الدين وهو يومئذٍ شابٌّ ؛ وقد بقي إلى وقت تصنيف هذا الكتاب ؛ وكنا قد تجارينا مثل هذا والتعجب منه والتحير في قبول رجالٍ لمثل هذه الخرافات ! قال ؛ كنتُ في أيام الخريف برّيمة من أرض الأبناء عند صهرٍ لي كنتُ أنا أعرفه من وجوه أهل الدين يقالُ له : سليمان بن سودة . فصادف ذلك أوان خروج الزوّار والحُجاج إلى مكّة والمدينة ؛ قال ؛ فخرجتُ ذات يومٍ عند طلوع الشمس فقعدتُ خارج القرية للدفع بها والحاجُّ يمرُّونَ بحيثُ أرى فعُدل رجلٌ منهم إلى ماء رّيمة فتوضّأ ثم صلّى صلاةً أحسبها الضحى عندهم وانصرف . فخطر ببالي أن أعرف به ما عند ابن الصبري في هذه الخرافات فكتبتُ إليه - وكان في بعض تلك النواحي - كتاباً أخبره فيه أنني رأيتُ أمراً عجيباً ؛ وذلك أنني كنتُ في مكانٍ كذا فلم أشعرُ حتّى صرتُ أرى شخصاً بعد أن لم أكن أراه ! وإذا هو في ثيابٍ بيض قائماً يصليّ فيينا أنا أراه إذ صرتُ لا أراه ؛ فأجبتُ من تفضّله - أطال الله بقاءه - أن تخبرني ما يقالُ في ذلك ! قال ، فأتى جوابه يقول لي : الحمد لله الذي أسعده ووفّقه وهداه وسدّده ليعلم أن ذلك مولانا المهديّ لدين الله الحسين بن القاسم صلواتُ الله عليه ! في كلامٍ نحو هذا ! فليتمسك بحبل الدين ، ويعتصم بعصم المهتدين ، ويفعل ويصنع - في كلامٍ ذكره . قال أسعد : فلمّا رجعتُ إلى أهلي كنتُ لا أزالُ أعجبُ من كتابه ذلك < و > من < وجدته يعجب منه وأوقفه عليه > (1) . فبلغه ذلك فكتب يُعاتبني كتاباً فيه أبيات شعرٍ أولها :

أباحسانٍ لم فُتِشَ الكتابُ وخولفت المروّة والصوابُ

(1) عن الهامش الأيمن من الصفحة .

قال : ولقيته بعد ذلك فقال : يا أبا حسان ! أخبرني بما رأيت يوم رأيت الإمام شفاهاً الآن ! قال : فخشيت أن أغالطه بشيء فأعينته على الأرجاف بذلك بين العوام فقلت له : ويحك ! إنما رأيت رجلاً يصلي على الروث > فهل الحسين بن القاسم ممن يصلي على الروث ؟! < ⁽¹⁾ فارتاع لذلك وسكت .

أخبرني ⁽²⁾ الشيخ الحسن بن أحمد الجنبی أحد شيوخ الزيدية وعلمائهم وعُبادهم وأهل الورع والصدق منهم ، ومن لا يُختلف في عدالته ؛ قال : قال لي محمد بن إبراهيم الصَّبري محتجاً على إمامة الحسين بن القاسم : لقد بلغني أن الحسين خرج ذات يومٍ راكباً حصاناً ومعه أصحابه فبينما هم يسرون إذ تبعتهم مُهرةً لبعض أهل البون فكلما دنت منهم طردوها وهي لا تلبث أن ترجع إليهم ! فسألهم الحسين عن شأنها فقالوا : تطلبُ الحصان ليحمل عليها ! قال : فنزل عن حصانه وأمرهم فحملوه عليها فضربها . قال الحسن : فقلت له : ما تريد بهذا الكلام ؟ قال : أحكي عدله ورحمته ! .

قال الحسن : قال لي محمد : وبلغني أن الحسين خرج ذات يومٍ بريدةً إلى السوق فمرَّ بجزارٍ يذبحُ شاةً فأتى كلبٌ حتى دنا من مذبح الشاة في الأرض ليلغ من دمها فضربه الجزارُ بالشفرة فجعل الكلب يولول ويقرُّ ! فرأى ذلك الحسين فقال للجزار : إقطع الثربة وادفعها للكلب جزاءً ما فعلت به ! قال الحسن : قال محمد : فلم يزل الحسين قائماً حتى سلخ الجزار الشاة ثم قطع الثربة للكلب ! .

وهذا كله من كلام محمد عن الحسين بهذا ونحوه احتجاج على العدل والرحمة للبهائم ! وهذان خبران قد رأيتهما فيما دونت الحسينية من فضائل الحسين إلى أشباهٍ لهما كثيرة تطعن على عقل القائل والفاعل والقابل ! يأبى كلُّ مُريدٍ تنزيه الحسين التصديق بها وتصحيحها عنه لأن فيه هذا العدل المحكي على الكلاب والجور على بني آدم ، والتشاغل بإنكاح البهائم بعضها لبعض وتلذذها بذلك الذي

(1) عن الهامش الأيمن من الصفحة .

(2) تاريخ مسلم م 4/ص 266 - 267 .

هو خاصة في بلاد أهل هذه الأخبار من البوب وما حولها من صنائع الحجاجين والشغل ، يتكرّم عنها العامة من العرب فضلاً عن آل الرسول صلى الله عليه ! فهل بقي في الدلالة على ضعف حصاة ابن الصبري شيء أبين من هذا ونحوه ؟ ! .

وأخبرني الحسن بن أحمد بن زايد الجنبي عن محمد بن إبراهيم الصبري قال : لما أراد المهديّ الحسين بن القاسم الخروج إلى الحرب في الوقعة التي غاب فيها قال لامرأته : إني سأغيبُ وإنك تلدين فإن ولدت بنتاً فسميها باسم تشتقينه لهان اسمي ! أحسبُ في الخبر : فإن ولدت ابناً فسميه باسمي ، وإن ولدت بنتاً فاشتقي لها اسماً من اسمي ! قال : فولدت بنتاً سميتها مهديّة . ثم أودعها كتاباً إلى الحمل الذي فيه ، بطنها فلما ولدت البنت دفعت إليها الكتاب بعد نشأتها فقرأته فإذا فيه ⁽¹⁾ :

- 7 -

أخبرني ⁽²⁾ محمد بن إبراهيم بن حميد بشطب ، وأحبها مما سمعت من محمد بن إبراهيم بن رقاد أيضاً ، قال : كان الحسين السراج الصنعاني أحد متكلمي الزيدية وذوي المعقول منهم . وهو الذي ذكره ابن حميد في أرجوزته التي أجابه عنها أبو السعود بن زيد رحمة الله عليه . فاضطرّ للوصول إلى شهارة وبها يومئذ الأمير محمد بن جعفر بن القاسم بن علي الرسيّ وأهل ولايته من الشيعة الحسينية فسأله عمل سروج كانت لهم أو نحو ذلك ففعل ولبث عندهم أياماً وربّما يتعرض له بعضهم فيعطيه ويدعوه إلى القول بإمامة الحسين وحياته ونحو ذلك فربما يُداريهم ويُدافعهم ^(*) عن التصريح بما عنده إذ كان لا يرى فيهم معملاً لما يريد من تبين الحق الذي يعتقده ، ولا يقدر لهم على إظهار منافرة وخلافٍ يأسون له منه حتى يدعوه . فاجتمعت عليهم إجارة صالحة وهم بالانصراف إلى مسكنه وأهله فالتمس ذلك منهم فكأنه رأى بعض ما لا يريد من إقبالهم عليه واهتمامهم بحقه . وخرج في بعض أوقات الصلاة إلى حَيْدٍ شعفٍ يقال له : الحُوار بشهارة لقضاء الحاجة فرأى غراباً كان على طرف الجبل أمامه حين طار ثم غفل عنه فأسرع التواري عن بصره

(*) بعد الفعل بياض في الأصل ؛ لكن يظهر أنه لم يسقط من الكلام شيء .

(1) بعد هذا بياض في المخطوطة ! .

(2) تاريخ مسلم ، م 4 / ص 258 - 260 .

فخطر بباله أن يُظهرَ لهم ما يتقربُ به من قلوبهم وتحسُنُ به له عشرتهم وليتقن ما يسمعُ به من تصديقهم بالكذب والخرافات . فلما رجع إلى المصلّى أقبل على مَنْ هناك وقال : إني رأيتُ شيئاً من صنْع الله عجيباً يرُوعُ مثلهُ أهلَ العقول والتفكر - في كلامٍ نحو هذا ! ولقد وقع في نفسي منه شيءٌ فارتاعوا لتهوله وطالبوه بالكشف عما رأى فتباطأ عليهم شيئاً كالمستحضر لأذهانهم أو نحو ذلك . فلما قويت مُطالبتهم له بالخبر قال : خرجتُ إلى جانبٍ من صَرْف هذا الجبل فظهر لي شخصٌ في الهواء يسير وأنا أراه ثم غاب عني ! وهذا شيءٌ عجيبٌ جداً ! فتفرّق القومُ بذلك وأشاعوه في الجبل بين أهله وقالوا : تاب السراج ! وأقرّ بالحسين وراه ! في نحوٍ من هذا القول . وبالغوا في الكلام بذلك حتّى انتهى إلى الأمير - وكان بخلاف القوم - فتهاوّن بذلك وأعرض عنه أو نحو هذا . وبادر القوم إلى السراج فجمعوا له ما كان له عند أهل الجبل من إجارةٍ فقبضوها . وتزايد الإرجاف بتوبة السراج وكثر حتّى أن الأمير أحبّ أن يطلع على ما عنده في ذلك وما سببُ ما يُقال إن كان في شكٍّ في وقوع ذلك منه كذلك . وعزم السراج على السّفر فدخل عليه مودّعاً أو مستأذناً أو نحو ذلك فلما صلح المجلس للكلام فعَمَد في الخبر عن توبته وما يُرجفُ به عنه في الجبل يسأله عن ذلك ، فقال : نعم يا مولاي ! رأيتُ شيئاً ! فأخذَ عليه أن يصدّقه ! قال ؛ رأيتُ غراباً يطير أمامي في الهواء ساعةً ثم غفلتُ عنه والتفتُ فلم أراه فذلك ما رأيت ! فأحسبه ضحك وقال : قد عجبتُ أن يكونَ يجوزُ عليك ما يجوزُ على هؤلاء ! فلما دخلوا وبّخهم وأوضع في العيب لهم ، وأخبرهم بما قال السراج فتجددت عداوتهم له ، وقد استقلّ مسافراً فلم يرعَ لما عندهم .

- 8 -

وأخبرني⁽¹⁾ مَنْ أثقُ به من ظاهر بني صُريم من أهل الديانة والورع - ولم أترك أن أسميه إلاّ تقيّةً عليه من شرّ أهل هذا الرأي وَمَنْ يقبلُهُ الآن معهم من الأشراف - قال : كان في هجرة الشريف يحيى بن < عيسى > بن عيَّاش الرّسّي القاسمي أيام ادّعائه لظهور الحسين بن القاسم والخضر وعيسى بن مريم عليهم السّلام وكونهم

(1) تاريخ مسلم الحجّي ، م 4 / ص 260 - 266 .

عنده ؛ قومٌ قد هاجروا إليه . وكان قد استعمل استعمالاتٍ واحتال بحيلٍ قبلها القومُ من عوامِ الحسينية ولم يلتفتوا مع ذلك إلى تكذيب من كذّبه من الأشراف والشيعية وما قالوا فيه من الشعر لا سيّما أمير شهارة يومئذٍ جعفر بن محمد بن جعفر بن القاسم بن علي الرّسّي ونحوه وآخرون من الرعية كأحمد المعروف بالفحّاش الشاعر بخير من ظاهر بني صُريم وغيره . وتوالت إليه الأرفاد ممن حوله من القبائل ، وأتاه البرُّ من أكثرهم ، واتّسع عيشُهُ وعيشُ شيعته ! قال : فكان في هجرته هذه رجلٌ يقال له : سرح إذا أظلم الليل أتى إلى جذل شجرةٍ مُجَوَّفٍ فيضرب عليه بشيءٍ صليبٍ حتى يعلو له صوتٌ عظيمٌ ثم يأتي فيقول : سمعتم صوتَ المهدي أم لا ؟ ! فلم يزل كذلك حتى فطّنوا له فسقط .

وكان ابنُ عيَّاشٍ قد وعد الناسَ لظهور المهديّ الحسين بن القاسم وقيامه بالأمر وقتاً عرفه إليهم بابيضاض المطو - يعني عَذْق الدُّرة وهو سُنْبُلُهَا - وبِعْلَان . وِعْلَانٌ عند أهل اليمن وقتٌ من آخر وقت الحرِّ وأول وقت البرد يُصادفُ أوله نزول الشمس آخر الأسد وأول السنبلة ؛ ويشتمل من الشهور السريانية على أيلول وأكثر تشرين الأول . فمضى ذلك الوقت ولم يروا شيئاً مما قال فكذّبه بعضٌ . وكان قد أُرْجِفَ له بأنه يشفي العِلَّ والأَسْقَامَ بِالْمَسْحِ (*) بيده < بإذن > الله ونحو ذلك . فأتاه لذلك قومٌ من بلادٍ متباعدةٍ وتوهموا البرء في نفوسهم حتى ادّعوه ثم لم يتم ذلك ولم يصحّ منه شيءٌ فأجمع الناسُ على تكذيبه فسقط ، وتفرّق أهل هجرته تلك .

وكان قد وقع إلى بلادنا مولىٌ حائكٌ أحسبُهُ من موالي ظليمةٍ أو مَنْ يجاورها من القبائل يقال له غدير ضخم أسود اللون لا عِلْمَ عنده ولا دين . وكان فيما أخبرني به عن نفسه وغيره عنه ؛ قد عظمت منزلتُهُ عند هذا الشريف يحيى بن عيسى بن عيَّاش وشيعته ، وكان يُرْجِفُ له ويأتي لما يُوافِقُهُ وينصُرُ رأيَهُ ذلك فوق منه موقعاً رفع به منزلته حتى صار ممن يتوسَّلُ به إليه ، ويشفع عنده ويقدم ويؤخر . ثم صار إلى أسواق المغرب فشرب الخمر وقطع الصلاة ، واستعمل الغناء من شعر العوام في بلادنا وما يُواليها . وانتهى إلى أخسِّ طبقةٍ في الفسق والخلاعة .

وفيما ادّعاه الشريف ابن عيَّاش خروج الحسين وقيامه في وقت ابيضاض المطو

(*) في الأصل : والمسح .

من علان . يقول أحمد الفحّاش الحميري له ولوزيره غدير ، قد أنشدنيها غديرٌ
وغيره :

من مُبلغٍ عني السلامَ الكثير يحيى بن عيسى والمرءُ حيُّ غدير
ثم ابن همدان حليف الندى سفير مولانا ونعم السفير
قد وعدونا موعداً صادقاً فَصَرَّبَ المَطْوُوراح الشعير

فكان هذا تقاضياً لوعد ابن عيَّاش وغدير وعواض بن همدان - وهو أحدُ وزرائه
وخواصّه - فيما أخبرني غديرُ به من أخبارهم . ومعنى هذه الأبيات بعد أن مضى وقت
الموعد . فكانت هذه الأبيات كالنداء على كذبهم ونفخ البوق به وشهرة فضيحتهم .
وقوله : سفير مولانا ، أي رسوله بالسّرّ الخاصّ إلى الخواصّ . وهذه كلمةٌ تُستعملُ
باليمن في رسل الملوك المعظّمين عندهم وعند مَنْ أرسلوا إليه . وقوله : صَرَّبَ
المطو ، أي صرَّم يبدون الميم باءً في اليمن كلّهُ حتّى أنهم يقولون في الصرام
الصراب . ويستعملونه في الزرع أيضاً .

وكتب الفحّاش إلى ابن عيَّاش وأصحابه ورؤيت عنه وبلغت إليه هذه
الأبيات :

أبلغُ ذوي الجُود والبراعة وَمَنْ بهم تُرتجى الشفاعة
أبلغُ حُسيناً وصاحبيه إقرا سلامي على الجماعه
إقرا سلامي على رجالٍ حقوقهم عندنا مُضاعه
قالوا حُسينٌ وصاحباه عند ابن عيَّاش في تباعه
يبشّرون الملا جميعاً بأوبة الحقّ كلّ ساعه

ثم قال :

إن يدي هذا فقد طلعتنا معاً فويق الملا سباعه
وإن تكن محنةٌ صبرنا وكان نقصاً على الجماعه
وسقطهُ المرءُ يا خليلي تأتي على قدر الارتفاعه
يا ربّ حبّ له جزيع صغيّر قد مضى فباعه
بأعْزِ فوقها قرون أصغرُها بالغ ذراعَه

يريد أنهم كانوا يأمرُون مَنْ هاجر إليهم ببيع ماله وشِرى المعز لأنهم كانوا في ناحية من أسافل بلاد وادعة الموالية لبلاد حَجُور. وظليمة كثيرة الشجر دفيّة وعرة تصلح للمعز . وقوله : جُزيع تصغير جزع ويُرادُّ بها القطعة من الأرض المزدرة وقد تُسمّى إذا عظمت عندهم صربةً وضرعاً ولا تُسمّى صربةً إذا صغرت . وتباعة : موضع . فسار شعر الفحّاش وصار أمثلاً تُضربُ هَتَكُ بها ستر القوم ولا سيّما قوله :
وسقطة المرء يا خليلي تأتي على قدر الارتفاعه

وأخبرني غدير فيما أخبرني به من حُقق أصحابه هؤلاء وجهلهم وقلة التمييز منهم أنه أقبل في طريقٍ مع الشريف يحيى بن عيسى بن عيَّاش وأصحاب له فإذا هم بدفترٍ لطيفٍ في الأرض فالتقطه أحدُهم وناولهُ الشريف - أو كان الشريف هو الملتقط له - فنظر فيه العهد الذي يأخذه أهل الدعوة الباطنية لإمامهم صاحب القاهرة من مصر على مَنْ رغب في الدخول معهم فعرفهم به وأراههم أنه مما ألقاهُ إليه الحسين بن القاسم ، وقرأ افتتاح الكلام الذي فيه عليهم فاستحسنوه وطربوا له ونشوا . ثم قرأ عليهم العهد وأخذه عليهم لصاحبه الذي وُضع من أجله باسمه وكنيته ولقبه فلم ينتبهوا لشيءٍ من ذلك ولا أنكرّوه فصار لا يأتيه أحدٌ للدخول معه في حزبه وحلول محلّه ذلك إلا أخذ ذلك العهد عليه ! وكان غديرٌ قد حفظ ذلك العهد الذي في الدفتر وخطبته المقدّمة حفظاً تاماً فأردتُ امتحانَ ما يقولُ فأمرتهُ بقراءة ذلك عليّ ! وقد كانت عندي كراسةٌ فيها ذلك فقابلتُ بينهما فإذا هو عهدُ الأمير ابن المستعلي ولقب الأمير واسمه وكنيته ! فغلب على ظني أنه قد كان يرى رأيَ القوم ، وقدّم خواصّه مَنْ ألقى الدفتر على الطريق ! لِمَا أرادَ من الحيلة في أخذه عليهم . وقد كان فيمن اختلط بأهل الدعوة الحسينية والدولة الشهارية بشرٌ كثيرٌ من شيعة أهل الدعوة الصليحية . ووقت ابن عيَّاش هذا قريبٌ من وقت دخول الذؤيب بن موسى بن الذؤيب الوادعي في مذهب أهل الدعوة الصليحية وقوله بالباطن ، وأحسب داءهما كان واحداً .

وكان في أهل الرأي بشهارة ضريّر يُعرفُ بالبصير ، بلغني أنه مولى من أهل دَرَبٍ شاكر الذي يلي أرض بني صُريم . فأخبرني عنه غير واحدٍ من أهل شهارة وغيرهم من الزيدية والحسينية أنه استعمل فيهم حِيلاً وتدليساً ومخاريق غلب بها على

أكثرهم حتى أنّ الأمير محمد بن جعفر بن القاسم أيام مُلكه بشهارة كان يُداريه ، وأنه بلغ من انقيادهم له أنهم كانوا يأتونه بالنساء فيمسح على أجسادهنّ للتبرك . وأنه ربما يأتونه بالمرأة التي لا تحملُ فيمسح على ظهرها . وأنّ الأمير بلغه منه ما يَقْبَحُ فَهَمَّ به فانفصل إليه أكثر أهل شهارة فتركه !

فأخبرني الشريف أحمد بن محمد بن أحمد العلوي أحد ثقات المرحبين أنّه قَدِمَ هذا البصير في نفرٍ من أصحابه للخريف إلى المدحك من بلاد وادعة فنزل على شيخ البلد ورئيسهم وكان يتوالاه ويصدّقه ويكرّمه ويرفع منزلته ويعظّمه . ثمّ إنّه أخذه وأصحابه إلى عنبٍ من أعنابه فقسم لهم منه لكل إنسانٍ شيئاً وقسم للحسين وعيسى بن مريم والخضر لكل واحدٍ جزءاً . وكان يتولّى تفقد ذلك العنب وحراسته بنفسه فرّبما يصبح في الغدوات يدور فيه ويتفقّده . فعمد البصير إلى شيءٍ من المسك أو الزباد ونحوهما فجعله في مواضع من الجزء الذي قسم للحسين وعلى أول موضعٍ منه يطلع عليه ويقف عنده أجوده . فأصبح هذا الشيخ يدور ذات يومٍ في العنب وينظر فيه حيلةً حيلةً ، وأصبح في الأرض طلٌّ وندى فاشتدّت رافة ذلك الطيب فلما مرّ به شمّ تلك الرائحة وقد علت وقويت فصاح بأعلى صوته : أنا أشهد أنك يا حسين بن أمقاسم أمواحد أمقهار ! فسمعه الناس فسألوه فأخبرهم بما شمّ في ذلك العنب الذي للحسين أو دعاهم حتى شمّوا وازداد يقينه ويقين مَنْ كان على رايه وقويت بصائرهم في رأيهم ! .

وقوله : أمواحداً أمقهاراً وأم قاسم - يريد القاسم والواحد القهار - . وقد ذكرنا أنّ وادعة وَمَنْ والاها من بكيل يبدلون لام التعريف ميماً وهم إلى الآن على ذلك .

وبين الناس ببلاذنا وبلاذ وادعة وبكيل وظليمة وعُذْر والأهْنوم أحاديث تُروى وتدور تتضمّن الخبر عن غباوة أكثر من استجاب لهذا الرأي وقبله من هذه القبائل لو أوردناها لأتت على أكثر هذا الكتاب وحالت بيننا وبين الغرض المقصود فيه من ذكر الله تعالى وذكر أوليائه الصالحين من آل رسول الله صلّى الله عليه وعليهم ، وشيعتهم الأبرار رحمهم الله ؛ واستحال التصنيف من الوعظ والتذكير بالخير إلى الهزل واللعب لأنها تكون شبيهةً بما ضمّنه أبو العباس السجزي جراب الدولة كتابه في

النوادر والمضحكات من أخبار المعتوهين والحمقى . إلا أنني أُورِدُ من ذلك مثلاً دالاً على سائر ما لم يُذكر منه ، ومذكراً لمن عرفه به .

أخبرني غير واحدٍ من الناس أنَّ بعض المهاجرين من بني عُبيد من وادعة إلى شهارة ، وذوي التدئين والتعبُد منهم دخل منزله ذات يومٍ وله ابنةٌ حين بلغت قد طلع ثدياها وكُعبت كما يكونُ من الجوارى بعد البلوغ ؛ فأتى وهي تطحن أو نحو ذلك من أعمال الطعام وقد أخرجت ثديها من كُمِّها فرأى ثديها وقد ارتفع فأنكر ذلك وظنَّها لا يكونُ ذلك منها إلا عن خَمَلٍ بولد ! وكان فيما أحسبُ يُدعى جعفرأ ؛ فالتفت إلى أمِّها وقد اشتدَّ غضبُه وقال : أنا أبو الفضلين ثم أنا أبو الفضلين ! أمصية قد نشرت وأنت تُخفين مني ! فقالت : إنَّ النساء بخلاف البهائم ، وإنَّ البهائم يكونُ لها ضُرُوعٌ ولا تعظُمُ ضرةُ البهيمة إلا عند قُرب ولادتها ، وليس النساء كذلك ! فوثب على الجارية فذبحها في الحال ولم يلتفت إلى قول أمِّها !

وقوله : نشرت ، لغة تُستعمل في بعض البلاد في الشاة والبقرة التي ترم صرَّتها ، وتعظم ضروعها للدور عند الولادة والوضع لحملها كما يقال رمّدت الضأن ونحوها . والضرة : لحم الضرع ، قال طرفة :

من الزفرات أسبل قدامها وضرَّتها مَرَكْنَةً دَرُورُ

ومن هذه الأخبار التي هي باقية ظاهرة إلى اليوم يختلف فيها وإن كثرت مالاتها (؟) إذ لا أزال أسمعُه يُعاد في أكثر الأوقات بين العامة والخاصة من أهل هذه المخاليف . وهو أنَّ رجلاً من بني صُريم بالجراف خرج من منزله إلى مجلس قومه فرأى شهارة في وقتٍ ظهر له شخصُها وعظمت في عينه كما يكونُ من رؤية الجبال في الأيام التي يكونُ الجو فيها نقياً من القتام والغمام فحملة حُمقُه على أن رفع رجله وأقسم بالله لأن يركض شهارة ليزرَّنها دَقْدَقاً إلى ذَكَار منها (؟) فوثب إليه أقاربه فأمسكوه وحالوا بينه وبين الركض وقالوا : اتق الله يا أبا فلان ! إنَّ ثَمَّ أشرافاً وشرائف ومساكين نائمٌ فيهم ! فوقف وخلَّوه ! وقد أمِنوا من شرِّه على شهارة وأهلها !

قوله : دَقْدَقاً ، أي دكاً متهدماً . وكأنه عندهم مأخوذٌ من دَقْدَقَة حوافر الدواب وهي أصواتها عند السير - أو شبيهةً بالدكداك من الأرض وأبدلوا الكاف قافاً كسائر

المُبدلات . وتضعيف الدكّ وهو الهدم ونحوه ثم أبدل . والله أعلم .

— 9 —

أخبرني⁽¹⁾ أسعد بن عبد الفاضل بن يحيى العُبَيْدي رحمه الله ، قال : أتى إبراهيم بن جابر بيت غفران من جبل حَضُور وكان بها رجالٌ من الأغنياء وأهل السَّعة يقولون بإمامة الحسين بن القاسم وحياته . فقصد المسجد وكان به معلّم لهم على مثل رأيهم مع زيادة حمقٍ فيه ؛ وذلك في وقت الزوال ، فسلم عليه وقال له : أنت فلان الفلاني ؟ قال : نعم ! قال : وهذه بيت غفران الثلاث القروات ؟ قال : نعم ! قال : وبها من المشايخ كذا ومن الناس كذا ؟ وبك أنت وبمنزلك كذا وكذا من العلامات ؟ مما أحسبه أن قد كان سأل عنه ؛ لأنه فيما ذكر لي ابنه محمد ابن إبراهيم بن جابر قد كان ينزل عُصفران من ناحية البرويّة - وكان موضعاً قد نزل به عمّه أحمد الحجازي أحد شيوخ الزيدية المذكورين في هذا الكتاب بعد خروجهم من سَناع وهو قريبٌ من جبل حَضُور بحيث يمكنه أن يقع إليه فيه أخبار أهله . وكان بيت شعيب من شرقيّ جبل حَضُور قومٌ من هذه القبيلة التي ينتسب إليها من عنز لا أرى إلا أنه كان ينزل بهم ويأتي كثيراً من نواحي حَضُور .

قال أسعد : فلمّا سمع منه ذلك المعلم ذلك القول فزع له وخامره أمر راعه ! ثم إنه قال للمعلم : فإني رسول المهدي لدين الله الحسين بن القاسم وصاحبيه - أو أحسبه قال : وعيسى ابن مريم والخضر - وهم بشعب كذا من حَضُور شعب موحش خالٍ من الناس ، وقد أمروني إليك بالسلام واختصك الإمام بخاصّة سِرّه وأهمّ حوائجه ، وهو يأمرك بأن تلقي فلاناً وفلاناً من أهل هذه القرى الثلاث - فعده عشرة من كبارهم ومَنْ يجوزُ قوله عليهم ؛ قال ، قال : فتأمرهم بأن يبعثوا إليه بمائة دينار كلّ رجلٍ منهم بعشرة دنانير ، ويكون نصيبك أنت أن تصنع له ولصاحبيه عشاءً ، وأنا

(1) تاريخ مسلم ، م 4 / ص 335 - 336 . وقد اختصرنا بعض متعلقات الخبر هنا ليتناسق النص . وهو يأتي في ثانيا ترجمة إبراهيم بن جابر . . « الحجازي ثم العنزي . نسبه في هذه القبيلة من عنز الذين ينزلون فيما بين أرض جنب وسراة الحجر من الأزد . . . ويقول عنز بن وائل بن قاسط ، يذهب إلى أنهم إخوة لبكرٍ وتغلب . . . » .

آتيهم به ولا تخرجه إليّ حتى تغيب الشمس . فأحسب - والله أعلم - أنه قال له :
 فهل أدعوهم إليك ها هنا ؟ قال : إن فعلت فإنهم لا يروني ! فجعل المعلم يفكر
 فلما اشتغل انسل إبراهيم حتى توارى في موضع ، وأتى القوم فلم يروه فعظم
 عليهم الأمر وبادروا حتى جمعوا الدنانير . فلما تفرقوا برز للمعلم فقبضها وواعده
 موضعاً منتحياً عن البلد يأتيه فيه بالعشاء وقت غروب الشمس ففعل ! وانصرف
 إبراهيم بالدنانير وبذلك الطعام إلى حيث يريد .

- 10 -

< جدل مصطنع بين زيدي وحسيني >

قال رجل⁽¹⁾ من الحسينية لرجل زيدي فيما يتعلق بالقيامة والبعث والنشور
 قولاً . فقال : وهل يصح أن تكون قيامة وبعث ونشور وثواب وعقاب ؟ قال : نعم !
 قال : هل من دليل على ذلك ؟ قال : قول الله تعالى⁽²⁾ : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ عَلَىٰ نَفْسِهِ
 الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَ كُفْرًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ . وقال تعالى⁽³⁾ : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ
 يُعْطُوا قَالِ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ ﴾ . قال : وهذا كلام من هو ؟ قال : كلام
 الله . قال : ما الدليل على ذلك ؟ وعلى أنه من الله ؟ قال : لأنه مُعْجَزٌ لا يقدر البشر
 على المجيء بمثله ! قال : يا سبحان الله ! من يقول هذا ؟ ! قال : لا خلاف فيه ولا
 ينفيه أحد ! قال : المدفوع والذي لا إجماع عليه ! قال : لِمَ ؟ قال : لأنكم رويتم
 زعمتم عن الحسين بن القاسم أنه قد جاء بما هو فوقه درجةً وأعلى منزلة . وقد كان
 يبطل كونه معجزة أن يؤتى بمثله فكيف وقد ادّعيت القدرة على المجيء بما هو أبهر
 منه أو أبين ، أي ذلك قلتم فهو إثبات فضل ما جاء به الحسين عليه ! فلم يجد
 الحسيني حيلة إلا الجحد والإنكار لذلك القول وأنه ما قاله الحسين ولا هو من
 كلامه . قال : فأما إن كان الأمر على هذا ولم يقل الحسين هذا فإنه صادق وأنت
 سالم من الهلكة التي عليها غيرك من القائلين بذلك . وقال له الحسيني : أتقول إن

(1) تاريخ مسلم ، م 4 / ص 345 - 346 .

(2) سورة الأنعام / 54 .

(3) سورة التغابن / 7 .

الحسين بن القاسم حيّ سويّ إلى الآن ، وإنه المهديّ الذي ينتظره الناس ؟ قال : لم أره بعد ولا خلطة لي به ولا معرفة ! قال : إنه غائب ! قال : كيف يعرف الشاهد الغائب من الناس بغير عيانٍ ولا خبرة ؟ قال : إنه سيظهر ويملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ! قال : إذا كان هذا عرفته حينئذٍ وأخبرتُك بما أعتقد فيه فأما الآن فلا كلام لي فيه . قال : فهل تقول إنه أفضل من رسول الله حينئذٍ أم لا ؟ قال : قد قلتُ حتى أراه فأما الآن فلا قول لي فإن استعجلت عليّ فصِفْهُ لي ! قال : إنه رجلٌ من ولد رسول الله صلّى الله عليه - فذكر نسبه وأباه وعلمه وديانته وفضائله على ما يعتقد فيه . قال : فعلى هذا هو شريفٌ من آل رسول الله صلّى الله عليه ؟ قال : نعم ! قال : ولآل رسول الله من الشرف به صلّى الله عليه ما ليس لسائر أشراف العرب من قريش وغيرها ؟ قال : نعم ! قال : فكيف يلزمني أن أفضل رجلاً على مَنْ لم يكن شريفاً إلا به ومن أجله ؟ ! فانقطع .

- 11 -

< من عقائد الحسينية >

أخبرني⁽¹⁾ علي بن يحيى بن مسلم اللّداني بوقش - وكان من أهل الدين - قال : لما تُوفي الشيخ علي بن أبي رزين رحمه الله بوقش كان من ورثته ابنته امرأة محمد بن إبراهيم الصبري فأقبل أحمد بن محمد بن إبراهيم الصبري إلى وقش - وهي أمّه - مُطالباً بنصيبها في تركة أبيها . قال : فدخلتُ عليه وعلى رفقة وكان معه له صهرٌ تحته أُخته ابنة محمد بن إبراهيم يقال له < > (*) وكان من كبار الحسينية من أهل حضور . وإذا بين أيديهم ماعزٌ لهم وهو يأمرُ بإكرامها وصيانتها ويقول : أرفقوا بالأولياء ! فقال له الشيخ الحسن بن أحمد الجنبي رحمه الله : والحمير أولياء ؟ ! قال : نعم ! قال : من أهل الجنة ؟ ! قال : من أهل الجنة ! قال : فأنت ؟ قال : الله أعلم ! قال : فقد تيقنتُ أنّ الحميرَ تدخلُ الجنةَ وأنت شاكٌ في

١ . تاريخ مسلم ، م 4 / ص 353 - 353 . وقارن عن محمد بن إبراهيم الصبري النص رقم 6 .
(*) بياض في الأصل . والغالب أنه هو الذي يرد اسمه في النص فيما بعد : علي بن يحيى .

نفسك ؟ قال : نعم ! فقلتُ أنا لعلني بن يحيى : إنّ عند الحسين بن القاسم مما هو
مسطورٌ في كتبه أنّ البهائم تُبعثُ يوم القيامة وتدخل الجنة وتتنعم ، وأنّ الله تعالى لا
يفعلُ ذلك بها إلّا وقد جعل لها عقولاً تعرف بها ، وإذا جعل لها عقولاً لم يَجْزُ أن
يجعلها في الصُّور التي تُستقبَحُ وتسوء ! فيجعلها في صُورٍ تُستحسنُ . وهذا فهو رأيُ
بعض أهل التناسخ .

الملحق الثاني

1 - نص من كتاب « حقائق المعرفة »

للمتوكل على الله أحمد بن سليمان

ثم⁽¹⁾ قام بعده ولده الحسين بن القاسم فدعا إلى طاعة الله وإلى الجهاد في سبيل الله ثم بدا منه بعد ذلك أنه هو المهدي ؛ قال : الذي تملأ به الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ! أو قيل إنه قال هو أفضل من رسول الله وكلامه أبهر من كلام الله ! وكان قد طلق زوجته له وانقضت عدتها وتزوجها رجل فلما علم بنكاحه لها أخرجها منه بغير طلاق ! وتشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم واحتج بقول الله تعالى : ﴿ وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلك كان عند الله عظيماً ﴾⁽²⁾ . وقال في كتاب كتبه إلى مُحَسِّن بن محمد بن المختار بن الناصر بن يحيى الهادي عليه السلام - وكان من فضلاء أهل البيت وعلمائهم - وقد سأله عن مسائل وأنكر عليه كلامه الذي تكلم به فردَّ عليه كلاماً فظيماً ، وسبَّه سباً شنيعاً ثم قال في كلامه : وما عسى أن تكون مسألتك في علمنا وإداوتك في بحرنا ؟ ! وما فضل علمنا على جميع العلوم إلا كفضل الشمس على جميع النجوم ، وكل معجزة من الله الواحد القيوم . وما الفرق بيني وبين الأئمة الأخيار إلا كفرق ما بين الليل والنهار ! وشتان - يا جاهل - بين النجوم والشمس ! وهل يوجد لنا نظير من الجن والإنس ؟ ! وقد علم الله مقتي للفجار ولكن يجوز ويحسن عند الاضطرار . ثم أغرق في كلامه وأفرط وقال : ما يكون علم الأنبياء ؟ ! وعدَّ من موسى إلى محمد ﷺ وعلم

(1) كتاب حقائق المعرفة للمتوكل على الله أحمد بن سليمان ، مخطوطة مجهولة المصدر ، ص 247 -

251 .

(2) سورة الأحزاب / 53 .

الأئمة عليهم السلام من علي بن أبي طالب إلى أبيه القاسم بن علي عليه السلام - إلا كعُشْر العُشْر من علمه . ثم قال : فأحضروا التوراة والإنجيل والفرقان وكل علم أوجد الرحمن وتركه فإنكم تجدون قولي أقوى من ذلك حُجْجاً وأبَيّن بياناً وأوضح نوراً وأعظم برهاناً فما عسى أن تكون مسائلك ؟ وذكر كثيراً من جنس هذا . فردّ عليه محسن بن محمد جواب عاقلٍ عالِمٍ يَدُمُّ فيه السبّ والكلام المعور ، وأورد من كلام الله حُجْجاً مثل قول الله : ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾⁽¹⁾ ، وكقوله : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً ﴾⁽²⁾ ، وكقوله : ﴿ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾⁽³⁾ ، ومثل قوله : ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا ﴾⁽⁴⁾ ، وكقوله : ﴿ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾⁽⁵⁾ . وأورد أيضاً أبياتاً من أشعار العرب منها قول الشاعر⁽⁶⁾ :

وَيْشْتَمُوا فَتَرَى الْأَلْوَانَ مُشْرِقَةً لَا عَفْوَ ذُلٌّ بَلْ⁽⁷⁾ عَفْوَ أَحْلَامٍ

واحتجّ عليه في ادّعائه أن كلامه أبلغ من كلام الله بآيات من كتاب الله منها أن الله تعالى قد تحدّى الجنّ والإنس بأن يأتوا بسورةٍ من مثله فما فعلوا ولا قدرُوا وذلك قول الله تعالى : ﴿ قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾⁽⁸⁾ ، وبقوله : ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدَّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾⁽⁹⁾ ، وأمثال ذلك . وأورد في ذمّ الافتخار قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾⁽¹⁰⁾ . وبما أشبه ذلك .

(1) سورة النساء/ 148 .

(2) سورة الفرقان/ 63 .

(3) سورة آل عمران/ 134 .

(4) سورة البقرة/ 109 .

(5) سورة التغابن/ 14 .

(6) البيت من أبيات تُنسب لإبراهيم بن العباس الصولي (- 243 هـ) في عيون الأخبار 1/ 287 ، والعقد الفريد 2/ 279 ، وغرر الخصائص ص 368 ، ونصيحة الملوك المنسوب للماوردي ، ص 92 .

(7) في كل المصادر : ولكن . ويرد البيت على وجهه في النص التالي عن الحكمة الدرية .

(8) سورة الإسراء/ 88 .

(9) سورة الحشر/ 21 .

(10) سورة النجم/ 32 .

ونحن ننفى عنه هذا الكلام ونقول : هو مكذوبٌ عليه ولا يصحُّ عنه ، وهذا ادعاء باطلٌ وفسادُهُ ظاهر . وإنما أردنا أن نبين القول فيه لأن قوماً من بني إخوته وشيعته قد صاروا يرون قوله هذا ديناً وقد صاروا فرقةً يناظرون عليه ويحيون ويموتون عليه وينسبون من لم يقل به إلى الكفر . ويقولون لم يُقتل ولم يمت ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً . ويقولون : إنه يعلم الغيب وذلك لجهلهم وقلة معرفتهم لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ . ومن جهلهم أنهم قالوا : هو يحكم بحكم آل داود ! فإذا سألهم سائل عن حكم آل داود كيف كان ؟ قالوا : يعرف المحقُّ من المبطل من الخصمين قبل أن يتكلما ! ولم يعلموا أن داود عليه السلام سئل عن نفسه فلم يعلم ، ذلك قول الله تعالى ⁽¹⁾ : ﴿ وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فآحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط . إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه ﴾ ، إلى قوله : ﴿ وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربّه وخرّ راکعاً وأناب ﴾ .

واعلم أن قولهم هذا غلطٌ بين من وجوه منها أن الله تعالى يقول : ﴿ قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيّان يبعثون ﴾ ⁽²⁾ ، وقوله أنه يعلم الغيب تكذيبٌ لكتاب الله . وقال تعالى : ﴿ وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأيّ أرض تموت إن الله عليمٌ خبير ﴾ ⁽³⁾ ، وقوله : ﴿ ولا يحيطون بشيءٍ من علمه إلاّ بما شاء ﴾ ⁽⁴⁾ ، وقولهم : إن كلامه أبلغ من كلام الله وأقوى حججاً تكذيباً أيضاً لكتاب الله لأن الله تعالى يقول : ﴿ لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ ⁽⁴⁾ ، وقال تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً ﴾ أو قال :

(1) سورة ص / 21 - 24 .

(2) سورة النحل / 65 .

(3) سورة لقمان / 34 .

(4) سورة البقرة / 255 .

(5) سورة الإسراء / 88 .

(6) سورة الأنعام / 31 .

أوحى إليّ ولم يوح إليه شيء . ومن قال : ﴿ سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ﴾⁽¹⁾ . وأما قولهم : إنه أفضل من الملائكة والأنبياء عليهم السلام فهذا ضرب من الجنون وغلط من ادعاء الربوبية وذلك أنه قد أتى في كتاب الله أن الملائكة موكلون بأمر الله . قال عز من قائل : ﴿ والسابحات سبحاً فالسابقات سبقاً فالمدبرات أمراً ﴾⁽²⁾ ، وقال : ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ﴾⁽³⁾ ، وقال تعالى : ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾⁽⁴⁾ ، فإن كان ممن يموت فَمَلَكُ الموت موكلٌ عليه ، والوكيل أفضل من الموكل عليه . وإن كان لا يذوق الموت فهو ربُّ تعالى الله عما يقول الجاهلون علواً كبيراً . وأيضاً فإن الملائكة صلواتُ الله عليهم هم خزنة الجنة وخزنة النار . والخازن يكون أفضل ممن يخزن عليه فبطل قولهم : هو فوق الملكوتية .

وأما قولهم هو أفضل من رسول الله ولم يعلموا أنه ما استحقَّ الإمامة إلا بفضل رسول الله ﷺ وذلك علم رسول الله ﷺ والقراءة من رسول الله ﷺ . ولو كان أفضل من رسول الله ﷺ لجعله في مكان رسول الله ولأنزل عليه الكتاب والمعجزات وهذا القول خروجٌ عن الحدود المضروبة والله تعالى يقول : ﴿ فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ﴾⁽⁵⁾ ، وقال تعالى : ﴿ النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم ﴾⁽⁶⁾ ، وقال تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم ﴾⁽⁷⁾ .

(1) سورة المائدة/ 93 .

(2) سورة النازعات/ 4 .

(3) سورة السجدة/ 11 .

(4) سورة ق/ 18 .

(5) سورة النجم/ 32 .

(6) سورة الأحزاب/ 36 .

(7) سورة آل عمران/ 188 .

وأما قولهم هو أفضل من رسول الله لأنه يملك الأرض كلها ولم يملك رسول الله ﷺ كل الأرض فليس ملك الأرض يوجب فضلاً على رسول الله ﷺ وقد ملك آل داود ما لا يملكه أحد من بعدهم ولا ملكه أحد من قبل ؛ قال الله تعالى : ﴿ ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب . قال رب اغفر لي وهب لي مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب فسخّرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أوصاب . والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الأصفاد هذا عطاؤنا فأمّن أو أمسك بغير حساب ﴾ (1) . فصَحَّ أنه لا يُعطى أحدٌ بعده مُلكاً في الدنيا واقتداراً مثل ما أعطى سليمان عليه السّلام . ومع ذلك فإنّ سليمان لم يدّع أنه أفضل الأنبياء لما أُعطي من ملك الدنيا ما لم يُعطوا مع مُلك الآخرة . وقد عُرض على رسول الله ﷺ ملك الدنيا فكره ذلك وقال : الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ويجمعها من لا عقل له . فلو كان الحسين بن القاسم قد ملك الدنيا بأسرها ثم افتخر بملكها وادّعى ما ادّعى (2) لكان ذلك قبيحاً منه فكيف ولم يكن من ذلك شيء ؟ ! وأيضاً فإن المؤمن لا يكون مؤمناً حتى يكون مستعظماً لسيئاته مستصغراً لحسناته ؛ قال الله تعالى : ﴿ والذين هم من عذاب ربهم مشفقون . إنّ عذاب ربهم غير مأمون ﴾ (3) . وبأقل قليل مما تكلم به تسقط إمامته - اللّهم إلّا أن يكون الكلام مكذوباً عليه .

(1) سورة ص / 34 - 38 .

(2) في الأصل : ما دعا .

(3) سورة المعارج / 27 ، 28 .

2 - نص من كتاب « الحكمة الدرية »

وأما⁽¹⁾ الفرقة الثانية وهم الحسينية وذلك أنه ظهر لهم إمام يقال له : الحسين بن القاسم ودعا إلى الإمامة وألف في التوحيد كتاباً وسماه كتاب المعجز وهذا أول الخطأ في تسمية الكتاب لأن المعجز كتاب الله وكان أكثر ما فيه أنه احتج على عبّاد الأهوية . ثم قال بعد ذلك : إنّ العرش هو الله⁽²⁾ فبينما هو يحتج على عبّاد الأهوية حتى جاء بمثل ما قالوا ولم يسمع قول الله عز وجل : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾⁽³⁾ . فكيف يكون الله عز وجل رب نفسه ولم يسمع قول الله عز وجل : ﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾⁽⁴⁾ . وقوله : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةَ يَوْمَئِذٍ تَعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾⁽⁵⁾ . فكيف يكون تعالى محمولاً ؟

وفي كتابه أيضاً الذي سماه المعجز أنه قال : إنّ أسماء الله تعالى هي الله

(1) المتوكل على الله أحمد بن سليمان : كتاب الحكمة الدرية ، مخطوطة مجهولة المصدر ، ص 323 - 325 .

(2) هذه الدعوى ليست في نسخة المعجز التي اطلعنا عليها .

(3) سورة التوبة / 129 .

(4) سورة الزمر / 75 .

(5) سورة الحاقة / 17 ، 18 .

والأسماءُ أشياء كثيرة على ما ورد في الخبر عن النبي ﷺ أنه قال : لله تسعة وتسعون اسماً من أحصاها دخل الجنة . فجعل الله أشياء وقد قال الله عز من قائل : ﴿ والله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾⁽⁴⁾ فأدخل عليها الجمع والتأنيث ولام التمليك وقد يدخل اسم الكل والبعض كما يقول المصلي باسم الله وبالله والأسماء الحسنى كلها لله فأحل كل ها هنا والتأنيث . ثم انتهى آخره بعد ذلك إلى أن ادعى أنه المهدي وأنه يملك الأقاليم السبعة . ثم انتهى آخره بعد ذلك إلى أن قال : إنه أفضل من رسول الله وإن كلامه أبهر من كلام الله ثم كتب كتاباً إلى إمام مقتصد من بني الهادي إلى الحق عليه السلام وكان إمام مسجد الهادي إلى الحق عليه السلام بصعدة وكان عالماً عابداً عفيفاً ورعاً زاهداً وهو المحسن بن محمد المختار بن الناصر بن الهادي إلى الحق عليه السلام وكتب إليه كتاباً يقول فيه :

أما بعد ؛ أيها الفاسق المنافق الرجس النجس البغيض المبغض فإنه بلغني أنك تهجونني وتزعم أنني لست المهدي فأنت أنت ومن معك بكل علم أنزله الله والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان . وبكل علم أنزله الرحمن فلا يكون في علمي إلا كالمجة في البحر . وما أنت يا مسكين ! وما الفرق ما بيني وبين الأنبياء الأخيار والأئمة الأطهار إلا كفرق ما بين الليل والنهار ! .

فرد المحسن بن محمد رحمه الله جواب عاقل عالم فذم الرفث والقول الشنيع وأنشد من قول العرب⁽²⁾ :

ويُشْتَمُوا فترى الألوان مُسْفِرَةً لا عَفْوَ ذُلٌّ وَلَكِنْ عَفْوَ أَحْلَامٍ

واحتج عليه بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم منها في ادعاء الفضل قول الله تعالى : ﴿ فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ﴾⁽³⁾ . واحتج في القرآن بقول الله تعالى : ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيت خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴾⁽⁴⁾ .

(1) سورة الأعراف/180 .

(2) انظر تخريج البيت ، ص 282 .

(4) سورة الحشر/21 .

(3) سورة النجم/32 .

وهذا الكتابُ صحيحٌ منه وهو في أيدي أصحابه إلى اليوم وهو أيضاً عندنا في كتب بني الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين المبتدا والجواب ولا يمكن نفيه عنه لتواتر الأخبار ولقرب العهد ولإجماع المخالف والمؤلف أنه منه . ويجري من الجواب فيما ادّعه قول الله تعالى : ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحى إليّ ولم يُوحِ إليه شيءٌ ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله . ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ﴾ (1) . فهذا فيمن قال سأنزل مثل ما أنزل الله فكيف من قال : إنّ جميع ما أنزل الله في علمه كالمجة في البحر وهذا ضرب من ادعاء الربوبية . وقال الله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون شيئاً ﴾ (2) .

انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثماً مبيناً . ثم لأصحابه بعده أكاليم مستنكرة منها أنهم ادّعوا أنه يعلم الغيب ، ومنها أنّ رجلاً من بني أخيه يقال له قاسم بن محمد بن قاسم بن جعفر زعم أنه يشافهه ويكالمه . وحَدَّثني مَنْ أثقُّ به أنه قال له : هل رأيت المهديّ أنت ؟ قال : نعم ! قال : كان معي في بيتٍ ثم قام وتنهياً للخروج فانفلق له جدارُ البيت فخرج منه ولم يخرج من الباب . وقال : إنه أمره بالحجّ إلى عيان فأقام يحجّ سنين كثيرةً وفتح شريعة الحجّ من مكة إلى عيان فأقام يحجّ سنين كثيرةً هو وقوم من أصحابه قدر مائة رجل ويزيدون . وكانوا يفعلون ذلك في أيام عيد عرفة حتّى قال فيهم < . . . > :

حَجَّ الْأَنَامُ إِلَى الْمُحَصَّبِ مِنْ مِّنِي وَإِلَى مَدَقَّةِ (3) حَجَّ آلُ الْقَاسِمِ

ولهم مخالط كثيرة ! وفيما أوردنا من جهلهم وكذبهم وقلة عقولهم كفاية .

(1) سورة الأنعام/ 93 .

(2) سورة النساء/ 49 .

(3) في الأصل : مذاقة .

الملحق الثالث

كتاب بيان الإشكال فيما حُكي عن المهديّ من الأقوال

تأليف

السيد الإمام أبي عبد الله نور الدين حميدان بن يحيى
رضي الله عنه وأرضاه

بسم الله الرحمن الرحيم

/أما بعد حمد الله تعالى على جزيل الأمة، والصلاة على محمدٍ خاتم أنبيائه،
وعلى السابقين المقتصدين من أبنائه، والسلام على جميع الصالحين من أوليائه؛ فإنه
لَمَّا صَحَّحت لنا إمامة الإمام المهدي لدين الله الحسين بن القاسم عليه السلام، لأجل
تَكَامُل شروط الإمامة المعتبرة في كلِّ إمامٍ، ولما خَصَّه الله تعالى به من الفضائل
والخصائص المشهورة، ولما وَضَعَ - على حداثة سنّه - من العلوم الباهرة الكثيرة،
ولحسن سياسته وسيرته، وظهور عدله ولطفه برعيّته، واستظهاره بما أَوْضَح من
الأدلة الدامغة لجميع مخالفيه، ولما رُوي عن إشارة النبيّ صَلَّى الله عليه وآله إلى
قيامه في الوقت الذي قام فيه وأشباه ذلك؛ مما عجز رَفَضُهُ عن إنكاره لاشتهاره حتى
التجأوا إلى التحيل بأن يكونَ بعضهم من خواصّه وأنصاره - ليتوصلوا بذلك إلى
اللُّبْس والتدليس في كتبه، والصدّ بالكذب والتحريف عن سلوك مذهبه، وحتى أن
من الناس مَنْ نسب له لأجل ذلك إلى الجهل، ومنهم مَنْ وصفه بزوال العقل، ومنهم
مَنْ غلا ففضّله على السلف ورفض مَنْ بعده من أئمة الخلف - أردتُ إذ ذاك أن
أعرّف بالمعول عليه إن شاء الله، وما الذي يجب أن يُنسَب من الأقوال إليه؛
فانتزعتُ من مشهور ألفاظه الصريحة المذكورة فيما أجمع عليه من كتبه الصحيحة
أقوالاً أخبر عليه السلامُ فيها أنه قد كُذِبَ عليه في كثيرٍ مما يُنسَبُ إليه، وأقوالاً حَذَر
فيها من الاغترار ببعض المتنسّكين، وربما سَطَّر في الكتب من مُشْكِل روايات
المدلّسين، وأقوالاً علّمَ فيها كيف يُعمل فيما يقع في بعض العترة من الإشكال،

وفي مُشْكِل ما يُنسَبُ إلى الأئمة عليهم السَّلام من الأقوال ، وأقوالاً عارض بها ما يُنسَبُ إليه من البدع ، وكُثِّرَ بها عليه من الشيع .

أما الأقوال التي أخبر فيها أنه قد كُذِبَ عليه فمنه قوله في « باب السَّلم » من كتاب « مختصر الأحكام »⁽¹⁾ : « ولستُ أَصَدِّقُ بكلِّ ما رُوي عن رسول الله لقلة الثقات وطول الزمان . وها أنا أسمعُ في حياتي من الروايات الكاذبة عليَّ ما لم أَقل ولم أَفعل . فربما يسمعُ بذلك أولياءُ الله فيُصدِّقون والعهد قريب » . وقوله في بعض أجوبته لعبد الملك⁽²⁾ بن غطريف : « وذكرتُ أَني فضَّلتُ نفسي على الأنبياء عليهم السَّلام ! وحاشا لله ما قلتُ ذلك في شيءٍ من الكلام » ! إلى قوله : « فمتى سمعتُ أَني فضَّلتُ نفسي عليهم ، أو ذكرتُ أَني أعلمُ وأبدعُ منهم ؟ ! ما أحسبُ إلاَّ أَنَّ ذلك نُقلَ إليك ، واشتبه اللفظ والكلام عليك » . وقوله في بعضها : « فذكرتُ في كتابك أَنَّكَ مسترشدٌ معاتبٌ ثم حرَّفتَ قولي فصَحَّ أَنَّكَ مُعانِدٌ كاذبٌ وأنت - والحمد لله - من دَرَك ما رجوتُ خائبٌ ، والله سائلُكَ عَمَّا حرَّفتَ من كلامنا ، ومُناقشُكَ على الكذب الذي أتيتَ به علينا ، والكلام الركيك الذي نسبتهُ إلينا » . وقوله في بعض أدعيته التي ذكر فيها أصنافَ رفضته : « ومنهم مَنْ هو مجتهدٌ في إهلاك عِرْضِي واغتيابي وانتقاصي » . وفي بعضها : « اللَّهُمَّ طَهِّرْني من كذب الألفاف ، ونزَّهْني من رواية الهَمَج السفساف » . وفي بعضها : « يا رَبِّ ! أسألك الخلاص من عشرة مَنْ لا يعرفني فقد والله أقرحَت عَشْرَتُهُمْ قلبي ! إنَّ أَمْرَهُمْ بأمرٍ لم يقبلوا ، وإنَّ نَهْيَهُمْ عن منكرٍ لم يتركوه / ، وإنَّ أدَبَتُهُمْ بأدبٍ لم يحفظوه ، وإنَّ سمعوا مني روايةً لم يأتوا بها على وجهها ، وإنَّ رأوا حكمةً لم يقفوا على فهمها » إلى قوله : « وإنَّ رأوا مني علماً حرَّفوه جهلاً » .

فصلٌ يشتمل على أربع مسائل مما يُنبه على النظر . الأولى : أن يقال : إذا ثبت بالدليل كون المهدي عليه السَّلام إمام حقَّ يجب تصديقه في كلِّ ما قال وادَّعى فهل يجب تصديقه فيما ذكر وأخبر به من أنه قد كُذِبَ عليه في بعض ما نُسِبَ من

(1) ذكره المؤيِّدي في شرح الزُّلف ، ص 82 .

(2) قارن عنه ما سبق .

الأقوال إليه أم لا . الثانية : هل ذلك الكذب الذي أخبر به موجود أم لا ؟ . الثالثة : إذا كان ذلك الكذب موجوداً هل هو الأقوال المختلف فيها أم الأقوال المجمع على صحتها . الرابعة : ما الفرق في التشيع على المهدي عليه السلام بين قول من زعم أنه ترقى من القول بتفضيله للنبي على نفسه والتكذيب لمن نسب ذلك إليه إلى القول بتفضيله لنفسه على النبي والرجوع إلى تصديق من كان نسب ذلك إليه - وأي بدعة أفحش من هذه البدعة ؛ وهي جعل قول عبد الملك أصح وأشهر من قول المهدي عليه السلام . رجع .

وأما الأقوال التي حذر فيها من الاغترار ببعض المتسكين ، ومما يسطر في الكتب من مشكل الروايات فمن ذلك قوله عليه السلام في « كتاب الرد على أهل التقليد والنفاق »⁽¹⁾ : « ومن بان لك منه النفاق فلا تنسبط إليه وإن تنسك ، وأعرض عن القبيح وأمسك ؛ لأنه لا يؤمن عند إظهاره لديانته أن يجعل ذلك سبباً للخيانة » . وقوله في « كتاب الرد على الدعي »⁽²⁾ : « ولم يدخل على أمة من الأمم إلا من مأمنها ، ولم تفتن القرون الماضية إلا بمن يوهمها أنه من المودة على دينها » . وقوله في « كتاب الرد على الدعي » أيضاً : « ولو كان من خاف من شيء أو شك فيه عقده في رقبته ، ويفحم عليه ، ودعا جميع المسلمين إليه لحكم الشك على اليقين ، ولما فرق بين الباطل والحق المبين » . وقوله في « كتاب الرحمة »⁽³⁾ : « وليس كل ما روي حقاً وما سطر كان صدقاً مما يخالف علماء آل الرسول ، وتحيله ثواب العقول » . وقوله في « كتاب التوفيق »⁽⁴⁾ والتسديد : « فقد رأينا من يتكبر عن الجهل وهو لا يعلم ، ويحمله الكبر أن لا يقول : الله أعلم ! » .

فصل : انظر كم بين قوله عليه السلام في هذا ، وبين من زعم أنه من قال في أمره الله أعلم ! كانت النار أولى به ! .

وأما الأقوال التي علم عليه السلام فيها كيف يعمل فيمن أشكل أمره من العترة

(1) منه نسخة ببرلين رقم 10267 ؛ GAS, I. 569 .

(2) ذكره المؤيد في شرح الزلف ، ص 82 .

(3) منه نسخة ببرلين رقم 10317 ، واسمه الكامل : كتاب الرحمة وابتداء الله سبحانه لعباده بالنعمة .

(4) منه عدة نسخ من ضمنها نسختان فيما رجعنا إليه قارن GAS, I, 570 .

وفيما أشكل من الأقوال المنسوبة إلى الأئمة ؛ فمن ذلك قوله في رسالته إلى شيعة أبيه عليه السلام : « ولا تقلّدوا أحداً من آل نبيكم ممن اشتبه عليكم أمره منهم ، وكلّوه إلى ربّكم ، ولا تقلّدوه دينكم ، ولا تقاطعوا في الوقوف أحداً من إخوانكم . ومن تبين لكم رشده فاتبعوه ، ومن بان لكم غيّه فاجتنبوه . ومن اشتبه عليكم حاله فارجموه ؛ وكلّوه إلى خالقه ولا تُعاده - فالمؤمنون وقّافون عند الشبهات » . وقوله في « كتاب تثبيت إمامة أبيه » عليهما السلام بعد كلام : « وإنّ قول أئمتنا لا يخالف مُحْكَمَ الكتاب ، ولا يحيل عن الحقّ والصواب . وإنّ ما اختلف من أقاويلهم تمسّكنا فيه بتأويلهم ، وتبرأنا إلى الله من تكذيبهم ، واعتمدنا على قول ربّهم ، واتبعنا من ذلك أحسنه وأقربه إلى الحقّ وأبينه ، وما اشتبه علينا من كلامهم رجعنا فيه إلى أحكامهم كي لا نبوء بآثامهم . لأنّ الله اللطيف بنا أرحم من أن يعذبنا على ما يكون من وقوفنا وطلبنا لسبيل نجاتنا ، وما نرجو / من عفوه لحسن ظنوننا ، واطراحنا لأهواء أنفسنا ، واعتمادنا على محكم كتاب ربّنا ، وسنة نبيّنا . والله على ذلك المستعان ، وهو حسّبنا وعليه التكلان » . وقوله في « كتاب مهج الحكمة »⁽¹⁾ : « مَنْ أراد أن يستفيد من خاتم النبيّين ، ومن أمير المؤمنين فليقف على ما وضع الهادي إلى الحقّ صلوات الله عليه . وكذلك ما وضع المرتضى لدين الله عليه السلام من العدل والتوحيد والحلال والحرام ، وغير ذلك من شرائع الإسلام ؛ لأنهما أخذوا العلم الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ، ولا يُلْتَفَتُ إلى اختلاف المختلفين ، ولا يُعتمد على أقاويل القائلين . وإني وطئت من العلوم مهجها ، واعتزلت - والحمد لله - همجها ! فما رأيتُ علماً أشفى ولا أبين ولا أكفى مما أتيا به من خالص الدين ومحض اليقين رواية عن خاتم النبيّين وسيّد الأولين والآخرين أخذاه عن آبائهما ، وحفظاه عن سلفهما أبا فاباً وجداً فجداً حتى ينتهي إلى الأصل أمير المؤمنين عن سيّد المرسلين عن الروح الأمين وإخوانه الملائكة المقربين عن ربّ العالمين ، وفاطر السموات والأرض . فالحمد لله الذي جعلنا من المقتدين ، ومن علمهما مستفيدين . فمن علمهما استقيت ، وبهداهما اهتديت ،

(1) ذكره المؤيّد في شرح الزلّف ، ص 82 . وذكر سزكين له مخطوطة ببرلين بعنوان : بناء الحكمة .

وبهما في جميع الأمور اقتديت ، وفي آثارهما مشيت » . وقوله في « كتاب الرحمة » : « وليعلم مَنْ سمع لنا قولاً أنه منهما ، وأنا إن شاء الله لا نتكلم بخلاف قولهما ، ولا ندين الله بغير دينهما ودين مَنْ حذا حذوهُما من ذريتهما . فمن سمع لنا كلاماً فليعرضه على كلامهما فما خالف قولهُما فليس لنا ، وما وافق ذلك فهو منا » ! .

فصل : فإن قيل إن الفضلاء من قرابة المهدي عليه السلام هم الذين روى تلك الروايات وهي إلى الآن مشهورة في كتبهم . فالجواب إن فضل الفضلاء من قرابة المهدي رحمه الله عليهم لا يمنع من اغترارهم ووجود الخطأ في كتبهم . وإن مخالفة ما يوجد في الخطأ من كتبهم لا ينقص من فضلهم . وذلك لأن جميع الفضلاء من الأنبياء وغيرهم يجوز عليهم تصديق ما ليس بصحيح ؛ ولذلك قيل : إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أذن ، ووصفه الله سبحانه بأنه يؤمن للمؤمنين ، أي يصدقهم . وقال المهدي عليه السلام عقيب ذكره للروايات الكاذبة عليه : « فربما يسمع بذلك أولياء الله فيصدقون به والعهد قريب » . فانظر كيف وصفهم بأنهم أولياء الله مع تجويزه لتصديقهم للكذب عليه . فإن قيل إن أولئك الفضلاء حكوا أنهم سمعوا تلك الروايات عن المهدي عليه السلام ؛ فالجواب إذا ثبت كونها خطأ فأكثراً ما يجب في حقهم أن نتأول فيهم كما نتأول في المهدي عليه السلام لو صح أنهم قالوا ذلك ! ولم يصح ! بل في الرواية المشهورة أن علي بن القاسم رحمه الله عليه - وهو أعلم إخوة المهدي وأخصهم به - قال : ما صح عنه من كلام الناس إلا رواية روتها له امرأة المهدي اللعوية . رجع .

وأما الأقوال التي عارض بها ما شنع به عليه من الروايات ؛ فمما عارض به قول مَنْ زعم أنه فضل نفسه على النبي صلى الله عليه وآله وقوله في « كتاب الرد على مَنْ أنكر الوحي بالمنام »⁽¹⁾ : « وليعلم مَنْ سمع قولنا أو فهم تأويلنا أن الوحي الذي ذكرناه فيما تقدم من كلامنا أن الله ختمه بنبينا هو هبوط الملائكة ، وما كان يسمع

(1) منه نسختان معروفتان إحداهما ببرلين رقم 10268 ، والأخرى اطلعنا عليها بضحيان . واسم الكتاب فيهما : الرد على مَنْ أنكر الوحي بعد خاتم النبيين .

موسى من المخاطبة ؛ فذلك الذي ختمه الله وقطعه بعد محمد صلى الله عليه لأنه علم أنه أفضل الأدميين ففرق بينه وبين أهل بيته أجمعين / بأن جعلهم له تابعين ، وبشريته مقتدين . ولو علم في ذريته أفضل منه لأزاح ختم النبوة عنه ، ولجعل بعده أنبياء مثله ، ولما أبان على فضلهم فضله . وقوله في « كتاب تفسير غريب القرآن »⁽¹⁾ : « وبلغنا - والله أعلم - عن بعض الإمامية - لعنهم الله - أنهم قالوا محمد رسول الله ، وخاتم النبيين المهدي ! وكذب أعداء الله في قولهم ! بل محمد خاتم النبيين ، وسيد الأولين والآخرين » . وقوله في « كتاب التوفيق والتسديد » : « وسألت عن العقول هل هي مُستوية أم بينها اختلاف . والجواب أن اختلاف عقول الناس كاختلاف قواهم . فمن كانت قوته تبلغ أداء الفرائض وجبت عليه . ومن لم يُطَق فلا يكلفه الله ما يعدم لديه ، ولا يصل بقوته إليه . وإنما العقول على وجوه معروفة ، وأحوال بيّنة موصوفة ؛ منها عقول سادتنا الملائكة المقربين . ومنها عقول الأنبياء المرسلين ، وعقول الأوصياء المستخلفين ، وعقول الأئمة الطاهرين . وبعد ذلك عقول المكلفين . فأفضل العقول عقول الملائكة الأكرمين . ثم عقول الأنبياء أكرم من عقول الأوصياء . ثم عقول الأوصياء أكمل من الأئمة في العقول ، وأفضل في الاعتقاد والقول . ثم للسابقين من الفضيلة على المقتصدين كمثل فضل الأنبياء على الوصيين . وللأئمة المقتصدين من الفضل ما لا يكون لفضلاء المؤمنين . وأفضل الناس كلهم فضلاً وأكملهم ديناً وورعاً محمد خاتم النبيين صلوات الله عليه وعلى أهل بيته الطاهرين » . ومما عارض به قول من زعم أن كلامه أبهر من كلام الله سبحانه قوله في تفسير غريب سورة الأنعام : ولا نعلم دليلاً أبين من القرآن ، ولا أشفى ولا أوضح من الفرقان ، ولا أبهر ولا أنور في البيان مما جاء به محمد وأهل بيته في البرهان » . وقوله في « كتاب تثبيت إمامة أبيه » عليهما السلام : « ولا يقول أحد إن كتب الأئمة أولى من كتاب الله بالصدق ، وأقرب إلى الصواب والحق » . وقوله في جوابه لمن سأل عن معنى قوله : إن أدلة المعقول أقطع للملحدين من أدلة المسموع . وقوله : إن تفسير الأئمة عليهم السلام للمتشابه أبين من المتشابه : « إنما معنى قولي أنه أقطع للمشبهين والملحدين أنه أبين من المتشابه من كتاب الله

(1) منه عدة نسخ في العالم ؛ قارن بالحشي ، مصادر ، ص 527 و 589 GAS, I,

للمتعلمين ! فأما أن يأتي أحدٌ بمثل آيةٍ من كتاب الله فلا يدّعي ذلك إلا كاذبٌ .

ومما عارض به قول مَنْ زعم أنه لا حجة بعده قوله في « تثبيت إمامة أبيه » عليهم السلام : « وأما قولهم إن كتب الإمام وما سطر حجة على جميع البشر فلعمري إن قبول ما فيها من الحق واجب على جميع المخلوقين لا ما ذهبوا إليه من رفض الأئمة الباقين ، والتعلق بكتب الماضين . ولو كان ما قالوا عند مَنْ عَقَلَ صدقاً ، وكان ما نطقوا به من الزور حقاً لكان ذلك ردّاً لقول رب العالمين ، وإثباتاً لقول المخالفين . إذ كُلُّهم متعلقٌ بكتب مَنْ عَدِمَ شخصه ، رافضٌ لمن كان من الأئمة بعده . ولو كان لأحدٍ منهم أن يقف على إمامة رجلٍ مرفوضٍ بعده لجاز ذلك لمن كان من الروافض قبله . ولجاز لهم من ذلك ما جاز له ، ولصارت العوام أولى بالإمامة من آل نبيهم ، ولنقضوا قول ربهم ، ولما كان لقوله : ﴿ ولكل قوم هاد ﴾⁽¹⁾ معنى ، ولكان تمرداً وعَبَثاً فتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً . إلى قوله : « وزعموا أن لله حجة مغمورة إذا لم يكن ثم حجة مشهورة غير مَنْ هو عندهم ، مُعارضٌ ، ولكلام الأئمة رافض ، والله سائلهم عما ذكروا من المُحال ، وأفحشوا في أولياء الله من المقال ، وأكذبوا / ما قال فيهم ذو الجلال ؛ فأخرجوا الله بحجتهم هذا المغمور من الحكمة والعظمة والتدبير إذ زعموا أن الله يحتج على عباده ، وينفي الفساد من بلاده بحجة لا ترى ولا تبصر ولا يسمع بها ولا تذكر ، ولا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر ، ولا يرد على أحدٍ من المُبطلين ، ولا ينصر الحق والمُحققين » إلى قوله : « وأيضاً فليس من حكمة الحكيم أن يحتج على عباده بحجة من أهل بيت نبيّه ثم يُخفيها عنهم ويغمرها ولا يُعلمهم بها ويسترها ، ونظائرها من القول وأشكالها . وإنما معنى ما روي من الحجة الباطنة عن أمير المؤمنين عليه صلوات رب العالمين هو المقتصد من آل الرسول . وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه ذكر الحجة ثم قال : إمّا السابق ، وإمّا المقتصد . وإنما سُمي المقتصد لاقتصاده عن المثل⁽²⁾ (؟) وسُمي حجة لاحتجاجه على جميع العباد . إلى قوله : « فكيف إلا أنه قد قال بإجماعهم لو انتفعوا بعقولهم وأسماعهم : إني تارك فيكم ما

(1) سورة الرعد/7 .

(2) في مخطوطة المكتبة الغربية : المراد .

إن تمسكتُم به لن تضلّوا بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي . إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض . ولا يخلو قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم : « لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض » من أن يكون باطلاً أو حقاً فنعوذ بالله من تكذيب الرسول ومكابرة حُجج العقول . ولقد كفر من كذّب كتاب ربّ العالمين ، وردّ قول الرسول الأمين ، وتعلّق بأوهامه وظنونه ، وقبّل وحيّ شياطينه ، واعتمد على المُتشابه من الأقاويل ، وجهل مخارج السور > إلى < السيرة والتأويل⁽¹⁾ ، وفارق مُحكم التنزيل ، واتّكل على الأقاويل المهلِكَات ، وقبل ما روي من المتشابهات ، وتبرأ من الأُمّهات المُحكّمات » . وقوله في كتاب « شواهد الصنع »⁽²⁾ : « أصل الإمامة في العقول لأنّ الحكيم قد علم أنه لا بُدّ من اختلاف بين المخلوقين فجعل في كلّ زمانٍ حياً مترجماً لغوامض الأمور ، مبيّناً للحيران من الشرور . ولا يعدم ذلك في كلّ قرنٍ إمّا ظاهراً جليّاً أو مغموراً خفياً . فإن قيل : وما الظاهر الجليّ ، وما المغمور الخفيّ ؟ قيل - ولا قوة إلّا بالله - : أمّا الظاهر فالسابق المبدّر لجميع الخلائق . وأمّا الخفيّ فالمقتصد المحتجّ لله على جميع العباد الأمر بالمعروف ، والناهي عن الفساد بغير قيام ولا جهاد » .

ومما عارض به قول مَنْ زعم أنه مهديّ عيسى ، وأنه لا بُدّ لمهديّ عيسى من غيبة قبل قيامه - تفسيره عليه السّلام لقول الله سبحانه⁽³⁾ : ﴿وإنّ من أهل الكتاب إلّا ليؤمننّ به قبل موته﴾ ؛ قال : يحتمل أن يريد إلّا مَنْ قد آمن وأتى بالمستقبل بمعنى الماضي . ويحتمل إنّ ما روي عن الأئمة عليهم السّلام يُظهره في آخر الزمان يدعو إلى طاعته وطاعة المهديّ ، ويصلّي خلفه ، وتفسيره لقوله تعالى⁽⁴⁾ : ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدّين كلّهُ﴾ . قال : هو وعدّ من الله سبحانه لرسوله فكان ما وعدّ . قال : « وأمّا

(1) في مخطوطة الغربية : وجهل مخارج السير والتأويل .

(2) منه عدة مخطوطات إحداها في مجموعة السيد المنصور التي رجعنا إليها ؛ وقارن بالحبشي : مصادر ، ص 528 .

(3) سورة النساء/ 159 .

(4) سورة التوبة/ 33 ؛ وسورة الفتح/ 28

(5) سورة الأحزاب/ 27 .

في الخبر عن الأئمة عن النبي عليه وعليهم السلام أن هذا الظهور يكون على يد المهدي عليه السلام يقهر جميع أديان الأمم . وتفسيره لقوله تعالى : ﴿ وأرضاً لم تطأوها ﴾ قال : « أي ستملكونها . وقيل : سيملكها القائم من آل محمد في آخر الزمان » . وتفسيره لمعنى ما روي عن النبي في المهدي أنه يؤيم عرسه ! قال عليه السلام : « معنى يؤيم عرسه أن يتركها عند قيامه اشتغالاً بطلبها⁽¹⁾ عنها » . وتفسيره لمعنى ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في الحجة الباطنة / بأنه المقتصد . واحتج على ذلك بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ستأتي من بعدي فتنة متشابهة كقطع الليل المظلم فيظن المؤمنون أنهم هالكون فيها ، ثم يكشفها الله عنهم بنا أهل البيت برجل من ولدي حامل الذكر لا أقول حاملاً في حسبه ودينه ؛ ولكن صغر سنه وغيبته عن أهله واكتامه في عصره ! فبين صلى الله عليه أنه يريد بذلك الاقتصاد لا ما ذهب إليه أهل اللداد .

فصل : انظر كيف يجوز أن يُضاف إليه ما عابه على غيره وسمّاه فريةً وكفراً ولّداداً ونحو ذلك ! وكيف يجوز الخروج من هذا المعلوم المُجمّع عليه إلى الروايات المظنونة المختلف فيها ! ومن أقوال أئمة الزيدية إلى أقوال غلاة الإمامية ! .

ومما عارض به قول مَنْ روي عنه أنه لا يموت ولا يُستشهد حتى يقوم في آخر الزمان قوله في رسالته إلى شيعة جدّه القاسم بن إبراهيم عليه السلام : « فالعياذ بالله كيف يُداري في الحق مَنْ أصبح وأمسي منتظراً لسفك دمه ، وقد وطىء وطأة المتناقل على أعداء الله » . وقوله في كتاب « الدامغ »⁽²⁾ يصف نفسه عليه السلام : « وأصبح متوقّعاً للموت والفناء ، وعاداً الفقر أحب إليّ من الغناء » . وقوله في كتاب « الأسرار »⁽³⁾ : « فوالدي أنا في يده ما نمت نومةً حتى أناقش نفسي وأتذكر ما اجتريحت في يومي وأمسي ؛ لأنّ النائم ربّما حيل بينه وبين انتباهه كما يُحال بين اليقظان ومنامه » . وقوله في بعض أدعيته : وأكبر همّي الشهادة في سبيلك ،

(1) في مخطوطة الغربية : بالجهاد .

(2) قارن بالمؤيدي ، شرح الزلف ، ص 82 .

(3) منه مخطوطة بربلين برقم 10321 ؛ GAS, I, 570

الغضب لدينك . وأنا حريص في ذلك . فيا رب لا تُخَيِّب آمالي ، ولا تخترم دون الشهادة أجلي ، وعَجِّلْ يا مولاي ذلك ، وارحم تضرُّعي ! إلى قوله : وعليّ أن أبذل جسدي وعرضي ولساني حتّى يُفَرَّقَ بين روحي وجسدي ، ويقطع فيه أجلي . اللهم خذْ بذلك عهدي وميثاقي واشهدْ عليّ وكفى بك شهيداً . اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك وحَمَلَةَ عرشك وأهل سماواتك وأرضك أني لا أجمع ولا أنثني ولا أستقيلك في بيعتي حتّى ينقطع عُمرِي ثم أزور قبري أو يذهب لك في العطب لحمي ودمي . انظر كيف يجوز أن يُضاف إليه عليه السّلام أنه لم يف بعهدته وميثاقه ! وكيف يجوز أن يُترك تصديقُه في هذا وشبهه لأجل رواياتٍ لا دليل على صحتها ، ولا ثقة بمن أسندت إليه من النسوان والمنتشيعين الذين حكى عنهم بعض إخوة المهدي عليه السّلام .

ومما يُعارض به قول مَنْ زعم أنه كان يرى ما حُكي عنه في المنام قوله عليه السّلام في « كتاب الإمامة »⁽¹⁾ : « واعلم أن الإمامة لا تصح بالملاحم والمنام ، ولا تبطل إمامة الأئمة بالأحلام ؛ لأنّ الرؤيا وإن كانت من حكمة الله جلّ جلاله وعظمت نعمته وأفضاله ؛ فإنها تُحمل على التأويل ، ولا يُعتبر ظاهرها في جميع الأقاويل . والحكيم لا يُصرّح بكلّ أسبابه لما في النظر والتمييز من ثوابه . مع ما في النظر من لقاح العقل وبُطلان الخيرة والجهل . وربما رأيت الرؤيا للرجل وإنما المراد بها سواه من ذريته أو بعض إخوانه وقرائبه » .

فصل : يشتمل على مسائل ، الأولى : إذا كان للمهدي عليه السّلام أقوالٌ مُجمَّعة على صحتها وأقوالٌ مختلفٌ فيها - ما الواجب أن يتّبع من ذلك في وقت الفترة ؟ الثانية : إذا كان لا بُدَّ لله سبحانه من حُجّةٍ من العترة في كلّ عصرٍ ، وكان كلّ حُجّةٍ بعد المهدي عليه السّلام لا يصدّق بما شنع عليه ؛ هل يجب الاقتداء به مع ذلك أم يجب رفضه ؟ الثالثة : إذا كان مهديّ عيسى عليهما السّلام لا يُعلم / أنه هو إلّا بعد ظهور عيسى ، ولا يُعلم أنّ عيسى هو هو حتّى يحيي الموتى ، فكيف يُعلم

(1) منه نسخة ببرلين رقم 10275 ؛ لكننا لم نستطع مقارنتها فلا نعرف إن كانت هي نفسها كتابه في تثبيت

إمامة أبيه المذكور سابقاً ؛ GAS, I, 569

مع عدم ذلك ؟ الرابعة : إذا كان فضلُ النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلّم مُجمَعاً على كونه معلوماً بالنصّ فكيف يجوزُ نسخُه بفضله مُختَلَفٍ فيه ؟ الخامسة : هل تصحُّ إمامةُ مَنْ يدّعي خلافاً ما أجمعت عليه الأمةُ مع أنّ من شرط صحّة الجماعة ألا يُخالف شيئاً من الأدلّة ، وأن يكون مقتدياً بمن قبله من الأئمة وغير مُخالفٍ لإجماعهم ؟ السادسة : لو صحّ القول بتفضيل المهديّ على النبيّ هل يكون فضله عليه معقولاً أو مسموعاً تفضلاً أو مُجازاةً ، وهل يكون قبل ظهور عيسى أو بعده ؟ السابعة : إذا قام من العترة بعد المهديّ عليه السّلام إمامٌ ، وأنكر بعض ما يجبُ في كتب المهديّ عليه السّلام من الروايات هل يكذب أو يصدّق كما قال القاسم بن علي عليه السّلام في كتاب « ذمّ الأهواء والوهوم »⁽¹⁾ في مثل ذلك ؟!

واحدروا - رحمكم الله - من فتنة الهوى ، ومخالفة حُجَج الله التي تُعَيِّن وتُثَرِّى ، ولا تأتمّوا بالأخبار التي تردّ عليكم من أئمة الهدى ؛ فإنّ الله لم يجعل حُجَجَه خبراً فاسداً ولا كتاباً مُفرداً ليس معه من ذرية الرسل مُعين !

والحمد لله ربّ العالمين . وصلى الله على سيّدنا محمدٍ وآله وسلّم . ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم .

(1) منه مقتطفاتٌ بمخطوطة ضحيان التي رجعنا إليها ، ص 333 - 334 : كتاب ذمّ الأهواء والوهوم

ثبت المصادر والمراجع

- أخبار أئمة الزيدية في طبرستان وديلمان وجيلان . نصوص تاريخية جمعها وحققها ويلفريد ماديلونغ . بيروت 1987 .
- الإفادة في تاريخ الأئمة السادة لأبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني . مخطوطة ضحيان بجوار صعدة .
- أفعال للقاضي إسماعيل الأكوع ؛ في الإكليل ، ع 2 ، 1980 ، ص 9 - 30 .
- الإكليل للهمداني ، ج 8 ، تحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع ، دمشق 1979 .
- أنباء الزمن ليحيى بن الحسين . 1 - 2 . مخطوطة بملك السيد محمد بن محمد المنصور بصنعاء .
- بلاد العرب للحسن بن عبد الله الأصبهاني ، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي ، الرياض 1968 .
- البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي للقاضي إسماعيل الأكوع . الكويت 1985 .
- بيان الإشكال فيما حُكي عن المهديّ من الأقوال لُحميدان بن يحيى . رجعنا إلى مخطوطتين وصفناهما في التمهيد . ونشرنا الكتيب في الملحق الثالث .
- بين مكة وحضرموت لعاتق بن غيث البلادي ، مكة 1982 .
- تاريخ بني الوزير لمحمد بن العفيف بن الوزير . مخطوطة الجامع الكبير

- (المكتبة الغربية) بصنعاء .
- تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى القرن السادس الهجري لأيمن فؤاد سيد . الدار المصرية اللبنانية . القاهرة 1988 .
- تاريخ مسلم الحجى = كتاب أخبار الزيدية من أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم باليمن : أ - سيرة الإمام الناصر أحمد بن يحيى منتزعة من كتاب أخبار الزيدية تأليف أبي الغمر مسلم بن محمد بن جعفر الحجى . نشر ويلفريد ماديلونغ طبع Ithaca Press ، 1990 ، ب - الجزء الرابع من تاريخ مسلم الحجى ، من نسخ العام 566 هـ . مخطوطة مجهولة المصدر ، رجعنا إلى مصورة عنها بمكتبة جامعة صنعاء .
- تاريخ اليمن الإسلامي من سنة 204 هـ إلى سنة 1006 هـ لأحمد بن محمد المطاع . نشر السيد عبد الله الحبشي . دار التنوير ، بيروت 1986 .
- تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزيد لعمار بن علي اليمني . تحقيق محمد بن علي الأكوع . الطبعة الثالثة 1979 .
- الترجمان المفتاح لثمرات كمائم البستان لابن مظفر . مخطوطة الجامع الكبير (المكتبة الغربية) بصنعاء .
- (كتاب) التفرع للقاسم بن علي العياني . مخطوطة المتحف البريطاني رقم 3977 .
- الجامع الكافي في فقه الزيدية لأبي عبد الله محمد بن علي الحسن العلو ، 1 - 5 ، مخطوطة الجامع الكبير (المكتبة الشرقية) بصنعاء .
- جغرافية اليمن الطبيعية (للشطر الشمالي) لشاهر جمال آغا . دمشق 1983 .
- الجمهورية العربية اليمنية :
- (أ) - خريطة 1 : 500000 ، مصلحة المساحة 1985 .
- (ب) - خريطة 1 : 50000 ، المملكة المتحدة 1979 - 1985 .
- الجهاز المركزي للتخطيط (بالجمهورية العربية اليمنية) :
- (أ) - التوزيع السكاني ، صنعاء 1978 .
- (ب) - النتائج النهائية للتعداد السكاني التعاوني . صنعاء 1981 .

- (ج) - التفسيرات الإدارية لعام 1985 .
- (د) - النتائج الأولية لتعداد 1986 .
- الحدائق الوردية في أخبار أئمة الزيدية لحُميد المحلي ، 1 - 2 ، مخطوطة
يمنية حديثة النسخ مصورة بالأوفست ، بدون تاريخ .
- حقائق المعرفة للمتوكل على الله أحمد بن سليمان . مخطوطة حديثة النسخ
(1377 هـ) ، صنعاء .
- الحكمة الدرية للمتوكل على الله أحمد بن سليمان . مخطوطة بملك السيد
عبد الوهاب بن محمد أحسن المتميز بضحيان بجوار صعدة . نسخ العام
1254 هـ .
- الحور العين لنشوان بن سعيد الحميري . نشر كمال مصطفى ، بيروت
1985 .
- الدر المنثور في أنساب السادة والشيعة ، بحوث لأحمد بن يحيى بن أحمد بن
علي ساري ، مخطوطة الجامع الكبير (المكتبة الغربية) بصنعاء .
- الدعامة في إثبات الإمامة لأبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني . مخطوطة
بضحيان بجوار صنعاء .
- الدعامة = نُصرة مذاهب الزيدية ، نشر ناجي حسن ، الدار المتحدة للنشر
ببيروت . أخطأ الناشر في نسبة المخطوطة واسمها ؛ إذ نسبها للصاحب بن عباد
وسمّاها : نُصرة مذاهب الزيدية .
- الروض النضير للسياغي ، 1 - 5 .
- القاهرة . نسخة مصورة عن الطبعة الأولى . بدون تاريخ .
- سيرة الإمام المنصور القاسم بن علي العياني للحسين بن أحمد بن يعقوب .
مخطوطة المتحف البريطاني رقم 3816 .
- سيرة المتوكل على الله أحمد بن سليمان لسليمان بن يحيى الثقفي . مخطوطة
الجامع الكبير (المكتبة الغربية) بصنعاء .
- سيرة المؤيد بالله للمرشد بالله ، مخطوطة السيد أحمد الشامي بصنعاء ، نسخ
العام 1054 هـ (وقارن بالتمهيد ، ص 35) .
- سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين لعلي بن محمد بن عبيد الله العباسي ،

- تحقيق سهيل زكار ، بيروت 1972 .
- شرح التجريد للمؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني ، 1 - 6 ، مصورة بالأوفست عن مخطوطة حديثة النسخ ، صنعاء 1985 .
- صبح الأعشى للقلقشندي ، 1 - 16 ، القاهرة 1912 وما بعدها .
- صفة جزيرة العرب للحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ، تحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع ، مركز الدراسات والبحوث اليمنية ، صنعاء 1983 .
- صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز = تاريخ المستبصر ، لابن المجاور . اعتنى بتصحيحها أوسكار لوفجرين ، بيروت ، تصوير 1986 .
- الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن لحسين فيض الله الهمداني ، القاهرة 1955 .
- طبقات الزيدية ليحيى بن الحسين ، مخطوطة ضحيان بجوار صعدة .
- طرفة الأصحاب لعمر بن يوسف ابن رسول ، تحقيق ك. و. سترستين ، بيروت 1985 .
- المسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك للخزرجي ، مخطوطة مصورة بالأوفست ، سلسلة وزارة الإعلام والثقافة بصنعاء ، طبعة ثانية 1981 .
- علم الإفادة في تاريخ ذوي الشرف والسادة لناصر بن عبد الحفيظ ابن المهلا ، مخطوطة الجامع الكبير (المكتبة الغربية) بصنعاء .
- غاية الأمان في أخبار القطر اليماني ليحيى بن الحسين ، 1 - 2 ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور . القاهرة 1968 .
- في بلاد عسير لفؤاد حمزة ، القاهرة 1951 .
- في شمال غرب الجزيرة لحمد الجاسر ، الرياض 1970 .
- قبائل اليمن القديمة والحديثة لعمر رضا كحالة ، بيروت 1978 - 1979 .
- قرة العيون في أخبار اليمن الميمون لابن الديبع الشيباني ، تحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع ، القاهرة 1374 هـ / 1397 م .
- قلب جزيرة العرب لفؤاد حمزة ، الرياض 1968 .

- اللآلي المضية لأحمد بن محمد بن صلاح الشرفي ، مخطوطة ضحيان . في ثلاثة أجزاء .
- اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية لمحمد بن إسماعيل الكبسي ، نشر محمد بن عبد الله الكبسي ، مطبعة السعادة بمصر ، بدون تاريخ .
- اللواحق الندية للحدائق الوردية = مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار - لمحمد بن علي بن يونس الزحيف ، مخطوطة ضحيان .
- مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم الرسي ، مخطوطة آل زيد بصنعاء .
- مجموع بلدان اليمن وقبائلها لمحمد بن أحمد الحجري ، تحقيق القاضي إسماعيل الأكوع ، منشورات وزارة الإعلام والثقافة بصنعاء ، 1984 .
- محمد النفس الزكية وسيرته في أهل البغي لرضوان السيد ، بمجلة كلية الآداب بجامعة صنعاء ، م 11/1990 / ص ص 105 - 132 .
- (كتاب) المصابيح (في تراجم أئمة آل البيت) لأبي العباس أحمد بن إبراهيم الحسني ، مخطوطة السيد أحمد الشامي بصنعاء .
- مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي لأيمن فؤاد سيد ، القاهرة 1974 .
- مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن لعبد الله الحبشي ، مركز الدراسات والبحوث اليمنية بصنعاء ، بدون تاريخ .
- معالم الآثار اليمنية لحسين بن أحمد السياغي ، صنعاء 1980 .
- معجم البلدان لياقوت الحموي ، نشرة Leipzig. Wüstenfeld، 1866-1873 .
- معجم البلدان والقبائل اليمنية لإبراهيم بن أحمد المقحفي ، صنعاء 1985 .
- معجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواضع لأبي عبيد عبيد الله بن عبد العزيز البكري ، تحقيق مصطفى السقا ، الطبعة الثانية 1983 .
- منتخبات في أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لنشوان الحميري ، نشر عظيم الدين أحمد ، لايدن 1916 .
- المنية والأمل لأحمد بن يحيى بن المرتضى ، نشر محمد جواد مشكور ، الطبعة الثانية بيروت ، بدون تاريخ .
- مؤلفات الحسين بن القاسم العياني ، اعتمدنا على مخطوطتين إحداهما بحوزة

السيد محمد بن محمد المنصور بصنعاء ، والأخرى بحوزة السيد صلاح الهاشمي بصعدة .

— هداية الراغبين إلى مذهب العترة الطاهرين للهادي بن إبراهيم بن علي بن المرتضى ، مخطوطة ضحيان .

— اليمن الخضراء للقاضي محمد بن علي الأكوع ، القاهرة 1971 .

— اليمن الكبرى لحسين بن علي الويسي ، القاهرة 1962 .

الفهارس العامة

1 - فهرس الأعلام

- أ -

- أحمد بن خليفة: 225، 226.
أحمد بن سليمان: 38، 39، 40، 44، 55، 64، 145، 147.
أحمد بن طريف: 106، 119، 124، 135.
أحمد بن العباس: 95.
أحمد بن عبد السلام: 63، 320، 321، 322، 326، 327، 329.
أحمد بن عبد الله بن أبي مدين: 151، 152.
أحمد بن عيسى بن زيد: 68.
أحمد بن الغمر بن أبي الهيثم: 332.
أحمد بن المجاهر السنحاني: 309.
أحمد بن محمد بن إبراهيم: 344.
أحمد بن محمد بن أحمد: 340.
أحمد بن محمد الزوبعي: 210، 264.
أحمد بن محمد الشرفي: 56، 58، 59.
أحمد بن مظفر الصليحي: 19، 21، 24، 27، 28، 104، 130، 131، 145.
155، 156، 157، 160، 161، 162، 174، 175، 177، 178، 221، 223، 309، 310، 312.
إبراهيم: 31، 127، 259، 322، 322.
إبراهيم بن أبي سلمة: 106.
إبراهيم بن إسحاق: 95.
إبراهيم بن جابر: 342.
إبراهيم بن سليمان: 95، 99، 147، 309.
إبراهيم الصليحي: 215، 225.
ابن أبي الفتوح: 124، 234.
ابن أبي الفوارس: 61.
ابن أبي هاشم: 136.
أثاث بن مفلح: 204، 205.
أحمد: 13، 21، 29، 322.
أحمد بن أبي الحصن: 194.
أحمد بن أبي القاسم: 57، 63.
أحمد بن أحمد المطاع: 58.
أحمد بن أسعد: 220.
أحمد بن بريه: 56.
أحمد بن جعفر: 82، 148، 149، 122، 230، 262، 263، 271، 282.
أحمد بن الحسين: 35، 65.

- ت -

تواب بن محمد الجرادي : 119 ، 142 .

- ث -

ابن الثابت : 157 .

- ج -

جابر بن سالم : 256 .

جابر بن عزيز : 246 .

جابر بن عمرو المحصني : 134 .

جبرائيل (ع) : 138 ، 169 .

جبير بن بدر : 124 ، 125 .

جبيل بن أبي سعيد : 95 .

الجحاف بن مربع الدعامي : 156 .

الجحاف بن منيع (مانع) : 27 ، 168 ، 162 ، 246 .

جشمير بن عبد الأعلى : 94 ، 95 ، 104 ، 119 ، 120 ، 123 ، 124 .

جشيم بن عبد الله : 330 ، 331 .

جعفر بن أحمد : 63 .

جعفر بن الحسن : 189 ، 191 ، 192 ، 193 ، 257 ، 326 .

جعفر بن ذي الشرفين : 13 ، 16 ، 29 ، 54 .

جعفر بن عباس : 43 .

جعفر بن القاسم : 9 ، 10 ، 15 ، 16 ، 45 ، 49 ، 53 ، 63 ، 65 ، 73 ، 74 ، 116 .

143 ، 168 ، 257 ، 320 ، 327 ، 328 ، 337 .

جعفر بن محمد بن جعفر : 201 ، 204 ، 267 ، 277 ، 284 ، 311 .

الجعيد : 54 .

أبو الجماهر بن عبد الله : 225 ، 226 .

جهضم بن أبي الحروب : 74 .

327 ، 329 ، 330 .

أحمد بن موسى الطبري : 61 ، 68 .

أحمد بن يحيى المرتضى : 54 .

أحمد الحجازي : 342 .

أحمد الفحاش الحميري : 338 .

أحمد الناصر بن الهادي : 8 ، 10 ، 13 ، 33 ، 44 ، 35 ، 37 ، 40 ، 43 ، 46 ، 47 ، 49 ، 50 ، 52 ، 57 ، 60 ، 61 ، 66 ، 67 ، 68 ، 84 ، 90 ، 111 ، 113 ، 155 ، 161 ، 171 ، 296 .

إدريس الداعي : 22 .

إسحاق بن إبراهيم : 95 .

أسعد بن أحمد : 311 .

أسعد بن الأشرم : 95 .

أسعد بن شهاب : 112 .

أسعد بن عبد الفاضل : 330 ، 331 ، 342 .

أسعد بن عراف : 187 ، 207 .

أسعد بن عمر : 95 .

أسعد الكامل : 153 .

أسماء : 21 .

إسماعيل بن أبي يعفر الصليحي : 21 ، 145 ، 146 .

أفلح بن محمد الجنبي : 119 .

أنس بن يعقوب : 74 .

أمين فؤاد سيد : 11 .

- ب -

برابر : 15 .

أبو البقاء : 139 .

أبو بكر : 124 .

ابن البكري : 185 .

بروكلمان : 11 .

جولة بن محمد: 177، 325، 327.
جياش بن نجاح: 13، 24، 175، 185،
187، 189.

- ح -

أبو حاشد بن أبي الجبل: 242.
أبو حاشد بن الضحاك: 15، 48، 75،
76.
حاشد بن كديس: 174، 177، 325،
327.
حاشد بن يحيى: 75.
حاطب بن إبراهيم: 95.
حرب بن كهلان: 159.
الحربي بن شرحبيل: 263.
حريش: 222.
حسان بن سلامة: 177.
الحسن بن علي: 111، 169، 187، 253،
268، 283، 289.
الحسن بن إبراهيم: 95، 134، 159،
161، 168، 178، 193، 206،
214، 222، 227، 230، 236،
238، 242، 254، 255، 257،
259، 260، 262، 263، 270،
271، 274، 280، 282، 282،
312، 328.
الحسن بن أبي الخياط: 264.
أبو الحسن بن أبي الفتوح: 241.
الحسن بن أحمد الجنبلي: 334، 335،
344.
الحسن بن جعفر: 19، 93، 99، 130،
131، 144، 161.
الحسن بن الدعام: 27، 247.
الحسن بن زيد: 35.
الحسن بن عبد الرحمن: 10، 15.

الحسن بن علي بن محمد: 222.
الحسن بن علي الزيدي: 154.
الحسن بن قاسم الأشيبي: 161.
الحسن بن همدان: 158.
الحسن بن واقد: 135، 136، 221،
232، 252، 293.
الحسن بن يعقوب: 154، 225.
حسن أخو ذي الشرفين: 21.
الحسين (ع): 111، 113، 169، 253،
258، 266، 283، 289.
الحسين بن إبراهيم: 232، 252، 262،
263، 281، 313.
حسين بن أبي الفتح: 238.
الحسين بن أحمد بن يعقوب: 34.
حسين بن عمر الشواحي: 142.
حسين بن علي الأشل: 119.
الحسين بن القاسم بن علي: 9، 10، 11،
36، 37، 38، 39، 41، 42، 43،
44، 45، 46، 49، 53، 54، 55،
56، 62، 63، 64، 65، 66، 67،
69، 71، 72، 84، 85، 90، 143،
155، 169، 253، 279، 283،
284، 289، 291، 304، 308،
323، 324، 330، 331، 332،
333، 334، 335، 336، 337،
339، 340، 342، 343، 344،
345، 347، 351، 352، 355.
الحسين بن محمد: 282.
حسين بن مفلح: 203، 204، 207.
الحسين بن منصور: 239.
أبو الحسين بن مهلهل: 75، 98، 120،
158، 165، 175، 220.
الحسين بن مهنا: 19، 137، 139.

ذو الشرفين: 13، 16، 17، 18، 19،
 20، 21، 23، 24، 25، 26، 27،
 28، 29، 37، 50، 51، 52، 53،
 60، 62، 118، 124، 144، 145،
 146، 147، 148، 150، 151،
 152، 156، 157، 159، 160،
 166، 168، 173، 174، 175،
 176، 177، 178، 184، 185،
 187، 189، 193، 194، 195،
 196، 197، 199، 200، 201،
 202، 203، 204، 205، 208،
 212، 213، 214، 215، 216،
 217، 219، 220، 222، 224،
 225، 226، 227، 229، 230،
 233، 234، 236، 237، 238،
 239، 241، 242، 243، 247،
 252، 254، 255، 257، 260،
 262، 263، 264، 263، 264،
 265، 266، 270، 271، 272،
 276، 277، 281، 283، 291،
 292، 293، 294، 301، 306،
 309، 310، 312، 313.

ذؤيب بن موسى: 339.

- ر -

ربيع بن الروية: 95.
 ربعة الجوبي: 105.
 ربعة خولان: 12، 13.
 الريان الهمداني: 52.

- ز -

الزبير: 88، 303.
 الزبير بن الكرندم: 213.
 الزبير بن معمر الوادعي: 98، 131.

أبو الحسين بن نعمة: 266.
 أبو الحسين بن هارون: 300.
 الحسين السراج الصنعاني: 335، 336.
 الحطيظ بن عبد المجيد: 28، 262، 263.
 حمزة بن أبي هاشم: 20، 50، 76، 142،
 323، 325.
 حمزة بن الحسن: 243.
 حمزة بن الغمر: 332.
 حميدان بن القاسم: 143، 168، 169،
 176، 199، 204، 220، 227،
 230، 238، 252، 254، 255،
 262، 264، 271، 272، 313.
 حميدان بن يحيى: 44، 46، 55، 65،
 66، 67، 68، 69، 315، 355.
 حميد المحلي: 44.
 حمير بن أبي الصيد: 313.

- خ -

خزيمة بن ثابت: 304.
 الخضر (ع): 45، 63، 331، 336،
 340، 342.
 خطاب بن يعيش: 121.
 خولان: 93.

- د -

داؤد النبي: 349.
 درهمي بن جعفر: 322.
 دلهام بن عبد الله: 21، 145، 146،
 309.

- ذ -

ذعفان بن يحيى: 195، 221، 223،
 241، 309، 312.
 ذو الثدية: 303.

زيد بن أبي العشيرة: 135، 136، 306.

- س -

سالم بن أسعد: 95.

سبأ بن أحمد: 165، 174.

سبأ بن أسود: 106، 107، 108، 109.

سبأ بن شمر: 224، 231.

سعد بن أبي السعود: 333.

أبو السعود بن زيد: 335.

سعيد الأحول بن نجاح: 21، 22، 148.

سعيد بن بُريه: 97.

سفيان: 161.

سلامة بن الضحاك: 93.

سلامة بن علي بن محمد: 13، 81، 84.

101، 105، 106، 111، 113.

114، 116، 117، 118، 119.

120، 122.

سلمة بن قتال: 175، 202.

سليمان (ع): 351.

سليمان بن إبراهيم: 313.

سليمان بن حمزة: 56.

سليمان بن داود الرسي: 240.

سليمان بن سودة: 333.

سليمان بن عامر (عمير): 28، 264، 309.

سليمان بن القاسم: 17، 19، 124، 136.

143، 161.

سليمان بن محمد الرسي: 139.

سليمان بن يحيى: 64.

- ش -

شبانة بن الأحيمر: 127.

شبل بن عمرو: 139، 140.

شرحبيل بن الحربي: 264.

الشريف الفاضل = محمد بن جعفر بن القاسم.

ابن الشرسي: 222.

شكر بن أبي الفتوح: 17، 104، 125، 126.

شكر بن علي: 196، 264.

- ص -

الصاحب بن عباد: 36.

الصريمي: 221.

ابن صعتر: 61.

صلاح الدين محمد بن علي: 68.

- ط -

أبو طالب: 305.

طاهر بن الحسين: 132.

طلحة: 88.

- ظ -

ظفر بن أبي العسكر: 196.

- ع -

عائكة: 39.

عامر بن سليمان: 56، 98، 158، 186.

223، 311، 327.

عامر بن يوسف: 101.

عباد بن شهاب: 95.

عباس بن الخدين: 157.

العباس بن يوسف: 134.

أبو العباس الحسيني: 61.

أبو العباس السجزي: 340.

عبد الله بن أبي الهزام: 149.

عبد الله بن جعفر: 15، 45، 73، 143.

157.

عبد الله بن عباس: 161.

- عبد الله بن عمر الهمداني: 32، 33، 34.
عبد الله بن كليب: 95.
عبد الله بن محمد: 112، 113، 156، 161.
عبد الله بن محمد اللهابي: 220، 309، 311.
عبد الله الورد: 54.
عبد الأعلى بن عبيد الله: 323.
عبد الأكبر بن وهيب: 77.
عبد الباعث بن أنس: 200، 214، 215، 222، 226، 230، 236، 255، 262، 263.
عبد الجبار بن أحمد: 36.
عبد الخالق: 214.
عبد الرحمن بن حسان: 74.
عبد السلام الصنعاني: 114.
عبد القاهر بن أبي الحسن: 214، 221.
عبد الملك بن غطريف: 46، 356.
عبيد: 146.
عبيد الله بن محمد: 168.
عبيد الله بن يحيى: 87.
عبيد بن محمد: 309.
عراف بن فلان الصليحي: 225.
أبو العسكر: 75.
أبو العشيرة بن عباد: 214، 219، 222، 237.
العطاب: 75.
عطاف بن أسعد: 309.
العطاف بن بدر: 266.
العطافي بن الموحم: 325.
عطية: 238.
علاء بن أبي الخير: 238، 271.
علي بن أبي طالب = أمير المؤمنين: 92، 111، 124، 138، 155، 169، 213، 253، 258، 266، 283، 289، 294، 302، 303، 304، 305، 330، 348، 358، 361، 363.
علي بن أبي الخير: 272.
علي بن أبي رزين: 344.
علي بن أبي الهزام: 207، 209، 210.
علي بن أحمد بن أبي الجيش: 23.
علي بن جعفر: 82.
علي بن ذعفان: 93، 94، 95، 319.
علي بن عبد الله الأكبر: 74.
علي بن عبد الله الصلي: 95.
علي بن عبد القادر الجنبلي: 141.
علي بن علي: 95.
علي بن علي بن أبي سعيد: 222.
علي بن فضل الحميري: 84.
علي بن القاسم بن علي: 39، 359.
علي بن محمد بن عبد الملك: 13، 79، 81، 82، 85، 92، 94، 98، 109، 113، 116، 127، 148، 155.
علي بن محمد الصليحي: 11، 15، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 47، 48، 50، 51، 53، 72، 73، 74، 75، 76، 92، 93، 94، 97، 104، 105، 108، 109، 110، 111، 112، 116، 117، 119، 128، 130، 131، 136، 138، 139، 140، 142، 189، 319، 320، 325، 327.
علي بن محمد العلوي: 32، 33، 52.
علي بن ناهض: 135.
علي بن يحيى الصهباني: 150، 151، 152.

علي بن يحيى اللداني : 344 ، 345 .

عمار : 303 .

عمر : 124 .

عمر بن حقرة : 187 .

عمرو بن العاص : 303 ، 304 .

عنز بن وائل : 17 ، 122 ، 141 .

عواض بن رميد : 101 .

عواض بن همدان : 338 .

عواض بن وعل : 214 .

عواض بن يحيى : 119 .

العوسجي : 141 .

أبو عوف بن سليمان : 97 .

عياش بن أبي سهيم : 95 .

عيسى بن الحسين : 21 ، 94 ، 148 ، 176 ، 189 .

عيسى بن عياش : 45 ، 49 ، 93 ، 99 ، 103 ، 104 .

عيسى بن مريم : 45 ، 63 ، 331 ، 336 ، 340 ، 342 ، 364 ، 365 .

- غ -

غدير بن همدان : 338 .

غريب بن البقاء : 20 .

غشام : 204 .

غليس بن عباس : 149 .

- ف -

فاطمة بنت النبي (ص) : 192 ، 289 .

أبو الفتوح بن عليان : 240 ، 263 ، 264 ، 276 ، 277 ، 282 .

فطيمة : 143 .

فُلَيْتة بن قاسم : 54 .

- ق -

القاسم بن إبراهيم : 26 ، 28 ، 34 ، 39 ، 94 ، 160 ، 166 ، 171 ، 190 ، 193 ، 196 ، 201 ، 246 ، 257 ، 300 ، 363 .

أبو القاسم بن أحمد : 56 ، 57 .

القاسم بن جعفر : 116 .

القاسم بن جعفر العياني : 5 ، 7 ، 10 ، 49 ، 50 ، 51 ، 55 ، 74 ، 76 ، 79 ، 86 ، 116 ، 123 ، 247 ، 248 ، 253 ، 278 ، 319 ، 321 ، 323 ، 324 ، 325 ، 328 ، 329 ، 330 .

القاسم بن عبد الله : 143 .

أبو القاسم بن علي : 95 .

القاسم بن علي العياني : 7 ، 18 ، 20 ، 29 ، 34 ، 35 ، 46 ، 47 ، 49 ، 53 ، 61 ، 68 ، 84 ، 112 ، 127 ، 128 ، 131 ، 255 ، 348 ، 365 .

القاسم بن محمد : 274 ، 279 ، 354 .

أبو القاسم بن محمد المالكي : 246 .

القاسم بن المهدي : 9 ، 35 ، 38 .

أبو القبائل بن هاشم : 201 .

قيس بن كريف : 95 .

قيس بن وهيب : 95 .

- ك -

كديس بن تبع الصليحي : 225 .

- ل -

ليث بن يحيى : 281 ، 292 .

- م -

مالك الأشتر : 304 .

مالك بن عبد الله : 321 ، 329 .

محمد بن جعفر بن أبي هاشم : 19 .	مبارك بن سليمان : 139 .
محمد بن جعفر بن راسان : 75 .	مبارك الدربندي : 212 .
محمد بن جعفر بن الشبيل : 69 .	محترم بن محمد بن الرقيق : 95 .
محمد بن جعفر بن القاسم = الشريف	محرز بن عبد الله : 116 .
الفاضل : 5 ، 7 ، 10 ، 12 ، 16 ، 17 ،	محسن بن محمد بن المختار : 41 ، 347 ،
18 ، 19 ، 20 ، 21 ، 22 ، 23 ، 24 ،	348 ، 353 .
27 ، 28 ، 37 ، 50 ، 51 ، 52 ، 53 ،	المحسن بن محمد الحسني : 154 .
55 ، 56 ، 79 ، 80 ، 82 ، 84 ، 85 ،	محمد (ص) = رسول الله (ص) =
86 ، 90 ، 91 ، 93 ، 94 ، 95 ، 98 ،	النبي (ص) : 38 ، 39 ، 40 ، 41 ،
99 ، 100 ، 101 ، 102 ، 103 ،	45 ، 67 ، 92 ، 94 ، 95 ، 98 ، 110 ،
104 ، 105 ، 106 ، 107 ، 108 ،	111 ، 115 ، 118 ، 137 ، 155 ،
109 ، 110 ، 111 ، 112 ، 113 ،	169 ، 190 ، 191 ، 223 ، 255 ،
115 ، 116 ، 117 ، 118 ، 119 ،	258 ، 288 ، 289 ، 295 ،
120 ، 121 ، 122 ، 123 ، 124 ،	297 ، 300 ، 302 ، 303 ، 304 ،
126 ، 127 ، 128 ، 130 ، 131 ،	305 ، 314 ، 323 ، 324 ، 325 ،
132 ، 133 ، 135 ، 136 ، 137 ،	330 ، 331 ، 335 ، 340 ، 344 ،
138 ، 139 ، 140 ، 142 ، 144 ،	347 ، 349 ، 350 ، 351 ، 353 ،
145 ، 146 ، 148 ، 149 ، 150 ،	355 ، 356 ، 357 ، 359 ، 360 ،
155 ، 156 ، 157 ، 158 ، 159 ،	363 ، 365 .
160 ، 161 ، 162 ، 163 ، 164 ،	محمد الأكوع الحوالي : 12 ، 58 ، 60 .
165 ، 173 ، 174 ، 175 ، 185 ،	محمد بن إبراهيم : 39 ، 45 ، 156 ، 165 ،
187 ، 189 ، 190 ، 191 ، 192 ،	174 ، 177 ، 178 ، 178 ، 190 ،
193 ، 194 ، 195 ، 196 ، 200 ،	214 .
201 ، 202 ، 203 ، 204 ، 207 ،	محمد بن إبراهيم بن جابر : 342 .
209 ، 210 ، 213 ، 214 ، 215 ،	محمد بن إبراهيم بن حميد : 335 .
216 ، 219 ، 221 ، 222 ، 223 ،	محمد بن إبراهيم بن رقاد : 332 ، 333 ،
224 ، 225 ، 229 ، 230 ، 231 ،	335 .
232 ، 233 ، 234 ، 238 ، 239 ،	محمد بن إبراهيم الصبري : 332 ، 333 ،
240 ، 241 ، 242 ، 248 ، 252 ،	334 ، 335 ، 344 .
253 ، 255 ، 257 ، 258 ، 278 ،	محمد بن أبي الخير المالكي : 240 .
283 ، 284 ، 291 ، 292 ، 293 ،	محمد بن أحمد النضري : 56 .
294 ، 306 ، 307 ، 308 ، 309 ،	محمد بن إسماعيل الكبسي : 58 .
310 ، 321 ، 322 ، 328 ، 335 ،	محمد بن أنس : 219 ، 263 ، 280 .
340 .	

- محمد بن الحسن بن مروان : 98 .
 محمد بن الحسين بن مسعود : 214 ، 246 .
 محمد بن حميد : 56 .
 محمد بن زيد الترحي : 240 .
 محمد بن الشريف : 22 ، 27 ، 29 .
 محمد بن شهاب الحدي : 224 .
 محمد بن علي الطامي : 309 ، 310 ، 312 .
 محمد بن عبد الله بن الحسن : 31 .
 محمد بن عبد الله الحرازي : 389 ، 54 .
 محمد بن العفيف : 39 ، 54 .
 محمد بن علي بن شهران : 176 .
 محمد بن علي الضراب : 257 .
 محمد بن القاسم الرستي : 7 ، 34 ، 143 ، 243 ، 246 ، 270 ، 271 ، 280 ، 281 ، 282 ، 284 ، 322 .
 محمد بن كليب : 223 .
 محمد بن مبارك : 226 .
 محمد بن محمد المنصور : 41 ، 68 ، 95 .
 محمد بن منيع : 124 .
 محمد بن الهادي : 61 ، 113 ، 294 .
 محمد بن ورقاء : 220 ، 238 ، 255 .
 محمد بن يحيى : 151 ، 152 .
 محمد ذو الشرفين : 197 .
 محمد الربيعي : 56 .
 محمد المرتضى : 32 ، 37 ، 52 ، 53 ، 60 ، 61 ، 84 ، 112 ، 113 .
 مخرج (الساعد) : 203 ، 213 ، 215 ، 219 ، 268 .
 غيظ بن أحمد الحسني : 137 ، 138 ، 139 .
 مدافع بن الحسن الجنبي : 176 ، 230 .
 مدرك بن إسماعيل : 324 .
 المرتفع بن المزراق : 134 .
 المرداس بن محمد : 159 .
 ابن مروان : 109 .
 ابن المستعلي : 337 .
 مسعود : 48 .
 مسلم بن محمد : 322 .
 أبو مسلم بن وهيب : 35 .
 أبو مسلم العمري : 224 ، 241 .
 مسلم اللحجي : 38 ، 41 ، 44 ، 45 ، 46 ، 48 ، 50 ، 52 ، 53 ، 44 ، 55 ، 56 ، 57 ، 58 ، 59 ، 60 ، 61 ، 62 ، 63 ، 64 ، 315 ، 317 .
 مصعب بن إبراهيم : 95 .
 مطرف بن شهاب : 61 .
 ابن مظفر : 156 .
 مظفر بن عبد الله : 95 .
 المعافى بن بدر : 124 ، 136 .
 معاوية : 303 ، 304 .
 معتق : 153 .
 معمر بن العمري : 241 .
 مفرح بن أحمد الربيعي : 5 ، 12 ، 13 ، 14 ، 27 ، 29 ، 36 ، 38 ، 45 ، 46 ، 48 ، 49 ، 50 ، 52 ، 55 ، 56 ، 57 ، 58 ، 59 ، 60 ، 63 ، 71 ، 79 ، 80 ، 84 ، 90 ، 109 ، 111 ، 118 ، 118 ، 119 ، 124 ، 135 ، 144 ، 146 ، 147 ، 152 ، 153 ، 159 ، 174 ، 186 ، 187 ، 189 ، 197 ، 198 ، 199 ، 201 ، 202 ، 203 ، 209 ، 210 ، 216 ، 226 ، 233 ، 244 ، 249 ، 256 ، 257 ، 258 ، 260 ، 265 ، 267 ، 272 ، 277 ، 292 ، 293 ، 294 ، 300 ، 313 ، 319 ، 321 ، 322 ، 324 ، 325 ، 326 ، 330 .
 مفضل بن أحمد اللعوي : 95 .

مقبل السحرتي : 80 ، 104 ، 175 .

ابن مقيع : 223 .

المكرم (بن مظفر) : 24 ، 28 ، 51 ، 52 ،

150 ، 151 ، 165 ، 167 ، 174 ،

190 ، 223 ، 225 ، 236 ، 309 ،

322 ، 325 ، 327 ، 328 ، 329 .

مليح بن هيصم : 221 .

منى : 200 .

المتاب بن الحسين : 98 .

منصور بن الحسن : 240 .

منصور بن الحسين : 199 ، 200 ، 201 ،

213 ، 215 ، 222 ، 329 .

منصور بن وهيب : 223 .

منيع بن إسحاق : 73 .

منيع بن الربيع : 266 .

منيع بن محمد : 158 .

المهدي (ص) : 115 ، 116 .

مهدي بن أبي ليلى : 133 .

موسى (ع) : 347 ، 360 .

موسى بن الذؤيب : 292 .

ميمون : 104 .

- ن -

أبو النار بن عليان : 158 ، 162 ، 248 .

نباة بن ربيع : 27 ، 28 ، 246 ، 254 ،

314 .

نشوان بن سعيد : 44 ، 45 ، 54 .

نشوان بن نشوان : 28 ، 229 ، 238 ،

255 ، 262 ، 263 ، 264 ، 265 .

أبو نضر : 56 .

نعمة بن يحيى : 162 .

نفيل بن أحمد : 202 ، 263 .

نهد بن الصباح : 61 .

نوح بن يحيى بن زنجي : 10 ، 15 ، 133 ،

162 ، 163 ، 164 ، 177 .

- ه -

هادي بن إبراهيم : 68 .

هريف بن عبد الله : 160 .

همدان بن ربيع : 162 ، 265 .

أبو الهيثم بن التيهان : 304 .

- و -

الوادعي : 221 .

ابن الوراق : 272 .

ولفريد ماديلونغ : 5 ، 57 ، 58 ، 60 .

وليد بن محمد الحرادي : 85 .

- ي -

يحيى بن أبي حاشد : 325 .

يحيى بن أبي الخير : 240 .

يحيى بن أحمد بن الحسين : 56 .

يحيى بن الحسين : 7 ، 11 ، 46 ، 55 ، 58 ،

59 ، 60 ، 66 ، 67 ، 326 ، 354 .

يحيى بن الحسين الشجري : 35 .

يحيى بن الحسين الهاروني : 35 ، 301 .

يحيى بن حمزة : 54 .

يحيى بن الصباح : 309 ، 310 .

يحيى بن علي : 161 .

يحيى بن عويد : 126 .

يحيى بن عياش : 45 ، 336 ، 337 ، 338 ،

339 .

يحيى بن القاسم : 32 .

يحيى بن محمد بن أحمد : 146 .

يحيى بن محمد بن يحيى : 173 ، 203 ،

210 ، 212 ، 262 ، 264 .

يحيى بن مسلم اللحجي : 49 .

يحيى بن المنشر : 119 .

- يعفر بن أحمد الكرندي : 16 ، 105 ، 109 ،
 114 ، 116 .
- يعقوب بن سليمان : 23 ، 97 ، 148 .
- يعقوب بن عيسى : 81 ، 84 ، 116 ، 195 .
- يمين بن عبد الله : 177 .
- يوسف بن خبير : 196 .
- يوسف بن ذؤيب : 321 ، 324 ، 330 .
- يوسف بن عقيب : 38 .
- يوسف بن يحيى الحمدي : 119 ، 124 .
- يوسف الداعي : 34 .
- يوسف النبي : 256 .
- * * *

2 - فهرس القبائل والبطون والعقائد والسكان

- أ -

بلحارث: 318 .
آل البيت: 52 ، 58 ، 65 .

- ث -

ثريان: 158 .

- ج -

بنو جعفر: 137 .
بنو جماعة: 119 .
بنو جناح: 220 .
أهل الجوف: 62 ، 220 ، 252 ، 254 .

- ح -

بنو الحارث: 48 ، 75 .
حاشد: 93 ، 282 .
بنو حبشي: 242 .
حجور: 148 ، 195 ، 203 ، 262 ، 264 ،
268 ، 284 ، 339 .
أهل الحذب: 74 ، 226 .
بنو الحراس: 158 .
بنو حرب: 137 .
بنو الحسن: 20 ، 104 ، 123 ، 136 ،

أبجر: 207 .

الأبناء: 320 .

بنو أبي: 197 .

بنو أحمد: 256 .

بنو أرحب: 255 .

بنو أذليح: 198 ، 263 .

الكلب: 141 .

الأهنوم: 23 ، 148 ، 149 ، 150 ، 153 ،

163 ، 165 ، 177 ، 184 ، 190 ،

196 ، 263 ، 340 .

- ب -

بنو بحر (بحير): 17 ، 20 ، 102 ، 119 ،

120 ، 144 ، 155 ، 156 ، 158 ،

160 ، 254 ، 255 ، 331 .

بنو بدر: 126 .

بكييل: 48 ، 93 ، 146 ، 196 ، 255 ،

262 ، 263 ، 281 ، 282 ، 283 ،

309 ، 311 ، 340 .

بل: 309 .

- 139، 157، 187، 197، 225،
226، 265، 313.
بنو الحسين: 104.
أهل الحصن: 164، 278.
أهل الخطام: 267.
أهل الحقل: 283.
بنو حماد: 73، 95، 204، 223.
أهل حملان: 238.
حمير: 8، 10، 15، 48، 50، 73، 74،
75، 77، 96، 200، 224، 325.
بنو حوال: 309.
بنو حي: 20، 142.
- خ -
خولان: 20، 48، 49، 75، 76، 142،
157، 163، 164، 220، 262،
283، 328.
- د -
آل داود: 347، 349.
بنو الدعام: 20، 23، 26، 27، 28،
52، 93، 144، 145، 146، 173،
155، 158، 160، 173، 174،
190، 193، 200، 204، 246،
255، 256، 259، 266، 313،
314.
دهمة: 256، 266.
- ذ -
بنو ذبيان: 23، 155، 156، 158، 160،
161، 164، 214، 221.
بنو ذعفان: 95.
- ر -
بنو راسان: 96.
- آل الربيعي: 57.
بنو ربيعة: 20، 28، 96، 133، 142،
257، 271.
آل الرسول: 76، 83، 85.
- ز -
بنو الزواحي: 283، 311، 321.
- س -
السبيع: 242.
بنو السدوف: 96.
بنو سفيان: 23، 149، 160، 247،
314.
بنو سليمان: 197.
سواءة: 140.
بنو سويقة: 197.
- ش -
بنو شابرة: 207.
بنو شاور: 72، 73، 200، 201.
بنو شرحبيل: 196، 260.
بنو شريف: 121.
أهل شطب: 241، 242.
بنو شهاب: 234، 236، 237، 320،
322، 332.
- ص -
بنو صريم: 15، 93، 96، 101، 146،
159، 166، 242، 259، 282،
283، 311، 327، 336، 337،
341.
أهل صعدة: 257، 271.
بنو الصليحي: 48، 75، 93، 94، 114،
118، 119، 121، 123، 133،
140، 144، 150، 151، 155.

- ف -

بنو الفحيل: 201 .
بنو فضلة: 134 .
بنو الفضيل: 224 .

- ق -

14، 52، 63، 64، 65، 106، 119،
143، 243، 319، 321 .
أهل القبلة: 302 .
قحطان: 77، 270 .
بنو قريش: 96، 344 .
بنو قيس: 332 .

- ك -

كاسر: 309 .
بنو كهلان: 77 .

- م -

بنو مالك: 20، 28، 96، 99، 119،
142، 167، 257 .
آل محمد: 68، 120، 126، 291 .
أهل المراثي: 216 .
أهل المشرق: 238 .
بنو مشعل: 207 .
بنو مطر: 332 .
أهل المغارب: 8 .
أهل المغرب: 72، 73، 198، 263،
270، 282 .
بنو المنتاب: 215، 239، 283 .

- ن -

بنو نشق: 26، 243 .
بنو نمرة: 207 .
نهد: 148، 140، 158 .

156، 157، 158، 159، 160،

161، 162، 163، 167، 168،

170، 171، 175، 177، 185،

189، 194، 196، 199، 200،

220، 223، 224، 225، 226،

227، 229، 230، 231، 236،

238، 239، 242، 255، 259،

265، 285، 292، 311، 313،

314، 319، 321، 323، 328 .

آل صهيب: 17، 124، 141 .

- ض -

بنو الضحاك: 60 .

- ظ -

ظليمة: 150، 186، 196، 232، 263،
337، 339، 340 .

- ع -

بنو عامر: 203، 204، 207 .

عاهم: 262 .

بنو العباس: 48 .

بنو عبد: 242 .

بنو عبدة: 96، 97، 99، 122، 341 .

عدوان: 140 .

عذر: 190، 193، 265، 270، 328،

340 .

العرب: 73، 95، 138، 142، 194،

213، 248، 335، 344، 348 .

بنو عزيز: 332 .

عنز: 342 .

عنس: 48، 320 .

العواسج: 123 .

بنو عويد: 126 .

بنونهم : 23 ، 26 ، 27 ، 28 ، 144 ،	325 ، 328 ، 329 .
148 ، 149 ، 155 ، 158 ، 160 ،	- و -
173 ، 190 ، 191 ، 195 ، 243 ،	وداعة : 20 ، 21 ، 28 ، 48 ، 49 ، 96 ،
255 ، 256 ، 259 ، 262 ، 266 .	97 ، 121 ، 142 ، 144 ، 146 ،
- ه -	149 ، 150 ، 156 ، 204 ، 221 ،
آل الهادي : 38 ، 47 ، 50 ، 52 ، 64 .	247 ، 248 ، 255 ، 262 ، 263 ،
بنو هاشم : 248 .	281 ، 282 ، 311 ، 319 ، 327 ،
بنو هلال : 18 ، 127 ، 136 .	339 ، 340 ، 341 .
همدان : 8 ، 9 ، 10 ، 15 ، 36 ، 45 ، 48 ،	- ي -
50 ، 73 ، 74 ، 75 ، 79 ، 93 ، 96 ،	يام : 48 ، 140 .
164 ، 200 ، 215 ، 222 ، 224 ،	أهل اليمن : 255 .
262 ، 309 ، 313 ، 319 ، 320 ،	

3 - فهرس الأماكن والمواطن والبلدان

- أ -

- البصرة: 88 .
 بطن الحارث: 48 .
 بطن حمير: 48 .
 بطن خولان: 150 ، 48 .
 بطن شرس: 329 .
 بطن همدان: 57 ، 48 .
 البطنة: 20 ، 142 ، 254 ، 257 .
 بلحارث: 48 .
 بهمان: 241 .
 بوسان: 164 .
 البون: 48 .
 بيت بوس: 230 ، 236 ، 321 ، 322 ، 328 .
 بيت الجراي: 222 ، 224 ، 229 .
 بيت الخاصم: 225 .
 بيت خفير: 227 ، 230 .
 بيت خولان: 75 ، 225 ، 230 .
 بيت ريب: 202 .
 بيت سود: 22 ، 146 ، 309 .
 بيت شعيب: 10 ، 22 ، 130 ، 144 ، 309 ، 146 .
- أبا نجاش: 135 .
 أثافت: 45 ، 64 ، 79 ، 98 ، 131 ، 156 ، 163 .
 أثلة: 193 .
 الأحبوب: 75 .
 الأخرج: 75 ، 320 .
 أدران: 201 ، 216 .
 أقر: 166 ، 178 ، 201 ، 204 ، 232 ، 264 ، 265 ، 268 ، 279 ، 281 ، 313 ، 327 .
 الأقهوم: 157 ، 242 .
 أكانط: 231 ، 313 .
 أنافية: 121 .
 أوي: 166 ، 327 .
 إيران: 35 .

- ب -

- باري: 194 .
 بدر: 17 ، 120 .
 البرقة: 125 .

167 ، 170 ، 171 ، 174 ، 175 ،
 178 ، 184 ، 185 ، 186 ، 189 ،
 190 ، 193 ، 195 ، 196 ، 197 ،
 199 ، 201 ، 216 ، 221 ، 232 ،
 241 ، 242 ، 255 ، 257 ، 262 ،
 269 ، 274 ، 277 ، 282 ، 283 ،
 285 ، 292 ، 206 ، 209 ، 311 ،
 319 ، 321 ، 324 ، 325 ، 326 ،
 327 ، 328 ، 329 ، 335 ، 337 ،
 339 ، 340 ، 341 .

جبل شطب: 193 ، 194 ، 322 ، 325 ،
 327 ، 335 .

جبل مسور: 25 ، 26 ، 51 ، 96 ، 188 ،
 199 ، 200 ، 201 ، 204 ، 208 ،
 212 ، 213 ، 214 ، 215 ، 216 ،
 220 ، 221 ، 222 ، 224 ، 229 ،
 230 ، 238 ، 239 ، 283 ، 321 ،
 329 .

جبل ميتك: 119 .
 الجرابي: 213 .
 الجراف: 146 ، 157 ، 164 ، 271 ،
 239 .

جرش: 20 ، 123 ، 141 .
 الجنافج: 214 ، 224 .
 جنب: 48 ، 122 ، 141 ، 224 .
 الجواشة: 159 ، 160 .
 جوعان: 195 .
 جوفل: 225 ، 226 .
 جيلان: 34 .

- ح -

حاز: 22 ، 94 ، 146 ، 238 .
 الحبل: 135 .

بيت المقدس: 19 ، 138 .
 بيت يرام: 236 ، 327 .

- ت -

تربة: 17 ، 124 ، 140 .
 ترج: 7 ، 14 ، 17 ، 18 ، 19 ، 20 ، 34 ،
 116 ، 121 ، 124 ، 126 ، 127 ،
 128 ، 134 ، 135 ، 136 ، 140 ،
 141 ، 142 .

تلمص: 271 .
 التهام: 216 .
 تهامة: 15 ، 22 ، 72 ، 76 ، 79 ، 123 ،
 125 ، 144 ، 154 ، 155 ، 156 ،
 158 ، 165 ، 185 ، 207 ، 212 ،
 265 ، 313 .

- ث -

الثاجة: 193 .
 ثراب: 242 .
 ثلا: 223 ، 224 ، 225 ، 230 ، 238 ،
 328 .

- ج -

جامن: 309 .
 الجبر: 194 ، 275 ، 277 .
 جبل تنعمة: 163 ، 328 .
 جبل حضور: 221 ، 222 ، 231 ، 234 ،
 321 ، 342 ، 344 .
 جبل حفاش: 207 ، 214 .
 جبل سيران: 178 .
 جبل شهارة: 23 ، 24 ، 27 ، 28 ، 29 ،
 45 ، 51 ، 52 ، 62 ، 82 ، 85 ، 146 ،
 148 ، 149 ، 150 ، 152 ، 153 ،
 154 ، 155 ، 157 ، 165 ، 166 .

الحجاز: 15، 16، 18، 48، 72، 115،
134، 139، 140، 157، 158،
167، 174، 178، 186، 220،
224، 225، 264، 322.

- ذ -

ذات عرق: 17، 125.
ذيل: 194، 242.
ذروة: 220، 221.
ذرى: 165.
ذمار: 320.
ذمرمر: 231.
ذو جبلة: 322، 328.
ذو الرداعين: 187.
ذو عرار: 9، 36، 324.
ذوقين: 156.
ذبيان: 155، 328.

- ر -

الراحة: 141، 210.
رأس ذرى: 166.
رحابة: 242.
الرحبة: 24، 48، 90، 151، 164،
165، 167، 178، 174، 176،
177، 190، 325، 327، 328.
الروم: 91.
ريدة: 9، 36، 55، 57، 133، 241،
327.

- ز -

الزبرة: 207، 212.
زجان: 224.
زبيد: 13، 16، 21، 22، 24، 48،
92، 110، 112، 145، 146.

- س -

ساعد جبيل: 203، 204، 215.

- خ -

خنعم: 7، 17، 34، 121، 135، 140،
141.
خرفان: 22، 148، 156.
الخشب: 165.
خنوس الأهنوم: 262.
الخميس: 193.

- د -

درب عفان: 166.
دوبع: 195، 231.

سجدا: 270 .
السرار: 106 .
السنتين: 157 .
سنحان: 48 ، 54 ، 121 ، 134 ، 140 ، 321 .
السوارقية: 139 .
السويق: 231 .

- ش -

شاحذ: 220 .
الشام: 98 ، 118 ، 133 ، 135 ، 136 ، 138 ، 143 ، 150 ، 157 ، 203 ، 232 ، 255 ، 291 .
شيام (كوكبان): 163 ، 224 ، 229 ، 321 ، 328 .

- ض -

ضاعن: 163 .
ضلع عيان: 160 .

- ط -

طبرستان: 34 ، 154 .
طهنة: 263 ، 264 .

- ظ -

ظفار: 322 .
الظهيرة: 200 ، 202 ، 204 ، 240 .

- ع -

عبرأسد: 201 .
عثار: 241 .
عجيب: 241 .
العرافة: 242 .
العراق: 19 ، 20 ، 35 ، 105 ، 127 ، 128 ، 136 ، 138 ، 139 ، 163 .
عرام: 156 .
عرد: 16 ، 115 ، 116 .
عرديب: 225 ، 226 ، 232 .

- ص -

الصاية: 276 ، 277 .
صعدة: 8 ، 10 ، 12 ، 13 ، 15 ، 17 ، 25 ، 28 ، 29 ، 41 ، 51 ، 52 ، 56 ، 64 ، 92 ، 115 ، 119 ، 130 ، 135 ، 155 ، 189 ، 190 ، 191 ، 209 ، 262 ، 276 ، 320 ، 353 .
الصفراء: 20 ، 139 .
صليت: 241 .
صنعاء: 8 ، 10 ، 12 ، 14 ، 15 ، 16 .

قرن عنتر: 230 ، 236 ، 321 ، 322 ،

323 ، 324 ، 328 .

قسطل: 166 .

القصر: 135 .

قيفان: 236 .

قيلاب: 216 .

- ك -

الكوفة: 18 ، 19 ، 127 .

- ل -

اللفح: 201 .

- م -

مأرب: 266 .

محزر: 313 .

المحارم: 74 .

المحانة: 166 ، 167 .

المحطور: 263 .

مدحك: 156 .

مدر: 164 ، 224 .

المدهاقة: 206 .

المديد: 158 .

المدينة: 19 ، 20 ، 21 ، 25 ، 80 ، 118 ،

131 ، 137 ، 138 ، 191 ، 333 .

مذاب: 189 .

مذحج: 54 .

المرفق: 124 .

مسجد الحرة: 131 .

مسجد رسول الله: 138 .

مسجد علي: 136 .

المشراق: 193 .

مصر: 19 ، 42 ، 137 ، 256 ، 339 .

المطرح: 201 .

عرذة: 127 .

عرق: 136 ، 246 ، 254 ، 256 .

عسكر بن مظفر: 156 .

العشتين: 164 .

عصفران: 342 .

عكاظ: 140 .

العلاية: 204 .

علمان: 231 .

عمران: 26 ، 116 ، 243 ، 270 ، 309 .

عيان: 8 ، 10 ، 19 ، 20 ، 21 ، 22 ، 28 ،

130 ، 131 ، 134 ، 143 ، 144 ،

145 ، 201 ، 215 ، 216 ، 255 ،

257 ، 257 ، 266 ، 269 ، 284 ،

313 ، 354 .

- غ -

الغاذية: 313 .

الغتير: 257 .

غرق: 144 .

غزير أود: 325 .

الغميرة: 212 .

غير عمران: 330 .

- ف -

الفجرة: 266 .

- ق -

القاسمية: 35 .

القاع: 136 .

قاعة: 222 .

القاهرة: 11 ، 339 .

قاوية: 240 .

قراثيل: 94 .

قرن جمع: 166 .

وادي صناف : 204 .

وادي صور : 166 .

وادي طهام : 214 .

وادي الغير : 240 .

وادي مور : 204 .

وادي وعار : 232 ، 276 .

ورور : 221 .

وقش : 232 ، 344 .

- ي -

يازل : 75 ، 220 .

يريم : 215 ، 219 ، 222 .

يشيع : 79 .

يفاعة : 75 ، 220 ، 230 .

اليامة : 18 ، 124 ، 128 .

اليمن : 5 ، 7 ، 8 ، 11 ، 12 ، 14 ، 16 ،

17 ، 18 ، 19 ، 20 ، 28 ، 30 ، 31 ،

32 ، 34 ، 42 ، 47 ، 48 ، 49 ، 50 ،

52 ، 55 ، 57 ، 58 ، 65 ، 79 ، 86 ،

98 ، 110 ، 126 ، 128 ، 132 ،

136 ، 138 ، 139 ، 140 ، 145 ،

153 ، 154 ، 155 ، 165 ، 167 ،

175 ، 248 ، 265 ، 279 ، 291 ،

319 ، 320 ، 322 ، 325 ، 328 ،

337 .

يناع : 160 ، 161 ، 197 ، 219 ، 220 ،

225 ، 229 ، 230 ، 233 ، 234 ،

237 ، 292 ، 321 .

المعيدي : 226 .

المغرب : 242 ، 313 .

مكة : 14 ، 17 ، 18 ، 19 ، 20 ، 80 ،

104 ، 123 ، 124 ، 125 ، 126 ،

127 ، 136 ، 140 ، 333 ، 354 .

ملحان : 207 .

المناجي : 267 .

المنقل : 155 .

المهجم : 207 .

مور : 195 .

- ن -

ناعط : 165 .

نبهان : 207 ، 215 .

نجد : 15 ، 140 ، 143 ، 148 ، 165 ،

166 ، 325 ، 327 .

نجر : 223 .

نجران : 141 ، 150 ، 163 .

نمل : 202 .

نوسان : 197 .

- ه -

هراة : 219 ، 255 .

هران : 158 .

- و -

وادي بيثة : 204 ، 240 ، 276 .

وادي الثاجة : 232 .

وادي شرس : 199 ، 201 .

4 - فهرس الفرق والمذاهب والجماعات

- أ -
الحميريون: 10، 215، 222.
- خ -
الخوارج: 303، 305.
- د -
الدعاميون: 240، 243.
الدعويون: 199.
- ر -
الرسيون: 212.
- ز -
الزنادقة: 295، 298، 300.
الزواحيون: 328.
- الزيدية = الزيديون: 5، 7، 8، 31، 32،
33، 34، 36، 42، 43، 44، 46،
46، 50، 52، 53، 54، 55، 56،
61، 62، 66، 67، 154، 306،
323، 330، 332، 333، 334،
335، 339، 342، 363.
- ش -
الشيعة الاثنا عشرية: 43.
- الإسلام: 26، 33، 40، 83، 84، 86،
87، 91، 135، 155، 200، 202،
203، 216، 233، 243، 247،
248، 278، 284، 293، 294،
295، 298، 299، 300، 301،
358.
- الأعراب: 20.
- الأنصار: 23، 50، 303، 304.
- ب -
البحيريون: 175.
- البكيليون: 221، 229، 230، 232.
- ج -
الجنبيون: 230.
- الجواشيون: 166.
- ح -
الحجوريون: 276.
- الحرازيون: 225.
- حزب الله: 296.
- حزب الشيطان: 295.
- الحضوريون: 191، 220.

- ك -	الشيعة (الحسينية): 19، 21، 23، 31،
الكافرون: 299.	36، 37، 41، 44، 45، 46، 49،
الكرنديون: 320.	50، 51، 52، 54، 55، 56، 62،
- م -	63، 64، 65، 101، 131، 146،
المجوس: 295، 298.	149، 151، 154، 157، 160،
المخالفون: 302.	165، 168، 176، 194، 196،
المرحبيون: 340.	202، 204، 212، 229، 230،
المسلمون: 26، 31، 33، 80، 81، 82،	239، 242، 243، 260، 263،
83، 85، 86، 87، 88، 89، 90،	271، 272، 276، 277، 281،
91، 171، 174، 200، 216،	300، 313، 319، 324، 327،
232، 233، 240، 243، 258،	330، 333، 334، 335، 337،
278، 279، 284، 292، 293،	339، 344، 352.
294، 295، 296، 298، 300،	شيعة الفاطميين: 53.
301، 303، 305، 306، 357.	- ص -
المشركون: 31، 87، 89، 283.	الصرميون: 196.
المعتزلة: 39.	الصعديون: 189.
الملحدون: 39.	الصليحيون: 5، 14، 15، 17، 19،
المهاجرون: 303، 304، 341.	21، 22، 23، 24، 25، 26، 27،
- ن -	28، 50، 51، 52، 53، 57، 58،
النصارى: 259.	62، 63، 323، 325، 326، 327،
النهميون: 243، 330.	328.
النواصب: 305.	- ع -
- ه -	العبيديون: 166، 196.
الهمدانيون: 10، 191، 222، 223،	العلويون: 11.
224، 229، 230، 282.	- ف -
- و -	الفاطميون: 17.
الوداعيون: 193، 229، 232، 260.	- ق -
- ي -	القاسميون: 23، 36، 48، 53، 57،
اليهود: 137، 166، 259.	58، 64، 33، 53، 60، 85، 86،
	87، 91، 92، 153، 200، 294،
	297، 208، 324.

5 - فهرس الكتب الواردة في النص

- أ -
- أخبار الزيدية : 60 .
الأسرار : 363 .
الإكليل : 154 .
الإمامة : 364 .
أنباء الزمن : 47 ، 59 .
الأنوار في معرفة الله : 68 .
- ب -
- البلغة : 300 .
بيان الإشكال : 44 ، 68 ، 315 ، 355 .
- ت -
- تاريخ بني الوزير : 65 ، 66 .
تاريخ عمارة : 60 .
تاريخ اليمن : 11 ، 58 .
تثبيت إمامة أبيه = القاسم بن علي العياني :
360 .
التفريع : 136 .
التفسير : 136 ، 155 .
تفسير غريب سورة الأنعام : 360 .
- ج -
- تفسير غريب القرآن : 360 .
التوفيق والتسديد : 357 ، 360 .
- ح -
- الحدائق الوردية : 44 .
حقائق المعرفة : 44 ، 55 ، 64 ، 65 ، 347 .
الحكمة الدرية : 44 ، 55 ، 65 ، 347 .
- د -
- الدامغ : 363 .
الدعامة في تثبيت الإمامة : 68 ، 301 .
- ذ -
- ذم الأهواء والوهوم : 365 .
- ر -
- الرحمة : 357 ، 359 .
الرد على المدعي : 357 .
الرد على أنكر الوحي : 359 .
الرسالة الزاجرة : 44 .
- س -
- السيرة : 5 ، 7 ، 11 ، 12 ، 13 ، 14 ، 15 ،

- 16، 17، 18، 22، 24، 25، 26،
27، 28، 29، 30، 31، 32، 34،
35، 36، 44، 51، 52، 53، 55،
57، 58، 60، 148، 293، 314،
319، 321، 322، 324، 326،
330.
- غ -
غاية الأمانى: 11، 24، 27، 29.
- ق -
القتل والقتال: 300.
- ل -
اللاي المضية: 56، 58، 59.
اللطاتف السنية: 58.
- م -
المختصر: 135.
مختصر الأحكام: 356.
المعجز: 38، 39، 135، 155، 352.
المغازي: 302.
المنتخب: 136.
- * * *
- ش -
شرح التجريد: 300.
شواهد الصنع: 362.
- ط -
طبقات الزيدية: 46، 55، 60.
- ع -
العسجد المسبوك: 59.
العيون: 22.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
كلمة تقديمية	5
تمهيد : سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين - ترجمة مقالة لويلفريد	
مادلونغ	7
في التقديم : سيرة الأميرين الجليلين الشريفين والشيعة الحسينية باليمن	31
نص سيرة الأميرين الجليلين	71
- ذكر دعوة الشريف الفاضل عليه السلام	86
- فصل في خروج ذي الشرقين إلى الشام	118
- ذكر السبب عن غارة الرحبة وما كان من شأنها وأسبابها	162
- رجوع الحديث إلى حصار شهارة	165
- ذكر وصية الأمير ذي الشرفين عليه السلام	168
- ذكر الخبر عن غزوة الملاهي	185
- رجوع الحديث إلى قصة ذي الرداعين	187
- خبر المخرج إلى صعدة الذي أخذ فيه الشمرى	189
- فصل فيه ذكر شيء من أمور شهارة وما حدث فيها من الإصلاح	
والعمارة	196
- ذكر الخبر عن طلوع مسور	198

- ذكر الخبر عن مخرج الساعد الآخر الذي قُتل فيه حسين بن مفلح العامري 203
- ذكر قتل القائد مبارك الدربندي 212
- ذكر الخبر عن دار الضرب بمسور 212
- ذكر الخبر عن المخرج إلى القفل بحفاش من مسور 213
- ذكر الخبر عن وصول الشريف الفاضل بسبب فساد بين المُنتاب 215
- رجوع الحديث إلى مخرج يريم 219
- ذكر طلوع يناع 219
- ذكر الخبر عن طلوع ذروة 220
- رجوع الحديث إلى طلوع حضور المصانع 221
- ذكر نزول الشريف الفاضل من مسور 222
- ذكر الخبر عن مخرج الشريف الفاضل إلى ثُلا من مَدَر 224
- ذكر الخبر عن خروج بني الصُّليحي إلى يناع 225
- ذكر الخبر عن نهوض الأمير ذي الشرفين إلى يناع من مَسُور 229
- رجوع الحديث إلى كون الشريف الفاضل بمسور 230
- ذكر الخبر عن تخريج الشريف الفاضل إلى ذمرمر 231
- ذكر الخبر عن الخروج إلى دوبع 231
- رجوع الحديث إلى مكاتبة بني شهاب 236
- رجوع الحديث إلى كون الأمير ذي الشرقيين بيناع 237
- ذكر خروج الشريف الفاضل من مسور وما كان في يوم شَرِس 239
- ذكر الخبر عن غارة التبوك 241
- رجوع الحديث إلى ذكر مخرج شظب الآخر وشهران 241
- ذكر الخبر عن قصة عَمَران 242
- من قصة أبي النار بن عليان الدعامي 248
- رجوع الحديث إلى ذكر خروجه عليه السلام 248
- رجوع الحديث إلى غارة أقر 265

270	- ذكر الخبر عن المخرج إلى بلد عُذار
271	- ذكر ما جرى بين الأمير ذي الشرفين وصنوه سنان الدولة
276	- ذكر الخبر عن وقعة الصاية من بلد الجبر
277	- ذكر الخبر عن وفاة الشريف الأمير ذي الشرفين
283	- رجع الحديث إلى ذكر وصايا الأمير ذي الشرفين
291	- رواية مشهورة عن المهديّ لدين الله الحسين بن القاسم
292	- فصل في حال الأمير ذي الشرفين عليه السلام
	- فصل فيه ذكر الاحتجاج على القيام بما قام فيه الشريف الفاضل
293	والأمير ذو الشرفين
	- كتاب كتبه الأمير ذو الشرفين إلى مولانا المهدي لدين الله الحسين بن
306	القاسم
309	- ذكر الصلح والهدنة
315	ملاحق الكتاب
	المحلق الأول: نصوص من «تاريخ مسلم اللحجي» عن أشراف آل القاسم
317	والشيعة الحسينية
	الملحق الثاني:
	1 - نص من كتاب «حقائق المعرفة» للمتوكل على الله أحمد بن
345	سليمان
351	2 - نص من كتاب «الحكمة الدرية» للمتوكل على الله أحمد بن سليمان
	الملحق الثالث: كتاب بيان الإشكال فيما حُكي عن المهدي من الأقوال
355	لحميدان بن يحيى
376	ثبت المصادر والمراجع
	الفهارس العامة

هذا الكتاب

سيرة الأميرين الجليلين

ينتمي النصّ المنشور إلى أدب السيرة اليمني الذي بدأت رسائله وكتبه مطالع القرن الرابع الهجري . ولنصّ مفرّح بن أحمد الربيعي هذا أهمية استثنائية من ناحيتين ؛ فهو يؤرّخ للأجزاء الشمالية من اليمن في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري ، وهي حقبة تندر الأخبار في المصادر عنها . وهو من ناحية ثانية يروي وقائع انشقاق عقدي وسياسي داخل الزيدية قادته « الشيعة الحسينية » وامتدّ قرابة القرنين من الزمان . وقد تصدّت « الحسينية » للصليبيين الإسماعيلية ، وحالت دون استتباب الأمر لهم بشمال اليمن ؛ وإن لم تستطع إزاحتهم من السلطة .

